كتاب التعاون

يوميات سفينة مجنونة !.

حسين قدرى

الغلاف :

الفنان : هبة عنايت

سكرتير التحرير التنفيذى :

نزيه عبد الغنى

مؤسسة دار التعاون
للطبع والنشر

كتاب التعاون

رئيس مجلس الإدارة:
محمد رشاد
رئيس التحرير:
سعيد نور الدين

٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتي - القاهرة - تليفون ٣٥٤٣٣١٣

الإهداء . .

اليها ..
الى الانسانة الوحيدة التى تمنيت أن تصحبنى فى هذه الرحلة ، وفى كل رحلة ، بل فى رحلة العمر كله..
لكن الحياة فرضت على كل منا رحلة فى طريق يختلف عن طريق الآخر..

« حسين قدرى »

مــقدمة ..

ياقوت ..
ماذا
فعلت
بأخيــــك ! ؟

لم يكن في ذهني أي شيء على الاطلاق وأنا ذاهب إلى الإسكندرية لأقضي فترة راحة واستجمام بعيدا عن القاهرة ، بعد فترة عمل طويلة شاقة أرهقتني إلى الحد الذي قررت فيه أنني - لأول مرة منذ ١٨ سنة - محتاج فعلا إلى أجازة حقيقية أرتدي فيها أقل قدر ممكن من الملابس وأجلس أمام البحر في استرخاء شديد ساعات طويلة ، وأنسى أن هناك مدينة إسمها القاهرة ، وأنسى أن هناك مهنة أسمها الصحافة . .

يوم واحد فقط أمام البحر ، بعده كدت أنشق من الملل والركود والرتابة والزهق . . فبدأت أبحث عن الأصدقاء السكندريين الذين اعتدت أن أراهم وألتقي بهم كلما جئت إلى الإسكندرية . . صديقي اللواء بحري « عماد الدين مدكور » رئيس مجلس إدارة شركة مصايد أعالي البحار ، سألني ونحن ندردش عن مشروعات رحلاتي الصحفية لهذا الصيف ، قلت : « ولا حاجة أبداً ، خالي الذهن تماما من أية مشروعات في الوقت الحالي . . أنا في أجازة وباستريح ومش عايز أفكر في حاجة أبداً متعلقة بالشغل » . . رفع سماعة التليفون وطلب شخصا ما ، وتكلما قليلاً ، ثم قال له : « حاجي أزورك بكره ومعايا صديقي الصحفي حسين قدري » . .

في اليوم التالي كنا معا - اللواء « عماد الدين مدكور » وأنا - نزور العميد بحري « حسين زاهر ياقوت » في مكتبه : رئيس مجلس إدارة الشركة المصرية للملاحة البحرية . . كنت أظن أنني لا أعرفه ، لكنني تذكرته فورا بمجرد رؤيته ، التقينا مرة من قبل : رجل ظريف وحبوب وبسيط ودمه خفيف ، وقصير ومكير . . إنتهت الزيارة بأن وجدت نفسي « متدبسا » في هذه الرحلة ، التي لم أكن أنويها ولم أسع اليها ولم تكن على بالي على الإطلاق . . لكن « عماد مدكور » و « زاهر ياقوت » تقاذفاني بينهما ككرة التنس و « شقطوني لبعض » ، حتى خرجت في النهاية وأنا متورط في الموافقة على رحلة بحرية طويلة لم يعجبني فيها إلا إسمها فقط : الرحلة العذراء !! . .

« الرحلة العذراء » هي الرحلة الأولى لسفينة جديدة لنج تنزل البحر لأول مرة . . رحلة التدشين . . رحلة زفافها إلى البحر . .

***

وبعد . .

إذا كانت « الرحلة العذراء » قد تحولت بعد ذلك إلى « رحلة مجنونة » فإن الذنب فى ذلك ليس ذنبى . . فإننى لم أختر هذه الرحلة ، ولا اخترت هذه السفينة ، ولا اخترت هؤلاء الناس . . حظى ونصيبى هو الذى جعلنى معهم ، وحظهم ونصيبهم هو الذى جعلهم معى . . لكنهم على أى حال « عينة » لرجال البحر . . قد يكون (الصنف كله كده) ، وقد تكون العينة فقط ـ للحظ السيء ـ رديئة . . لكننى أعود فأكرر : لست أنا الذى أخترتهم ، لكن ، حظى ـ وحظهم ـ جه كده !!

« حسين قدرى »

الفصل الأول

إلى
أوروپا ..
داخل
تابوت .!

كانت القاهرة قد

أصبحت بالنسبة لى فى الفترة الأخيرة جحيما لا يطاق . . لم أسافر خارج مصر منذ ما يقرب من سنة كاملة . . عملى فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) لم يعد فيه أى جديد على الإطلاق . . عملى فى الراديو روتينى وثقيل الظل وممل . . برنامجى الذى كنت أعده للتليفزيون زهقت منه فتركته . . ليس لى كتب معروضة فى السوق فى الوقت الحالى ، وكتبى الجديدة لا يبدو فى الأفق القريب أى جديد بشأنها . . الأصدقاء والأقارب المحيطين أصبحت من كثرة ما أراهم وألتقى بهم زاهدا فيهم وكأننى ألعب مباراة بنج بونج عائلى على مائدة ضيقة جدا : يا رايحين عند محمد وميمى ، يا هم جايين عندنا . . وسواء كنا عندهم أو كانوا عندنا فإن موضوعات الحديث بيننا لم يعد فيها جديد ، وتكاد لحظات الصمت فى لقاءاتنا وقعداتنا أن تكون أكثر من لحظات الكلام . . حتى دور السينما التى تعرض الأفلام الأجنبية الجيدة لم تعد تعرض شيئا يستحق أن يرى . . التليفزيون ليس فيه ما يضايق غير أنه موجود أصلا . .

وأصبح اليوم فى نظرى ٢٤٠ ساعة . . .

نبغى أن أغير الجو الذى أعيش فيه الآن . . ينبغى أن أبتعد عن هذا الركود والملل والسأم والأيام الصفراء الكالحة الباهتة . . . .

سأذهب إلى الإسكندرية . . .

□ □ □

حين جئت إلى الإسكندرية لم يكن فى ذهنى أى شىء على الإطلاق أكثر من أننى أحتاج فعلا إلى أجازة طويلة أبتعد فيها عن القاهرة وعن الصحافة تماما . . جئت وفى نيتى أن أقضى شهرا كاملا فى استرخاء شديد على الشاطىء أمام البحر طول النهار ، وأخرج وأسهر وأمرح كل مساء . .

ولكن . .

ظهر « عماد الدين المذكور » ، ومن بعده ظهر « ياقوت » . . . ومعهما ظهر الشغل من جديد . . وظهرت فكرة الرحلة العذراء .

□ □ □

الرحلة هى « الرحلة العذراء » . . والسفينة هى « رمسيس الثانى » . .

« رمسيس الثانى » . . هى أول سفينة تبنيها الترسانة المصرية بالإسكندرية لحساب الشركة المصرية للملاحة ، وهى واحدة من ٦ شقيقات أخريات لها ، كلها بنفس التصميم وبنفس الطراز ، وكلها تحمل أسماء فرعونية : إيزيس ، نفرتيتى ، آمون ، تحتمس ، أحمس . . سفن كبيرة ضخمة تبنى فى الترسانة المصرية بأيدى المهندسين والعمال المصريين . . السفينة « رمسيس الثانى » هى أول واحدة من مجموعة السفن الستة تتسلمها الشركة . . تسلمتها فعلا منذ أيام قليلة وتتهيأ الآن لبدء رحلتها العذراء . .

عذراء !!؟

الرحلة الأولى لأى سفينة جديدة تنزل البحر لأول مرة يطلق عليها « الرحلة العذراء » . . تجربتها الأولى مع البحر الذى ستقترن به طوال عمرها ولا تتركه إلا إلى المعاش ، وقد لا تتركه على الإطلاق ويحتفظ بها فى أعماقه إذا تخلى عنها الحظ فى يوم ما . .

السفينة « رمسيس الثانى » تبدأ رحلتها العذراء فى خلال أيام ، وطريقها إلى دول شمال أوروبا فى بحر الشمال وبحر البلطيق . .

« ياقوت » يقترح أن أكون شاهدا على زفاف « رمسيس الثانى » إلى البحر . . أن أكون معها فى رحلتها الأولى . . . .

□ □ □

لماذا قبلت هذه الرحلة إذا كانت لن تزيد عن كونها رحلة عادية إلى أوروبا !؟ . .

إستهوتنى فكرة « الرحلة العذراء » . . الرحلة الأولى لسفينة جديدة فى البحر . . كنت أظن أنها سوف تكون رحلة لها مراسم خاصة وتقاليد خاصة غير الرحلات العادية ، مراسم وتقاليد ظريف أن أراها وأشاهدها وأحضرها وأسجلها بالقلم والصورة . . لم يحدث ذلك لصحفى مصرى من قبل ـ على قدر علمى ـ وأنا مغرم بالجديد دائما ، وهذا قطعا شىء جديد . .

شىء آخر . . رحلاتى السابقة كلها التى نشرتها : إما رحلات بحرية تماما مثل (راكبان على السفينة) التى كانت على سفينة صيد سمك فى المحيط الأطلنطى ، وكانت الرحلة تتناول حياة البحر ورجال البحر فقط . . وإما رحلات « برية » إذا استطعنا أن نسميها كذلك . . رحلات عادية إلى أوروبا ، مثل رحلاتى إلى جزر الكناريا وإلى جزيرة قبرص وإلى لندن وإلى بيروت وإلى الصحارى المصرية والسودانية والليبية وغيرها . . لكن هذه الرحلة تختلف . . هذه الرحلة (بحرية برية) . . مزيج بين البحر والأرض . . الرحلة على السفينة نفسها مادة للكتابة ، وفى البلاد التى سوف تزورها السفينة فى رحلتها مادة أخرى للكتابة . . وفى المزج بين المادتين والكتابتين فى البر وفى البحر شىء جديد لم أمارسه أنا من قبل ولم يعتده القارىء المصرى من قبل . .

□ □ □

فى الإسكندرية . . فى الشركة المصرية للملاحة . .

« عدلى عبد المعطى » شكله يبدو معترضا على قيامى بهذه الرحلة . . هو مدير عام الشئون الإدارية فى الشركة ، « الشئون الإدارية » فقط ، لكن واضح أن سلطاته أكبر من ذلك كثيرا . . الشركة تواجه فى الفترة الحالية متاعب مع الصحافة التى تهاجمها وتضعها تحت الأضواء وتكشف عن كثير من الخلخلة والتسيب فيها ، ولا يريد أن يترك الفرصة لصحفى معروف بطول لسانه ـ مثلى ـ أن يتسرب إلى داخل الشركة ويرى ما فيها عن قرب أكثر . . « عبد المعطى » يعترض . . وأنا من ناحيتى أعتذر وأنسحب . . لكن « ياقوت » يصر ويلح ويؤكد . . بل ويوافق إيضا على أن نكون ثلاثة صحفيين وليس صحفيا واحدا فقط : مساعدتى « سلمى » ، وأنا ، وزميل ثالث أختاره أنا . .

□ □ □

فى القاهرة . . فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) . .

رئيس التحرير يوافق على الرحلة فورا بعد مناقشة قصيرة سريعة ـ قطعا عايز يخلص منى ويضيف من عنده بعداً جديداً للرحلة لم أكن أنا قد فكرت فيه : إذا كان ولابد وأن تأخذ معك زميلا ثالثا ، فلم لا تأخذ واحدا من الزملاء يكون السفر إلى أوروبا بعيداً عنهم تماما بحكم طبيعة عملهم الصحفى ؟! « . . إعترضت للوهلة الأولى : آخذ معايا صحفى آخر ليه ؟ أمال أنا رايح أعمل إيه ؟ . . إذا حدث ذلك فإما أن أكتب أنا ويتفسح هو ويعمل « بيه » ، أو يكتب هو وأتفسح أنا وأعمل « بيه » . . والحالتين لا تعجبانى » . . لكن رئيس التحرير يبدو وكأنه لم يسمعنى ، يستطرد : « إيه رأيك تاخد معاك خيرى شلبى ؟! » . . وبلا تردد ، وافقت فورا . . الفكرة لمعت وومضت فى ذهنى بسرعة خاطفة . . « خيرى شلبى » ناقد إذاعى محلى فقط لا غير ، كل إمكانياته الصحفية محصورة فى نقد برامج الإذاعة المصرية ، وطبعا ليس لديه أى فرصة للسفر إلى أوروبا على الإطلاق . . حايسافر أوروبا يعمل أيه ؟ ينقد برامج الإذاعات الأوروبية من هناك باللغة العربية ؟! طبعا مش معقول . . الشىء الثانى والأهم ، والذى رشحه من أجله رئيس التحرير ، ومن أجله أيضا وافقت أنا عليه فورا : هو أن « خيرى شلبى » فلاح (إرارى) . . فلاح غطيس . . فلاح بعبله ، لم تستطع القاهرة أن تغير فيه أكثر من ألوان قمصانه المزهزهة . . وبرضه ألوان فلاحى . . أما غير ذلك فقد بقى « خيرى شلبى » فلاح بطينه . . والفكرة إذن أن نرى ـ رئيس التحرير وأنا ـ كيف يكون « رد فعل » أوروبا على الفلاح الفصيح « خيرى شلبى » . . كيف سوف يتفاعل معها ويتعامل معها ، كيف سيراها وكيف سينبهر بها وينهبل عليها . . كيف « سيتفاهم معها » وهو لا يجيد غير عدة لغات هى العربية والعربية والعربية والعربية !! . . كيف سيكون تأثير ذلك كله عليه . . كيف ـ فى النهاية ـ سيعود « خيرى شلبى » من أوروبا ؟!!! . .

فعلا . . من الممكن أن يكون « خيرى شلبى » وحده ـ كفاية ـ موضوعا كاملا لرحلة فى أوروبا . .

موافق . . . .

□ □ □

لكن « خيرى شلبى » لم يكن يحتاج إلى الوصول إلى أوروبا نفسها لكى يتفاعل معها . . فقد بدأ « رد الفعل » عنده بمجرد أن بلغه خبر اختياره للسفر معى . .

عاد « خيرى » إلى بيته بعد أن علم بخبر الرحلة وقد رسم على وجهه تكشيرة الجد والأهمية ، وقال لزوجته : « جهزى لى شنطة هدومى علشان رايح لأوروبا » ففقعت زوجته بالصوت وولولت ، لأنها ظنت أنه قد تزوج عليها !!

وبعد أن طمأنهم « خيرى » وشرح لهم حكاية الرحلة بالضبط وكيف أنها رحلة صحفية إلى أوروبا . . وأن أوروبا هذه بلد بعيدة جدا عن مصر لا يسافرون إليها بالسكة الحديد وإنما بالطائرات وبالسفن ، بلاد مليانة خواجات ما بيعرفوش عربى وبيتكلموا إنجليزى بس (!!) يعنى بلاد كلها سياح ومفيهاش ولاد عرب . . واستوعبت زوجته وأولاده المسألة وفهموها خلاص واطمأنوا . . فسأل « خيرى » إبنه : « تحب أجيب لك إيه من أوروبا ؟ » فرد الولد بلهفة : « بطيخ » !!

وكان لا بد وأن يسافر « خيرى » معنا إلى الإسكندرية لنركب السفينة من هناك ، وعند شباك الحجز لأوتوبيس الطريق الصحراوى أخرج « خيرى » من جيبه ٢٥ قرشا ووضعها أمام عامل الشباك . . فسأله عامل الشباك بدهشة شديدة : « هو سيادتك رايح فين بالضبط ؟! » ورد « خيرى » بثقة : « إسكندرية طبعا » . . فقال له عامل الشباك وهو مندهش أكثر : « طيب عايزين جنيه كمان » فأخرج « خيرى » الجنيه من جيبه وهو منزعج جدا وقال لعامل الشباك وهو يضعه أمامه بضيق شديد : « ليهْ ؟ . . هى اسكندرية بعيدة أوى كده ؟! » . . .

بدأت رحلة الفلاح الفصيح « خيرى شلبى » إلى أوروبا ونحن لا زلنا بعد فى ميدان التحرير !! . .

□ □ □

الإسكندرية مرة أخرى . . الشركة المصرية للملاحة . .

الرحلة علَى وشك أن تبدأ . . تحدد موعدها فعلا . . وسأعود مرة أخرى إلى ممارسة تجربة السفر إلى أوروبا داخل صندوق . . ذلك السرير المزدوج ذى الدورين يجعلنى أحس بذلك الإحساس : أننى أنام فى صندوق ، أو على رف داخل دولاب مغلق . . فى تابوت . . لو فردت ذراعى وأنا نائم فسوف يرتطم ـ بشدة ـ فى السقف الخشبى الذى يعلونى بأقل من طول ذراع . . لو فردت ساقى على راحتها فسترتطم بجدار الصندوق من الناحية الأخرى ، لو تقلبت فينبغى أن أعود نفسى على أن أتقلب فى نفس المكان وإلا ارتطمت بالحائط من ناحية أو وقعت من فوق السرير من الناحية الأخرى . . تابوت فعلا علىّ أن أؤقلم نفسى على أن « أعيش » فيه طيلة الـ ٤٠ يوما القادمة . .

٤٠ يومـــا .. نعــــم

.. هكذا قال لى « زاهر ياقوت » و « عدلى عبد المعطى » . . . « وبالكتير خالص ـ استدركا زيادة فى الدقة ـ ٤٥ يوما ، علشان بس تبقى عامل حسابك » . . رحلة محسوبة وشركة كبيرة قديمة عريقة هى خليط من ٣ شركات كبيرة قبل التأميات . . أولى وأقدم شركات الملاحة فى مصر ، يعنى لها نظم وتقاليد واضحة وأكيدة راسخة وعندها ٤٥ سفينة كبيرة ، يعنى مش ناس لسه جداد فى الكار والا لسه بينظموا . . ناس عارفين شغلهم ولما يحددوا موعد يبقى هذا الموعد صحيح قطعا . . الرحلة تبدأ يوم أول يوليو + ٤٠ يوما ، يعنى تنتهى يوم ٩ أغسطس . . وإذا كانت ٤٥ يوما فسنعود إلى الإسكندرية يوم ١٤ أغسطس على أكثر تقدير . . ومن عندى أنا كمان ١٠ ٪ احتياطى ، يعنى ٤ أيام أخرى ، يعنى بالكتير أوى يوم ١٨ أغسطس . . عندى دعوة ثانية من جهة أخرى لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية . . إرتبطت ـ إذن ـ بأن يكون موعد سفرى من مصر إلى الولايات المتحدة يوم ٢٠ أغسطس . .

ولكن : وتقدرون فتضحك الأقدار . . أو فتضحك الشركة المصرية للملاحة !!

□ □ □

الإسكندرية . . الشركة المصرية للملاحة . .

أول انطباعة : سيئة جداً . . أول موعد تحدد للرحلة تأجل مرة ومرتين وثلاث مرات . . وكل مرة : النهاردة ، بكرة ، بعد ٣ أيام ، يوم الإثنين الجاى ، لأ يوم الخميس . . . وتأجل الموعد ١٤ يوما كاملة . . أسبوعين كاملين . . نصف شهر . . واضح أن الوقت هنا ليس له أى قيمة . .

ثانى انطباعة : سيئة جدا جدا . . أخيرا تحدد الموعد بشكل قاطع . . وأخذنا حقائبنا وعزالنا وكاميراتنا وأفلامنا وصعدنا إلى السفينة فعلا ، وتحركت السفينة فعلا ، وغادرت الرصيف فعلا ، والمودعين ودعونا فعلا ولوحوا لنا بمناديلهم فعلا ، واختفوا عن عيوننا واختفينا عن عيونهم فعلا ، وعادوا إلى بيوتهم فعلا . . ثم ركنت السفينة فى عرض البحر داخل بوغاز ميناء الإسكندرية دون أن تسافر أو تبدأ رحلتها . . يومين كاملين !!

ثالث انطباعة : سيئة جدا جدا جدا . . فى أول لقاء لنا مع قبطان السفينة لنتبادل التعارف ، فى غرفة مكتبه على السفينة . . القبطان يخلع فردة حذاءه ويلقى بها فى أعقاب شاب سمين ظريف طلع يجرى قدامه . . ثم يلتفت إلينا ليقول ببساطة كأنه فعل شيئا عاديا جدا . . أشعل سيجارة ـ شرب فنجان قهوة ـ رد على تليفون : « ده كبير الضباط بتاعنا . . الاستاذ على وزة » . .

وزة ؟!!! . . فيه كبير ضباط فى الدنيا ينضرب بالجزمة كده ، وكمان إسمه « وزة » ؟!! . . .

شكل الإحترام هنا ـ منذ البداية ـ مفقود يا ولدى مفقود مفقود مفقود . .

وأخيرا . . أخيرا جدا . . تبدأ السفينة « رمسيس الثانى » رحلتها العذراء . .

رئيس مجلس الإدارة ـ « زاهر ياقوت » ـ جاء وشخط فى القبطان وفى الناس هنا وقال لهم : «فضحتونا قدام الصحفيين اللى طالعين معاكم ، الله يكسفكم ، لازم تطلعوا النهارده بأى شكل » . .

وطلعت السفينة ـ فعلا ـ النهارده ، بأى شكل !!

□ □ □

وحين رفعت السفينة خطافها من الماء واتجهت بمقدمتها إلى البحر الأبيض المتوسط لتبدأ رحلتها الأولى إلى دول شمال أوروبا . . كنا ـ « سلمى » ـ وأنا و « خيرى » ـ نقف فوق سطحها نتأمل مبانى مدينة الإسكندرية وهى تبتعد عنا . . ثم يدير « خيرى » ظهره إلى الإسكندرية ويتجه إلى البحر بصدر عريض مفتوح ورأس مرفوع متحد وكأنه يقول : « ويا أوروبا فلتستعدى ، فها أنذا ـ خيرى شلبى ـ قادم إليك » !! . . .

الفصل الثانى

أسد السفينة رمسيس .!

اليوم الثانى للرحلة

.. « خيرى » متماسك تماما لم يصبه دوار البحر ولم يؤثر فيه البحر على الإطلاق ، بالعكس ، زى الجن وطول الوقت رايح جاى فى أرجاء السفينة كأنه طفل صغير تعلم المشى لأول مرة فمش عايز يهمد .. « خيرى » يقيم فى قمرة واحدة مع أصغر أفراد السفينة سنا : « عابد شكرى » .. طالب فى الكلية البحرية التجارية أمضى عامىّ الدراسة النظرية فى الكلية وعليه الآن أن يمضى ١٨ شهرا فى البحر كفترة تدريب عملى قبل أن يمتحن امتحانه النهائى ويتخرج ضابطا بحريا بصحيح ويحصل على شهادة (ضابط ثان لأعالى البحار) ، لكن « الشهادة » شيء و « الوظيفة » شيء آخر ، فقد جرت العادة عندنا فى البحرية التجارية المصرية وفى بحرية العالم كله أن يبدأ الضابط البحرى الجديد السلم من أوله ـ لاكتساب الخبرة والممارسة والمران ـ كـ (ضابط رابع) ، ثم يرقى إلى (ضابط ثالث) ، ثم إلى (ضابط ثان) دون أن يؤدى امتحانات أخرى ، فقط مدة خدمته فى البحر تؤهله لهذه الترقيات كلما كانت هناك أماكن خالية فى الوظائف الأعلى .. لكنه لن يرقى إلى وظيفة (ضابط أول) أو (كبير ضباط) إلا إذا أدى امتحانا جديدا تعقده الأكاديمية العربية للنقل البحرى ، وبعد أن يجتازه يصبح من حقه أن يعين فى وظيفة (كبير ضباط لأعالى البحار) . وبعد سنتين أخريين فى البحر يتقدم لامتحان آخر ، هو آخر امتحان يؤديه كضابط بحرى ، ليحصل على شهادة (ماستر) أو (ربان أعالى البحار) ، التى تؤهله ليكون قبطانا يتولى ـ شخصيا ـ قيادة سفينة ...

« عابد شكرى » عمره الآن ٢٢ سنة ، سيتخرج ضابطا بحريا وعمره ٢٤ سنة .. لو أنه كان يعمل على سفن أجنبية فإنه غالبا سوف يصل إلى وظيفة (قبطان) وهو فى الثامنة والعشرين .. لكنه على السفن المصرية قد لا يستطيع أن يصبح قبطانا إلا وهو يقترب من الأربعين !! .

وعلى العكس من

« خيرى » تماما كانت « سلمى » .. وذلك كان تقديرى وتصورى فعلا .. كنت أتصور أنها سوف تصاب بدوار البحر ونحن لا نزال فى ميدان محطة الرمل فى الإسكندرية .. لكنها تجلدت كثيرا وصمدت كثيرا وتحاملت على نفسها كثيرا قبل أن تستسلم تماما للدوار بعد تحرك السفينة خارجة من ميناء الإسكندرية بـ : عشرة دقائق كاملة ..

طبت « سلمى » ساكتة لا تصد ولا ترد ولا تحط منطق ولا تأكل ولا تشرب ولا تعمل حاجة أبدا . . أعذرها قطعا لأنى مررت بتجربتها - فى رحلتى الأولى فى البحر - وكنت أقل منها صمودا وأكثرا استسلاما وتبعثرت تماما ورقدت سطيحة لعدة ليال . . وظلت « سلمى » هكذا طوال الرحلة بعد ذلك : طالما أن السفينة فى البحر فهى معتصمة بقمرتها لا تغادرها ، لكنها ما أن تعرف أننا مقبلون على ميناء وأن السفينة سوف ترسو على أرض ثابتة ، حتى تقوم من فراشها « فريرة » وتتهيأ وتوضب نفسها وتتزين وتجهز كاميراتها وأفلامها ، وتكون أول من ينزل على سلم السفينة إلى أرض الميناء بمجرد أن نرسو !! . .

« سلمى » شابة حسناء صغيرة الحجم ترانزستور فى الثالثة والعشرين . . بشعرها الأسود الفاحم الطويل وملامحها المصرية الوسيمة وذكائها ويقظتها ودقة ملاحظتها ، نموذج للفتاة المصرية الحديثة التى لديها الإستعداد لأن تتحمل الصعاب فى سبيل العمل الذى تحبه : الصحافة . . قال لى أهلها : « البنت حاتموت . . نفسها تبقى صحفية » . . مجال الصحافة ليس متسعا فى مصر فى السنوات الاخيرة . . طلبت منها أن تتعلم التصوير الفوتوغرافى كمدخل تدخل منه إلى عالم الصحافة ، فتصبح مصورة محررة تكتب موضوعاتها وتصورها . . فعادت إلىّ بعد أسابيع قليلة - وكان ذلك منذ عام ونصف - وفى يدها حقيبة جلدية صغيرة فيها كاميرا وفلاش ، وامتحنت نفسها فى شخص المتواضع . . ومنذ ذلك الحين تطوعت « سلمى » لتكون مساعدتى فى عملى ، وأيضا مصورتى الصحفية الخاصة ، على اعتبار أن التصاقها بى وقربها منى يتيح لها الفرصة لمشاهدة - على الطبيعة - كيف يكون العمل الصحفى .. تأثرت « سلمى » كثيرا قطعا بالأفلام الأمريكية التى تدور حول الصحفيين الأجانب ومساعداتهم الحسناوات ، لكن من المؤكد أن نظام « المساعدات الصحفيات الحسناوات » هذا لم ينتشر فى مصر بعد . . هى رائدة فيه قطعا !!

السفينة تشق البحر

الأبيض بالطول فى طريقها إلى مضيق جبل طارق الذى سوف نصل اليه بعد أسبوع تقريبا . . على يسارنا الآن السواحل المصرية ، بعدها تبدأ سواحل ليبيا . . حاستى البحرية - بعد ستة رحلات طويلة فى البحر - تجعلنى أشعر أن السفينة تسير ببطء نسبى . . نقلت تصورى الى كبير الضباط « على أبو طالب » فحاورنى وداورنى ودوخنى فى البداية ، ثم اعترف بأن السفينة - فعلا - تسير بسرعة ١١,٥ عقدة ، أو ١١,٥ ميل بحرى فى الساعة . . يعنى سرعتها كسرعة سيارة تسير فى الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية - مثلا يعنى - بسرعة ٢٠ كيلو مترا فقط فى الساعة . . بتتمشى يعنى . . فلما أبديت لكبير الضباط دهشتى من أن سفينة حديثة جدا مبنية هذا العام ولسه خارجة من الترسانة حالا وتكون سرعتها متواضعة جدا هكذا ، شرح لى « على » أن المفروض فى (بروتوكول) بناء السفينة - يعنى عقد الإتفاق على بنائها - وفى بيان تسليمها للشركة أن سرعتها هى ١٥ عقدة فى الساعة فعلا ، لكن السفينة الجديدة فى أول رحلة لها ينبغى أن تسير على مهلها فى البداية أو بسرعة متوسطة ، ثم تزداد هذه السرعة تدريجيا بمعدل زيادة محدد ومعمول حسابه ، حتى تصل إلى سرعتها القصوى المتفق عليها - ١٥ عقدة - بعد

أن تكون السفينة قد قطعت كذا ألف ميل فى البحر ولانت ماكيناتها ومحركاتها تدريجيا حتى تصل إلى حدها الأقصى فى التشغيل ـ غالبا ـ ونحن فى مرحلة العودة من رحلتنا الأولى هذه بإذن الله . .

يدينا ويديك طولة العمر يا « على » يا (تشيف) . . .

سهرة طويلة مع

القبطان حتى الخامسة صباحا . . رجل ظريف ومسلى جدا وفى غاية الظرف وخفة الدم ، حواديته وحكاياته لا تنتهى ويحكيها بطريقة مشوقة جدا وهو يمثل بيديه وبجسمه وبكل ملامح وجهه . . قطعا كان نفسه يطلع ممثل لكن ما جابش مجموع . . ويخرج من حكاية ليدخل فى حكاية ثانية ثم ثالثة ورابعة وخامسة . . وتمضى السهرة وتنقضى الساعات ونحن مستمتعين ـ فعلا ـ بحديثه الشيق . . صحيح أن المسائل بتوسع منه شوية حين يريد أن يصور نفسه كبطل الأبطال والفارس الذى لا يشق له غبار فى كل المجالات ، وأنه كان بطلا دوليا فى كرة السلة وكرة القدم وكرة اليد وكرة الطاولة وكرة الماء وكرة الهوكى والكرة الطائرة وكل أنواع الكور اللى فى الدنيا ، وأيضا بطل مصر فى السلاح وفى الملاكمة وفى المصارعة وفى حمل الأثقال ـ لفوق ـ وفى الفروسية وفى ضرب النار والخرطوش وفى الكروكية وفى السباحة وفى القفز وفى الغطس وفى التنس وفى جرى المسافات الطويلة والمسافات القصيرة والمسافات النص نص ، وموسيقار وملحن ومطرب ومغنى . . يعنى باختصار هو بطل فى كل شىء وفى أى شىء . . لكنه مع ذلك ـ مع حتة المياسة الواضحة فى كلامه ـ إلا أنه عموما شخصية ظريفة للغاية وتستحق الدراسة . .

وفى نهاية السهرة

بدا كما لو أن القبطان يريد أن يكافئنى على حسن استماعى إليه كل هذا الوقت ، فقد قرر أنه ، بإذن الله واحنا راجعين فى نهاية الرحلة ، سوف يهدينى (فازة) وطبق شيك جدا وغاليين جدا سوف يشتريهما من بولندا ، لأضعهما فى غرفة الصالون عندى فى البيت !! . . وبينما أبحث فى ذهنى بسرعة عن كيف أشكره على هديته وأعتذر له عن قبولها أو أقدم له هدية مماثلة لا تقل عنها حتى لا أصبح مدينا له بهدية من غير مناسبة وهو طرف فى موضوع صحفى أقوم به ، إذا به يستطرد مكملا : « بس على شرط » !! . . الله ، هى الهدية مشروطة ؟! . . طيب أستنى بأه لما أشوف إيه الشرط : « ساعطيك لك طبق وفازة زيهم تأخدهم لى معاك وانت خارج من الجمرك وتديهم لى برة الميناء . . يعنى يبقى فى شنطتك إنت طبق وفازة وفى شنطة سلمى طبق وفازة ، كأن كل واحد منكم مشتريهم لنفسه » !!!!

اكتشفت اليوم اكتشافا

ظريفا على السفينة فى سهرة الليلة فى صالون الضابط . . « محمود بيومى » المهندس الثانى : مطرب !! . . صحيح أغلب الناس الآن مطربين ، منهم من يغنى فى الحمام ويعجبه صوته فيشيع بين أصدقائه أنه مطرب ، ومنهم من يغنى فى مكان آخر فينكسف يقول للناس . . لكن « بيومى » مطرب بصحيح ، مطرب معتمد وله أغانى مسجلة تذيعها إذاعة الإسكندرية المحلية . . طبعا هذا إكتشاف ظريف سوف يسلينا ويسرى عنا طول الرحلة . . وظللنا ـ « سلمى » أنا و « خيرى » ـ نتحايل على « بيومى » لمدة ساعة لكن يسمعنا صوته ، وهو بيعمل حركات مثل كبار المطربين بأنه « الليلة مش مستعد » و « مش جاهز » و « ماكنتش عامل حسابى انى حاغنى اللية » و « أصلى ما جبتش معايا العود بتاعى » . . وظل « بيومى » يتدلل ويتبغدد من ناحيته ، ونحن نلح ونصر ونتحايل من ناحيتنا ، حتى رضى أخيرا ووافق ، وغنى . . وبمجرد أن قال « باليل » كففنا نحن عن الإلحاح والمحايلة ، بل وبطلنا نسهر مع المهندسين خاص من بعدها ولا نيجى ناحية صالون الضباط بالليل .

والحقيقة أن « محمود بيومى » راجل مهذب وشخصية ظريفة فعلا ، وصوته كمان ظريف ، لكن العيب فينا إحنا ، إحنا اللى مش بنعرف نسمع !!

نوبة ألم فظيعة

فى الكلى فاجأتنى الليلة قرب الرابعة صباحا وأنا أستعد للنوم . . ألم فظيع لا يحتمل ـ رغم أننى حمول جدا عادة ـ تحملتها بمعاناة شديدة وظللت أتلوى من الألم وأتخبط فى القمرة الضيقة الصماء كأسد حبيس مضروب ١٠ رصاصات ومتروك ليموت وحده (على راحته) . . وظل الألم يفترسنى طيلة نصف ساعة كاملة حتى أنقذنى النوم فى النهاية ، فاستسلمت له على الكنبة ولم أنم فى فراشى . .

هذه ثانى مرة تحدث لى فيها مثل هذه النوبة ، وبين المرتين ٣ سنوات كاملة . . حدثت لى من قبل فى لندن . . كنت وحدى ـ للصدفة ـ فى البيت الذى كنت أسكن فيه مع أسرة باكستانية ، وكنت أتكلم فى التليفون حين فاجأتنى النوبة فسقطت السماعة من يدى وسقطت أنا على الأرض أتلوى من الألم الفظيع وأنا أكتم صوت أنينى بكفى حتى لا يسمعه الطرف الآخر على السماعة الملقاة على الأرض جوارى . .

ما أتعس الذى تنتابه مثل هذه الحالات المرضية وهو وحيد أو وهو فى الغربة بعيد عن أرض الوطن وعن أسرته وعن من يهتمون به . . قطعا يكون ألمه مضاعفا . .

« الخواجة »
أو
« الضابط »

الإدارى للسفينة « سعد سلامة » . . الضابط الإدارى ليس ضابطا بحريا ، بمعنى أنه لا يؤدى عملا بحريا ، لكن وظيفته إدارية . . هو ـ بأقرب تشبيه ممكن ـ مدير الشئون الإدارية على السفينة . . كل الأعمال الإدارية مسئوليته . . هو المسئول عن مخازن تموين السفينة وعهدتها . . هو المسئول عن مطعم السفينة ومطبخها وصالون الأكل . . هو المسئول عن السفرجية والطباخين والخبازين ، وهو المسئول عن رداءة الطعام الذى يقدم لأهل السفينة . . وهو المسئول عن صرف مرتباتهم فى الموانىء التى تتوقف عندها السفينة بعملات هذه الموانىء . . وهو المسئول عن تزويد طاقم السفينة باحتياجاتهم من السجاير و (المنكر) طوال الرحلة ، وهو المسئول عن إجراءات البوليس واستخراج تصاريح النزول لأفراد طاقم السفينة إلى الموانىء الأجنبية . . وهو ـ فى هذه الرحلة بالذات ـ المسئول عن نكدى وعكننتى وتبويظ أعصابى وإفساد متعتى بالرحلة وسيرى على أطراف أصابعى كراقصات الباليه أو كزوج عائد إلى بيته متسحبا وش الفجر ، طيلة فترة هذه الرحلة . .

« الخوجة » ـ وهذا هو الإسم البحرى المصطلح عليه لوظيفة الضابط الإدارى ـ « الخوجة » واخذ معاه على السفينة فى هذه الرحلة بالذات ـ من سوء بختى ونحس طالعى ـ كلب (وولف) عمره ٣ شهور فقط ، لكنه يبدو على السفينة ـ على الأقل من وجهة نظرى أنا الذى أموت رعبا من أى كلب مهما كان عمره حتى لو كان لسه مولود الآن حالا ولم يفتح عينيه بعد ولسه مش بيعرف يهوهو ـ لذا فإن كلب « الخوجة » يبدو لى على السفينة وكأنه أسد صغير تحت التمرين يملأ طرقات السفينة وممراتها رعبا حين ينبح . . وهو لا يصادفنى فى مكان إلا ويشد جسمه الطويل ويمد رأسه مشمشما نحوى أنا بالذات ـ إين الكلب ـ وهو ينظر إلىّ شذرا كأنه يعرف جيدا أننى مرعوب منه ، فأتسمر فى مكانى ولا أتقدم خطوة واحدة حتى يأتى الخوجة و (يحوشه عنى) . . .

« الخوجة » مسمى كلبه « حسان » !! . . ليه (حسان) بالذات أنا مش فاهم . . لكن يبدو أن « الخوجة » بيكره حد معين اسمه « حسان » كرها شديدا ويتمنى لو أنه انسخط وصار كلبا . . لكن على العموم فقد أطلقت أنا على حسان الكلب لقب : (أسد السفينة رمسيس) . . .

علــــى
مائـــــدة
الافطـــــار

صباح اليوم طلبت من السفرجى « أبو الغيط » أن يسأل لى فى المطبخ ما إذا كان يوجد شوية فول مدمس متبقية من أمس ، فسأل وعاد ليقول لى بغطرسة : « الطباخ بيقول لك الفول يوم الفول بس » !! . . يا ولاد إلايه يا غماردة ، دا أنا باطلب فول مدمس مش ديك رومى . . لكنه الطبع الأصيل فى العامل المصرى وما فعلته به الإشتراكية

والمساواة : اذا استطاع أن يبصق فى وجهك دون مناسبة وهو ضامن ألا يعاقب لفعل دون تردد !! .

وبمناسبة سفرجية وطباخين القطاع العام فإن (ميس الضابط) أو الصالون الذى نتناول فيه الطعام يندر أن تجده نظيفا ، وتنزل لتتناول الغداء فتجد أن بواقى فتافيت الأكل المتخلفة عن وجبة الإفطار لا زالت على المفارش كما تركتها فى الصباح . . ويتكرر ذلك فى وجبة العشاء حين تجد متخلفات وجبة الغداء لا زالت على المفارش . . حتى سألت وتحريت ودققت ، فعرفت أنه من باب التقشف وحتى لاتبلى المفارش بسرعة فإنهم لديهم تعليمات بأن ينقضوها مرة واحدة كل يوم . . . خميس !! .

المفروض أن السفينة

سوف تقطع مشوارها من الإسكندرية إلى أول ميناء ترسو عنده فى ألمانيا الشرقية فى رحلة واحدة تستغرق ١٣ يوما دون توقف . . لكن الواضح الآن أننا سوف نكون مضطرين إلى التوقف ، وبشكل عاجل جدا ، فى أقرب ميناء ونحن لم نكد نبتعد عن الإسكندرية إلا بأقل من يومين . . وأقرب ميناء إلينا الآن هو جزيرة مالطة على بعد نصف يوم آخر من الآن . .

السبب فى ذلك هو اكتشاف وجود شرخ فى خزانات المياه العذبة التى يشرب منها أهل السفينة ويغتسلون ويطبخ بها طعامهم . . الشرخ موجود فى الخزانات وإن كان المهندسون على السفينة قد فشلوا فى تحديد مكانه أو تحديد أسبابه ، لكنه موجود على أى حال ، موجود بنتيجته . . فإن رصيد المياه العذبة قد انخفض ٥٤ طنا كاملة فى يوم ونصف يوم فقط ، والمفروض أن متوسط استهلاك السفينة من المياه فى اليوم لا يزيد عن ٣ أطنان ، والكمية المفقودة ـ ٥٤ طنا ـ كان المفروض أن تكفينا طوال فترة المشوار من الإسكندرية إلى ألمانيا الشرقية ، ويفيض منها كتير كمان . . وأصبحت الكمية الباقية فى الخزانات لا تكفى للمجازفة بالإستمرار فى الرحلة أبعد من مالطة ، لأنه من الممكن ـ طالما أننا مش عارفين أسباب تسرب المياه ـ أن تنتهى منا فجأة ونحن فى وسط البحر بعيدين عن أية موانىء أخرى بمسافات أطول من أن تحتملها السفينة بدون ماء عذب . .

وإذا لم يستطيع المهندسون أن يكتشفوا مكان الشرخ فى خزانات المياه ، وعلاجه بسرعة ، فإن السفينة فى هذه الحالة ، ومع استمرار وجود الرشح والتسريب فى الخزانات ، سوف تكون مضطرة إلى دخول ميناء جديد كل يومين ، لأخذ مياه جديدة بدل المياه المتسربة .

قال لى القبطان

، وكذلك كبير الضباط ، أن المسألة ليست مسألة « ثمن » المياه العذبة فقط التى سوف نشتريها من كل ميناء ندخله ، لكن رسوم دخول السفينة وخروجها من هذه الموانىء مكلف جدا وغالى جدا ، غير أجر الـ « بايلوت » أو المرشد الذى يتولى

قيادة السفينة وإرشادها فى الدخول وفى الخروج ، وغير إيجار الرصيف الذى سوف نرسو إلى جانبه ، يعنى أن دخول ميناء ليس شيئا هينا على ميزانية الشركة أو تكاليف رحلة السفينة . . بالإضافة إلى ذلك كله ـ وهو الأهم ـ أن اليوم الواحد من أيام الرحلة تتكلف السفينة فيه ٢١٠٠ جنيه كاملة ، وكل يوم ضائع بلا مناسبة = ٢١٠٠ جنيه محسوبة بالخسارة على ميزانية الرحلة

هل المشكلة الآن ـ وسفينتنا جديدة وفى رحلتها الأولى ـ هى فقط مشكلة خزانات المياه السايبة المفتوحة على البحر تسرب إليه المياه العذبة بلا انقطاع ؟! . . « لا ـ قال القبطان وقال كبير الضباط ـ ولكن الـ (چايرو) أو البوصلة الكهربائية أيضاً عطلانة ، درجة حرارتها ترتفع كثيرا عن المعدل المفروض ، ونفشل فى تبريدها فنضطر إلى إيقافها والإعتماد على البوصلة البدائية القديمة الموجودة معنا . . وأيضا جهاز الرادار الذى يعتبر روح السفينة وحياتها ، به عطل جوهرى هام يجعلنا لا نستطيع الإطمئنان إليه أو الإعتماد عليه تماما . . وعموما ـ يستطرد القبطان ويستطرد كبير الضباط ـ فإن ٧٠ ٪ من أجهزة السفينة لا تعمل بطريقة صحيحة ولا مضبوطة . . »

بأه ده كلام بالذمة ؟! . . أمال فين حكاية الترسانة المصرية والمهندسين المصريين والأيدى العاملة المصرية اللى احنا طالعين معاكم علشان نشوف نتيجة عملهم فى أحدث سفينة بنيت فى مصر هذا العام وتم تسليمها منذ أقل من شهر واحد ؟!! . .

شكل تعامل القبطان

مع ضباطه بشكل عام ، ومع كبير الضباط بشكل خاص ، رذل جدا وسىء جدا . دائما يتعمد أهانته وتجريحه أمام كل الناس على السفينة ، ويتهمه بالجهل وبأنه حمار وملظلظ وما بيفهمش فى حاجة إلا الأكل فقط ، ومسميه « على وزة » ودائما يجرى وراءه وفردة حذائه فى يده يريد أن يضربه بها ، وكثيرا ما فعل فعلا ، دائما ينقض عليه فجأة ليمسكه من رأسه ويشد شعره حتى ليكاد يطلع فى إيده . . ومرة صفعه ـ لنقل على « جانب رقبته » حتى أكون دقيقا ـ صفعة قوية حين كان « على » جالسا فى صالون الضابط يتناول عشاءه أمام كل صغار الضباط والمهندسين ، وأمامنا ـ نحن الصحفيين ـ وكل ذلك بدعوى الهزار طبعا ، لكن أى مستوى من الهزار هذا الذى تجرح فيه كرامة الناس إلى هذا الحد ؟! . . ودائما يسخف معلوماته ويحقرها ويتهمه بأنه جاهل ومابيعرفش حاجة وما بيفهمش ويطلب منه أن يعود إلى قراءة قوانين البحر . . ودائما كبير الضباط يرد بأنه واثق من معلوماته ومتأكد منها ، ثم ينتهى الموقف دائما بأن يستسلم « على » لرأى القبطان على اعتبار : « على العموم سيادتك القبطان وإنت حر . . ما دام إنت معلوماتك كده وشايف كده ، يبقى هو كده » !! . .

لله فى خلقه شئون ، لكننى ـ فى الحقيقة ـ لا أستطيع أن أكتم دهشتى من ذلك الذى أراه هنا على هذه السفينة ، ولم أره من قبل لا فى بر ولا فى بحر ، ولا أظن أننى سوف أراه بعد ذلك ، برضه لا فى بر ولا فى بحر . . .

فـــى نهايـــة اليـــوم

الثالث بعد بدء الرحلة تصرفت تصرفا بدا لى فى البداية أنه تصرف ظريف ومجاملة رقيقة منى ، لكننى اكتشفت أننى ـ بذلك التصرف ـ قد ارتكبت الخطأ الذى ظللت أندم عليه بعد ذلك طوال هذه الرحلة ، والذى كان ـ فى الوقت نفسه ـ الخطأ الذى جعل للرحلة طعما بعد ذلك . . خطأ زى الفلفل والشطة والبهارات والمستردة والكارى : تشعوط لسانك وتلهلبه صحيح ، وتتعب معدتك أحيانا صحيح ، لكنها الشىء الوحيد الذى يجعل للأكل نكهة وطعماً لذيذاً مقبولا !! . .

الفصل الثالث

كتاكيت مالطة ..
و برغوت باشا .!

وهكذا حين وضعت

« سلمى » و « خيرى » خطواتهما الأولى على شاطىء جزيرة مالطة ، كانا يضعان أقدامهما على أرض أوروبا لأول مرة فى حياتهما . . ووالله وانكتبت لك ياخيرى يابن شلبى !

كانت انطباعة كل منهما مختلفة عن انطباعة الآخر . . « سلمى » كانت واقعية جدا . . كانت سعيدة للغاية وهى تضع قدمها الصغيرة على أرض الجزيرة وتضغط بها على الأرض فى تأكيد وتقول فى جذل : « واحد » !! . . فلما سألتها مندهشا ما إذا كانت تنوى أن تحصى عدد الخطوات التى ستمشيها فى مالطة ؟ قالت فى سعادة : « أبدا . . ده أنا بأقول « واحد » على إن دى أول دولة أوروبية أزورها فى حياتى . . . وسأعد ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ مع كل دولة جديدة فى العالم أزورها ، لغاية ماييجى على ـ بإذن الله ـ اليوم اللى اقدر اقول فيه إنى زرت كل دول العالم . . قول يارب . . تفائلةجدا « سلمى »ومنطقها واضح وبسيط وسهل . . .

أما « خيرى » فقد نزل إلى شاطىء الجزيرة وهو شامخ الأنف يشيح بوجهه فى كبرياء وعنطزة عمدة من الأرياف ينزل إلى البندر لأول مرة ورغم أنه مخضوض ومبعثر جدا من الداخل الا انه يريد ان يثبت لكل الناس أن المسألة عادية جدا وأنه مش مهتم ولا حاجة . . نكشته : « إيه ياخيرى ؟ حاسس بإيه وأنت تضع قدمك لأول مرة فى حياتك على أرض أوروبا ؟ . . . . فرد بلا مبالاة : « هو انت بتعتبر دى أوروبا ؟! . . . أنا أوروبا فى نظرى لندن ، باريس ، روما . . . . . » وسكت « خيرى » وقد ارتبكت نظراته ، فإنه لم يتذكر من « أسماء » عواصم أوروبا غير هذه المدن فقط . . . لكن المهم أن أوروبا خيرى هى التى يقرأ عنها فى الصحف والمجلات . . .

معلش يا« خيرى » . . لسه الرحلة طويلة . . . . .

وكانت السفينة قد

دخلت مالطة قرب الظهر . . ميناؤها شكله غريب جدا . . . على الأقل هكذا بدا فى عينى . . أول مرة أرى ميناء بغير أرصفة ترسو الى جوارها السفن . . كل السفن ترسو فى وسط الماء بعيدا عن الشاطىء بمسافة بسيطة : الشاطىء قريب جدا من السفن والسفن قريبة جدا من الشاطىء ، والناس والسفن يتعايشان متقاربين ببساطة جدا :

بملابس الإستحمام يسبحون ويعومون قريبا جدا جدا من السفن إلى أقصى حد ، وحولها وإلى جوارها . . . ولم نكن نحتاج كثيرا إلى النظارات المعظمة لكى نرى الحسناء ذات الجسم البرونزى الممشوق جدا بالمايوه الأسود القطعة الواحدة وهى تسلم جسدها الفاخر للماء باسترخاء شديد وراحة ونعومة كأن العالم كله قد دان لها . . شكلها المرتاح جدا ـ المريح جدا ـ لأنظارنا !! ـ يوحى بمنتهى الأمان والسلام والاطمئنان . . .

ويدعونا مستر « چون »

جراپما *John Grima* وكيل الشركة فى مالطة إلى جولة فى الجزيرة ، لأنه ما أن عرف أننى صحفى حتى قال لى أنه هو الآخر كان فى بداية حياته صحفيا محررا للشئون السياسية والرياضية ـ معا ـ وأنه ترك الصحافة حين وجد أن عمله الحالى أكثر ربحا . . .

ويحدثنى مستر « چون » ـ الذى لم ير مصر فى حياته رغم أنه وكيل لشركة مصرية هنا ـ يحدثنى عن مدى التقارب بين اللغة المالطية واللغة العربية ، فيقول أن ٥٠٪ من اللغة المالطية ، وربما أكثر ، هى كلمات عربية صحيحة بنطقها المعتاد عندنا فى اللغة العربية أو محرفة قليلا ، مثل : طبيب ، قال لى ، قميص ، سروال « وتقال عن سروال الطفل فقط » ، طفلة ، وللفتاة الصغيرة بين ١٥ و ١٧ سنة يقال هنا (طفيلة) ، شابة . . والشاب هنا يقال له (زعدوح) . عندك . ويقولون هنا « كيم » بمعنى كام ، و « إيريد » بمعنى أريد ، و « طيب » بمعنى ان هذا الشىء كويس . و « درج » عن السلم . و « سوكور » بدلا من سكر . . والألوان كلها بنفس تسمياتها باللغة العربية : أحمر أزرق وأصفر وأبيض . . والأرقام تكتب بالشكل الأوربى *4 3 2 1* وتنطق باللغة العربية : واحد إثنين ثلاثة أربعة . . .

ويقول مستر « چون » أيضا أن أى حد يتكلم اللغة العربية أمام أهل الجزيرة فهم يفهمونه تماما ، لكنهم إذا ردوا عليه لن يفهمهم هو لاختلاف شكل النطق . . وأن باقى مفردات اللغة المالطية هى خليط من اللغتين الإنجليزية والإيطالية ، ولذا فإنه ـ غالبا ـ أى مالطى يستطيع ببساطة جدا أن يتفاهم باللغات الثلاث العربية والإيطالية والإنجليزية ، واللغة المالطية نفسها طبعا . . . . . .

نستكمل حديثنا فى

مكتب مستر « چون » فى منطقة حى الأعمال فى « ڤاليتا » عاصمة مالطة . . المكتب يضم حوالى ١٥ موظفا أغلبهم من الحسناوات . . أكبر كمية من الشعر الأشقر رآها « خيرى » فى حياته قطعا . . كنت مضطرا بعد لحظات الى ان أعتذر لمستر «چون » بالنيابة عن صديقى بأنه أصيب بالتواء فى رقبته نتيجة دوار البحر ، وأن ذلك هو السبب فى أنه يجلس معنا الآن وهو يعطينا ظهره ووجهه متجه ـ عبر الحاجز الزجاجى ـ إلى الصالة الخارجية حيث الشعر الأشقر والعيون الزرق !!!

وتدخل السكرتيرة الحسناء الشقراء الفارغة لتقدم لنا الشاى ، فتهمل « سلمى « وتتجاهلها تماما كأنها غير موجودة . وهى تقلبنا ـ « خيرى » وأنا ـ بنظراتها الجريئة وابتسامتها الداعية كأنها تتساءل : « أيكما ؟ ومتى ؟ » . . يرتبك « خيرى » وتضطرب عيناه من خلف نظارته البيضاء ، ويبدو واضحا أنه يصطدم لأول مرة فى حياته بجرأة الفتاة الأوروبية . . لكن يبدو أن « خيرى » ليس وحده الذى لديه مشكلة ، فإن مستر « چون » يرد على سؤالى الذى وجهته إليه : « ماهى نوعية مشاكل الأبناء هنا فى مالطة ؟ » . . . مستر « چون » لديه ولد وبنت . . . الولد عمره ٢٠ سنة وليس لديه أية مشاكل من ناحيته على الاطلاق ، لكن البنت التى عمرها الآن ١٨ سنة هى مشكلته الحقيقية ومصدر وجع القلب بالنسبة إليه ، لكثرة أصدقائها الشبان وكثرة خروجها معهم وتأخرها باستمرار فى العودة إلى البيت ليلا عن الموعد الذى يمكنه أن يسمح به ويوافق عليه . . سألت مستر « چون » عن الموعد الذى يسمح به هو فقال كأنه يستشهد بى : « منتصف الليل . . أليس ذلك موعدا مناسبا ؟ » قلت له على الفور : « ياشيخ حرام عليك . . عايز تنيم البنت من بدرى كده زى الكتاكيت ؟ » . . . .

ويصل مستر « چورج »

شريك مستر « چون » فى المكتب ، ويرحب بنا جدا لانه يحب المصريين الذين قضى بينهم ٣ أعوام يعمل فى مدينة بورسعيد . . وحين عرف أننا جئنا على السفينة المصرية الجديدة (رمسيس الثانى) فى رحلتها العذراء ، يحكى لنا سعيدا جدا أنه عند زواجه سنة ١٩٤٩ قضى شهر العسل فى مصر ، وأنه سافر إليها هو وعروسه على السفينة المصرية (نجمة السويس) وكانت هى الأخرى فى رحلتها العذراء . . .

« چورج » الذى قارب الستين الآن ، رجل ظريف وحبوب ومرح و « عشرى » . . . .

مالطة عبارة عن ٣

جزر متقاربة هى ـ حسب الحجم والأهمية ـ . (مالطة ـ *Malta*) ، و (جوزو ـ *Goso*) ، و (كوميتو ـ *Comino*) . . مالطة هى الجزيرة الأكبر ، وهى عبارة عن مجموعة مدن متقاربة . . . هم يسمونها هنا « مدنا » من باب التفخيم ليس إلا ، لكنها فى الحقيقة ليست إلا مجموعة أحياء متقاربة جدا ومتداخلة ، حتى أنك تستطيع أن تلف الجزيرة كلها بأحيائها أو بمدنها سمها كما شئت ، فى أقل من نصف ساعة بالسيارة . . . والعاصمة « ڤاليتا ـ Valletta »هى مركز التجارة والأعمال فى الجزيرة كلها . . وعدد سكان جمهورية مالطة جميعهم يقلون كثيرا عن عدد سكان أصغر حى فى مدينة القاهرة ، بل ويقلون كثيرا عن عدد سكان ضاحية صغيرة من ضواحى القاهرة ، كضاحية المعادى مثلا أو الزيتون . . فهم ٣٢٠ ألفا فقط غير . . وذلك لأن المالطيين بطبيعتهم شعب مهاجر . . كثيرون منهم عاشوا فى مصر ، ويوجد الآن ١٨٠,٠٠٠ مالطى فى أستراليا و ٨٠,٠٠٠ مالطى فى كندا و ١٢٠,٠٠٠ فى انجلترا . . وهذه هى

، فقط ، الجاليات المالطية الكبيرة المحسوبة فى العالم ، وذلك معناه ببساطة أن تعداد المالطيين فى هذه الدول الثلاثة فقط : أستراليا وكندا وإنجلترا ، يزيد عن تعداد المالطيين فى مالطة نفسها بأكثر من ٦٠ ألفا !!!

التليفزيون فى مالطة

أبيض وأسود حتى الآن . . ومحطة التليفزيون هنا تذيع على قناة واحدة لمدة ٥ ساعات يوميا فقط : من ٦ مساء الى ١١ ليلا . . لكن اجهزة التليفزيون فى مالطة تستقبل بشكل جيد جدا إرسال التليفزيون الإيطالى بقناتيه ، لأن إيطاليا تقع فى مواجهة مالطة تقريبا وعلى بعد ٦٠ ميلا بحريا فقط عبر البحر الأبيض ، يعنى أقل من المسافة بين القاهرة وطنطا مثلا . . .

قبل سنة واحدة فقط كانت إذاعة مالطة وتليفزيون مالطة تابعين لشركة إنجليزية ، ثم أممتها الدولة فى العام الماضى . . .

مستر « چون » يضع

سماعة التليفون بعد أن انتهى من مكالمة سريعة ، ليسألنا ما اذا كنا نحب أن نزور السفارة المصرية هنا ؟ فنرحب على الفور طبعا . . . ذاهب ليعرض على القائم بالأعمال المصرى شيئا متعلقا بسفينتنا (رمسيس الثانى) . . دفتر إسمه الـ (لوج بوك) أو (دفتر أحوال السفينة) : طالما أن السفينة دخلت ميناء به سفارة مصرية أو قنصلية مصرية فلابد وأن يعرض هذا الدفتر على السفير أو على القنصل ليراه ويضع توقيعه عليه ، على اعتبار أنه يمثل الدولة المصرية هنا . . .

ونذهب إلى السفارة المصرية سيرا على الأقدام فى شوارع مالطة . . السفارة على بعد ١٠٠ متر فقط من مكتب « چون » ، وهو يريد أن يرينا شيئا تشتهر به مالطة : شوارعها المائلة جدا : إما صاعدة جدا بزاوية ممكن أن تمثل ٦٠ درجة ، أو منحدرة جدا قال لنا « چون » مازحا أننا يمكننا أن نتزلق عليها كما لوكنا نتزلق على الجليد . . . .

فى السفارة المصرية

يستقبلنا « حازم طاهر » السكرتير الثانى . . ويكون القائم بالأعمال قد عرف بوجودنا فيأخذنا « حازم » إليه فورا . . المستشار « سمير كامل » يستقبلنا مرحبا جدا . . . فى الحقيقة أن ترحيب السفارة الشديد فى مالطة بنا جعل سؤالا يلح على ذهنى كثيرا يقفز إلى لسانى فورا لكننى منعته من الخروج : هل المسألة مسألة إختلاف فى طبيعة الأشخاص

بين سفير وسفير ؟ أم أنه كلما كانت السفارة فى دولة أجنبية عدد المصريين بها قليل كلما كان ترحيب السفير ـ والسفارة ـ بهم أكثر ، والعكس أيضا صحيح : كلما كان عدد المصريين كبيرا فى دولة ، وكانت مشاكلهم ـ بالتالى ـ كثيرة ، كلما قل الترحيب بهم فى سفاراتنا المصرية !! . . . . .

الشهادة لله : المستشار « سمير كامل » رحب بنا جدا واحتفى بنا كثيرا . . وظللنا معه ساعة كاملة ، ولو لم يكن الوقت أمامنا قليلا ونريد رؤية باقى الجزيرة ، لما تركناه ولما تركنا . . رجل سهل بسيط فياض الحديث . . . فى أقل وقت ممكن كانت أمامنا ـ كصحفيين ـ كل الصور التى نريدها ونبحث عنها . . وأحسد المستشار بشدة على الموقع الفريد الرائع لمبنى السفارة ، موقع خلاب فعلا بإطلالته المثيرة على خليج « ڤاليتا » العاصمة مباشرة ، بشكل يجعل الجزيرة كلها تملأ العينين بجمال فريد ساحر وتملأ القلب بالتأثر والامتنان للخالق الذى أبدع كل هذه الروعة وكل هذا السحر . . أجمل موقع وأجمل منظر فى الجزيرة كلها . . .

ويؤكد القائم بالأعمال تصورى أن أجمل سفارة فى (ڤاليتا) كلها ـ عاصمة مالطا ـ هى السفارة المصرية ، وأنه كان من الإستحالة تماما على أى سفارة أخرى أن يسمح لها بهذه الڤيللا أو هذا القصر الصغير إلا لسفارة مصر بالذات ، لما لمصر من معزة خاصة وتقدير كبير عند الحكومة المالطية وعند الشعب المالطى الذى يحب ويحترم مصر والمصريين إحتراما كبيرا ، لأن هذا الموقع بالذات يحتل عند المالطيين جانبا عزيزا من ذكرياتهم التاريخية ، إذ أن الغزاة الأتراك ـ زمان ـ كانوا كلما أرادوا أن يهاجموا الجزيرة جاءوا بسفنهم ودخلوا فى خليج « ڤاليتا » وضربوا الجزيرة بالقنابل ومدفعية السفن من هذا الموقع بالذات تحت السفارة مباشرة . . وكان المالطيون المدافعون عن جزيرتهم يكمنون للأتراك فى هذا الموقع على سطح الهضبة المقامة عليها الآن السفارة المصرية . . ولقى القائد التركى « برغوت باشا » مصرعه فى هذا المكان الذى نقف فيه الآن فى آخر هجوم للأتراك على الجزيرة . . وبموته انحسر الغزو التركى وفشل ، ولم يعد الأتراك لمحاولاتهم هذه بعد ذلك حتى الآن . . .

المستشار « سمير كامل »

هو أول سفير لمصر فى مالطة منذ افتتاح سفارة لنا هنا فى اغسطس ١٩٧٢ بعد استقلال مالطة بنحو ٨ سنوات . . أسرته تعيش معه هنا : زوجته وابنته « منى » التى قضت كل فترة دراستها الجامعية فى كلية الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة مالطة . . « منى » مخطوبة لطبيب مصرى فى القاهرة وسيتم زواجها بعد أن تنتقل الأسرة الى مصر بعد أسابيع قليلة . . « طارق » إبن القائم بالأعمال طالب أيضا فى جامعة الجزيرة فى كلية الهندسة ، باقى له فى الدراسة ٣ سنوات سوف يكملها فى القاهرة . .

ويقول لى المستشار « سمير كامل » ان الجالية المصرية هنا قليلة للغاية : مهندس مصرى + ٢ مدرسين لغة عربية أحدهما فى الجامعة والآخر مدرس ثانوى . . والحكومة المالطية هنا مهتمة جدا باللغة العربية وبتعليمها ، حتى أن أولوية التعيين فى الوظائف الحكومية لمن يعرفون اللغة العربية . . لذا فقد قررت الحكومة تدريس اللغة العربية فى كل المدارس الثانوية فى الجزيرة . .

ونحن الآن ـ القائم بالأعمال هو الذى يتكلم ـ فى انتظار ٨ مدرسين لغة عربية سيصلون من القاهرة مع بدء العام الدراسى القادم . . كما أن الدكتور «حسن ظاظا» الأستاذ بجامعة الأسكندرية قد أعير لجامعة مالطة ليشرف على قسم اللغة العربية الذى تساهم حكومة الكويت فى تدعيمه بـ ٧٠٠٠ جنيه استرلينى سنويا . . كل ذلك بالإضافة إلى برامج تعليم اللغة العربية التى تذاع فى التليفزيون ، وفصول تعليم اللغة العربية المسائية المنشرة فى كل أرجاء الجزيرة . . .

وعلى المستوى الرسمى

وعلى المستوى الشعبى : الحكومة هنا فى مالطة ـ المستشار « سمير كامل » يستطرد ـ نجد من كل أجهزتها التعاون الكامل فى أى موضوع نفكر فيه ، وهى تحترم مصر والمصريين إحتراما كبيرا ويكنون لنا تقديرا عظيما . . . ومالطة الشعب ، مالطة الناس : عشريين جدا وشعب وفى جدا ومحب للعرب جدا ، ويشعرون من ناحية المصريين بالذات باحترام خاص أكثر من أى دولة عربية أخرى ، وذلك مرجعه لاجدادهم الذين عاش أغلبهم فى مصر لفترات طويلة ولهم فيها ذكريات طيبة . . .

● « هل هناك سياحة مصرية مالطية متبادلة بين مصر ومالطة » . . .

ـ المالطيون ليسوا سياحا بطبيعتهم وإنما هم مهاجرون . . يسافرون خارج بلادهم للعمل و ليس للسياحة . . مالطة يأتى إليها كل سنة نصف مليون سائح أجنبى ، يعنى قدر عدد سكان الجزيرة نفسها مرة ونصف . . من بينهم ١٠٠٠ سائح ليبى على الاقل كل شهر . . لكن هذا النشاط السياحى الليبى لايقابله أى نشاط سياسى . . فى الوقت الذى يوجد فيه نشاط سياسى مصرى لايقابله أى نشاط سياحى مصرى ، رغم أن مالطة تعتبر أرخص من أغلب المصايف المصرية نفسها : الشقة هنا ٤ غرف كبيرة مفروشة فرشا جيدا إيجارها ٤٠ جنيها فقط شهريا . . لذا فإن السفارة المصرية فى الجزيرة تسعى إلى تسيير خط طيران مصرى : القاهرة ـ بنغازى ـ مالطة ـ مدريد ، فذلك الخط سيسهل كثيرا عملية جذب سياحة مصرية إلى مالطة ، ومحتمل أيضا سياحة مالطية إلى مصر ، خصوصا أن مالطة أظرف كثيرا من قبرص التى يقبل المصريون على السياحة فيها . . . وأيضا لأن أغلب الخبراء الأجانب الذين يعملون فى مصر وليبيا تقيم عائلاتهم فى مالطة . . .

● هذا عن السياحة . . ماذا عن التجارة المصرية هنا ؟ » . . .

ـ ليس لدينا هنا فى السفارة ملحق تجارى ، وأيضا لايوجد هنا تجار مصريون ولاتجارة مصرية . . مع أن التاجر المصرى ممكن أن يعيش هنا ويكسب كويس أوى والسوق مفتوح ١٠٠٪ ومهيأ لاستقبال أى حد جديد . . . وكل ماتتخيله ممكن تصديره من مصر إلى مالطة التى تستورد كل سنة بما يساوى ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، تستورد أغلبه من الصين ومن اليابان . . لكن مشكلتنا فى مصر أننا نعتبر أن السوق هنا فى مالطة صغيرة لاتستحق منا المجهود الذى سيبذل فيها !!

عن مستوى المعيشة

هنا فى مالطة يقول القائم بالأعمال المصرى أنه أفضل مستوى فى البحر الأبيض كله ، على الأقل المناطق من الدول المطلة على البحر الأبيض . . الحد الأدنى للأجور هنا هو ٦٥ جنيها مالطيا فى الشهر (١٣٠ جنيها مصريا) + مكافأة كل سنة . . ومستوى التعليم ـ على النظام الإنجليزى ـ مرتفع جدا ولا تكاد تكون هنا نسبة أمية : ٢٪ أو ٣٪ على الأكثر . . . ومن بين سكان تعدادهم ٣٢٠ ألفا يوجد ٩٠ ألفا موظفين فى حكومة مالطة ، الأغلبية منهم يعملون فى الميناء وفى الصناعات المتعلقة بالسفن . . وقد دخلت مؤخرا صناعات جديدة لم تكن موجودة حتى سنوات قريبة . مثل صناعة الزجاج الملون والشوكولاته والمطاط . .

● « والمسلمون فى مالطة ؟ » . . .

ـ مسجد واحد فى مالطة لايوجد غيره الآن ـ وبالمناسبة : المسجد له مئذنة !! ـ والشيخ الذى فيه سورى وليس مصريا . . لكن ليبيا تبنى الآن مسجدا آخر . . . وهنا أيضا ٦٠ أسرة باكستانية أنشأوا شركة طيران مالطة ، لذا فإن أغلب الطيارين والفنيين باكستانيين مسلمين . . .

سألت المستشار « سمير كامل » ما اذا كان ممكنا أن يترتب لى لقاء مع رئيس الوزراء المالطى ، فنظر إلى ساعته ثم قال لى : « لو كنت جيت بدرى عن كده ساعة واحدة فقط لأمكننى تدبير موعدلك عصر اليوم ، لكن رئيس الوزراء الآن فى بيته فى فترة راحة . وأنا أعرف أن لديه فى المساء اجتماع مجلس وزراء . . . ولو أنك بقيت فى مالطة الليلة فقط فسوف تلتقى به غدا صباحا ، وذلك فقط لأنك صحفى مصرى . . وبالمناسبة ، فمعروف طبعا أن مالطة مقبلة على انتخابات لرئاسة الجمهورية فى أكتوبر القادم . حيث تنتهى فى ذلك الوقت مدة رئاسة رئيس الجمهورية الحالى . .

ويجيب القائم بالأعمال

على سؤال لـ « سلمى » عن أشهر أكلة فى مالطة ، فيقول أن الأكلة الشعبية المشهورة جدا فى مالطة هى المكرونة ؛ ويسمونها « أجين » بتعطيش الـ (ج) ، بمعنى « عجين » . . . والأكلة الشعبية الثانية إسمها « مينسترونى » وهى عبارة عن خليط من أنواع الخضار المختلفة أقرب إلى الـ (تورلى) . . . .

وبعد صمت طويل يفتح الله على « خيرى شلبى » بسؤال واحد لم يوجه غيره إلى القائم بالأعمال على إمتداد الساعة التى بقيناها معه : « ماهى أخبار أحمد عدوية هنا ؟ وهل وصلت شهرته إلى مالطة ؟! . . . . .

وترتسم على وجه القائم بالأعمال علامات الدهشة ، ثم يبتسم ، ولايجيب !! . . . . .

□ □ □

ولأن المستشار « سمير كامل » كان مرتبطا بعشاء دبلوماسى بعد ساعة ، فانه يتركنا فى رعايه ـ « حازم طاهر » السكرتير الثانى للسفارة و « طارق » طالب الهندسة ابن القائم بالأعمال ليأخذانا فى

جولة طويلة بالسيارة نلف فيها الجزيرة كلها ـ بمدنها ، أو أحيائها ، سمها كما شئت ـ لم تستغرق أكثر من نصف ساعة .. ثم نستكملها سيرا على الأقدام فى شوارع الجزيرة الرئيسية : شارع « ريبابليكا » أو شارع الجمهورية : الملىء بالمحلات والدكاكين والكافيتيريات ودور السينما والملاهى والكازينوهات التى تحتل الأرصفة كالعادة فى أغلب دول أوروبا ، والساحات الواسعة وفرق الموسيقى تعزف فى وسطها ... كل حى هنا له فرقة فنون شعبية خاصة به ، تخرج إلى شوارع وساحات وميادين الحى كل يوم أحد لكى تعزف وتغنى ويدور الرقص فى الشوارع ، وتقام فى المساء مباريات بين الأحياء فى إطلاق الصواريخ الملونة ...

من الأسماء العربية التى تطلق على الأحياء هنا ـ أو المدن ، برضه سمها كما شئت !! ـ شارع الرباط ، مدينة ، جزيرة ، عطارد ، سليمة ، مرفأ ، مرسى ، مليحة ، صافى .. شارع الهلس والمسخرة فى الجزيرة هنا إسمه « شارع المسرح القديم » OLD THEATER STREET .. ومن المطاعم الشهيرة هنا مطعم إسمه HOLE IN THE WALL أو .. « ثقب فى الجدار » ......!!

رجـــل البوليـــس المالطـــى

الذى تلتقى به هنا فى شوارع مالطة ، لايحمل مسدسا ولاجهاز لاسلكى ولاعصا صغيرة ولا حتى مسطرة ، ومع ذلك فهو رجل هام جدا وخطير جدا وكلمته ماشية جدا ، بعدالة واحترام .. والمنظر العادى لرجل البوليس هنا ـ وهو عادة شيك وحليوة ووسيم ـ هو أن تجده واقفا فى أى شارع وحوله ٣ أو ٤ حسناوات يلاغينه ويلاغيهم ويضاحكونه ويضاحكهن وصوت « كركراتهن » جايب آخر الدنيا ، وليس فى ذلك أى خروج على مقتضيات وظيفته الرسمية ولن يغضب ذلك المظر أحد من رؤسائه اذا مر ووجده هكذا !!......

وصحافـــة الجزيـــرة هنـــا

متواضعة جدا بما يتناسب مع شكل الحياة فى الجزيرة .. فلان ـ العادى جدا ـ سافر وفلان ـ العادى جدا ـ عاد من السفر ، ذلك خبر هام ينشر فى الصفحات الأولى فى صحف الجزيرة ، وفلان إتكعبل وهو ماشى فاتزحلق وقع على الأرض خبر ينشر على أربعة أعمدة فى الصفحات الهامة ...

وحجم الصحافة هنا يتناسب أيضا مع حجم الجزيرة الصغيرة ـ (اه لو يعلمون حجم الصحافة عندنا فى مصر) ... عندهم جريدتين صباحيتين وجريدة واحدة مسائية باللغة المالطية + جريدتين صباحيتين باللغة الانجليزية (مالطة نيوز MALTA NEWS) و (تايمز أوف مالطة TIMES OF MALTA) وجميعها فى حجم الـ « تابلويد » أى نصف حجم الجريدة

العادى عندنا فى مصر + مجلة برامج الإذاعة والتليفزيون ، بالإضافة إلى أن الصحف المالطية اليومية تنشر صفحة كاملة كل يوم عن الإذاعة والتليفزيون لايكتب فيها أحمد بهجت . . .

□ □ □

ويضحك الشابان « حازم طاهر » و « طارق كامل » حين تأتى سيرة اللغة المالطية وعلاقتها باللغة العربية ، فيقولان أن المصريين هنا يقولون أن المالطيين يتكلمون اللغة العربية مثلنا ، لكن الذى علمها لهم واحد مسطول وأخنف . . لأن المالطيين يقولون نفس كلمات اللغة العربية لكن بنطق محرف قليلا يبدون فيه وكأنهم فعلا : خنف ويبتطوحوا !!!! . . . .

وبينمـــا كانـــت السـفينة

تبتعد عن الشاطىء وأضواء مالطة الظريفة تخفت شيئا فشيئا ، كانت هناك ثلاث أيدى تلوح من هناك على الشاطىء البعيد : « حازم طاهر » و « طارق كامل » و « مستر چون » : زميلنا الذى كان صحفيا يوما ما . . . .

الفصل الرابع

كلب الليل..!

أمس ونحن في

مالطة حدث شيء ظريف جدا وغريب جدا : كنا قد اضطررنا إلى الدخول بالسفينة ميناء مالطة بسبب أن خزانات مياه الشرب عندنا قد ثبت أنها غير محكمة ، وأنها تسرب مياهها إلى البحر باستمرار ، حتى أننا فقدنا ١٠٠ طن من مياه الشرب فى خلال يومين ونصف يوم ، بين استهلاك وتسرب بمتوسط ٤٠ طن فى اليوم الواحد ، وذلك يساوى مثل استهلاك أى سفينة عادية ٢٠ مرة ، فإن أى سفينة فى مثل حجم سفينتنا لاتستهلك أكثر من طنين فقط من مياه الشرب كل يوم . . وعلى هذا الأساس دخلنا مالطة بشكل عاجل جدا بعد أن أشارت مؤشرات خزانات المياه العذبة بأنه لم يبق أكثر من ٢٢ طنا وهى كمية لاتكفى لنصف يوم بالمعدل الذى نسير عليه ، وعلى ذلك فسنتزود من مالطة بـ ١٠٠ طن مياه شرب ، وأيضا ينتهز المهندسون فرصة توقف السفينة ليكشفوا على خزانات المياه بحثا عن مكان العيب فيها وسرعة علاجه ، حتى لاتضطر إلى دخول ميناء جديد كل يومين للتزود بمياه جديدة نملأ بها خزاناتنا المخرومة !!

لكن الذى حدث بعد أن دخلنا مالطة كان شيئا ظريفا وغريبا للغاية : ونحن جلوس عند القبطان فى مكتبه جاء الرجل المالطى المسئول عن تزويد السفن بالمياه ليقول للقبطان أن خزانات سفينتنا لم تستوعب أكثر من ٤٠ طنا فقط ، فكيف يطلب منه أن يضع فى الخزانات ١٠٠ طن ؟! . . وثارت مناقشة حادة بينه وبين القبطان الذى يصر على أن الخزانات تستوعب ١٠٠ طنا . . . . فرد عليه الرجل المالطى بحدة أنه كان ممكنا ان يريحه ويقول له أن الخزانات قد استوعبت ٥٠٠ طنا وليس ١٠٠ فقط ، ويبقى هوالكسبان ، لكنه فى هذه الحالة لن يكون لصا يغشه ويخدعه فقط ، لكنه ايضا سيكون حمارا ومش فاهم شغله . . وعلى أى حال فإن القبطان حر فى أن يصدق أو لايصدق ، لكن الذى حدث هو أن خزانات السفينة لم تحتمل أكثر من ٤٠ طنا فقط ثم (بظت) المياه من فتحة تزويد الخزانات بالمياه ، دليلا على أن الخزانات لم تعد تستوعب أكثر من ذلك !!

فزورة المسألة دى . . . الواحد إحتار يصدق مين ويكذب مين !

ومع ذلك فحتى

لو صدقنا كلام الرجل المالطى ولم نصدق كلام القبطان ، فإن ذلك معناه أن السفينة تستهلك ـ أو الخزانات تسرب ـ ٢٠ طنا من مياه الشرب فى اليوم الواحد ، وذلك ـ برضه ـ كثير ـ جدا ، لأنه يساوى ١٠ أمثال استهلاك أى سفينة عادية . . .

لكن الذى حدث اليوم كان شيئا مدهشا للغاية : رضينا بالمر والمر مش راضى : قفز استهلاك السفينة من المياه اليوم ـ بعد ٢٤ ساعة فقط من مغادرتنا مالطة ـ إلى ٣٠ طنا بدلا من ٢٠ !! وإذا استمر الحال على يذلك فيبدو أن سفينتنا ، الجديدة ، سوف تضطر إلى دخول كل ميناء والتوقف عند كل حنفية تقابلها فى طريقها لكى تتزود بمياه جديدة (بدل فاقد) . . وسنجوب موانى أوروبا كلها قبل أن نصل إلى وجهتنا ونهاية مشوارنا فى ألمانيا الشرقية !!

وبناء عليه ، فقد

أمر القبطان بقفل المياه تماما عن مطبخ السفينة وعدم فتحها إلا نصف ساعة فقط قبل كل وجبة ، يعنى ساعة ونصف فقط طول اليوم . . .

وبناء عليه أيضا ، فقد تقرر أن ندخل صباح بعد غد ميناء « سوتا » فى مراكش ، وهى ميناء صغير على الساحل المغربى فى مواجهة جبل طارق . .

بحارة السفينة أطلقوا

على الزميل « خيرى » إسم : (الراكب الإنجليزى) لأنه ملون : أحمر الوجه والصلعة وبواقى الشعر وشكله خواجه ويضع نظارة نظر بيضاء ذات اطار مذهب إنجليزية الطراز يبدو فيها كموظفى المكاتب الإنجليز . . وأطلقوا علىّ إسم « الرجل الصامت » لاننى أستمع كثيرا وأتكلم قليلا . . على أى حال : أرحم !!

المهم أنهم يسمون « خيرى » : الراكب الإنجليزى ، وهو لايعرف ولا كلمة إنجليزى !!

نزل القبطان الليلة

ـ لأول مرة فى الرحلة ـ إلى صالون الضباط أثناء العشاء ، فجلس ليتناوله معنا ، لكنه صرخ مذعورا من وحاشة اللحم المقدم إلينا ـ والذى قدم إليه منه أيضا ـ والذى يبدو أنه من عينة (مجلة الهواء) : يمضغ ولا يؤكل !! . . فنادى على السفرجى

وشخط فيه : « فين ياابنى اللحمة الكويسة ؟ » فرد السفرجى ببساطة عفوية : « أصل ماكناش عارفين إن سيادتك حاتاكل هنا الليلة » !!

وفعلا . . فى ليلة تالية نزل القبطان إلى صالون الضابط ليتعشى معنا ، وطلب من السفرجى أن يحضر له « اللحمة المخصوص بتاعته » !! . . فذهب السفرجى وجاء له لطبق لحم ، لحم بصحيح ، ممكن أن يؤكل !! . . وببساطة شديدة الظرف جلس القبطان معنا على مائدة واحدة يأكل (اللحمة المخصوص بتاعته) واحنا ـ وباقى طاقم السفينة ـ نأكل اللحمة الكاوتش اللى ماتتاكلشى !!

أسبوع كامل مر

علينا فى البحر الآن منذ غادرنا الإسكندرية فى مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضى . . فى الثامنة من صباح اليوم عبرنا جبل طارق : صدقى القديم الذى أحبه وأشعر بالألفة والراحة دائما وأنا أمر عليه من البحر . . هذه المرة هى الثانية عشرة التى أمر فيها عليه ، حتى أننى أشعر كأنه يعرفنى شخصيا ويحس بى وأنا أمر أمامه . . الفيللات الفاخرة المتناثرة فى حصن الجبل المغربى على يسارنا ، والدرافيل السوداء بأجسامها القوية اللامعة تسابق السفينة وتسبقها . . و « الهيدروفيل » الطائر فوق سطح الماء يرمح كغزال رشيق بين السفن المحتشدة فى مدخل المضيق بسرعة ٣٥ عقدة أو ميل بحرى فى الساعة ، فيعبر مضيق جبل طارق بين قارتى أوروبا وأفريقيا ـ ٩ أميال ـ فى نحو ربع ساعة فقط بين ساحل أسبانيا وساحل مراكش وبالعكس . . شىء عظيم قطعا أن يستطيع الواحد أن يعبر بين قارتين فى ١٥ دقيقة ، يعنى أسرع من مشوار فى الأوتوبيس بين ميدان رمسيس وأول شبرا . .

عدد قليل جدا

من الدرافيل ، أقل من المعتاد بكثير ، ظهر إلى جوار سفينتنا ونحن نعبر جبل طارق . . ويبدو أن الشركة صاحبة السفينة لم تخطر الدرافيل بموعد وصولنا ، أو أنها لم تحجز عددا كافيا من الدرافيل لتحتفى بنا عند عبورنا جبل طارق . . أو يمكن ـ والله وأعلم ـ تكون قد أخطرتها لكنها درافيل قطاع عام !! . .

بمجرد عبورنا جبل طارق أصبحنا فى المحيط الأطلنطى الرهيب . . بحر الظلمات بأمواجه الرهيبة اللانهائية ومتاعبة ورعبه . . وعادت ذكرياتى القديمة فى رحلتى السابقة على سفينة صيد السمك (برنيس) منذ عدة سنوات فى الأطلنطى الرهيب بأمواجه العالية وعواصفه العنيفة القاسية . . لكننا فى هذه المرة لم نتوغل كثيرا فى داخل الأطلنطى ، إنما انحرفنا يمينا لنسير بجوار سواحل أسبانيا ثم سواحل البرتغال ثم سواحل أسبانيا مرة أخرى ، فى طريقنا إلى خليج الـ (باسكاى) الرهيب ، لنعبره وصولا إلى القنال الإنجليزية وبحر المانش . .

أصعب جزء فى رحلتنا هذه المرة هو عبور خليج الـ (باسكاى) الرهيب على امتداد ٣٠ ساعة أو يوم وربع .. الـ (باسكاى) المرعب ، مقبرة السفن !!

مع التقتير الشديد

فى استهلاك مياه الشرب ، وإغلاقها عن المطبخ وصالون الطعام إلا ساعة ونصف فقط طوال اليوم كله ، أمكن للسفينة أن تستمر فى رحلتها ٤ أيام كاملة دون أن تتوقف فى موانىء أخرى ، وبذا تجاوزنا ميناء (سوتا) بمراكش دون أن نتوقف عنده .. لكن رغم ذلك فإن رصيد خزانات مياه الشرب قد عاد إلى التناقص بسرعة شديدة ، لذا قرر القبطان بعد عبورنا جبل طارق أن ندخل لشبونة عاصمة البرتغال غدا صباحا ..

الزميلان « سلمى » و « خيرى »

مرعوبين رعبا شديدا من تصور عبورنا لخليج الـ (باسكاى) ، بعد أن سمعا عن قدرته الهائلة على ابتلاع أى سفينة مهما كان حجمها ، حتى أنه أطلق عليه إسم (مقبرة السفن) .. وبعد أن سمعانى أنا والقبطان نتحدث عن السفينة المصرية (العريش) التى فتح الـ (باسكاى) فاه وابتلعها فى لحظات حتى أنها لم يبق منها أى أثر فوق سطح الماء ولا قطعة خشب واحدة ، كأنها ـ كما يقول المؤلفون والكتاب فى التعبيرات الروائية ـ « انشق البحر وابتلعها » ، وذلك هو ما حدث فعلا .. فقد كانت السفينة (العريش) تحمل شحنة من قضبان السكك الحديدية من إنجلترا إلى مصر ، وكانت الشحنة موزعة على جانبى السفينة وغير مربوطة مع بعضها ربطا جيدا ، بحيث أنه مع (درفلة) السفينة أو ميلها على جانبيها وهى تعبر الـ (باسكاى) ، قد انحل رباط القضبان الحديد وأصبحت حرة الحركة ، فلما ـ مع هيجان البحر وارتفاع الأمواج فى الـ (باسكاى) ـ مالت السفينة على أحد جانبيها ، فتدحرجت القضبان الحديدية من أحد الجانبين لتستقر كلها وتتركز ـ بثقلها الكبير ـ فى الجانب الآخر ، ولا تستطيع السفينة أن تتعدل ، وتأتى موجة تالية قوية فتلطشها فى اتجاه الميل ، وتكون هى اللطشة ، وتفقد السفينة المسكينة توازنها تماما وتنقلب على جانبها دون أدنى مقاومة وتغرق فورا فى لحظات .. حتى أن قبطانا يابانيا روى بعد ذلك بعد أن عرف بخبر غرق السفينة المصرية ، فقال أنه كان يعبر بسفينتة خليج الـ (باسكاى) فى نفس الوقت ، وكان يجلس الى جانب نافذة قمرته يشرب فنجانا من الشاى ، ونظر من النافذة المجاورة له فشاهد السفينة المصرية (العريش) تمر على مقربة من سفينته ، وانتهى من شرب فنجان الشاى ثم عاد ينظر من نافذة قمرته مرة أخرى فلم يجد السفينة (العريش) ، فدهش للأمر وقام ليخرج الى سطح سفينته ويطل على البحر العريض المتسع أمامه يبحث عن السفينة التى كانت تمر إلى جواره منذ لحظات ، لكنه لم يجد شيئا ولا حتى أى شىء طاف فوق سطح الماء يدل على أنها غرقت .. فظن أنه لا زال واقعا تحت تأثير الشراب من ليلة الأمس وأنه قد (خيل اليه) أنه رأى سفينة ولم تكن هناك سفينة ولا حاجة ، وإن كان اسمها :

الصحف عن خبر (اختفاء) السفينة المصرية (العريش) وعن أنها فقدت بعد أن تركت إنجلترا فى طريقها إلى الإسكندرية عبر خليج الـ (باسكاى) دون أن تتمكن من إرسال إشارة استغاثة واحدة ـ دليلا على أن غرقها لم يستغرق سوى لحظات قليلة جدا ـ عرف القبطان اليابانى أنه لم يكن سكرانا ولا واقعا تحت تأثير الشراب ، وأن الـ (باسكاى) الرهيب قد استطاع أن يبتلع السفينة المصرية بأسرع مما شرب هو فنجان الشاى !! . .

ولما رأينا ـ القبطان

وأنا ـ مدى الرعب الذى حاق بـ « سلمى » و « خيرى » لعلمهما بأننا مقبلون على عبور الـ (باسكاى) غدا ، وكلاهما يلتقى بالبحر لأول مرة فى حياته ، فقد اتفقت أنا والقبطان وضباط السفينة الأربعة على أن نشيع أمام « سلمى » و « خيرى » أن القبطان قد عدل عن عبور الـ (باسكاى) ، وأنه سيغير خط سير السفينة ليبتعد عنه حتى يصل إلى سواحل إنجلترا من الناحية الأخرى المطلة على الأطلنطى ، حتى يطمئنا ويهدأ ويزول عنهما الرعب الذى يعانيانه . .

ويبدو أننا لسنا

مقبلين على متاعب عبور الـ (باسكاى) فقط ، لكننا مقبلون على نوع آخر من المتاعب أيضاً : القبطان مازال ـ كما لاحظنا من أول يوم فى الرحلة ـ يتكلم كثيرا جدا ، يتكلم بشراهة جدا كأنه يعانى من كبت كلام وهو فى الإسكندرية ولا يأخذ راحته ويتكلم بحريته إلا وهو بعيد عن بيته ، لذا فهو لا يكاد يتوقف عن الكلام ويتكلم كثيرا كثيرا لدرجة تزهق وتثير أعصاب من يتعامل معه . . وهو قد عين نفسه فى وظيفة المفتى فى كل الشئون والمرجع الأخير فى كل الأمور ، إبتداء من الأسباب الحقيقية وراء زواج « سعاد حسنى » من « على بدرخان » إلى هل مثل « فريد سميكة » مصر دوليا فى أوليمبياد أمستردام سنة ١٩٢٨ أم لا ، إلى أن الترام فى الإسكندرية يصبح بعد منتصف الليل بثلاثة طوابق بدلا من طابقين فقط ، وكيف أن أكبر أخطاء فرقة رضا الفنية هو وجود « محمود رضا » و « فريدة فهمى » بها ، لأن « فريدة » شكلها مش مصرى و « محمود » شكله من لشتنشتين الشمالية !!

وطبيعى جدا أن من يتكلم كثيرا يخطىء أحيانا ويلخبط فى الكلام أحيانا ويلطش أحيانا . . وطبيعى أيضا أن (الغربال الجديدة له شدة) ، لذا فما أن زالت (شدة) الشىء الجديد على السفينة ، وهو وجود ثلاثة صحفيين عليها ، حتى بدأ كل شىء على السفينة (يريح) ويعود ليأخذ وضعه الطبيعى المعتاد على سفينة مصرية قطاع عام عادية ، ومع قبطان شهيته للكلام مفتوحة عرض مستمر ٢٤ ساعة فى اليوم . . وبدأت اللخطبة مع « خيرى » فى البداية . . كان « خيرى » يجلس مع القبطان فى مكتبه يسمران ويدردشان معا ، وأمام « خيرى » زجاجة بيرة صغيرة يشربها ،

وفوجىء « خيرى » بالقبطان يقول له دون مناسبة : « اعمل حسابك إن قزازة البيرة بثمانية صاغ ونصف ، علشان تبقى تسدد ثمن البيرة اللى تشربها والسجائر اللى تاخذها طوال الرحلة قبل ما تنزل من على السفينة فى آخر الرحلة » !! . . وحتى ولو هذا الكلام السخيف هزاراً فإن « خيرى » لم يتحمله ، وانفتح فى القبطان وأوسعه تأنيبا وتوبيخا وتقريعا ، وغسله تماما ، ثم تركه غاضبا ولم يكمل السهرة معه وعاد إلى قمرته . . وشكى لى القبطان فى اليوم التالى ما حدث من « خيرى » ، فتدخلت لإعادة المياه إلى مجاريها بينها بعد أن نبهت « خيرى » إلى التحفظ قليلا فى تعامله مع القبطان ، ونبهت القبطان أيضا إلى أن يكون حريصا فى التعامل مع « خيرى » لأن « خيرى » ـ وأنا ـ لسنا من ضباطه الذين يجرى وراءهم وفردة حذائه فى يده !!

بعد طول تفكير

وتدبير ، عدل القبطان عن دخول السفينة ميناء لشبونة فى البرتغال لتعيد ملء خزاناتها بمياه الشرب ، وقرر أن يتوكل على الله ويتجه مباشر لنعبر الـ (باسكاى) فى طريقنا إلى إنجلترا ، إعتمادا على أن كمية المياه الباقية فى الخزانات تكفى استهلاك السفينة فترة الـ ٥٤ ساعة التى ستستغرقها السفينة حتى تصل إلى إنجلترا .

يااللا . . خلينا بس نعبر الـ (باسكاى) على خير وبعدها ربنا يسهل . .

سفرجية سفينتنا هنا

هم أصدق صورة لموظفى وعمال القطاع العام : تطلب حاجة يجيبوا لك حاجة تانية ويضعونها أمامك من سكات ويمشوا دون أى تعليق ، فإذا أخذت بالك ونبهتهم قالوا لك بصفاقة ونطاعة وبرود : « أصل ماعندناش اللى سيادتك طلبته » ثم تكتشف أن الشيء « اللى سيادتك طلبته » موجود ، وبكثرة ، لأنك لم تطلب لبن العصفور ولا جناح نملة يتيمة الأم ، لكن المسألة مسألة غتاتة ورذالة مثل أى موظف أو عامل فى الحكومة أو القطاع العام يشعرون بأحساس : « وأنا أخدمك ليه ؟ هو انت أحسن منى فى إيه ؟ » والإشتراكية فى نظرهم هى (أنا أمير وانت أمير وان شاالله ما حد خدم الحمير) . . أى أن الدولة عليها أن تستورد ناس من برة يخدموا الشعب المصرىّ كله ، وكلنا نقعد (بهوات) نحط رجل على رجل ونقبض مرتباتنا دون أن نقوم بعمل أو نفعل شيئا . . أمال إشتراكية إيه ؟!! . .

كنت صباح اليوم قد تلقيت تصرفا غريبا جدا من « برهام » رئيس السفرجية ـ وهو رجل منظر وأبهة وشيك جدا وفاخر جدا وله كرش عظيم يتسوعب سفينة متوسطة الحجم ـ حين جلست إلى مائدة الإفطار صباحا وسألته بذوق شديد وبأدب جدا كعادتى فى التعامل مع العمال والناس الصغيرين بشكل عام حتى لا يتصور أحد منهم أننى متكبر أو متعالى ، سألته : « ممكن نفطر دلوقتى والا اتأخرنا عليكم ؟ » فرد بجفاء وغطرسة وتأفف : « ممكن ، لكن ما تعملوش كده تانى » !!

وأعطانى ظهره متجها إلى المطبخ ليحضر الأفطار ، لكننى صرخت فيه بغيظ شديد : « لأ ماتكلفش خاطرك . . مش عايز أفطر » !! . . وتركت المائدة وتركت الصالون كله دون أن أفطر فعلا !!

ولأننى أقول دائما أن السكرتيرة هى (صوت سيدها) ورأيه ، وأنها إذا وجدت رئيسها يتعامل مع شخص ما بفتور فإنها هى الأخرى تتعامل مع هذا الشخص بغلاسة لأنها تكون مطمئنة إلى أنه حتى لو اشتكاها فإن رئيسها لن يعاقبها وغالبا حا ينبسط منها . . أما إذا رأت رئيسها يرحب بشخص ويحترمه فإنها هى الأخرى سوف تتعامل مع هذا الشخص كما يعامله رئيسها . . لذا فإننى أتصور أن « برهام » لم يكن ليتصرف هكذا إلا إذا كان مطمئنا إلى أن تصرفه هذا سوف يلقى من القبطان الرضا والارتياح .

الغريب . رغم ذلك .

أنه ما من مرة صادفنى فيها واحد من البحارة أو السفرجية فى طرقات وممرات السفينة إلا واستوقفنى ليطلب منى أن أكتب عن مشاكلهم ومتاعبهم !! . مشاكل إيه اللى هم عايزيننى أكتب عنها ؟! . . الواضح الآن بعد معاشرتى لهم نحو عشرة أيام أنها مشاكل ناس يستحقون كل ما يجرى لهم . . ناس عايزين يقعدوا ويحطوا رجل على رجل ومش عايزين يشتغلوا ولا يعملوا حاجة أبدا . . وكان المفروض وهو يعرفون أننى موجود على سفينتهم فى هذه الرحلة لكى أكتب عن حياة ناس البحر ومشاكل أهل البحر ، المفروض أنهم يريحونى آخر راحة ويتباروا فى أظهار أحسن صورة لهم ـ قدامى على الأقل ـ وأنهم ناس شغيلة لكن الشركة لا تقدرهم قدرهم ولا تعطيهم حقوقهم رغم أن قلبهم بينقطع فى الشغل وعلشان الشغل ، لكن الواضح أنهم تنابلة ومش عايزين يعملوا حاجة أبدا . . كل شىء طلبته منذ أن وضعت قدمى على هذه السفينة منذ عشرة أيام لم ينفذ : طلبت النجار لكى يصلح (كوالين) ضلف الدواليب فى قمرتى التى لا تنقفل وضلف الدواليب رايحة جاية تصطفق وتترزع فى القمرة طول الوقت ، فلا يسأل عنى أحد . . طلبت أن يحضر أحد لتركيب الرف المكسور الذى يوضع عليه التليفون والرف مكسور ومرمى فى أرض القمرة كالقتيل ، والتليفون نفسه موضوع على كرسى من الكرسيين الوحيدين الموجودين فى القمرة والسلك بتاعه ممدود بالعرض وسادد السكة ومعطل الدنيا ومش عارف أروح ولا آجى منه ، وبرضه لم يسأل عنى أحد . . طلبت أنبوبة بيروسول لقتل الحشرات من أول يوم فى الرحلة ، ولم تحضر حتى انتهت الرحلة . . . طلبت ـ ١٠ مرات ـ جردل بلاستك لأغسل فيه ملابسى ، وأصدر القبطان تعليماته ١٠ مرات ، وثار واتخانق وهدد ١٠ مرات دون أن ينفذ أحد أوامره ولا عمل أى اعتبار لكلامه ، بطريقة : مش انت اشتكيت للقبطان ؟ طيب خلّى القبطان ينفعك » وناقص أشتكى للأمم المتحدة وأطلب تدخلها لكى تحضرلى جردل بلاستك أغسل فيه ملابسى . . طلبت أن نغسل ملابسنا فى الغسالة الكهربائية المفروض أنها لطاقم السفينة كله لكن احتكرها لحسابها وحدهما القبطان وكبير المهندسين فقط ، ولم يرد علىّ أحد على الإطلاق ولا عبرنى ولا كأنى اتكملت . . ثم يتكلمون عن مشاكلهم ومتاعبهم ومنين ما يشوفوا فى أى مكان على السفينة يقولون لى : « مشاكلنا ومش حاتكتب عن مشاكلنا ؟ ! » . . لأ مش حاكتب عن

مشاكلكم ، خليكم بمشاكلكم وخليكم فى مشاكلكم ، فالواضح لى الآن ـ وعلى امتداد الرحلة كلها حتى نهايتها ـ أنكم تستاهلوها وتستاهلوا أكثر منها . . ولما تبقوا تشوفوا شغلكم كويس الأول ، وبأمانة وباخلاص وبدون هبش وبدون سرقة وبدون سف وبدون عمولات وبدون تهريب ، إبقوا دوروا على مشاكلكم وعلى حلول لمشاكلكم . .

وحكاية الجردل البلاستك

الذى طلبته عدة مرات لأغسل فيه ملابسى أصبح بالنسبة لى يمثل مشكلة خطيرة : أردت أن أعرف كيف تنفذ أوامر قبطان السفينة فى مسألة هايفة جدا كهذه : مجرد جردل برستك لا يحتاج أكثر من أن يمد أى واحد من السفرجية يده فى مخزن السفينة ليحمل الجردل ويوصله لى فى قمرتى . . وأصدر القبطان أوامره ـ ١٠ مرات بالعدد ـ بصرف الجردل البلاستك دون أن ينفذ أحد أوامره ، كأنهم يجدون لذة ـ مثل كل صغار الموظفين الذين يتحكمون فى كل الأمور فى كل مكان فى مصر ـ فى تكسير أوامر الرؤساء ، بطريقة : « خلّ القبطان ينفعك » . . وأصبحت « مسألة الجردل » هذه مشكلة خطيرة ومجالا طيبا أمارس فيه تشنيعاتى ومداعباتى للقبطان الذى لا يتقبلها بسهولة ويضيق بها وتترفزه ، لدرجة أنه ثار علىّ مرة وأقسم قائلا : « طيب علىّ النعمة ماانت واخد جردل » !! . . حين ذكر القبطان أنه قد عدل عن دخول السفينة ميناء (سوتا) ، فقلت له بجد شديد أننا ضرورى ندخل أقرب ميناء فى أسرع وقت ممكن » فسألنى مندهشا قلقا : « ليه ؟ » فقلت ببساطة وبرود : « علشان نشترى جردل . . تفتكر الجردل فى أسبانيا يساوى كام ؟ » . . . ومرة ثانية سألته ببساطة ونحن واقفان معا فى غرفة القيادة : « هو فيه عند الشركة سفن تانية بتمشى فى نفس خط السير بتاعنا ؟ » فقال لى : « طبعا . . كتير » فقلت : « وتفتكر فيه سفينة تانية تكون لسه دلوقتى فى اسكندرية وحا تطلع قريب جاية ورانا ؟ » قال : « ضرورى » فقلت له بجد شديد : « طيب أنا عايز أبعت برقية عاجلة لرئيس مجلس إدارة الشركة فى الإسكندرية » فقال بدهشة واستغراب : « ليه بأه ؟! » فقلت ببساطة وسذاجة : « علشان يبعت لى جردل بلاستك مع السفينة اللى جاية ورانا » !! ففوجىء القبطان بالغمزة القاسية وثار وأقسم : « طيب علىّ النعمة ما انت واخد جردل » !! . . . وسألته مرة عن مدى مسئوليته كقبطان للسفينة لو أن واحدا من الركاب هرب منها فى أحد الموانىء الأجنبية وطلب اعتباره لاجئا سياسيا إلى البرتغال مثلا ـ وكنا على مقربة منها وننوى دخولها ـ فسألنى فى قلق وتوجس : « ليه ؟ . . إنت ناوى تعملها ؟ ! » فقلت له بصدق : « أيوه . . علشان أهرب من تحكم أصحاب الجرادل فى مصر » !! . . وأحسست لحظتها أنه تمنى لو أننى كنت واحد من ضباطه حتى يستطيع أن يضربنى !! .

وحين ثرت فى النهاية على شكل التسيب وعدم الإنضباط الحادث على السفينة وعدم تنفيذ ، حتى السفرجية ، لأوامر أكبر رأس فى السفينة ، اللى هو القبطان ، وقلت له أننى لو كنت أعلم أن مسألة الجردل البلاستك هذه سوف تمثل مشكلة خطيرة إلى هذا الحد على السفينة (رمسيس) لكنت قد أحضرت معى جَرْدَلا من القاهرة ، وقطعا كان شكلى سيكون ظريفا جدا وأنا طالع

السفينة فى ميناء الإسكندرية : بيه شيك محترم وقور جدا فى إيدى اليمين شنطة سمسونايت ، وفى إيدى الشمال جردل بلاستك !!

وفى نفس الليلة وصلنى الجردل البلاستك ، وسلمه لى القبطان شخصيا . . وكان ناقص يسلمه لى فى احتفال رسمى تطلق السفينة خلاله ٢١ مدفعا !! . .

بيننا وبين خليج

الـ (باسكاى) الرهيب ساعات قليلة الآن . . كان المفروض أن نبدأ فى عبوره صباح الغد ، لكن تطورات جديدة جدت مساء اليوم : تكتشف مرة أخرى الليلة أن مياه الشرب قد عادت الى التناقص والتسرب من خزاناتها الى البحر بسرعة رهيبة ، وأن كمية المياه الباقية الآن على السفية هى ٢٨ طنا فقط ، وهى كمية لا تكفى للمجازفة بعبور الـ (باسكاى) ـ ٣٠ ساعة ـ وعلى السفينة هذه الكمية فقط . . لذا فقد تقرر فى آخر لحظة أن تغير السفينة اتجاهها لتدخل غدا صباحا آخر ميناء على الساحل الاسبانى قبل بدء الـ (باسكاى) مباشرة ، وهو ميناء صغير جدا لا يكاد يبين على الخريطة الا كرأس دبوس صغير ، إسمه ميناء (لاكرونا) ، حتى تملأ السفينة خزاناتها من المياه العذبة للمرة الثانية فى خلال ستة أيام . . وكما قلت من قبل فإن كمية مياه الشرب التى خرجت بها السفينة من الإسكندرية كان المفروض أن تكفيها طول مدة رحلتها إلى دول شمال أوروبا ، وتعود الى الاسكندرية مرة أخرى ولازال باقيا على السفينة كمية كبيرة باقية منها . . لكن يبدو أنها لعنة الفراعنة قد أصابت خزانات السفينة رمسيس . .

حدوتة ظريفة سمعتها

من طرفيها معا فى نفس اليوم : من القبطان ، ومن كبير الضباط : كنت فى الليلة السابقة سهرانا فى قمرتى أكتب حتى ساعة متأخرة من الليل كعادتى . . وفى الثانية بعد منتصف الليل والجميع نيام والسفينة ساكنة تماما ، سمعت فجأة نباح كلب صوته غريب ودربكة وجرى فى الطابق الذى تقع فيه قمرتى وقمرة القبطان وقمرة كبير الضباط . . وكان يكفى صوت نباح الكلب لكى أقوم وأغلق باب قمرتى من الداخل بالمفتاح وأضع وراءه المتاريس والسدود ، وأفتح نافذة القمرة استعدادا للقفز منها إلى المحيط الأطلنطى إذا لزم الأمر ، من باب (قضا أخف من قضا) ، فإن الأهون عندى أو أموت فى مياه الأطلنطى ولا أن ينظر إلىّ كلب ـ مهما كان عمره ـ نظرة غضب . . ولو هوهو كلب فى وجهى فأصاب بـ(نوبة كلبية) وأطب ساكتا وأموت شهيد الكلاب !!

وصباح اليوم حكيت لكبير الضباط ما سمعته أمس لبلا ، فقال لى بضيق شديد أن « البيه القبطان كان بيهزر معاه هزار سخيف فى ذلك الوقت من الليل ليزعجه من نومه وهو يعلم أن عنده

واردية تبدأ من الرابعة صباحا ، فيأتى القبطان أمام قمرة كبير الضباط ليخربش فى بابها بيديه ويهوهو كأنه كلب ، حتى ينزعج كبير الضباط ويستيقظ من نومه ليفتح باب القمرة فلا يجد أحدا . . وتكررت هذه « اللعبة الظريفة » عدة مرات خلال الليل !! . . فلما سألت كبير الضباط لماذا يظن أن الذى فعل ذلك هو القبطان بالذات ، طالما أنه لم ير أحدا ؟ قال : من تظن أنه يجرؤ أن يفعل ذلك وكابينة القبطان مجاورة لقمرتى تماما فى نفس الطابق ؟ ! . . ثم أن القبطان نفسه قال لى أنه هو الذى فعل ذلك !! . .

لم أصدق ـ فى الحقيقة ـ كبير الضباط ، وأردت أتأكد بنفسى ، فقلت للقبطان حين التقيت به بعد ذلك اننى سمعت هوهوة كلب قرب الفجر ، فضحك جدا وحكى لى نفس القصة تماما ، فلما وجدنى أستمع اليه ولا يبدو على وجهى أننى أجاريه فى انبساطه من هذا « الظرف الشديد » ، قال أنه فعل ذلك متعمدا حتى يرى مدى يقظة كبير ضباطه واستعداده للإستيقاظ فورا عند احساسه بالخطر !! . . . .

قطعا القبطان يبذل جهدا جبارا ـ كان الله فى عونه ـ لكى يظل ظريفا ودمه خفيف ٢٤ ساعة فى اليوم !! . . . . . .

الفصل الخامس

هرقل ..
والقراصنة !

وأنا أضع اصبعى

فوق كلمة (لاكرونا La Coruna) المكتوبة باللغة الإنجليزية على الخريطة الملاحية الموضوعة أمامنا على مائدة الخرائط فى غرفة القيادة بالسفينة ، تقفز إلى ذاكرتى على الفور من خلال ذكرياتى عن (روايات الجيب) زمان قصص القراصنة البرتغاليين والأسبان ومغامراتهم ، وتقفز أيضا ـ كما قرأتها باللغة العربية فى (روايات الجيب) وقتها ـ أسماء (لاكرونا) و(سارتوجا) و(ڤيجو) و(بويرتو دى لالوز) وغيرها وغيرها من أسماء المناطق والجزر والقرى الساحلية والموانى الصغيرة التى كان يتقاتل عليها القراصنة فى البحر زمان ويتبادلون احتلالها وغزوها ومحاربتها . . وأتخيلنى الآن كأننى واقف فى الزمن القديم أشهد مجىء القراصنة ليهاجموا القرية الساحلية الصغيرة (لاكرونا) ، ويخرج رجالها بملابسهم الأسبانية التقليدية فى ذلك العصر يدافعون عن قريتهم . . والنساء والفتيات الأسبانيات بملابسهن الواسعة ذات الأكمام الضيقة والصدور المحبوكة جدا والـ « چيبونات » الكبيرة يهرولن فى شوارع القرية مذعورات يجرين رعبا من القراصنة المتوحشين ويبحثن عن مكان يختبئن فيه . . . .

لكن الملامح التى

بدأت تتضح أمامنا على خط الأفق بعد ساعتين من انحرافنا عن خط سيرنا الأصلى وتركنا للمحيط الأطلنطى وراءنا لنتجه إلى ميناء (لاكرونا) ، كانت شيئا مختلفا تماما عن القرية الساحلية الصغيرة التى تصورتها فى خيالى . . جميلة غاية الجمال من على البعد كأنها صورة كارت بوستال ملونة مساحتها ملء العينين معا . . المبانى الجميلة الانيقة الحديثة تبدو من وراء الميناء من على بعد مغلفة بلون السماء الزرقاء وبعض السحب الخفيفة تدخل الكادر كأنها لوحة فوتوغرافية ملونة غاية فى الجمال أبدعتها كاميرا مصور فنان شاعرى صاحب فراج ليتقدم بها فى مسابقة تصوير عالمية . .

« لاكرونا » هذه كانت حتى ١٠ سنوات فقط مجرد قرية صغيرة عادية جدا من قرى أسبانيا ، لكنها تحولت الأن الى مدينة حديثة جدا كأى مدينة حديثة أخرى فى أسبانيا أو فى أوروبا كلها . . ورغم ذلك فهى لاتعتبر من المدن الكبيرة فى أسبانيا ، فإن تعداد السكان فيها لايزيد عن ربع مليون نسمة . . وشكل المقارنة هنا يحضرنى مرة أخرى : تعداد سكان مدينة « لاكرونا » بأكملها يساوى ١ : ٦ (سدس) تعداد سكان حى شبرا فقط فى القاهرة !! . .

ومع ذلك فعجيب أمر هؤلاء الأسبان : كيف يستطيعون أن يجعلوا مدنهم بهذا الجمال وهذه الروعة وهذه الأناقة ؟ . . لايمكن أن يكون كل هذا التناسق وهذا الهارمونى وهذا الإنسجام فى المبانى وفى الشوارع وفى الحدائق وفى الميادين فى مدينة تنمو وتتسع شيطانى بلا تخطيط وبلا وحدة وبلا تنسيق ـ كمدينة القاهرة مثلا ـ لكننى أتصور أنه قطعا قد عمل ماكيت كامل للمدينة كلها قبل أن يبدأ بناؤها فعلا . . ومع ذلك فهى مدينة صغيرة ، ولعلها من أصغر مدن أسبانيا وأكثرها تطرفا وبعدا ، فهى آخر مدينة أسبانية ـ وغير أسبانية ـ على المحيط الأطلنطى ، إذ عندها مباشرة يبدأ خليج الـ (باسكاى) والمدن المطلة على خليج الـ (باسكاى) . . بل وهى نفسها لاتطل على خليج الـ (باسكاى) مباشرة ، وإنما من خلال خليج آخر صغير لها هى شخصيا إسمه (خليج لاكرونا) . .

ويتطوع الشاب الاسبانى

الظريف « برناردو و . ج . فرنانذز فاسكويز Bernardo J .Fernandez Vazques » وكيل الشركة صاحبة سفينتنا فى « لاكرونا » ، يتطوع بأن يصحبنا فى سيارته الصغيرة من الميناء إلى وسط المدينة ، ثم ـ بعد أن يعرف أننا صحفيون ، وكرجل علاقات عامة فاهم شغله جيدا ـ يقترح علينا إقتراحا ظريفا : سوف يتركنا نستكشف المدينة وحدنا ونتجولل فيها باجتهاداتنا الشخصية لمدة ساعتين يكون هو خلالهما قد أنهى أعماله المتعلقة بسفينتنا ، ثم يلتقى بنا مرة أخرى فى ميدان (سنترال) الميدان الرئيس فى المدينة ، ليأخذنا فى جولة سياحية يرينا فيها أشهر معالم « لاكرونا » التى يجب أن يراها كل من يزور المدينة . .

وكان طبيعيا أن نوافق على اقتراحه ونشكره على كرمه ، فإن أى شىء وأصغر شىء وأقل شىء هو أفضل ألف مرة قطعا من « لا شىء » . . . .

المحلات التجارية هنا

تبيع كل المصنوعات الأوروبية كما فى أى مدينة فى أوروبا الغربية . . لكن الذى لاحظته هو أن مستوى الأسعار هنا ليس رخيصا بشكل عام وليس ـ على الأقل ـ كأسعار أسبانيا نفسها فى آخر مرة زرتها فيه منذ ٣ سنوات . . لكن على أى حال فهذه هى الأسعار فى أوروبا كلها الآن ، وأيضا فان المدن المتطرفة البعيدة مثل « لاكرونا » تكون أسعارها عادة أغلى من المدن القريبة من العواصم ومن العواصم نفسها أحيانا . .

لكن الشوارع التجارية هنا بشكل عام أنيقة جدا والمحلات شيك جدا وعلى أحدث النظم الأوروبية . . والحى التجارى الرئيسى فى « لاكرونا » هو حى وسط البلد و « ميدان السنترال » والشوارع المتفرعة منه . .

الأوتوبيسات هنا عادية زى عندنا فى مصر . . الأوتوبيس المفصلى موجود ، لكن(مفاصلة) هنا مازالت موجودة بعكس عندنا فى مصر . . أول مرة أرى الـ (ترولل باس) ذى الدورين . . والتاكسيات هنا تاكسيات كبيرة فقط تتسع لخمسة ركاب ، وعداد التاكسى يدأ بـ ٢٣ بيزته ـ حوالى ٢٥ قرشا مصريا ـ ومع كل شهيق وزفير يتنفسه الراكب داخل التاكسى يلقى العداد بـ ٢ بيزته أخرى !! وإذا ركبت تاكسيا هنا بعد منتصف الليل فإن السائق يطالبك بعشرة بيزتات أخرى زيادة على العداد ، وكأنها (بدل سهر) له أو (عقابا على السهر) لك . .

والسيارة الشعبية التى تملأ شوارع (لاكرونا) ويمتلكها أغلب الناس هنا هى السيارة الايطالية الصغيرة (فيات) بعد أن غيروا هنا إسمها إلى (سيات) لأنهم الآن يصنعونها فى أسبانيا ، كما فعلنا نحن حين غيرنا إسمها الى (نصر) . . لكنهم هنا ـ كما سمعت ـ يصنعون ٩٠ ٪ من أجزائها محليا فى أسبانيا . .

وانطباعتى الشخصية عن فتيات « لاكرونا » ـ رغم ما اشتهر عنى من أننى طيب ومتساهل ونفسى حلوة ـ هى أنهن ربع حسناوات . . فإننى لم أر فتاة واحدة تجعل نظرى يتوقف عددها . . لكن « خيرى شلبى » كان له رأى آخر . .

يتلوى « خيرى » ويكاد

أن يصاب بصدمة عصبية ويمكن بنوبة قلبية ـ فى أول تجربة له على أرض أوروبية بصحيح ، من وجهة نظره ـ وهو يرى فتى وفتاة واقفين فى الشارع فى أحضان بعضهما غائبين فى قبلة طويلة ، والناس من حولهما يمرون ببساطة رايحين جايين دون ان يلتفت اليهما أحد . . وكنت مضطرا الى أن اسحب « خيرى » بشدة من المكان الذى تسمر فيه ينظر مشدوها إلى المنظر الذى يراه أمامه ، ثم يتلفت حوله مندهشا فى استغاثة صامتة يكاد يستنجد بالمارة فى الشارع ليشاركوه دهشته وذهوله وليتدخلوا ويعملوا حاجة يمنعون بها هذا (الفعل الفاضح فى الطريق العام) !! . . واكتشفت بعد أن ابتعدت بـ « خيرى » نحو ٢٠ مترا أن نظارته الطبية البيضاء قد بقيت معلقة فى الهواء حيث الفتى والفتاة اللذين يقبلان بعضهما . . . . . ومضت نصف ساعة قبل أن يعود « خيرى » الى الكلام ، لكنه لم يعد ـ حتى هذه اللحظة ـ الى حالته الطبيعية ، ولن يعود . . . . .

ونتوقف عند كشك

لبيع الصحف والمجلات أبحث عن بعض الصحف الإنجليزية لأعرف منها أخبار العالم فى الأيام الخمسة التى قضيناها فى البحر قبل دخولنا « لاكرونا » . . أجهزة الرادار عند « خيرى » تلتقط على الفور مجلات الجنس الأوروبية المليئة

بالصور العارية المطبوعة بالألوان طباعة فاخرة جدا ، التى يراها لأول مرة فى حياته . . ويمسك بنسخة من مجلة (*STOP*) أو (قف) يقلب صفحاتها فيتمهل أمام مناظر الأجساد العارية الملونة الفاخرة وترتعش نظارته البيضاء وتدور عيناه فى محجريهما فزعا واضطرابا ـ وانبساطا ـ . . وأهمس له : « إذا كنت مش حاتشتريها حطها مطرحها ، هنا ماحدش بيقلب فى المجلات كده عند بياعين الجرايد . . اللى عايز مجلة بيدفع تمنها ويأخذها ويمشى على طول » . . لكنه يرد على بحدة : « حاشتريها ياأخى . . مش دى مجلة الإذاعة والتليفزيون بتاعة هنا ؟! » . . وأحاول أن أقنعه بأنها ليست مجلة الإذاعة والتليفزيون ولا حاجة ، لكنه يتشبث بها ويرفض باصرار أن يتركها من يده وهو يقول بتمسك شديد : « لا ياسيدى هى دى . . إنت فاكر مش عارفها والا إيه ؟! » . . ويضع يده فى جيبه وهو يسألنى عن سعرها ، فأقول له أن ثمنها ٦٠ بيزتة أسبانية أو مايساوى دولار ونصف تقريبا ، يعنى حوالى جنيه مصرى كامل ، فيلقيها على الفور من يده فزعا ـ وفى القلب غصة ـ وهو يقول بحسرة : « عندك حق . . دى الظاهر إنها فعلا مش مجلة الإذاعة والتليفزيون » !! . .

آخر ما كان يمكن

أن أتصوره فى شوارع أوروبا : طفلة صغيرة فى نحو العاشرة من عمرها ترتدى فستانا رثا وتتمشى حافية وشعرها أشعث ومنكوش وغير متوضب . . فوجئت بها تربت على ذراعى فلما التفتت إليها قالت كلاما بالأسبانية وهى ترسم على وجهها علامات الذل والانكسار والمسكنة وتفرك أصابع يدها اليمنى بمعنى أنها تريد منا « حاجة لله » !! . . . . شكلها مصرى جدا بنت الإيه . . قطعا جاية ورانا من مصر لكى تشحت منا فى أسبانيا بالعملة الصعبة ، أو أنها بتيجى تشحت فى أوروبا فى الصيف . . . . . .

وفى الموعد المتفق

عليه تماما يوافينا « برناردو » ليأخذنا من على ناصية حديقة (ميدان السنترال) . . لنقوم معه بجولة طويلة فى (لاكرونا) . . « برناردو » ليس رجل سياحة وليست هذه الجولة ضمن واجباته نحو الشركة صاحبة سفينتنا ، لكنه ـ كأى أسبانى آخر فى أى مكان فى أسبانيا ـ يعرف تماما أن السياحة هى المورد الخارجى رقم واحد لأسبانيا ، ويعرف اننا صحفيون أجانب ، وأن أى كلمة طيبة منا فى صحفنا (قد) تساوى عددا جديدا من السياح يفدون الى اسبانيا . . . و(قد) هذه وحدها هى التى دفعته لأن يتطوع ليأخذنا بسيارته فى هذه الجولة السياحية . . معادلة مرتبة ومنظمة ومحسوبة . .

« برناردو . ج . فرناندز فاسكويز » شاب وسيم وظريف ورشيق فى السابعة والعشرين . . مولود فى (لاكرونا) وعاش طول عمره فيها ماعدا ٦ سنوات قضاها فى لندن . . ذهب اليها للدراسة لأن والديه كانا يعيشان هناك وقتها ، لكنه لم يستمر فى الدراسة إلا عاما واحدا فقط

ـ (منتهى الصراحة منه) ـ ثم خرج إلى العمل فى الفنادق . . وعاد إلى (لاكرونا) فى سن الـ ١٩ لأن كل شبان أسبانيا لازم وبشكل إجبارى لا يقبل أى استثناء أن يلتحقوا بالجيش لمدة سنتين . . ليس عندهم مسألة (وحيد والديه) ولا (أكبر الأخوات) ولا (أبناء وأخوات شهداء اليمن) ولا (العائل الوحيد للأسرة) ولا عنده (فلات فوت) ولا قصر نظر ولا أحول ولا أقرع ولا زلبطة ولا كروت وسايط ولا كوسة ولا تلاعبات . . كله لازم يدخل الجيش يعنى كله لازم يدخل الجيش . . ويخرجون من الجيش الى العمل والوظيفة فى سن الـ ٢١ . . صحيح أنهم يقضون بعض الوقت فى البحث عن العمل المناسب حتى يجدونه ـ ليس عندهم ، أيضا ، قوى عاملة !! ـ لكنهم حين يحصلون على العمل المناسب لا يحتاجون بعده الى أكثر من سنتين أو ثلاثا حتى (يكونون) أنفسهم ويتهيأون للزواج فى سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وهو السن المعتاد لزواج الشبان فى (لاكرونا) . . أما الفتيات فهن يتزوجن فى سن الـ ١٨ أوالـ ١٩ تقريبا ، اذ تكون الفتيات قد توظفن قبل ذلك بعدة سنوات بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة الثانوية ، لأنه لا توجد جامعة فى (لاكرونا) ، وأقرب جامعة اليها هى جامعة (فيجو) على بعد نحو ٥٠ كيلو مترا من هنا ، أو جامعة مدريد العاصمة على بعد نحو ٢٠٠ كيلو مترا ، يعنى نفس المسافة تقريبا بين القاهرة والإسكندرية . . والمعتاد فى ٩٠ ٪ من الحالات ـ هكذا قال لى « برناردو » ـ أن تتوقف الفتاة فى (لاكرونا) عن العمل بعد الزواج مباشرة وتكتفى برعاية بيتها وأولادها . .

ويؤيدنى « برناردو » فى رأيى فى أن مستوى الجمال فى (لاكرونا) عادى وأقرب الى المتوسط . . والفتاة فى (لاكرونا) عادة صغيرة الحجم قليلة الجسم سوداء الشعر وليست شقراء ، وأيضا ـ بشكل عام ـ ليست بيضاء جدا كفتيات أوروبا ودول الشمال . . . . . .

من المؤكد أن تلك

الأشياء التى نطلق عليها « أقدم أشياء من نوعها فى العالم » قطعا هى أشياء تستحق أن تشاهد مهما كانت نوعيتها وحتى لو كنا لا نفهم فيها . . فما بالك إذا كان واحدا من هذه الأشياء قد تكرم مشكورا ووضع نفسه فى طريقنا بالصدفة ونحن هنا : أقدم فنار فى العالم موجود هنا فى (لاكرونا) ، بناه الرومان منذ الزمان القديم ومازال يعمل حتى الان : برج عالى مبنى من الحجارة وفى أعلاه مازال الفنار يدور كما اعتاد أن يدور منذ آلاف السنين . . إسمه « *Tower of Hercules* » أو « برج هرقل » . . لأنه ضخم وشامخ وعملاق كما لو كان هرقل الأسطورة فعلا . .

وإذا كان الناس هنا فى (لاكرونا) يعتزون بوجود « برج هرقل » فى مدينتهم ، فان اعتزازهم ليس أقل بقبر « سيرچون موور *Sir John Moore* » المقام فى حديقة « سان دييجو *San Diego* » المرتفعة عن سطح البحر وتطل عليه من خلال خليج (لاكرونا) الصغير . . و« سير جون موور » چنرال انجليزى جاء مع جنوده ليحارب فى صفوف الأسبان وليصد عنهم جيوش فرنسا التى كانت تحاول أن تغزو أسبانيا عام ١٨٠٢ . . واستشهد « سيرچون موور » فى سبيل أسبانيا ، وكان ذلك

فى (لاكرونا) من حوالى ١٨٠ سنة . . وأقيم له هذا القبر فى هذه الحديقة إعترافا بفضله وتقديرا وتخليدا لذكراه . .

وفى الجانب الآخر

من حديقة « سان دييجو » توجد (مكتبة البلدية » أو (دار الكتب) فى أجمل موقع فى (لاكرونا) . . ورغم أنها مكتبة فخمة تحوى عدة الآف من الكتب ، الا أنها ليس فيها كتاب عربى واحد رغم أن العرب احتلوا أسبانيا كلها وحكموها مايقرب من ٨٠٠ سنة . . . . .

(ولاكرونا) الجميلة ـ بمناسبة مكتبتها ـ توجد فيها مدارس على كل المستويات ومن كل النوعيات . عادية وصناعية وزراعية وفنية ، لكنها ليس فيها جامعة . . والمدينة كلها تعيش على صيد السمك وتجارته وتصنيعه وتعليبه وتصديره . ولها أسطول خاص لصيد السمك من المحيط الأطلنطى التى هى قريبة جدا منه : ساعتين فى البحر وتصبح سفنهم فى وسط الأطلنطى . .

ويبدو أن تطرف (لاكرونا) وبعدها كثيرا مما حولها ، فهى فى أقصى أركان الخريطة الأسبانية عند الزواية التى يلتقى فيها المحيط الأطلنطى بخليج الـ (باسكاى) ، وانجلترا وفرنسا تبعدان عنها ٣٠ ساعة فى البحر ، لذا فان اهتمامات الناس هنا تكاد أن تكون محلية للغاية وبعيدة تماما عن الاهتمام بالعالم حولهم ، وبالتالى فليست لديهم مشاكل كبيرة . . حين سألت « برناردو » عن المشكلة التى تعانى منها (لاكرونا) فى الوقت الحالى حكى لى على الفور حكاية ناقلة البترول الأسبانية حمولة ١٥٠,٠٠٠ طن ـ (يعنى ضعف حجم سفينتنا « رمسيس الثانى » ٢٠ مرة تقريبا) ـ التى انفجرت منذ شهرين تقريبا على بعد ٢٠٠ مترا فقط من ساحل (لاكرونا) وغرقت وغرق معها جميع بحارتها وأفراد طاقمها ، فدخل الحزن كل بيت فى (لاكرونا) ، على ناقلتهم الضخمة الكبيرة ، وعلى بحارتها أبناء لاكرونا . . . . .

الدناوة وحشة شىء ما

يتلألأ ويضوى فى الفاترينات المضاءة المتألقة.يزغلل عينى « سلمى » ، فتطلب من « برناردو » أن يتوقف بسيارته قليلا قرب المحلات لأنها تريد أن تشترى شيئا . . وكأى ذكى ولماح فهم هو ذلك الشىء الذى لفت نظرها ، فيتوقف بعد قليل ويطلب منا عدم مغادرة السيارة لدقيقة واحدة حتى يعود . . ويتصرف تصرفا رقيقا وودودا جدا : يعود فعلا بعد دقائق ومعه لفافة فيها كمية شوكولاتة تكفى طفلة مفجوعة لمدة شهر كامل ، قدمها إلى « سلمى » هدية منه وبالنيابة عن زوجته . . . . .

ولا تتمالك « سلمى » ازاء هذا التصرف الرقيق المجامل الا أن تخلع العقد النحاسى الفرعونى الشكل الذى تضعه حول عنقها ، وتقدمه الى « برناردو » هدية منها الى زوجته !! . . . . .
هو تصرف كـ « چنتلمان » ، وهى تصرفت كـ « چنتلمانة » !! . . . . . .

الفصل السادس

كلية
خضر
العطار
البحرية !

بعد ساعتين فقط

من مغادرتنا (لاكرونا) الجميلة انحرفت السفينة وغيرت اتجاهها بعيدا عن الشاطىء الأسبانى لنصبح فى حضن الـ (باسكاى) الواسع الرهيب وتحت رحمته . . والمسافة التى كان مقدرا لنا أن نقطعها فى ٣٠ ساعة استمرت ٣٨ ساعة وموجات الـ (باسكاى) القوية العنيفة العالية تلعب بسفينتها كـ(يويو) صغير فى يد طفل عابث شقى لا يهمد ولا يستريح . . أعلى أمواج قابلناها على امتداد رحلتنا كلها حتى الآن ، والسفينة (تدرفل) بشدة حتى ليخيل الينا فى كل لحظة أنها سوف تميل مرة فلا تنعدل بعدها أبدا ، وكل شىء فى السفينة يميل مع ميلها ، وانزلقت الأطباق الصينى فى المطبخ فوقعت على الأرض وتدشدشت . . أما « خيرى » - لأن التجربة جديدة عليه تماما ولم يعرف ماذا يفعل - فقد وجه نفسه ، دون أن يستطيع المقاومة ، يتدحرج من فوق سريره ليستقر على أرض قمرته . . فظن أن السفينة تغرق وخرج يجرى - حافيا وبالبيجامة - يحتمى بالضباط فى غرفة القيادة . . وكنت - بحكم الممارسة والخبرة السابقة فى البحر - قد تركت فراشى لأنام على كنبة القمرة بالعرض ، لأتفادى الوقوع والدحرجة . . وكنت - وأنا فى قمرتى - أسمع صوت محركات السفينة العالى مختلطا بصوت - أعلى - لدقات قلب « خيرى » !! . . . أما « سلمى » فقد أراحت نفسها من ذلك كله بمجرد أن عرفت أننا أشرفنا على الـ (باسكاى) : تناولت أقراصا منومة جعلتها تسبح فى أحلام سعيدة طوال فترة عبورنا الـ(باسكاى) ، ولم تستيقظ الا بعد أن أخبرتها ببدء ظهور أضواء وفنارات سواحل إنجلترا ، فتحت عينا واحدة وهمت برأسها قليلا لتنظر من نافذة قمرتها ، فلما اطمأنت فعلا إلى وجود الشاطىء الإنجليزى ، (فطت) من فراشها فى منتهى النشاط وهى تقول : « أمال فين الـ (باسكاى) ده ؟ . . دا انتوا الظاهر عليكم بتبالغوا . . دا أنا حتى ماحيتش بالـ (باسكاى) بتاعكم ده خالص » !! . . . .

كنت فى اليوم

الثالث للرحله - قبل أن نصل الى جزيرة مالطة - قد تصرفت تصرفا تصورت أنه مجاملة رقيقة منى للقبطان ، لكننى اكتشفت بعد ذلك أن هذا التصرف بالذات كان هو الخطأ الكبير الذى وقعت فيه وجعلنى أندم عليه طوال الرحالة بعد ذلك ، لأنه كان السبب المباشر فى كل ماحدث وما ترتب عليه ونتج عنه من مشاكل ومتاعب . .

أهديت للقبطان نسخة من كتاب لى عن رحلة سابقة على سفينة صيد سمك مصرية فى المحيط الأطلنطى ، بعنوان (راكبان على السفينة) . . وما أن قرأه القبطان حتى تغير وتبدل تماما من ناحيتنا ـ الصحفيون الثلاثة ـ وتحول من رجل ظريف حبوب ومرح دمه خفيف ، إلى « دون كيشوت » بسيف خشبى يبارز طواحين الهواء يريد أن يثبت لأهل السفينة ـ ولنفسة أولا ـ أنه قادر على كسر أنف الصحفيين الذى يدسونه فى كل شيء وفيما لا يعنيهم (!!) . . واكتشف ـ وقتها فقط ـ أن الشركة صاحبة السفينة لم تذكر له شيئا عن مهمتنا كصحفيين ، وبالتالى فنحن فى اعتباره : « ركاب فقط جايين تتفسح » . . وعلى ذلك فان كل ماهو مطلوب منه بالنسبة الينا هو أن نشرب وننام فقط ، ومالناش دعوة بالسفينة خالص » !! . . . .

وكنت منذ بداية الرحلة وأنا أسمع كلاما غريبا من بحارة السفينة عن القبطان وعن ماضيه السابق فى البحر ، وأنه : « كل مايطلع رحلة يعمل مشاكل مالهاش أول ولا آخر ، ويرجع اسكندرية الشركة تعمل معاه تحقيقات ويتركن بعدها سنة ماينزلش البحر » !! . . لكننى كنت أعتبر هذا الكلام من باب النميمة المصرية المعتادة والطبع المصرى المألوف فى الكراهية المتبادلة بين الرؤساء والمرؤسين فى العمل الواحد ، ولم أترك نفسى أصدق هذا الكلام على اعتبار أن الرحلة مازالت أمامنا طويلة وأمامى الوقت الكافى لأرى وأشاهد وأحكم بنفسى . . لكنه ـ كتر خيره ـ لم يتركنى انتظر طويلا . .

كانت كل ملاحظتى

عليه ـ غير شراهته الواضحة فى الكلام وحكاياته وقصصه ورواياته وحواديته التى لاتنتهى وليس لها أول ولا آخر ـ هو أنه ليس له ماضى بحرى يفخر به فيرويه ، وأنه يعيش على بطولات أبيه الذى كان رجل بحر أيضا ، وشقيقه الطيار الذى استشهد فى حرب فلسطين بعد أن أسقط وحده كل طائرات اسرائيل ، وشقيقه الثانى الذى لقى مصرعه خطأ بخرطوشة صيد أطلقت على ظهره أثناء رحلة لصيد الـ : عصافير !! . . أما بطولات القبطان شخصيا وقصصة ورواياته وحكاياته وحواديته التى لاتنتهى وليس لها أول ولا آخر ولا يمل من ترديدها وتكرارها ، فهى محصورة فى ثلاث مجالات فقط : مجالس الخمر وقعدات الحشيش وغزواته الغرامية مع نساء كباريهات الإسكندرية وموانى أوروبا اللاتى وقعن جميعا ـ بلا استثناء ـ فى غرامه وفى سحر عينيه !!

وبدون مناسبة على الإطلاق حدث أول « شد » بينى وبين القبطان : فى ثانى يوم لنا فى ميناء (لاكرونا) كنا ـ مجموعة الصحفيين ـ نستعد للنزول من السفينة فى جولة فى المدينة ، ورأيت أن أسأل القبطان ماذا كان هناك جديد بخصوص موعد رحيل السفينة الذى لم يكن قد تحدد حتى ذلك الوقت ، وكان يجلس فى وسط مجموعة من المهندسين فى صالون الضباط ، فقال لى بجفاء أنه أذاع فى الإذاعة الداخلية للسفينة أن على الطاقم كله أن يكون موجودا على السفينة الساعة ١٢ ظهرا . . فسألته هل هذا الموعد بالنسبة للطاقم فقط أم أنه لنا أيضا ؟ . . ففوجئت به يحتد دون مناسبة ويبرق عينيه يصيح منفعلا : « طيب علىّ النعمة إن مارجعت السفينة الساعة ١٢ الظهر لأسيب لك

هدومك على الرصيف وأمش وأسيبك » !! . . وفاجأتنى غلطته فقلت مغلطا أنا الآخر : « طيب علىّ النعمة أنا كمان ما انا راجع الساعة ١٢ . . وماتشغلش بالك بهدومى خليها فى الكابينة زى ماهى وسافر بيها » !! . . ويبدو أنه لم يكن يتوقع أن أقابل غلطته بغلطة مثلها ، وخشى أن يتطور النقاش العنيف بيننا بشكل يهزا احترامه كقبطان ، فقال متظارفا وهو يقف ليترك صالون الضباط : « تلاقيك لابس كل الهدوم اللى عندك علشان كده مش قلقان عليها » . . وغادر الصالون وغادر السفينة كلها ، ولم يعد إليها ـ هو نفسه ـ إلا فى الواحدة والنصف ظهرا !! . .

عالم غريب جدا

عالم البحر وناس البحر وأهل البحر . . ناس فاقدين تماما ، والبحر بالنسبة اليهم هو كل حياتهم ويقضون فيه وبين أمواجه وعلى سفنه ثلاثة أرباع وقتهم وأيامهم وحياتهم بعيدين عن بيوتهم . . وفى ذلك الوقت الطويل ـ جدا جدا ـ الذى يقضونه فى البحر يجدون أمامهم الفرصة كبيرة ـ جدا جدا ايضا ـ ليتحولوا إلى ناس قارئين جدا وعاقلين جدا ومثقفين جدا ـ (ومن بين هؤلاء القبطان " عبد السلام داود " قبطان سفينة الصيد المصرية (برنيس) التى قمت معها برحلة هائلة فى المحيط الأطلنطى منذ عدة أعوام) ـ ، أو يتحولون إلى ناس هايفين جدا وتافهين جدا وسطحيين جدا ومشاكسين جدا ، وكل همهم فى الحياة . الخمر والنساء والكلام الهايف . . .

ولأن « الأكل » ، « الطعام » ، يمثل شيئا هاما جدا فى حياة أهل البحر عموما ، على اعتبار أنهم لا يجدون شيئا آخر يفعلونه وهم فى البحر غير « العمل » و « الأكل » . . لذا فإن العمل والأكل يمثلان موضوعين رئيسيين فى أغلب أحاديثهم ، وأيضا فإن مضايقاتهم لبعضهم البعض لا تخرج عن واحد من هذين الاثنين : « الشغل » أو « الأكل » . . ولما كان نوع « الشغل » بيننا ـ كصحفيين ـ وبينهم لا يتيح فرصة المضايقة والرذالة والعكننة ، فإن المجال الوحيد الذى يمكن الغلاسة معنا فيه هو « الأكل » . . وذلك هو ماحدث فعلا طول الرحلة بعد أن قرأ القبطان كتاب (راكبان على السفينة) وعكنن عليه جدا ما قرأه فيه . . وكانت وجهة نظره أن الشركة صاحبة السفينة قد ارتكبت خطأ كبيرا بدعوة صحفيين على سفنها . . نفس رأى « عدلى عبد المعطى » مدير عام الشئون الادارية فى الشركة الذى اعترض بداية ، ونحن مازلنا فى الإسكندرية ، على مرافقتنا لرحلة السفينة « رمسيس » الأولى . . وكانت وجهة نظر القبطان ـ غير المعلنة ـ هى (أتغدى بهم قبل ما يتعشوا بى) ، وبمعنى آخر (أعكنن عليهم قبل ماهم يعكننوا علىّ) !! . . . . .

ولأن الأمر فى

هذه المسألة ـ كان جديدا علىّ تماما فقد فوجئت به ، ولم أنتبه اليه الا بعد ان وجدت نفسى قد إستدرجت إليه فعلا وانزلقت اليه فعلا ، ولم أنتبه إلا بعد فترة طويلة إلى انى قد أضعت وقتا كثيرا دون مناسبة فى مناقشة أمور متعلقة بالأكل والوجبات

والمطبخ وما إليها ، وكلها أشياء تافهة جدا ، حتى نبهنى « خيرى » و « سلمى » إلى أن : القبطان بالشكل ده لخمك وركز انتباهك فى حاجة بعيدة خالص عن المهمة الأساسية اللى انت جاى علشانها . . هو احنا جايين علشان نكتب عن شكل الحياة على السفينة ، والا عن مطبخ السفينة وأكل السفينة ؟ !! . . . . واكتشفت أن « سلمى » و « خيرى » ، وكلاهما أصغر منى فى الصحافة بكثير وأحدث منى عهدا فيها ، بل وجداد لنج على عالم البحر ، قد تنبها الى ما غاب عنى أنا الذى اعتبرت نفسى فى وقت من الأوقات « واد فتك » وخبير بعالم البحر وأهل البحر . . . . .

السفرجى « عطيطو » يحضر لى كل يوم عصرا فنجان شاى وإلى جواره طبق صغير به عدة قطع من البسكويت . . اليوم أحضر لى الشاى فقط ولم يحضر البسكويت ، فسألته ـ طبيعى جدا أن أسأله ، ومرسومة هكذا على اعتبار أننى من المؤكد سأسأله : أمال فين البسكويت يا عطيطو !؟ فكان الرد : لا مؤاخذة أصل البسكويت اللى فاضل على قد طاقم السفينةبس !!!! . فعدت أسأله وأنا شديد الدهشة من هذه (الرسالة) التى يبلغها لى : « مين اللى قال كده ؟ » فقال : « الريس برهام رئيس السفرجية » !! . . قلة أدب ، حقارة وسفالة مستحيل أن يجسر عليها رئيس السفرجية « برهام » إلا إذا كان (حد كبير) قد أمره بأن يتصرف هكذا !! . . ولم أعرف كيف أتصرف ولا ماذا أفعل ـ ونحن فى وسط البحر ـ إذا كانت الأمور ستبدأ تأخذ هذه الصورة التافهة الحقيرة ، فقررت أن نترك ـ مجموعة الصحفيين ـ السفينة فى أول ميناء نرسو عليه ونعود إلى مصر بالطائرة . . وقلت ذلك فعلا لأحد مهندسى السفينة ، ولم أنزل الى الصالون للعشاء . . ولم تمض دقائق حتى جاء « برهام » رئيس السفرية يدق باب قمرتى ليعتذر لى عما حدث بأن المسألة كانت مجرد (سوء تعبير) من السفرجى « عطيطو » الذى كان « برهام » قد قال له : « طلع انت الشاى وأنا حاطلع البسكويت » !! . . وكان مطلوبا منى أن ألغى عقلى وأصدق « برهام » وكأن المسألة محتاجة الى طقم سفرجية : واحد يطلع الشاى والتانى يطلع السكر والثالث يطلع اللبن والرابع المعلقة اللى حانقلب بيها ، والخامس يطلع البسكويت !! . .

وكانت هذه هى بداية السلسلة التى (كرت) بعد ذلك طول الرحلة ، وتصاعدت فى وقت من الأوقات حتى تدخل فيها السفير المصرى فى ألمانيا ، وحتى كاد أن يتدخل فيها البوليس الألمانى ، وحتى طار إلينا فى ألمانيا مسئول كبير من الشركة ليضع حدا لتصرفات القبطان « المطبخية » . . لكن هذه قصة سابقة لأوانها الآن ، فإن السفينة ـ الآن ـ مازالت تشق طريقها تختتم مشوارها لعبور الـ (باسكاى) ، والشاطىء الإنجليزى يقترب منا بأضوائه وفناراته . . . . .

جاء الصباح اليوم

ـ ونحن فى منتصف يوليو ـ شتاء مكفهرا : جو مطير وغيوم شديدة داكنة وبرد وصقيع وشبورة وضباب ، لدرجة أن مدى الرؤية أمام السفينة لم يكن يتعدى ميل ونصف فقط ، وهى مسافة لاتكفى أبدا لتفادى أى خطر مفاجىء . . فلو اعترضت سفينتنا ـ على سبيل الخطأ ـ سفينة أخرى ، أو تعطلت فجأة أمام سفينتنا سفينة أخرى ، فلن نستطيع تجنب الإصطدام بها . . لأن المفروض أن تغيير اتجاه السفينة ، أو مايسمونه بحريا (مناورة الإبتعاد

والتجنب) ، يقضى أن يتم قبل خمسة أميال على الأقل . . على أى حال ربنا يستر ، وإذا كان قد جعلنا نعبر الـ (باسكاى) على خير ، فليكملها معنا على خير بإذن الله . .

وانتهينا من عبور

الـ (باسكاى) ووصلنا أمام سواحل انجلترا فى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ولم نجد الـ (پايلوت) أو المرشد الهولندى الذى سيقود السفينة عبر الـ (إنجلش تشانل) أو القنال الإنجليزى أو بحر المانش ، ثم يستمر فى قيادتها أيضا خلال عبورها الـ (نورث سى) أو بحر الشمال . . لم نجد المرشد الهولندى فى انتظارنا لسبب بسيط جدا ، هو أن كبير الضباط عندنا أخطأ فى صيغة البرقية التى أرسلها الى المرشد ، فبدلا من أن يقول له فى البرقية أن سفينتنا سوف تصل عند بداية القنال الانجليزى فى الساعة الرابعة من (صباح) الخميس ، قال انها ستصل الساعة ٤ (مساء) الخميس !! . . وعلى ذلك فإننا نعتبر قد وصلنا مبكرين عن الموعد الذى حددناه للمرشد بـ ١٢ ساعة كاملة !! . .

ودارت الإتصالات اللاسلكية بين السفينة فى عرض البحر وبين الشاطىء الإنجليزى للبحث عن المرشد فى الأماكن المحتمل أن يجدوه فيها ، لكنهم لم يعثروا عليه . . فلم يكن أمامنا فى هذه الحالة إلا أن نلقى بالمخطاف ونركن فى عرض البحر فى انتظار فرج ربنا . . . . .

ولما سألت القبطان الذى كان قد تباهى أمامنا مرات عديدة بأنه يستطيع أن يقود السفينة عبر القنال الإنجليزى دون احتياج لمرشد ، وأنه فعل ذلك مرات عديدة آخرها منذ عشرة شهور فى آخر رحلة له فى نفس الطريق ، لما سألته لماذا يضيع ١٢ ساعة أو نصف يوم من وقت السفينة فى انتظار المرشد إذا كان يستطيع أن يكمل الرحلة بدونه ؟ . . قال أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك هذه المرة بالذات لعدة أسباب أهمها أن سفينتنا جديدة ولا يطمئن اليها ، والسبب الثانى هو أنه لا يثق فى كفاءة ضباطه وأنهم قادرون على أداء أدوارهم فى عملية عبور بحر المانش بالشكل الذى يضمن به سلامة السفينة . . أما السبب الثالث والأهم ـ من وجهة نظر القبطان ـ فهو أن الشركة صاحبة السفينة تدفع للمرشد الأجنبى الذى يقود السفينة عبر القنال الإنجليزى ٥٠٠ جنيه استرلينى ، لكن اذا قام قبطان السفينة المصرى بهذه العملية نفسها وحده دون الاستعانة بمرشد فإن الشركة تدفع له ٢٤٠ جنيها مصريا فقط لا غير ، تصل بعد الخصومات والضرائب الى نحو ١٦٠ جنيها . . لذا فما الذى يجعله يتعب نفسه من أجل مبلغ تافه كهذا (!!) إذا كان المرشد الأجنبى نفسه يدفع للقبطان ـ كعمولة ـ ونقدا ، وبالعملة الصعبة ، وقبل أن يغادر السفينة ـ نصف المبلغ الذى يتقاضاه من الشركة . . وأحيانا ـ كما قال لى القبطان ـ يصعد المرشد الأجنبى الى السفينة لكى ، فقط ، يوقع له القبطان بأنه قد قام بعملية عبور السفينة ، ويعطيه نصيبه المستحق ، ثم ينزل فورا ولا يرشد السفينة ولا حاجة ويتولى القبطان نفسه القيام بالمهمة كلها كاملة . . فتكون المسألة إذن مجرد (خذ وهات) أو (شندى بندى) بلغة أهل البحر . . . .

مسألة حسابية صغيرة ، أو فزورة من فوازير رمضان :

● أجب على السؤال التالى : اذا كانت الشركة تدفع للقبطان المصرى مبلغ ٣٢٠ جنيها مصريا إذا استغنى عن الإستعانة بمرشد أجنبى فى الذهاب والعودة . . وإذا كان القبطان المصرى يرفض أن يتقاضى هذا المبلغ لأنه يعد فى نظره (مبلغا تافها) لا يستحق من أجله أن يتعب شوية زيادة ، فما هو المبلغ الذى يكسبه القبطان خلال الرحلة كلها أصلا ؟!! . . . . . .

ترسل الإجابات والحلول الصحيحة الى الشركة المصرية للملاحة البحرية ـ قطاع عام ـ بالإسكندرية . . والجوائز : لكل واحد من أصحاب الحلول الصحيحة سفينة هدية مجانا من الشركة يعمل عليها قبطان ويكسب دهب !! . . . . .

فـــى الصـــباح الباكـــر

جدا دق « سليمان » سفرجى القبطان باب قمرتى بإلحاح ، فلما فتحت له قال لى بلهفة وبعجلة شديدة : « القبطان عايزك فى البريدج (غرفة القيادة) ومعاك الكاميرا » !! . . ظننت أن شيئا خطيرا جدا قد حدث ، ولم أشا أن أزعج « سلمى » فى هذا الوقت المبكر ، فأخذت كاميرتى أنا وصعدت إلى غرفة القيادة جرى بالبيجاما ، لأجد أن الشىء الخطير جدا الذى يريدنى القبطان من أجله هو أن ألتقط صورة لسعادته وهو يلاعب ـ فى غرفة قيادة السفينة ـ كلب الضابط الإدارى بقطعة ثلج كبيرة !! . .

يا أمة ضحكت !! . . . . . .

وبالمـــرة بمناســـبة الســـيد

(حسان) كلب الخوجة : ففى الوقت الذى كان يقدم فيه لضباط والمهندسين والبحارة على الافطار كل يوم قطعة جبنة صغيرة ـ فقط لا غير ـ لا تشبع طفلا فما بالك ببحار أو بمهندس يعمل طول اليوم على سفينة فى عرض البحر . . فى الوقت نفسه كان السيد (حسان) لا يتناول فى إفطار سيادته غير البيض المسلوق المشقوق ترانشات ، وعلب السردين الفاخر المستورد ، وعلى الغداء كانت تقدم إليه ـ والله العظيم ـ فرخة كاملة محمرة ـ « ويسأل فى ذلك باشريس بحارة السفينة عبد الواحد محمد الذى هجم مرة على من كان يقوم بإطعام الكلب يريد أن يضربه » ـ . . أما فى المساء فتقام موليمة هائلة على سطح السفينة العلوى تستمر عدة ساعات ويكون ضيوفها إثنان فقط : الخوجة ، وكلبه ، ويقدم فيها كل ما يمكن أن تتصوره من مأكولات وفواكه وعلب بيرة مستوردة . . ولا يسأل فى ذلك أحد لأننى شهدتها بنفسى عدة مرات ! . .

زمان كانوا يقولون . (خادم الأمير أمير الخدم) . . . والمفروض أن يقولوا الآن : (كلب الخوجة خوجة الكلاب) ، أو ـ لأن « حسان » على سفينتنا هو كلب القبطان أكثر مما هو كلب الخوجة ـ فإن المفروض اذن أن يقال . (كلب القبطان قبطان الكلاب) !! . . . . .

أخيرا ، استطاعوا العثور

على المرشد الهولندى ، الذى جاء الى السفينة الساعة ٧,٣٠ صباحا فبدأنا على الفور رحلة عبور القنال الانجليزى أو بحر المانش ، حتى نخرج منه الى بحر الشمال . . . مستر « أوليفر *Olevar* » رابض فى مقدمة غرفة القيادة لا يغادرها طول الوقت وعيناه كالصقر لا تغفلان لحظة واحدة عن البحر أمامه . . مستر « اوليفر » عمره ٧٦ سنة لكنه يتمتع بحيوية وطاقة ولياقة بدنية هائلة لمن هو فى مثل سنه . .

مستر « اوليفر » أصبح الآن هو قبطان سفينتنا بعد أن ترك له القبطان المصرى قيادة السفينة تماما ونزل الى قمرته . . قال لى مستر « اوليفر » أنه حارب فى صفوف الحلفاء كقبطان سفينة حربية طيلة ست سنوات الحرب العالمية الثانية ، فى الوقت التى كانت فيه بلاده هولندا يحتلها الألمان . . وأنه بعد انتهاء الحرب عاد الى العمل فى البحرية التجارية الهولندية مرة أخرى ، لكن فترة طويلة مضت بعد الحرب حتى استطاعت هولندا إعادة تكوين أسطولها التجارى مرة ثانية ، ووجد أن مجال العمل كمرشد بحرى متسع أكثر ، فعمل مرشدا بحريا واستراح الى هذا العمل لأنه يتيح له أن يقضى بين أسرته التى حرم منها طوال سنوات الحرب ، فترة أطول . .

ولما قلت لمستر « أوليفر » أننا بحثنا عنه فى كل مكان اليوم فجرا لأن السفينة وصلت بدرى عن الموعد الذى حدد له من قبل فى البرقية ، قال لى أنه جاء من روتردام فى هولندا ـ حيث يعيش ـ الى لندن التى وصلها فى العاشرة والنصف من مساء أمس ، ومن لندن ركب القطار الى بريكسهام فوصلها فى الواحدة والنصف صباحا ، وكان فى تقديره أنه سوف يستمتع بالنوم ويأخذ كفايته منه لمدة ١٢ ساعة على الأقل ، لكنه فوجىء بهم فى الرابعة صباحا يوقظونه ليستدعونه الى السفينة ، وكان لم ينم غير ساعتين فقط !!

وقال لى أيضا أنه سوف يبقى معنا حتى يوصلنا الى ميناء « ڤيسمار » فى المانيا الشرقية ، ثم يتركنا هناك ويستقل هو القطار الى هامبورج فى المانيا الغربية ، ومنها الى روتردام بالطائرة ليعود إلى بيته ، ويبقى هناك فى انتظار أن نستدعيه مرة أخرى الى « فيسمار » ليقود السفينة الى أى ميناء آخر نريده ، حيث أنه لن يكون هناك داع ولا حاجة الى بقائه على السفينة أثناء عمليات تفريغها وشحنها . .

وعمره ٧٦ سنة !! . . . . . .

وفي الواحدة صباحا

بعد ١٧ ساعة ـ كنا ننهى عبور القنال الانجليزى : (كاليه) على الساحل الفرنسي على يميننا و(دوفر) على الشاطىء الانجليزى على يسارنا ، لنصبح الآن فى الـ (نورث سى) أو بحر الشمال . . وتكون محطتنا التالية ـ إذا ظلت خزانات المياه العذبة فى السفينة عاقلة وهادية وبنت حلال ـ هى ميناء « فيمسار » فى المانيا الشرقية ، حيث ستفرغ السفينة شحنتها الـ ٨٥٠٠ طنا من الارز وخامات الغزل هناك . .

لكن خزانات المياه

عندنا قطعا ليست هادية ولا عاقلة ، إنما هى قطعا مصابة بلوثة : بالأمس سجلت عدادات القياس بها وجود ٨٠ طنا من مياه الشرب فى الخزانات . . وذلك معناه أننا منذ غادرنا « لاكرونا » منذ أيام لم نشرب ولم نستحم ولم نطبخ . . . . اليوم سجلت العدادات : صفرا !! . . يعنى لم يعد فى الخزانات ولا نقطة مياه شرب واحدة . . شربنا ٨٠ طنا فى ليلة واحدة !! . . . . . .

يبدو ـ والله أعلم ـ أن السفينة فيها (أفريت) ، وباللغة العربية : (عفريت) !! . .

القبطان يسأل « برهام »

رئيس السفرجية ونحن نوشك أن نغادر « لاكرونا » منذ عدة أيام ، بعد وصول التوريدات التى طلبتها السفينة من الميناء الاسبانى الظريف : « إيه يابرهام ؟ . . . الخوجة أكلك ؟ » فيرد « برهام » راضيا : « لا يا فندم . . كله تمام » !! . . وإذا ترجمنا هذا الحوار من لغة البحر الى اللغة العربية نجد الحديث هكذا : « إيه يابرهام ؟ . . الضابط الادارى أكل عليك نصيبك من العمولة عن المشتريات ؟ » ويكون الرد : « لا يا افندم . . حقى وصلنى » !! . . . . .

« حقه » و« حقهما » و« حقهم » . . . هم يعتبرون ذلك « حقا » لهم . . قطط القطاع العام البحرى المصرى ومعهم مفاتيح الكرار ولا أحد يحاسبهم لأن الفائدة تعم والمصلحة مشتركة بين « البر » و« البحر » ، فليه ما يبقاش حقهم ؟! . . مثلا . . مثل صغير جدا جدا : الكوكاكولا المصرية ممكن أن تأخذ السفينة إحتياجاتها منها معها وهى خارجة من الاسكندرية ، بالعملة المصرية ، ويكون ثمن الزجاجة بالنسبة للبحار أو الضابط أو المهندس نحو قرش صاغ واحد تقريبا . . لكن قطط القطاع العام البحرى المصرى يعلمون جيدا أنهم لو أخذوا كوكاكولا من مصر فلن يدخل جيوبهم شيء كعمولة : إذن نترك الكوكاكولا المصرية للناس اللى فى مصر ونشترى نحن كوكاكولا أجنبية ـ بالعملة الصعبة طبعا ـ من أى ميناء آخر نمر عليه . . وهكذا اشترت السفينة ١٠

صناديق كوكاكولا و(سفن أپ) من « لاكرونا » فى أسبانيا ، فوقفت الزجاجة الواحدة بـ ١٣ قرشا مصريا . . ومن من أفراد الطاقم البحارة أو الضباط يرضى بأن يدفع ١٣ قرشا ليشرب زجاجة كوكاكولا واحدة ممكن أن يشربها فى الشيراتون أو الهيلتون بأرخص من ذلك ؟! . . هل هناك أى منطق فى الدنيا يقول ذلك ، إلا منطق العمولة التى يضعها قطط القطاع العام البحرى المصرى فى جيوبهم ، ولتذهب الشركة وأموال الشركة إلى الجحيم إنشاالله تخرب أو تتقفل حتى ، هم يهمهم إيه ؟ ! . . . . .

سطر أخير فى هذا الموضوع بالذات ، بمناسبة الكوكاكولا ، كأن مرة واحدة أو نوعا واحدا لم يكن يكفى ، فقد اشتريت السفينة على امتداد رحلتها خمسة أنواع من الكوكاكولا من خمسة موانى : من « لاكرونا » فى اسبانيا ومن « كيل » فى المانيا الغربية ، ومن « ڤيسمار » فى المانيا الشرقية ، ومن « هامبورج » ثم من « برانسباتل » فى المانيا الغربية مرة اخرى ! ! .

سطر كمان اذا لم اقله فسأطق غيظا هذه الـ ٥ كميات من الكولا لم يشربها احد فى السفينة ـ طبعا ـ وعادت كاملة كما هى الى الاسكندرية ! ! . .

يبدو ان النشر ليس

مشكلة فى مجلة (الاذاعة والتليفزيون) فقط ، لكن على السفينة هنا ايضا . . أخيرا وبعد وصول الجردل البلاستك الذى ألححنا فى طلبه ، قمنا بعون الله تعالى بغسل ملابسنا بأيدينا . . دعك من انها قد أصبحت نظيفة أو أنها قد ازدادت وساخة ، لكن المهم أنه بقيت أمامنا مشكلة النشر : نشر الغسيل . . لم نعرف اين ننشره ، وسألنا فلم يدلنا أحد . . فظلنا محتاسين به عدة ايام مش عارفين نعمل فيه ايه . . ويبدو أننا سنحتفظ به مغسولاً هكذا حتى نعود الى مصر فننشره فى بيوتنا باذن الله .

وبمناسبة الغسيل : « خيرى » اقترض من « سلمى » المكواة الكهربائية التى جاءت بها معها ، لكى يكوى ملابسه ، لكنه أعادها إليها بعد فترة وجيزة جدا ، فسألته مندهشة : " لحقت كويت كل هدومك ؟ ! " فقال لها بخيبة أمل : « أبداً . . دى الظاهر إن المكواة بتاعتك بايظة . . مش بتنظف القمصان » ! !

واضح إن « خيرى » عشمه كبير أرى فى التكنولوچيا ! ! . . .

اشتهينا من سواحل

انجلترا وفرنسا ونمر أمام سواحل هولندا منذ صباح اليوم . . « روتردام » تبدو على الخريطة البحرية امامنا كنقطة صغيرة جدا لا تزيد عن حجم رأس الدبوس . . هذه المنقطة الصغيرة جدا على الخريطة تساوى مدينة كبيرة عظيمة واسعة لها تاريخ

وفيها ناس ومبانى وكنائس ومواصلات وسيارات وشركات وحكومة وبنات وشبان وقصص حب وسينمات وملاهى وكل شىء . . . ومع ذلك فهى أمامنا على الخريطة نقطة صغيرة جامدة بمجرد مطبوعة بحبر المطبعة .

عالم البحر يستهوينى

بشدة ، يمكن لأننى أصلا شديد الجبن من البحر ، كما أننى أعتبر نفسى صحفيا متخصصا فى البحر بعد رحلاتى العديدة الطويلة فيه ، الواضح أننى - نتيجتها - قد اكتسبت « حسا بحريا » او « خبرة بحرية » جعلت كل ملاحظاتى الفنية فى رحلتنا هذه تصدق غالبا ، وأناقش فيها الضباط ونتجادل ونختلف ويحتمون وراء (سر المهنة) ثم يتضح فى النهاية أن تصورى كان صحيحاً ، لذا فقد قررت أننى بعد هذه المرحلة ساستقيل من نقابة الصحفيين ومن مجلة (الاذاعة والتليفزيون) واشتغل قبطانا على (فلوكة) فى القناطر الخيرية أو (معدية) فى كفر شلشلمون .

ونتيجة لشغفى الشديد بالبحر وعالم البحر ، فإن اسئلتى عن البحر كثيرة . . ومن أوجه إليه اسئلتى الا ضباط السفينة وقبطانها ؟ ! . . الضباط - الشهادة لله - يجيبون بلا تردد على قدر ما يعلمون وعلى قدر خبراتهم واقدمياتهم فى البحر . . لكن القبطان شكل تعامله مع اسئلتى الفنية غريب جدا ، وانا هنا على هذه السفينة صحفى اولا واخيراً ، جئت لاكتب عن حياة البحر وعن سفينة مصرية جديدة . .

القبطان حين أسأله سؤالا فنيا لاأخرج منه بحق ولا بباطل ، ويظل يلف ويدور ويحكى حواديت ويمزج فى كلامه بين الجد والهزار والكلام العايم الى الحد الذى يشوش فيه المعلومات التى عندى أصلا عن الموضوع الذى أسأله فيه . . سألته مرة عن طول القنال الانجليزى الذى يفصل بين انجلترا وفرنسا، فقال لى : « ما اعرفش . . اطلع اسأل فوق فى البريدج (غرفة القيادة) . . » ! ! . . كأن طول هذا القنال ليس ثابتا من مليون سنة فاتت وكأن طولها اليوم سيكون مختلفا عن طولها بالأمس وفقا لأسعار البورصة مثلاً ، أو كأنه لم يعبرها ألف مرة على امتداد حياته كبحار لمدة ٣٥ سنة ، منهم ١٧ سنة قبطان ! ! . . وسألته اليوم : « ماذا يمكن أن يحدث لو تعطلت ماكينات السفينة فجأة تماماً ونحن نعبر الـ « باسكاى » ؟ » فظل يلف ويدور ويبتعد عن الموضوع حتى لخفننى تماماً ولخبط شوية المعلومات اللى كانوا عندى . . فلما حاصرته وضيقت عليه قال لى فى النهاية : " لما ترجع اسكندرية باذن الله تقدر تروح تسأل عم ابراهيم العطار اللى دكانه عند باب ٦ فى اول المنشية "-! ! فقلت له على الفور : " يبدو ان المسالة قطعا حاترسى على كده وحاتكون محتاجة لخبرة واحد عطار . . وفعلا حاقول للقراء انى سألت القبطان فلم اخرج منه بشىء ، وانصحهم بانهم فى حالة احتياجهم الى الاستزادة من المعلومات البحرية انهم يلجأوا الى عم ابراهيم العطار اللى دكانه قدام باب ٦ . . أما بالنسبة للمقيمين فى القاهرة فعندهم « كلية خضر العطار البحرية) فى الصاغة والحسين " ! ! . . .

قطعنا بحر الشمال

فى ٢٧ ساعة تقريباً . . وفى الرابعة من صباح اليوم جاء الى السفينة مرشد اجنبى جديد من المانيا الغربية ، ليتولى عن مستر « اوليفر » قيادة السفينة من نهاية بحر الشمال حتى بداية « قناة كيل » ثم يأتى مرشد ثالث ـ المانى غربى ايضاً ـ ليتولى قيادة السفينة اثناء عبورها لـ " قناة كيل " نفسها ، وعند نهاية القناة يعود مستر « اوليفر » مرة اخرى الى قيادة السفينة فى بحر البلطيق حتى يصل بنا الى ميناء « فيسمار » فى المانيا الشرقية حيث ستفرغ سفينتنا شحنتها . .

فى الرابعة صباحا صعدنا ـ مجموعة الصحفيين ـ الى غرفة القيادة بسرعة بناء على استدعاء القبطان المفاجىء لنا لنشهد نهاية بحر الشمال ودخول السفينة فى المجرى الملاحى الضيق جدا لقناة « كيل » ، فلم نتمكن من استبدال ملابسنا فصعدنا بالبيجامات . . المرشد الالمانى الجديد فوجىء بنا الى جواره فى غرفة القيادة ، واستوقف نظره شكل بيجامة « خيرى » بالوانها المرقطة الغربية التى تشبه ملابس جنود الصاعقة فنظر اليها واليه متفحصا ثم سال القبطان مستفسرا : " انتم سفينة حربية ، أليس كذلك ؟ ! " .

ويشير لى المرشد

الالمانى الى قرية صغيرة على الشاطىء الأيمن الى جوارنا ـ شاطىء المانيا الغربية ـ وهو يقول لى بفخر واعتزاز أنها قريته التى يعيش فيها ، وهى قرية صغيرة صحيح تعدادها خمسة الاف نسمة فقط ، لكنها تشتهر بمعسكر الاطفال العالمى الذى يقام فيها سنويا طوال شهور الصيف ويضم ٢٠٠٠ طفلا من كل جنسيات العالم ، صبيان وبنات يقيمون معا فى خيام مختلطة ، يمرحون معا ويسبحون ويرقصون ويقيمون حفلات ، وينبسطون . . " واشار بيده إشارة لها نفس المعنى ايضا اذا استعملناها ونحن « نشير » باللغة العربية . . فسالته : " وكم اعمار هؤلاء الاطفال ؟ " قال : بين ١٣ ، ١٦ " سنة فقلت مندهشا : " هل قلت انهم يقيمون معا فى خيام واحدة مشتركة : الصبيان والبنات معا ؟ ! " قال ببساطة : نعم . . وماذا فى ذلك ؟ ! . . قلت وانا اهز كتفى حسرة على طفولتى التى ضاعت هدرا : " أبداً . . ولا حاجة " ! ! . . . .

الفصل السابع

سفرجى باشا

لكل طابق من

طوابق السفينة سفرجى مهمته أن يقوم بتنظيف قمرات هذا الطابق وتلبية طلبات أصحاب هذه القمرات ، فيما عدا القبطان فقط ـ لأنه القبطان ـ فله سفرجى خاص لا يفعل شيئا إلا تنظيف قمرة القبطان وحده وتلبية طلباته . . وكما هو حادث فى أى مكان فإن « ساعى المدير » هو « مدير السعاة » وصاحب الحظوة والدلال عند المدير والذى يعمل له كل السعاة ـ وحتى الموظفون ـ ألف حساب لأنه (عين المدير) و (أذنه) الذى ينقل إليه كل الأخبار ولأنه (واصل) ومنه للمدير مباشرة ! ! . . وهكذا كان الحال مع « سليمان » سفرجى القبطان وقبطان السفرجية . . فهو فتى السفينة المدلل الذى يسير فى ركاب القبطان أينما ذهب ، حتى فى غرفة القيادة ، ويتعامل مع الجميع ، كبارا وصغارا ، بالطريقة التى تشعرهم جيدا بمدى « نفوذه » ! ! . . وزاد المسألة « ظرفا » أن السفرجى يمتلك سيارة خاصة لتنقلاته الشخصية ، والقبطان ليس لديه سيارة ـ الكلام ده فى الإسكندرية طبعا ـ لذا فإن السفرجى يمر بسيارته كل يوم صباحا على بيت القبطان ليذهبا « معاً » إلى الشركة وبالعكس . . ومن هنا فقد أصبحا « أصدقاء » ورفعا التكليف بينهما إلى الحد الذى يبدو واضحا معه أن السفرجى بيتدلع شوية زيادة على القبطان ، والذى يسمح للسفرجى بأن يضع ذراعه على كتف القبطان ـ كما حكى لى القبطان نفسه ـ ليناقش معه مسألة تجهيز إبنته العروس . إبنة القبطان طبعا وليست إبنة السفرجى فإن السفرجى نفسه شاب وسيم وحليوه وعمره ٢٤ سنة فقط ! ! . . ويبدو أن سفرجى باشا قد نسى نفسه وزاد العيار حبتين وتكلم مع القبطان نفسه أمس بطريقة وقحة ، فقد سمعت السفينة كلها صوت القبطان وهو يثور على « سليمان » بعنف شديد وبطرده من قمرته . . لكن « ما إن أتى المساء » حتى عاد كل شيء على ما يرام مرة أخرى ! ! .

ويبدو أن سفرجى باشا

أراد أن يرد اعتباره بعد ما حدث أمس وأن يثبت للجميع أنه « واصل » على الكل وأن التكليف مرفوع بينه وبيننا نحن أيضا . . . فقد حدث صباح اليوم أن كنت واقفا مع المرشد الهولندى مستر « أوليفر » فى غرفة القيادة نتكلم ومعنا الضابط « منير » حين جاء السفرجى ووقف بيننا بلا مناسبة ، ليست وقفة سفرجى ينتظر شيئا ، وإنما وقفة المشارك

فى الحديث الدائر ، ثم فجأة وجه لى الكلام قائلا : « على فكرة ياحسين الآنسة سلمى نزلت تحت » ! ! ! . . ورنت فى أذنى مع الدهشة الشديدة مناداته لى بإسمى مجردا « ياحسين » فالتفتت إليه فوراً وقد إختفت من على وجهى الإبتسامة التى كنت أكلم بها المرشد وقلت له بحدة : « بتقول إيه ؟ » فقال متفاتكا : « باقول إن الآنسة سلمى نزلت تحت وسكت فقلت له : « كمل ، قلت إيه بالضبط » فقال : قلت إن الآنسة سلمى نزلت تحت ياأستاذ حسين » قلت : طيب « خلاص . . أنا جت فى ودنى حاجة تانية » فقال متبجحا : « حاجة تانية زى إيه ؟ » قلت : « إنك، قلت ياحسين » فقال بوقاحة شديدة : « وفيها إيه يعنى لما أقول لك ياحسين ؟ . . الحق عليّ اللى قلت لك خالص » ! ! . . وخرج مندفعا من غرفة القيادة وترك الباب وراءه مفتوحا ، فنظرت وراءه فى ذهول شديد بعد أن هبشنى هكذا وخرج وتركنى أغلى ، فقال الضابط « منير » يحاول تهدئه الموقف أمام المرشد الاجنبى : « ده سفرجى . . حاتنتظر إيه من سفرجى ؟ » ومد « منير » يده وأغلق الباب الذى تسمرت عيناى عليه وقد توقف تفكيرى تماما فلم أدر كيف أتصرف . . لكن السفرجى عاد بعد لحظة مندفعا يفتح الباب بعنف ويقف فى وسطه وهو ينظر إلينا بتحد واستفزاز ، وقبل أن ينطق بكلمة أخرى تقدمت خارجا من غرفة القيادة ودفعته أمامى خارجها وأغلقت الباب ورائى حتى لا يسمعنى المرشد ، وانفتحت فيه بأعلى صوتى : « الدلع ده تتدلعه على القبطان بتاعك مش عليّ أنا . . إنت سفرجى ولازم تعرف حدودك وتعرف إنك سفرجى بس . . وولا انت ولا كبير الضباط ولا القبطان بتاعك أسمح لهم إنهم يقولوا لى ياحسين . . اذا كان القبطان بتاعك مدلعك فتبقى تتدلع عليه هو لوحده لكن مع الناس التانيين لازم تعرف حدودك وتتصرف كسفرجى » . . فاتحاً صوتى على آخره كى يسمعه القبطان فى قمرته تحتنا مباشرة . . لكن الذى سمعنا كان كبير الضباط « على ابو طالب » الذى كان يمر بالصدفة ، لكنه مر من سكات تماما ولم يتكلم ، بل كان شكله يبدو كما لو أنه (بيتدارى) عننا حتى لانراه ولا نعرف أنه سمع شيئا ! ! . . .

وطبعا عرفت السفينة كلها بما حدث ، وسألنى عنه « الحسينى » الضابط الثانى المسئول عن صالون الضباط وعن السفرجية كلهم فحكيته له ، وسألنى كبير الضباط حين التقينا على مائدة الغداء ، وهو المسئول عن كل طاقم السفينة ، فحكيته له ، وطلبت منه أن يتصرف بحكم مركزه ككبير الضباط . . لكنه قال لى بصراحة ووضوح أن أعتبره « كبير ضباط منظر بس » وأنه يتحاشى أن يتدخل فى مثل هذه الأمور حتى لا يسبب لنفسه حرجا أمام الطاقم ، لأنه يعلم جيدا أنه لو وقع أى جزاء على « سفرجى القبطان » فلن يوافق القبطان على الجزاء وسيلغيه ويكسر كلامه ويضيع هيبته ومركزه أمام البحارة . . لذا فهو بيقصر الشر وبياخدها من قصيرها ! ! . .

ولم أر القبطان طول اليوم ، لكن « خيرى » قال لى فى المساء أنه كان مع القبطان وأن القبطان زعلان منى جدا لأننى زعقت للسفرجى بتاعه (!!) لذا فقد قرر القبطان أن يغير معاملته لى كصديق ويعاملنى كراكب عادى فقط ! ! .

عظمة . . وعنده حق طبعا . . هو الظفر يطلع من اللحم برضه ؟ ! ! . .

قبل السابعة صباحا

كانت بوابة (قناة كيل) عند مدينة « برانسباتل » تفتح لتتدخل منها سفينتنا ، لتبدأ منها مشوارا طوله ١٠٠ كليو مترا هو طول (قناة كيل) نفسها .

فكرة (قناة كيل) هى نفس فكرة قناة السويس عندنا فى مصر ، وإن كانت (قناة كيل) أحدث منها عهدا . . فقد حفرت (قناة كيل) عام ١٩١٠ قبل الحرب العالمية الأولى ، حين كانت ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية دولة واحدة ، بل وكانت الدواة الألمانية فى ذلك الوقت تشمل منطقة كبيرة جدا إسمها « بروسيا » التى هى نفسها دولة بولندا الآن . . وقد شقت (قناة كيل) فى الأرض الألمانية ـ وهى تقع كلها الآن فى أرض ألمانيا الغربية ـ لكى تكون (تخريمة) توصل بين بحرين هما بحر الشمال وبحر البلطيق . . وتقطعها السفن فى حوالى ٨ أو ٩ ساعات ، لأن المفروض أن تسير السفن فى القناة بسرعة معينة محددة لا تتجاوزها حتى لا تؤثر الأمواج فى الأراضى التى تقع على جانبى القناة .

والسفن التى تعبر (قناة كيل) قادمة من بحر الشمال إلى بحر البلطيق أو العكس توفر على نفسها أربعة أيام كاملة كانت سوف تستغرقها فى الدوران حول سواحل الدانمرك إذا لم تعبر القناة . .

ومع أن (قناة كيل)

تشبه قناة السويس إلى حد كبير ، إلا أنها تختلف عنها أيضا كثيرا باختلاف مصر عن أوروبا . . فرغم أن (قناة كيل) أقل فى العرض والإتساع من قناة السويس ، إلا أن السفن هنا تمر فى اتجاهين فى وقت واحد : من بحر الشمال إلى بحر البلطيق ومن بحر البلطيق إلى بحر الشمال . . وبذا تحقق سيولة استعمالها ٢٤ ساعة فى اليوم ، ليلا ونهارا ، بعكس قناة السويس التى تمر فيها قافلة سفن واحدة مرة كل يوم من كل اتجاه من الإتجاهين .

كما أن قناة السويس تمر فى صحراء دائمة على الجانبين طول المسافة ، باستثناء مدينتى الإسماعيلية والقنطرة . . لكن (قناة كيل) تمر طول الوقت بين سهلين أخضرين مزروعين ، إن لم يكن بالمزارع والحقول فبالمروج والمراعى للأبقار والأغنام والخيول . . وأيضا توجد على ضفتيها على طول المسافة الفيللات الأنيقة الساحرة ذات الاسقف المخروطية الحمراء والحدائق الشاسعة الجميلة والطرق المرصوفة بعناية شديدة ، والكبارى شديدة الجمال والطرق العلوية المعلقة فوق القناة تمر من تحتها السفن الكبيرة الضخمة وتجرى فوقها السيارات الفاخرة بأقصى سرعتها . . وعلى طول المسافة أيضا تقطع (قناة كيل) بالعرض المعديات التى تحمل الناس وسياراتهم بين الشاطئين . . وتنظم العلاقة بين السفن التى تقطع القناة بالطول والمعديات التى تقطعها بالعرض إشارات مرور ملونة عادية جدا : أحمر وأصفر وأخضر كأى إشارات مرور فى شوارع أى مدينة فى العالم !!.

وعلى طول المسافة

أيضا عبر (قناة كيل) تمر إلى جوارنا رائحة غادية اليخوت الكبيرة واللنشات الصغيرة ، تخرج فيها الأسر الألمانية للرياضة والتشميس فى عطلة نهاية الأسبوع وكنا يوم سبت ، والسبت والأحد أجازة فى ألمانيا وفى كل دول أوروبا ـ فتجد الشابة الألمانية الحسناء تجلس هى إلى عجلة القيادة فى اليخت الصغير وهى ترتدى المايوه البكينى الظريف جدا الصغير جدا ، بينما الزوج يجلس بالمايوه أيضا ممسكا بالدفة .. وكلما مر علينا يخت أو لنش رفع أصحابه أيديهم يلوحون لنا ويبادلوننا التحية ... والمعسكرات الشاطئية الصغيرة مبعثرة على الشاطئين : زوج وزوجة وأطفالهما إلى جوار خيمة صغيرة ملونة أو سيارة مقطورة (كاراڤان) يقضون عطلة نهاية الأسبوع .. منظر جميل جدا ورائع جدا يأخذ بالألباب ويجعل الإنسان يتساءل : إذا لم تكن هذه هى الجنة فعلا ، فكيف تكون الجنة إذن ؟ ! .

من فوق أعلى

سطح فى السفينة وقفنا طوال فترة عبور السفينة لـ (قناة كيل) ، لكى نستمتع بمشاهدة القناة ، ولكى أيضا تلتقط « سلمى » بعض الصور للقناة الظريفة .. « سلمى » وأنا و« خيرى » والمهندس « أحمد الأعرج » والمهندس « سالوسة » .. وبينما نحن مندمجون بكل حواسنا فى المشاهدة والإستمتاع ، فجأة دوى صوت ضخم فظيع مزعج على غير توقع كأنه خرم طبلة آذاننا واقتحمها إلى داخلنا ليضغط على قلوبنا بعنف يكاد أن يخلعها من مكانها ! ! .. ولثوان لم نفهم جميعا ماذا حدث ولاكنة هذا الصوت الضخم المزعج ، لكن رد فعله كان عنيفا علينا جميعا : أنا هممت الهروب لكنني حتى لم أتمكن من ذلك لأن سلمى هجمت علىّ تحتمى فىّ وهى تغرس أظافرها فى كتفى بعصبية شديدة وبعنف شديد حتى انكسرت أظافرها الطويلة المطلية بالمانيكير .. أما خيرى الذى لم يفهم شيئا لأنه كان أول مرة يسمع فيها ذلك الصوت المزعج الضخم العنيف فقد طار قلبه شعاعا وكأن القيامة قد قامت أو أن السماء قد وقعت فوق الأرض ، فجرى يمينا ويسارا متخبطا مفزوعا ، ثم توقف حائرا مش عارف يروح فين وقد سابت مفاصله وتبعثر تماما ومش قادر يتلم على نفسه وهو مش فاهم حاجة أبدا ، خصوصا بعد أن وجدنا ـ سلمى وأنا ـ واقفين فى أماكننا كما نحن ، فتساءل فى صوت مبحوح ضائع كأنه يتكلم من كعب رجله : « ايه ؟! فيه إيه ؟! هو جرا إيه ؟! » فقلت له وكنت قد تمالكت نفسى بعد أن فهمت ما حدث وأنا أكاد أقع من طولى من الضحك على منظره المتهالك المنهار : « ولا حاجة .. دى زمارة السفينة » ! ! .. فنظر « خيرى » إلى المدخنة الضخمة فى غيظ شديد وكأنه يود أن يطلق عليها الرصاص ، والمدخنة لا ذنب لها فى ذلك على الإطلاق وليست الزمارة منها ، لكن ضخامتها فى نظر « خيرى » أوحت إليه أنها هى قطعا التى أحدثت ذلك الصوت الضخم المفزع ! ! .

قرب العصر كتا

قد انتهينا من عبور (قناة كيل) ووصلنا إلى طرفها الآخر عند مدينة (كيل) نفسها التى تسمى القناة بإسمها واستقرت سفينتنا ورست على أحد أرصفة ضاحية هولتناو Holtenaw التى تبعد عن مدينة (كيل) ربع ساعة فى الترام .. ضاحية جميلة وفى غاية الظرف .. الناس هنا فى أوروبا قادرون على أن يخلقوا من أى شىء صغير شيئا عظيما جميلا يترك أثرا كبيرا فى نفوس من يشاهدونه .. ضاحية (هولتناو) لاتزيد عن أى ضاحية عادية فى أى مدينة فى أوروبا ، لكنهم هنا استغلوا وجود تل كبير يشرف على الضاحية فزرعوه كله بالأشجار الباسقة العالية وحولوه إلى غابة طبيعية شاعرية رائعة لا تشبع العين ولا تمل من متعة السير فيها ، خصوصا وأن المطر ـ ليزيد من الجو الرومانسى للغابة ـ كان فى استقبالنا هناك فى المساء بعد يوم يوليوى مشمس شديد الصحو والإشراق .

تقرر أن نقضى الليلة

والسفينة راسية فى (هولتناو) القبطان رفدنى من صداقته منذ عدة أيام عقابا لى على أننى شخطت فى السفرجى بتاعه .. الطاقم كله نزل من السفينة ليسهر فى (هولتناو) او فى مدينة (كيل) على بعد ربع ساعة فى الترام .. البوليس الألمانى جاء واستخرج تصاريحا للنزول من السفينة .. ذهب « خيرى » نيابة عن مجموعة الصحفيين ليطلب تصاريحنا من القبطان ففوجىء بالقبطان ، يرد عليه بغلظة وجفاء وغطرسة : « انتم ما لكمشى تصاريح وممنوعين من النزول من على السفينة .. ولو نزلتم البوليس راح يمسككم ، أنا بانبهك علشان تبقوا عاملين حسابكم » !! وأعطاه ظهره وانشغل فى الكلام مع واحد من المهندسين !!

حضرة صاحب السمو القبطان رمسيس التاسع عشر لم يعط أسماءنا ـ من باب العكننة ـ للبوليس الألمانى ليستخرج لنا تصاريح لكى تصبح فى تصوره ـ معتقلين على السفينة لانغادرها بينما أقل بحار ـ أو سفرجى !! على السفينة يستطيع النزول على كيفه لأنه يحمل تصريحا .

ومع ذلك ، وبالعند ، فاعتمادا على البطاقة الصحفية الدولية التى فى جيبى ، واعتمادا على أنه حتى لو حدثت أى متاعب فإن البوليس الألمانى الغربى واسع الافق ويمكن التفاهم معه ، فقد نزلنا ثلاثتنا ـ « سلمى » وأنا « وخيرى » ـ وسهرنا فى (هولتناو) الظريفة ..

فى الخامسة صباحا

استيقظت على صوت ضجة كبيرة هائلة والقبطان فاتح حسه على الآخر يصرخ فى شخص ما ، ففتحت باب قمرتى استطلع فوجدته مشتبكا فى نقاش عنيف مع الضابط الثالث « منير » .. القبطان يعطى امرا لـ « منير » و« منير » يصر على عدم تنفيذه

مهما حدث . . وتزداد عصبية وعنف القبطان وهو يصرخ فى منير : طيب انت موقوف واتفضل ادخل كابينتك وما تخرجشى منها أبدا لغاية ما نرجع اسكندرية » . . ويأمر بتعيين الطالب البحرى « عابد » ضابطا ثالثا بدلا من «منير» ! ! .

لكننى حين صعدت إلى غرفة القيادة بعد ساعة واحدة وجدت الضابط « منير » يعمل فى وارديته كالمعتاد وكأن شيئا لم يحدث على الإطلاق فسألته مندهشا : « ايه اللى حصل مش انت موقوف ؟ ! . . » فأجاب «منير» وإبتسامة ساخرة مريرة على جانب فمه :«قلبها بهزار » . .

وبالمناسبة : قال لى القبطان مرة والسفينة فى انتظار المرشد عند بداية القنال الإنجليزى انه لايثق فى كفاءة ضباطه ليستطيع ان يعبر القنال الانجليزى بدون مرشد . . والذى أنا مندهش له فعلا هو كيف لا يثق فى كفاءة ضباطه وهو يترك لهم عملية قيادة السفينة تماما : على ابو طالب كبير الضباط من الرابعة إلى الثامنة ، منير الضابط الثالث من الثامنة إلى الثانية عشرة ، الحسينى الضابط الثانى من الثانية عشرة إلى الرابعة ، ثم تعود الدورة مرة أخرى ولايكاد القبطان يصعد إلى غرفة القيادة الا إذا كانت السفينة داخلة إلى ميناء أو خارجة من ميناء . . أمال لو كان يبثق فى ضباطه كان عمل إيه ؟ ! . . يمكن كان فضل فى اسكندرية وما جاش الرحلة أصلا ؟ ! ! .

وفى الصباح الباكر

كانت السفينة تعبر البوابة الثانية لـ (قناة كيل) لتخرج منها إلى بحر البلطيق وبعد ٦ ساعات أخرى نكون قد وصلنا إلى ميناء (ڤيسمار) فى ألمانيا الشرقية ، حيث نهاية مشوار الذهاب فى رحلتنا ، وحيث سنفرغ شحنتنا من الأرز وخيوط الغزل التى خرجنا بها من الإسكندرية منذ ١٦ يوما . . كل هذه الاحداث فى ١٦ يوما فقط ، ويا عالم ماذا سوف يحدث أيضا فى باقى الرحلة !!.

قبطاننا لـه ثـلاث

حسنات ظاهرة فى جانب وجهه . . واحد من الضباط الخبثاء قال متفكرا متفلسفا : «أظن إن القبطان بتاعنا مالوش حسنات غير دول ؟ » ! ! . . .

الفصل الثامن

سفينة
من
بولاق !

وقرب الظهر كتا

نقترب من الشاطئ الألمانى عند ميناء « ڤيسمار » . . لكننا والشاطئ أمامنا تماما نراه بالعين المجردة ونرى البلاج والشماسى الملونة والمستحمين فى البحر ، توقفت سفينتنا فى عرض البحر وألقت مخطافها دليلا على أننا سوف نتوقف فترة غير قصيرة هكذا . . وسألت فقيل لنا أن ذلك يحدث دائما فى موانى أوروبا الشرقية : تصل السفينة المصرية إلى الميناء فتركن خارجه فى عرض البحر حتى يجىء دورها للدخول فتدخل لتركن إلى جوار رصيف . . وليست المشكلة مشكلة أرصفة خالية لكنها مشكلة الأيدى العاملة التى تقوم بتفريغ شحنة السفينة وإعادة شحنها من جديد بشحنة أخرى تعود بها إلى مصر : ليست هناك أيد عاملة كافية على قدر السفن التى تصل . . وليس هناك داع فى هذه الحالة أن نشغل الميناء وأرصفته بسفن لا عمل فيها يروح بحارتها ويجيئون وينشغل بهم البوليس الألمانى وسلطات وأجهزة الميناء . . . فليبقوا إذن محبوسين خارج الميناء وسط المياه مركونين على المخطاف حتى تنتهى السفن التى سبقتهم فى الدخول من التفريغ والشحن ويفضى لها عدد من العمال ، فتدخل إلى رصيف الميناء أهلا بها وسهلا ، وهكذا . . وقال لى البحارة على سفينتنا ـ ربنا يبشرهم بالخير ـ إن تجاربهم السابقة مع الركنة على المخطاف قاسية ، فقد حدث أن ركنوا مرة ٣٥ يوما على المخطاف فى عرض البحر حتى سمح لسفينتهم بالدخول إلى الرصيف !!!

على أى حال لنتفاءل خيرا ، فليس موجودا فى قائمة الإنتظار قبلنا غير سفينة واحدة لبنانية سبقتنا فى الوصول إلى « ڤيسمار » بساعتين فقط ، رغم أنها خرجت معنا من ميناء الإسكندرية فى نفس اليوم ونفس الوقت تقريبا ، ورغم أنها لم تعبر (قناة كيل) وجاءت من الطريق الأطول بالدوران حول سواحل الدانمرك من بحر الشمال إلى بحر البلطيق وقطعت بحر البلطيق كله من بدايته حتى وصلت الى « ڤيسمار » ، لكن الذى حدث أننا نحن الذين تخلفنا فى الطريق عدة مرات : فى مالطة ، وفى لاكرونا ، وفى كيل أو هولتناو . . .

وهكذا قضينا ليلتنا الأولى على المخطاف أمام سواحل ميناء « ڤيسمار » . . . .

وهكذا أيضا انتهت

المرحلة الأولى من رحلتنا : مشوار الذهاب كله من الإسكندرية إلى شمال أوروبا ، دون أن تجرى على سفينتنا (تجربة الغرق) أو (مناورة الغرق) كما يسمونها .. المفروض أن تتم بمجرد خروج السفينة من ميناء البداية ـ الإسكندرية ـ فى كل رحلة لها وليس فى رحلتها الأولى فقط . . وهى تجربة أو « بروڤة » تتم لكى يعرف كل واحد من أفراد طاقم السفينة مكانه فى قوارب النجاة فى حالة ـ لاسمح الله ـ حدوث غرق حقيقى أو خطر يهدد السفينة يستدعى أن يتركها بحارتها . . وتتضمن هذه التجربة أيضا تجربة إنزال قوارب النجاة من السفينة إلى البحر للتأكد من سلامة الأوناش التى تقوم بإنزال هذه القوارب إلى الماء وأنها وقت الحاجة إليها لن يكتشفوا فجأة أنها عطلانه أو أنها لاتعمل . . . وفى حالة إكتشاف أى خلل أو عطل فى قوارب الإنقاذ أو الأوناش الخاصة بها فعلى السفينة أن تدخل أقرب ميناء فورا لإصلاحها ، لأن العمر مش بعزقة . .

لكن يبدو أن أعمار الناس هنا على السفينة « رمسيس الثانى » رخيصة جدا إلى الحد الذى لم يفكر فيه أحد من أكابر السفينة فى إجراء « مناورة الغرق » ، من باب « ياشيخ خليها على الله » و « ياسيدى ربك هو الستار » و « المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » و. . و. . و . . إلخ إلخ إلخ !! . . .

آخر أخبار الركنة

والوقفة الماسخة على المخطاف فى وسط البحر : ستركن السفينة أسبوعا ـ قابلا للتجديد ـ على المخطاف فى انتظار أن يأتينا الإذن والسماح بالدخول إلى ميناء « ڤيسمار » والرسو على رصيف به . . المهم أن سفننا تعامل فى موانى أوروبا الشرقية عموما بعكس المعاملة التى تعامل بها سفنهم تماما فى موانينا فى مصر ، فنحن نعطيهم الأولوية فى التعامل مع موانينا ، والسفينة الروسية ـ أو الأوروبية الشرقية عموما ـ التى تصل إلى أى ميناء مصرى تخلى لها الأرصفة وتوسع لها السكة علشان البهوات شرفوا !! . . ولو كنا نعاملهم بمثل معاملتهم لنا ونركنهم فى بوغاز الإسكندرية شهرا على المخطاف لاحترمونا وعملوا لنا حساب وأدخلوا سفننا موانيهم على الفور . . لكن يبدو أننا سنظل هكذا طول عمرنا : هبل وطيبين . . . . .

« سلمى مهتمة جدا

بمسألة إطعام طيور الـ (النورس) الظريفة : تلقى إليها من نافذة القمرة بما يتبقى من وجباتها من العيش الفينو ، وتتفرج عليها وهى تتنافس على التقاطه من الماء متزاحمة عليه . . فإذا فازت واحدة منها بقطعة خبز وطارت بها طارت الباقيات وراءها

يطاردنها وهى تلتهمها أثناء طيرانها حتى تختفى قطعة الخبز داخل منقارها الطويل . . . .

المهم أن طيور النورس عرفت نافذة قمرة « سلمى » فصرن يحمن حولها طول اليوم كأنهن ينادينها ، وحين تهبدى « سلمى » فى نافذتها تتصايح الطيور كأنها فرحة وكأنها تنادى بعضها بأن موعد الغذاء قد حان . . . . .

على أى حال لست أدرى ذلك الإحساس الذى ملأنى من فرط نعومة ومياعة ودلع طيور النورس التى تحوم حول سفينتنا ، بأنهن جميعا من الإناث . . كأنهن فوج من بنات الرابعة عشرة والخامسة عشرة ـ اللى طالعين فى كادر الأنوثة جديد ـ يتدللن ويتضاحكن فى مياصة وكركرة ودلع . . . . .

معلومة جديدة عن النورس : كنت قد تساءلت فى رحلة بحرية سابقة لى : أين تذهب طيور النورس وتختفى فى المساء حين يحل الظلام وهى بعيدة جدا عن أقرب شاطىء ؟! . . . . وطلبت من علماء الطيور أن يتكرموا علينا من علمهم ويفيدونا أفادهم الله ، لكن لا أحد منهم عبرنى ولا سأل عن صحة سلامتى . .

المعلومة التى عرفتها اليوم فقط بعد أن شهدتها بنفسى وتأكدت منها : طيور النورس تنام فوق سطح الماء . . وشهدتها مع الفجر قبل بزوغ الشمس وهى ترقد أفواجا متقاربة فوق سطح الماء ، وترتفع وتنخفض مع ارتفاع وانخفاض الأمواج الرتيب الهادىء . .

ويتبقى الآن سؤال واحد : بتتوالد وتتكاثر ازاى ؟ . . قطعا مش بتبيض وتفقس فوق سطح الماء كمان !!؟

اليوم الثانى لركنتنا

الماسخة السخيفة على المخطاف فى وسط البحر : إضافة جديدة سمعتها اليوم ، وهى أن المسيلة بالنسبة إلينا ـ وإلى السفن المصرية عموما ـ ليست فقط مسألة أرصفة خالية فى الميناء وعمال شحن وتفريغ ، لكنها أيضا مسألة (أولويات متأخرة) . . بمعنى أنه من الممكن أن تصل سفينتنا إلى أى ميناء فى أوروبا الشرقية فتركن على المخطاف فى وسط البحر أسبوعين كاملين ويمكن أكثر ، لكن سفينة أخرى من دول أوروبا الشرقية تصل إلى نفس الميناء بعدنا بأيام فتدخل فورا ، أو على الأقل توضع فى ترتيب الدخول قبلنا بكثير ، لأن لسفن أوروبا الشرقية (أولويات متقدمة) ، بينما لاتدخل سفننا الميناء إلا إذا لم تكن هناك سفن أخرى (أهم) !!

وفى المساء ينتشر على سفينتنا « همسا » خبر سرى جدا : سندخل الميناء غدا صباحا لنركن على الرصيف رقم ٨ . . طيب ليه الخبر سرى مش فاهم أنا ؟! . . . إيه السرية اللى فيه يعنى ؟! . . خايفين لا الأعداء أو مخابرات حلف الأطلنطى يعرفوا مثلا ؟!

وتضاف إلى هذا الخبر « السرى » بعد منتصف الليل إضافة جديدة صغيرة : الحجة التى تذرعنا بها ـ من باب الحداقة والفهلوة المصرية ـ هو أننا إدعينا أمام سلطات الميناء الألمانية الشرقية بأن مياه الشرب قد نفذت من سفينتنا . . . لعلمنا بأن ميناء « ڤيسمار » ليس مزودا ـ مع كل التكنولوچيا الألمانية الحديثة ـ بـ (طجات) أو تلك اللنشات الكبيرة عبارة عن خزانات مياه متحركة لتزويد السفن بمياه الشرب وهى فى عرض البحر أو فى وسط الماء . . . لذا فإن ذراعهم سيكون ملويا وسيكونوا مضطرين لإدخالنا إلى الرصيف لنتزود بمياه الشرب التى نحتاجها . . ومادمنا قد دخلنا الرصيف يبقى خلاص : هذا هو غاية المراد من رب العباد . . والركنة إلى جوار الرصيف أحسن مليون مرة من الركنة فى وسط البحر . . على الأقل علشان يقدر طاقم السفينة من الضباط والبحارة يخرجوا إلى المدينة وقتما يشاؤون . .

وبمناسبة الفتاكة والفهلوة

والحداقة المصرية : أذكر حين كنا نتناقش ونحن مازلنا فى بداية الرحلة : أنا أضع الإحتمالات والمبررات التى أرى من وجهة نظرى أنها من الممكن أن تؤدى بالسفن إلى الغرق ، بينما القبطان والضباط يجدون لكل احتمال من الإحتمالات التى أعرضها ردا مفحما يلغى هذا الإحتمال ويطلعه فاشوش ويجعل السفينة تنجو من الغرق رغم حدوثه ، فتساءلت باستغراب : « كيف تغرق السفن إذن مادامت كل عقدة ولها حل هكذا ؟! » . . فرد القبطان ليقول : « بسبب أن شحنة السفينة تكون مش متربطة كويس فى عنابر أو مخازن السفينة ، وفى حالة هيجان البحر وارتفاع الأمواج وميل السفينة على الجانبين ، تنتقل الشحنة من أحد الجانبين لتتجمع وتتركز فى جانب واحد مما يفقد السفينة توازنها ، وتأتى موجة قوية فتقلب السفينة على جانبها الذى تركزت فيه الشحنة ، خصوصا إذا كانت شحنة حديد » فأقول للقبطان : « كما حدث مع السفينة المصرية « العريش » التى غرقت فى خليج الباسكاى ؟ » فيقول : « بالضبط » ثم يستطرد بطريقة استعراضية يحسده عليها «دون كيشوت » : « وعلى فكرة . . فيه قباطين لما بيكون معاهم شحنة حديد بيربطوه ، وقباطين مش بيربطوه . . أنا بقى من القباطين اللى مش بيربطوه !!!!! . . . . .

اليوم الثالث لركنتنا

الماسخة البايخة على المخطاف فى وسط البحر . . وكان المفروض أن ندخل الرصيف اليوم بالحجة التى تذرعنا بها بالأمس : حجة نفاذ مياه الشرب على سفينتنا ولكى نتزود بمياه جديدة من الميناء . . لكن جينا نضحك عليهم ضحكوا هم علينا وطلعوا أنصح مننا ولم تنفع معهم الحداقة والفتاكة والفهلوة المصرية : جاء خبر أننا سوف ندخل الميناء اليوم عصرا ، لكن على أساس أن تظل ماكينات السفينة دائرة حتى نأخذ ما نحتاج إليه من مياه الشرب ، ثم نعود بعدها إلى عرض البحر مرة أخرى فورا !! . . . . . .

وتأجل موعد دخولنا الميناء من العصر إلى العاشرة مساء . . . وفى العاشرة مساء لم يكن هناك أى شىء يدل على أن ذلك سوف يحدث ، فاتصل « عبد الباسط » ضابط اللاسلكى بسلطات الميناء ليسأل « مفيش أخبار علشاننا ؟! » فردوا عليه بدهشة : « إنتوا إيه ؟ » قال عبد الباسط : « إحنا السفينة رمسيس الثانى » قالوا بدهشة أيضا : « رمسيس إيه؟! » قال : « الثانى » قالوا : هو فيه سفينة إسمها رمسيس الثانى ؟! « قال » : أيوه فقالوا بحدة : « مانعرفكمش وماعندناش حد بالإسم ده » . . . وبطلوا المعاكسات دى بأه علشان عيب » . . وقفلوا السكه فى وشه !!

الواحد مابقاش عارف

ينام على السفينة دى ، ويبدو أن هذه السفينة مصنوعة قطعا فى ترسانة بولاق أو الحسينية ، لأنها سفينة شلق لاتكف عن الخناق والزعيق : إستيقظت اليوم عصرا على صوت مناقشة عنيفة جدا وبأصوات عالية جدا إلى حد الصراخ ، حتى ظننت أن الحرب العالمية الثالثة قد أعلنت وأنا نائم . . ميزت صوت كبير الضباط وهو يتجادل بعنف مع شخص آخر ، حتى حسم كبير الضباط المناقشة فى النهاية بعصبية شديدة صارخا : « أنا متأكد من اللى بأقوله ، واذا كنت سعادتك صح أبقى أنا حمار ومابافهمش حاجة ، وأنا عايز أنزل من على السفينة دى حالا » . . . . .

كلية باب الشعرية البحرية !! . . . . .

ونحن جالسون لتناول

العشاء فى صالون الضباط ، وجد « خيرى » شيئا غريبا يبرز من قطعة المكرونة بالفرن الموضوعة أمامه ، فمد يده يجذبه ، وظل يسحب ويسحب ، حتى طلع فى يده فى النهاية قطعة طويلة من أفخر أنواع الـ : دوبار !! . . دوبارة فاخرة . . ونادى « خيرى » على « برهام » رئيس السفرجية ليقول له بهدوء جدا : « من فضلك غير لى الدوبارة دى » !! . . . وبهدوء أكثر أخذ « برهام » طبق المكرونة من أمام « خيرى » ودخل المطبخ وعاد بواحد آخر وضعه أمام « خيرى » ببرود جدا وهو يقول له ببساطة : « دى كانت حتة دوبارة من الشوال اللى كانت فيه المكرونة » !! . . . .

فى الحقيقة إذا كانت المسألة مجرد أنهم طبخوا المكرونة بالشوال اللى كانت فيه تبقى بسيطة ، لكن إحنا كنا خايفين أن تكون المخابرات المركزية الأمريكية الـ C . I . A . حاطة لنا حاجة فى الأكل !! . . .

وبمناسبة « برهام » رئيس

السفرجية . . منذ عدة أيام ونحن جالسون فى صالون الضباط ، جاء الرجل ومعه علبة مفتوحة ليسألنا ما إذا كنا نعرف ذلك الشىء الذى بداخلها : مسحوق لونه بنى فاتح . . سألناه : « ماله ده ؟ » فقال : « مش عارف إيه ده . . . ومش مكتوب على العلبة حاجة ، ولقيناه موجود ضمن خزين المطبخ مع الملح والكمون والفلفل والبهارات ، وماحدش من الطباخين عرف إيه هو . . . قلنا نسألكم يمكن الآنسة سلمى تكون تعرفه » !! . . وتبادلناه جميعا وشممناه واحدا بعد آخر ثم قالت « سلمى » ببساطة جدا : « دى قرفة » قال « برهام » معترضا : « لا مش قرفة ، هو أنا عبيط عن القرفة ؟! » . . « قرفة » . . « لا مش قرفة » « قرفة » « لا مش قرفه » . . طيب ، القرفة تكدب الغطاس . . إعمل لنا فنجان منها وندوقها . ياطلعت قرفة ، ياتأكدنا إنها مش قرفة » . . وفعلا راح « برهام » وعمل فنجان منها ، وفعلا طلعت قرفة . . فقال « برهام » متضايقا : « طيب واحنا حانعمل إيه بالقرفة فى المطبخ ؟ . . . مالهاش لازمة عندنا » قالت له « سلمى » : « خلاص . . خليها علشانى . . أنا بأحب القرفة وحأشربها بدل الشاى » . .

وطلبت « سلمى » القرفة ٣ مرات بالعدد . . وفى المرة الرابعة قالوا لها : خلصت !! . . « خلصت إزاى ياإخواننا ؟ الشركة مسلمة السفينة بحالها شوية قرفة يعملوا ٣ فناجين بس ؟! » قالوا بغلاسة : « آه . . » !! . . . . .

وتخبط « سلمى » كفا على كف وهى تحكى لى الصورة التى تتخيلها فى ذهنها للسيد مدير عام مشتريات الشركة المصرية العامة للملاحة البحرية وهو ينزل على رأس لجنة المشتريات المكونة من مديرى الإدارات ورؤساء الأقسام ، إلى أسواق الاسكندرية لكى يشتروا : باكو قرفة بشلن للسفينة رمسيس الثانى !! . . . .

منك لله يا رمسيس . . إنت السبب فى ده كله !!

لكن تصورى أنا

كان غير ذلك ، والذى أتصوره أنا هو « أن الناس على دين قباطينهم » . . فحين كان السفرجية فى بداية الرحلة يروننا على علاقة طيبة بالقبطان كانت كل طلباتنا مجابة وكان « برهام » رئيس السفرجية يقول لنا : « لو طلبتم لبن العصفور حانجيبه لكم . . مخازن السفينة عمرانة بكل الخيرات والحمد لله » . . فلما تأزمت الأمور بيننا وبين القبطان وأصبح واضحا لكل أهل السفينة أن الخلاف بيننا وبينه وصل إلى حد المقاطعة والخصام منذ تسعة أيام حتى الآن ، بدأ السفرجية يغيرون معاملتهم لنا وأصبحت كل طلباتنا مرفوضة ، حتى فنجان القرفة قالوا لنا خلصت ، ولما طلبت « سلمى » قطعة زبد مع المربى قالوا : مفيش . . طلبنا سلطة

خضراء قالوا مفيش . . كان بيقدم لنا عيش (توست) فمنعوه ، حتى (خلة الأسنان) والمناديل الورق منعوها . . ومين عارف ، يمكن بكرة يمنعوه الأكل نفسه ويقولوا لنا : خلص . . . . .

على أى حال ، ربنا يستر . . .

صبى مراهق عمره ٥٢ سنة ، أرعن وشعنون وعنيد !! . . . . .

اليوم الرابع على

ركنتنا الماسخة البايخة على المخطاف فى وسط البحر وعلى حبستنا هكذا فى بوغاز ميناء « ڤيسمار » أمام خليج صغير يشبه خليج أبو قير بالإسكندرية فيه بلاچ إسمه (ونسل پول) . . نرى الأرض والبلاچ والشماسى الملونة والكباين والمصيفين والمستحمين والأشجار على مرمى البصر على بعد ٢٠٠ مترا ولا نستطيع حتى مغادرة السفينة فى قارب لننزل إلى الشاطىء وإلا أطلق علينا البوليس الألمانى الشرقى النار فورا . . . . أعتقد أن « برنارد شو » كان هو الذى قال : « الفرق بين السجين والسفينة هو أن السجن لا يغـرق » !! . . . . .

وكل صباح يأتى معه بخبر جديد عن دخولنا الميناء . . كان خبر اليوم أن دخولنا الميناء وإلى الرصيف سيكون بعد ١٣ يوما من الآن !!

المدهش أن كل يوم تأخير لنا فوق هذا السجن العائم يكلف الشركة صاحبة السفينة ٢١٠٠ جنيه بلا مبرر ، نتيجة تأخير السفينة وتعطيلها عن مواصلة رحلتها وأجور الناس الذين يعملون عليها وبدل سفرهم ونفقات أكلهم وشربهم . . كل ذلك أيضا غير غرامات التأخير ، لأن البضاعة التى تحملها السفينة منصوص فى عقود شحنها على أنها (تسليم رصيف) وليست (تسليم ميناء) . . وهكذا فلو ظللنا شهرا فى وسط البحر على المخطاف بهذه الصورة ـ وقد حدث ذلك كثيرا من قبل ـ لخسرت الشركة ٦٣,٠٠٠ جنيه بدون مناسبة . . أما لو كانت البضاعة (تسليم ميناء) لما خسرت الشركة مليما واحدا وكانت البضاعة تعتبر قد تم تسليمها بمجرد وصول السفينة الى الميناء ، ولأصبح كل يوم تأخير على نفقة الجهة صاحبة الشحنة . . .

الذى لم أستطع أن أفهمه فى هذه المسألة كلها : لماذا إذن تقبل الشركة أن تشحن بضائع (تسليم رصيف) فى هذه الحالة واحتمالات الخسارة فيها أكثر من احتمالات المكسب ؟ !!

أطلقت شعرى رغم

أنفى ، وسوف لا أحلقه إلا بعد شهرين آخرين تقريبا ، لعدم وجود حلاق على السفينة أولا ، وحتى فى الموانى الأوروبية التى دخلناها أو سوف ندخلها فلا أحب أن أحلق شعرى فى خارج مصر . . تجاربى السابقة فى حلاقة شعرى فى أوروبا كانت

القبطان أن يطنش على ما حدث فلم يسلم للسعودية كل الشحنة ، واستبقى جوالات الأرز فى عنابر السفينة . . ثم أراد فى رحلة العودة أن يتخلص من هذه الجوالات بإلقائها فى البحر ويدعى أمام الشركة أنه لم يأخذ غير الكمية التى سلمها فقط وأن الخطأ كان فى بيان تسجيل الكمية !! . . لكن كبير الضباط الذى كان معه إعترض على ذلك ورفض تنفيذه . . وأصر القبطان ورفض كبير الضباط ، وتأزمت الأمور بينهما حتى وصل الأمر إلى سلطات ميناء السويس ، ومنها إلى الشركة صاحبة السفينة ، التى عاقبت القبطان بأن أنزلت رتبته من (قبطان) إلى (كبير ضباط) !! . .

لكننى ـ بعد أن سمعت هذه القصة ـ أشك كثيرا فى أن الشركة تستطيع أن توقع مثل هذه العقوبة على كل من يخطىء من قباطنتها ، فلو حدث ذلك لواجهت أزمة شديدة فى عدد القباطنة عندها !! . .

اليوم الخامس على

ركنتنا الماسخة البايخة على المخطاف فى وسط البحر : انقطعت طوال فترة الصباح إشاعات ـ أقصد أخبار ـ دخولنا الرصيف تماما . . والظاهر أن مروجى الإشاعات ـ أقصد الأخبار ـ وجدوا أن مفيش فايدة وأن (جماهير الشعب على السفينة) قد فقدت الثقة فى إشاعاتهم ـ أقصد أخبارهم ـ فكفوا عنها وصمتوا الصمت البليغ . .

الساعة ٢,٣٠ ظهرا : قفز خبر جديد شكلا وموضوعا هذه المرة : بدلا من ركنتنا هذه بلا فائدة حتى يوم ٢ أغسطس ، سنرحل من ميناء « ڤيسمار » ونعود الى ميناء « كيل » للكشف على السفينة وإجراء الإصلاحات المطلوبة لها ، ثم نعود إلى « ڤيسمار » فى الموعد المحدد لدخولنا الرصيف ـ يوم ٢ أغسطس ، يعنى بعد ١٢ يوما ـ لندخل إلى الرصيف مباشرة . .

الساعة ٨,٣٠ مساء : حدثت إتصالات مكثفة بين السفينة فى « ڤيسمار » ورئاسة الشركة فى الإسكندرية ، ثم بين رئاسة الشركة فى الإسكندرية وسلطات الميناء فى « ڤيسمار » ، ثم بين سلطات الميناء فى « ڤيسمار » والسفينة الراكنة فى وسط البحر . . وكانت نتيجة كل هذه الاتصالات المكثفة هى أننا سوف ندخل إلى الرصيف يوم الجمعة بعد غد ، يوم ٢٣ يوليو !! . . . .

أفلح إن صدق ، فلم نعد نصدق شيئا . . . . .

المفروض أنه هى

نفس اليوم الذى تدخل فيه سفينتنا إلى رصيف ميناء « ڤيسمار » ، على اعتبار أنه ميناء الوصول الرسمى لرحلتها ، وعلى اعتبار أنها رحلتها الأولى فى البحر أو (الرحلة العذراء) ، أن تقيم السفينة حفل استقبال يعقبه حفل عشاء على ظهر السفينة . .

ويبدو أن الخبر الذى انتشر على السفينة مساء اليوم بأنه خلاص فعلاقد تم الاتفاق مع سلطات الميناء على أن تدخل سفينتنا الرصيف بعد غد ، كان له أثره فى أن الإستعدادت بدأت على السفينة فعلا لإقامة هذا الحفل . . وكان له أثره أيضا بالنسبة لى أنا فى أنه كل مساء حافلا صاخبا ، وكنت أتوقع شيئا كهذا لكن ليس بهذه الصورة . .

« حسن صبرى » مدير عام الشركة صاحبة السفينة وممثلها فى منطقة شمال أوروبا ، طار من « جيدانسك » فى بولندا حيث مقره ، ووصل إلى « ڤيسمار » عصر اليوم ، ليحضر وصول السفينة الجديدة غدا إلى نهاية رحلتها ، ويحضر كذلك الحفلة التى ستقيمها باعتباره مثلا للشركة . . ولأن القبطان قد أعلن غضبه « الرسمى » علىّ ورفدنى من صداقته منذ تسعة أيام كاملة ولم نعد نلتقى ، وإذا التقينا بالصدفة فى أى مكان تجاهل كل منا الآخر ولم يوجه اليه لا كلام ولا سلام ولا تحية ، فإن الموقف قد أصبح صعبا بالنسبة للقبطان ، فالمفروض أننا هنا على السفينة كصحفيين ولسنا كركاب أو زوار أو من أفراد الطاقم ، وبالتالى فالمفروض أن نحضر الحفل الذى ستقيمه السفينة وإلا لفت عدم حضورنا نظر « حسن صبرى » ممثل الشركة وتساءل ، وإذ ذاك قد يعرف ماحدث من القبطان من تصرفات نحونا وتبقى المسألة فيها كلام تانى . . ينبغى إذن ـ فى تقدير القبطان ـ أن نحضر الحفل ، ولكن كيف سنحضر الحفل إذا لم يدعونا القبطان ؟ ! . . وكيف يدعونا القبطان إذا كنا متخاصمين منذ ٩ أيام ؟ ! . . مشكلة . . لكن القبطان وجد لها حلا . .

على مائدة العشاء

قال لى « خيرى » أننا (قد وجهت لنا) الدعوة لحضور الحفل الذى ستقيمه السفينه غدا . . قلت له باستغراب : « مين اللى وجه الدعوة ؟ » قال : « القبطان » قلت : « ازاى ؟ ولمين ؟ » قال : « وجهها لى أنا بالنيابة عن مجموعة الصحفيين » قلت على الفور : « أرفض . . أنا رئيس المجموعة والدعوة مفروض أن توجه لى أنا وليس لأى حد آخر . . وأنا أرفض هذه الدعوة مالم توجه بالشكل اللائق المفروض » . .

بعد العشاء طلبنى « خيرى » فى التليفون وطلب أن أمر عليه فى قمرته . . « خيرى » مهتم جدا بهذه المسألة . . ذهبت فقدم لى من سكات ورقة مطوية فإذا بها ورقة مكتوبة بخط القبطان يدعونى فيها لحضور الحفل بطريقة فيها تظارف واستخفاف دم ومكتوب إسمى فيها « حسين أدرى » ، ومختومة بأربعة أختام للسفينة بالعربى وبالإنجليزى ، ومكتوب فى نهايتها : (ممنوع اصطحاب الاطفال أو المأكولات ـ الحضور بالملابس الرسمية أو . . . . ؟ !) . . هكذا بالضبط !!!!! . . . . .

لم أجد هناك مناسبة لهذا التظرف وخفة الدم بينما الموقف بيننا أصلا مشدود ومتوتر ويحتاج إلى تصفية ، وشعرت بأن القبطان يحاول أن يتخذ من الدعوة التى أصررت على أن تكون بشكل لائق ومحترم مجالا جديدا للسخرية . .

.. فقلت لـ « خيرى » أنني ـ برضه ـ أرفض الدعوة ولا أقبل الطريقة التى وجهت بها .. ومالم يوجه لى القبطان الدعوة بنفسه شخصيا فلن أحضر هذه الحفلة .. وتركت « خيرى » وعدت إلى قمرتى ..

بعد دقائق رن جرس التليفون فى قمرتى مرة أخرى : كبير الضباط هذه المرة يطلب أن أذهب إليه فى قمرته (نقعد مع بعض شويه) .. سألته : مين عنده ؟ » فقال : « مفيش حد .. أنا وخيرى بس » فذهبت .. ويفتح كبير الضباط موضوع الحفل ، ويقول أنه طبقا للبروتوكول البحرى فالمفروض أنه هو ـ أى كبير الضباط ـ الذى يوجه الدعوة لحضور الحفلات التى تقيمها السفينة ، وبناء على ذلك فهو يوجه لى الدعوة (!!) .. حركة التفاف خبيثة : كبير الضباط يحرجنى حتى لا أستطيع أن أرفض دعوته ، وفى الوقت نفسه يخرج القبطان من الموضوع تماما .. لكننى قلت له على الفور أنهم أحرار فى بروتوكولهم البحرى وتقاليدهم البحرية ، لكننى أعتذر عن حضور هذا الحفل بالذات مالم أتلقى الدعوة من أبو العروسة شخصيا ، اللى هو القبطان قائد السفينة ، فلا يمكن أن أحضر حفلا وأنا على خصام أو جفوة مع صاحب الحفلة نفسه وبيننا موقف لابد من تصفيته .. وجادلنى كبير الضباط طويلا فى هذه المسألة على أساس أنه سوف يصلح مابينى وبين القبطان بعد انتهاء الحفل ، لكننى أصررت على رفض حضورها .

وفجأة جاء القبطان

إلى قمرة كبير الضباط ، ودخل وحيا الجميع بفتور جلس ، وبدا كبير الضباط يتكلم عن أن : « الأستاذ حسين كان له عشم فى إن سيادتك ......»
فقاطعته فورا قبل أن يكمل كلامه : « لا ياعلى .. إنت كده مش بتتكلم الكلام المضبوط اللى لازم يتقال .. أنا ماليش عشم فى حد .. لكن الكلام اللى مفروض يقال هو إن ....
وانفتحت بعنف شديد معددا سوء تصرفات القبطان منذ بدأت الرحلة حتى الآن ، خصوصا موضوع محاولته منعنا من النزول من السفينة فى ميناء (كيل) ، وموضوع « سفرجى باشا » بتاعه ، وعبارته السخيفة التى كتبها فى نهاية الدعوة (الحضور بالملابس الرسمية أو .....) ... وقلت له فى النهاية أن التصرفات التى يتصرفها لا تليق بقبطان عمره ٥٢ سنة وكان المفروض أن يكون أحكم وأعقل من ذلك كثيرا ، إن لم يكن بحكم مركزه كقائد سفينة كبيرة ينبغى أن يكون قدوة ومثلا لبحارته وضباطه ، فعلى الاقل بحكم سنه ..

وقابل القبطان ثورتى العنيفة بثورة مثلها ، وارتفع صوتانا بشدة حتى كادت الأمور أن تتطور الى ماهو أكثر من المناقشة الكلامية .. وقال من بين ماقاله : « أنا عارف انك حاتسيب الرحلة كلها وتمسك فى الأخطاء اللى حصلت وتكتب فيها ١٠ صفحات .. إكتب زى ما انت عايز لكن لازم تعرف أنا السلطة الأكبر على السفينة هنا ، أنا حاكم السفينة وماحدش له إنه يناقشنى ولا يراجع على تصرفاتى .. أنا الآمر الناهى هنا وأنا أكبر رأس على السفينة وأقدر أوقفك عند حدك وأقدر أبعث لك ٣ بحارة يجيبوك من كابينتك لو مارضيتش تيجى لما أبعت لك ، وأقدر أحبسك فى

الكابينة بتاعتك ماتخرجش منها من دلوقتى لغاية مانرجع اسكندرية ، ولما نوصل إسكندرية ابقى إعمل اللى تقدر عليه « !!!!! . . . . . وكلاما آخر من هذا القبيل ، فقلت له أنه لا هو ولا رئيس مجلس ادارة شركته يستطيع أن يتصرف بهذا الشكل لأننى لست بحارا ولأنه هو كمان مش ربنا ، وأنه كونه قبطان سفينة فذلك لا يجعله فوق العقاب إذا أخطأ ، والفيصل بيننا فى تقدير ما اذا كان مخطئا أم لا هى الجهات المسئولة فى أى مكان يعجبه هو ، سواء هنا فى أوروبا أو فى مصر بعد عودتنا » . . وأيضا كلام آخر من هذا القبيل ، وهو يلف ويحاور ويدور ويفلفص بأقصى ما فى وسعه حتى يقنعنى بأنه لم يكن مخطئا فى أى تصرف من تصرفاته ، وأنا أضيق عليه الخناق حتى قال هو فى النهاية : « يمكن يكون فيه بينى وبين السفرجى علاقة شاذة ؟! » . . فهززت كتفى وسكتت ولم أتكلم !! . . فثار وأرغى وأزبد وأقسم أيمانا مغلظة بأننى لن أحضر حفل السفينة !! . . فقلت له بسخرية وبرود : « حفلة إيه اللى أنت فرحان بيها أوى كده وبتتكلم عليها ؟! ومين قال لك أنى حاحضرها أو يهمنى إنى أحضرها ؟! إيه أهميتها بالنسبة لى ؟! » . . فقام ثائرا يهم بالخروج من قمرة كبيرة الضباط ، فلما لم يمنعه أحد عاد وجلس من جديد وهدأ وغير الموضوع تماما وتكلم فى موضوعات أخرى عادية متعلقة بالبحر ومشاكل القباطنة ومتاعبهم ، وهو يوجه إلىّ الكلام وكأن المسألة قد انتهت ، وأنا صامت تماما لا أرد ولا أعلق ولا أفتح فمى بكلمة واحدة ، حتى قال فى النهاية مبتسما : « وبالنسبة للحفلة فاحنا حايسعدنا وجودكم كلكم معانا فى الحفلة . . انت والآنسة « سلمى »والأستاذ « خيرى » . . وآدينى باوجه لك الدعوة بنفسى وشخصيا آهه زى ماانت كنت مصر » . . ثم سحب ورقة وقلما من على مكتب كبير الضباط وبدأ يكتب فيها وهو يقول : « واذا كان على السفرجى اللى زعلك فماتزعلش ياسيدى : ينقل السفرجى سليمان فورا الى المطبخ ويكلف السفرجى سعيد بخدمة قمرة القبطان » . . ودفع الورقة الى كبير الضباط وهو يقول له : « للتنفيذ فور ياعلى » . . والتفت إلىّ مبتسما وقال : « خلاص ياسيدى ؟! » . .

وقبلت الدعوة . . ونسيت كل ماحدث من تصرفاته . . أصل أنا طيب وأمير وينضحك علىّ بكلمة حلوة !!

الســاعة ٣٠ بعــد منتصــف

الليل : آخر الأخبار ، ويبدو أنها المرة دى شكلها أكيد : سندخل الميناء غدا الساعة ٧,٣٠ صباحا . . وقد استغل « حسن صبرى » ممثل الشركة فى منطقة شمال أوروبا وجودنا على السفينة كصحفيين فى اقناع سلطات الميناء فى « فيسمار » بأن ركنتنا الطويلة على المخطاف هذه لاتليق أن تحدث وعلى السفينة ٣ صحفيين من القاهرة يشهدون على ما يحدث ، ونتيجة لذلك فقد أفرجت سلطات الميناء أخيرا عن سفينتنا وسمحت بدخولها الى الرصيف غدا صباحا . .

ولو . . برضه لن استطيع أن أطمئن إلى ذلك كله إلا حين أضع قدمى على أرض مدينة « فيسمار » نفسها . . وكلها كام ساعة والمية تكدب الغطاس . . . . . .

الفصل التاسع

أنبوبة بوتاجاز شقراء .!

سبحان مغير الأحوال

.. إستيقظت من النوم صباحا فوجدتنى على الرصيف !! .. لست أنا طبعا الذى على الرصيف ، لكن سفينتنا أخيرا ، وبعد ركنة طويلة ماسخة مملة على المخطاف فى وسط البحر لمدة خمسة أيام كاملة : ١٢٠ ساعة ، كانت كل ساعة منها تمر ثقيلة راكدة صفراء كأنها ألف ساعة .. أخيرا وبنا فرج علينا وسمحت السلطات الألمانية بدخول سفينتنا الميناء ـ بشكل استثنائى ـ لتقف على رصيف الإنتظار حتى يجىء عليها لدور لتفريغ شحنتها .. وقيل ـ بشكل مبدئى ـ أن أمامنا أسبوعا كاملا على الأقل قبل أن يأتى علينا الدور .. ولو ، أسبوع أسبوع ، على الأقل سنستطيع أن ننزل إلى البر وإلى المدينة كل يوم وطول اليوم لو شئنا ، أحسن ألف مرة من الركنة فى وسط البحر كأننا « معتقلين بحريين » ...

وسبحان مغير الأحوال أيضا .. كان القبطان شخصيا ـ بعد خصام وقطيعة استمرت تسعة أيام ـ هو الذى أيقظنى من النوم بالتليفون صباحا لكى أصعد الى (البريدج) أو غرفة القيادة لأشهد دخول السفينة إلى ميناء « ڤيسمار » *Wismar* » : ميناء الوصول بالنسبة للرحلة العذراء ، اول رحلة فى البحر للسفينة المصرية الجديدة « رمسيس الثانى »....

وفى نفس المساء

أقامت السفينة حفل استقبال فى صالون الضباط .. والمفروض أن كل سفينة فى رحلتها الأولى العذراء تقيم مثل هذا الحفل فى كل ميناء يكون فى برنامج رحلتها الرسمى ، ولا تقيمه فى الموانىء التى تدخلها اضطرارا كما حدث معنا فى مالطة وفى « لاكرونا » وفى « كيل » أو « هولتناو » .. ويدعى إلى هذا الحفل عادة كل المسئولين فى الميناء وفى المدينة التى فيها الميناء .. لذا فقد حضر حفل سفينتنا الليلة مستر « شرادى *Schrade* » حاكم ڤيسمار ، ومستر « جونتر دومكه *Gunter Domke* » مدير الميناء ، ووكيل الشركة الألمانى فى ڤيسمار ، وبعض رجال الأعمال الألمان ، ومدرس ألمانى فى المعهد العالى الصناعى بالمدينة ، وهو رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية بحكم أنه عمل فى القاهرة نحو سنتين مدرسا فى مدرسة القاهرة الصناعية فى القبة .. وأيضا المواطن المصرى الوحيد الذى يعمل فى المدينة ، وهو « موريس

مرقص » ممثل شركة (مارترانس) المصرية هنا ، وهى الشركة المسئولة عن عمليات شحن وتفريغ* البضائع القادمة من مصر أو الذاهبة الى مصر ، سوء كان ذلك على سفن مصرية أو غير مصرية . .

وكان فى استقبال ضيوف الحفل « حسن صبرى » ممثل الشركة صاحبة سفينتنا فى منطقة شمال أوروبا الذى جاء خصيصا من « جيدانسك » ببولندا حيث مقره الرئيسى ليستقبل السفينة « رمسيس الثانى » فى رحلتها العذراء ويحضر هذا الحفل ثم يطير بعد غد عائدا الى جيدانسك مرة أخرى . . أما من طاقم السفينة فلم يحضر غير ثلاثة فقط وكنت أتوقع أن يكون الطاقم كله موجودا : القبطان « سعد زغلول أبو زيد » وكبير الضباط « على نبيل ابو طالب » وضابط اللاسلكى « محمد نعيم عبد الباسط » ، ومن مهندسى ترسانة الاسكندرية المرافقين للسفينة فى رحلتها الأولى المهندس « أحمد الأعرج » ثم ثلاثتنا مجموعة الصحفيين : « سلمى » وأنا و« خيرى » . .

ولما كانت سلمى

هى الجنس الناعم الوحيدة فى حفل الليلة ، لذا فقد كانت دهشة الضيوف الألمان كبيرة حين فوجئوا بها فجأة تشهر عليهم كاميراتها وفلاشها وهى تتنقل بينهم كالفراشة وهات ياتصوير . . فيبدو أن مهنة المصورة الصحفية الفتاة ليست منتشرة فى ألمانيا الشرقية بعد ، لدرجة أن بعض الضيوف الألمان قاموا يحاولون أن يأخذوا عنها الكاميرا والفلاش ليقوموا هم بالتصوير : « بس اتفضلى انتى استريحى وإحنا نصور ، عنك انتى » ، وازدادت دهشتهم حين قالت لهم أن هذه هى مهمتها وأنها هنا فى هذه الرحلة لكى تقوم بعملية التصوير ! !

تلاقيهم لغاية دلوقتى لسه مندهشين . . . .

وبعد حفل استقبال

كان العشاء على الطريقة المصرية . . وفى الوقت الذى لم يفهم فيه أغلب الضيوف الألمان (الملوخية) ونظروا إليها فى توجس وخشية كأنها سوف تنفجر فيهم ، فى الوقت نفسه كان إقبالهم على البطيخ المصرى عظيما لدرجة أن مستر « دومكه » مدير الميناء أكل وحده نصف بطيخة كبيرة ، لو أكلت أنا ربع ما أكله منها لأصبت بانسداد فى فم المعدة ومغص كلوى لمدة شهر كامل . . .

ويبدو أن الصحفيين فاكهة نادرة فى هذه المدينة التى تخلو من الصحف الإقليمية ، لذا فقد كان واضحا أنهم ولو أنهم مستغربين لوجودنا إلا أنهم مبسوطين له ، لذا فقد تلقينا خلال الحفلة عددا من الدعوات تكرم أصحابها مشكورين بتوجيهها إلينا لنزداد تعرفا بالمنطقة التى نحن فيها : مستر « دومكه » مدير الميناء دعانا لزيارة مدينة « چيفرين » أجمل مدينة فى ألمانيا الشرقية على بعد ٣٥ كيلو مترا من « ڤيسمار » وكيل الشركة هنا دعانا لزيارة مدينة « روستوك » أكبر موانىء ألمانيا الشرقية

أيضا ـ أكبر من « ڤيسهار » ، الوكيل الثانى مستر « شتيجمان *Stiegmann* » دعانا إلى جولة سيرا على الأقدام فى « ڤيسهار » نفسها ليرينا معالمها التاريخية والاثرية ، « حسن صبرى » ممثل الشركة فى منطقة شمال أوروبا دعانا لزيارة مدينة « جيدانسك » فى بولندا حيث مركزه الرئيسى ؛ « موريس مرقص » ممثل شركة (مارترانس) دعانا إلى جولة مسائية فى الأماكن العامة فى المدينة . .

يابركة دعا الوالدين . . . .

كان أبرز شىء

لفت نظرى فى حفل الليلة كله شىء لم يكن على السفينة نفسها ؛ وإنما كان على : بابها !!

ما ان القت السفينة مراسيها صباحا على رصيف ميناء " قيسمار " ؛ حتى جاء ونش كبير يحمل كشكا صغيرا من الصاج له نوافذ زجاجية عريضة من كل جوانبه ؛ ووضع هذا الكشك أمام سلم سفينتنا . . وحالا جاء جندى المانى شاب جدا ؛ فتى غض ناعم لم يخضر شاربه ولا ظهرت له ذقن بعد ؛ لايزيد عمره عن ١٨ سنه على الأكثر ؛ يلبس زى البحرية الألمانية ويتمنطق بمسدس كبير الحجم كأنه مدفع صغير ينوء بحمله . . جاء هذا الصبى وتمركز فى ذلك الكشك ؛ وأصبح هو المسئول عن سفينتنا : لا أحد ينزل من السفينة إلا بعد أن يريه التصريح الذى معه الذى سلمه لنا البوليس الالمانى بمجرد وصول السفينة الى الرصيف ؛ ولا احد يصعد إلى السفينة إلا إذا كان معه تصريح من البوليس الألمانى بالصعود اليها ؛ فيترك تصريحه عند الصبى الجندى حتى ينزل من السفينة فيسترده مرة اخرى وهو نازل . . عملية محكمة جيدا ومحبوكة جيدا حتى يستطيع الجندى الصبى فى أى لحظة ان يعرف كم فردا من أفراد السفينة خارجها ، وكم غريبا على السفينة موجود الآن فوق سطحها . . وعند هذا الصبى الجندى تعليمات واضحة وصريحة مباشرة بأن يطلق النار من مسدسه فورا وبلا تردد على أى حد يحاول أن يغادر السفينة أو يصعد إليها دون أن يكون معه تصريح . . وكاد ذلك أن يحدث مرة فعلا أمامى ، لكن ليس معى شخصيا والحمد لله . .

« سلمى » اطلقت على هذا الصبى الجندى لقب (الواد اللواء) . . طيبة جدا « سلمى » وتحب أن يفرح الناس جميعا وينبسطوا : كل من لبس كاكى أو زيا رسميا فهو فى نظرها (لواء) . . كل شباب الأسرة الذين جندوا فى الجيش أو لبسوا عساكر أو دخلوا الكلية الحربية ومازالوا طلبة بها ، أطلقت عليهم : (سعادة اللواء) ، على اعتبار أن مصيره فى يوم ما يبقى (لواء) فليه مانفرحوش من دلوقتى . . وبالتالى أصبح صديقنا الجندى الألمانى الصبى (الواد اللواء) رغم أنه يتغير ويجىء غيره كل ٤ ساعات ، ومواعيد ورادياتهم غير ثابتة ولامحددة ولامعروفة حتى ولا لهم شخصيا . . بمعنى أن الواحد منهم يكون موجودا أمام السفينة فاذا سألته متى سيكون هنا مرة اخرى يقول لك ـ صادقا ـ انه لايعرف . . والمقصود من ذلك واضح طبعا ، وهو حتى لا يرتبط بصداقات مع بحارة السفينة أو طاقمها تعطى فرصة لحدوث أى شىء غير قانونى . .

المهم ما هى علاقة

صديقنا (الواد اللواء) بحفل السفينة ؛ وهو لم يحضره ولم يشترك فيه ولم يصعد حتى الى سطح السفينة ؟ ما الذى كان فى هذا (الواد اللواء) حتى أنه كان أبرز شيء لفت نظرى فى حفل الليلة ، رغم أنه كان موجودا أمامى طوال اليوم ، وشرحوا لى مهمته وواجباته وفهمتها واستوعبتها وسجلتها فعلا فى مذكرتى ؟!..

لفت نظرى ونحن فى استقبال وفى وداع ضيوف السفينة الألمان لحفل الليلة ، أنهم جميعا بلا استثناء قد توقفوا أمام الصبى الجندى يبرزون تصاريحهم ويتركونها له وهم صاعدين إلى السفينة ؛ ثم يستردونها منه مرة أخرى عند نزولهم .. لكن الشيء الأهم والأهم وآلأهم الذى اثار عظيم دهشتى ، هو أن حاكم المدينة نفسه شخصيا بدمه ولحمه وشحمه وجلالة قدره وعظيم منصبه : الرجل الذى يحكم المدينة كلها ببوليسها بشرطتها بمبنائها بموظفيها بكل متر مربع فيها .. وقف ايضا أمامه ـ زيه زى غيره وزى أبسط بحار على أصغر سفينة فى الميناء ـ وأخرج تصريحه وقدمه للصبى الجندى الذى نظر فى التصريح ثم نظر فى وجه المحافظ قبل أن يسمح له بالصعود إلى السفينة ، واحتفظ بالتصريح عنده حتى ينزل سعادة المحافظ من السفينة فتوقف أمام الصبى الجندى مرة أخرى ليسترد تصريحة منه !!!.....

آآآآ خ خ خ .. فين احنا .. دا ولابعد مليون سنة ممكن ده يحصل عندنا فى مصر ...

حاجة من إثنين

: إما أن سفرجية القطاع العام على سفينتنا لم يبلغهم بعد خبر صلحنا مع القبطان ؛ أو أن القبطان نفسه قد صالحنا باليمين وسايب علينا « رجالته » بالشمال .. خلال الحفل طلب الضيوف الألمان قهوة فجاء بها « عطيطو » السفرجى فورا .. فطلبت منه أن يحضر لى أنا و« خيرى » قهوة أيضا .. لكن « برهام » رئيس السفرجية صرخ فى « عطيطو » قائلا : لا . خلاص مفيش قهوة تانى .. إحنا داخلين نتعشى بأه ماكلناش من الصبح ..!! وجذب « عطيطو »إلى داخل المطبخ وأغلق الباب وراءه بعنف !!...

عندى كامل الإستعداد أن أصدق أن هذه قلة أدب طبيعية فى عمال القطاع العام المصرى عموما ؛ لكنى لاأستطيع أن أتصور مطلقا أن « برهام » كان يستطيع أن يتصرف هكذا مالم يكن مطمئنا تمام الإطمئنان الى أن تصرفه معنا يوافق رغبات القبطان شخصيا ويرضيه ؛ لأنه لو خشى لحظة واحدة أن يوقع عليه القبطان جزاء ما ؛ أو حتى يؤنبه ؛ لما فعل ذلك ..

رغم انتهاء الحفل

والعشاء قرب منتصف الليل ، إلا أننا لم نطق صبراً حتى يأتى الصباح ؛ فنزلنا على الفور نستكشف ونستطلع المدينة ونتعرف عليها وحدنا . . مدينة صغيرة ظريفة جدا ذات طابع خاص فى مبانيها الكلاسيكية القديمة كلها المتشابهة ذات الواجهات المخروطية بحدة التى تعطيها مذاقا خاصا : الطراز الأوروبى القديم جدا بسقفه المخروطى من القرميد الأحمر والمدخنة التى تعلو كل بيت ؛ والنوافذ فقط بدون شيش وبدون بلكونات ؛ وأبواب البيوت تعلو عن سطح الشارع بسلمتين أو ثلاثا . . وأغلب البيوت أمام كل منها حديقة صغيرة جدا مزروع فيها ورد غالبا ؛ أو حتى مجرد نجيل أخضر . . وبعض البيوت محفور عليها تاريخ بنائها أو عليها لوحة رخامية تسجل تاريخ إنشائها : سنة ١٨٩٩ مثلا ؛ سنة ١٧١٥ مثلا ؛ ومبنى عليه لوحة تقول أنه بنى فى عام ١٥٧٦ ؛ يعنى منذ ٤٠٠ سنة بالضبط الآن . . ولم أندهش لذلك ؛ إذ كنت قد عرفت من مستر « دومكه » مدير الميناء خلال العشاء أن المدينة سوف تحتفل بعيدها الـ ٧٥٠ بعد ثلاث سنوات فقط . . والمدينة شكلها قديم فعلا ولم نر فيها ـ خلال جولتنا المسائية الليلة ـ عمارة واحدة حديثة تشذ عما حولها ؛ حتى ولا فى منطقة وسط البلد أو المنطقة التجارية فيها . . المهم أن هذه البيوت القديمة الطراز جدا من الخارج ؛ عصرية التأثيث جدا من الداخل على أحدث طراز فى الأثاثات والديكورات وبها كل الأجهزة العصرية والكهربائية الحديثة . .

وتتميز شوارع « ڤيسمار » الجانبية كلها بأنها مرصوفة بالطوب البازلت الأسود المربعات الصغير المساحة ـ زى الحوارى القديمة عندنا ـ . . وهى تعتبر كارثة بالنسبة للحسناوات راكبات الكعوب العالية ؛ لأن هذا الطوب غير متساوى الأسطح ؛ مما يجعل السير عليه صعبا للرجال ؛ وصعبا جدا للستات ؛ وغاية فى الصعوبة لصاحبات الكعوب العالية ؛ ومستحيلا للكعوب العالية الرفيعة . .

رغم أن محلات المدينة

كلها كانت مغلقة طبعا فى ذلك الوقت المتأخر جدا من الليل ؛ إلا أنها تترك ڤاتريناتها مضاءة طول الليل ؛ والشوارع مضاءة ايضا . .

منطقة وسط البلد عبارة عن شارعين تجاريين فقط ليس إلا ؛ لايزيد طولهما معا عن طول شارع صفية زغلول فى الإسكندرية أو شارع سليمان باشا أو قصر النيل فى القاهرة . . الڤاترينات على الجانبين تعرض بضاعة متواضعة جدا ليس فيها مايلفت نظر الذى زار عواصم أوروبا مثل لندن وباريس ومدريد وجينيڤ وڤيينا وروما ؛ أو حتى برلين وهامبورج وفرانكفورت فى ألمانيا الغربية . . ومع ذلك فإن الأسعار هنا بشكل عام ليست رخيصة . . يعنى سعر البدلة الرجالى مثلا يساوى ٥٠ جنيها مصريا ؛ والفستان العادى جدا نحو ١٥ جنيها مصريا . . أرخص شىء هنا هو ملابس الأطفال ولوازم الأطفال ؛ والأكل والفواكة . . وضع فى اعتبارك وأنت هنا أن المارك الألمانى

الشرقى يساوى بالسعر الرسمى نحو ١٦ قرشا ؛ لكن البنوك فى مصر تعطيه لنا ـ الناس الطيبين السذج اللى بياخذوه من البنك ـ بسعر ٢٦,٩ قرشا . . أما إذا اشتريته دكاكينى من السوق السوداء فتستطيع أن تشترية فى الاسكندرية بعشرة قروش فقط !! . . . . .

ولأن الليلة كانت الجمعة

وصباح السبت والأحد يومى عطلة نهاية الأسبوع فى المدينة الصغيرة هنا ، وفى كل دول أوروبا ، فإن العمل يتوقف فى ميناء « ڤيسمار » ـ عصب الحياة الرئيسى فى المدينة ـ وبالتالى تتوقف الحياة فى المدينة كلها تماما وتغلق محلاتها كلها ماعدا المطاعم والبارات وعلب الليل التى تكون مزدحمة إلى أقصى حد ، حتى أن بعض الرواد يقفون فى طابور فى مدخل المطعم او البار ينتظرون دورهم حين تخلو مائدة أو حتى كرسى . . وممكن أن تكون المائدة تتسع لأربعة أفراد فيجلس إليها أربعة لا يعرفون بعضهم البعض : أو على الأقل كل اثنين منهم معا . . . . .

ولا تخلو شوارع المدينة فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل من بعض السكارى الذين زادوا العيار حبتين . . لكنهم على أى حال سكارى مسالمون : يضايقونك قليلا لكهنم لا يثقلون عليك إذا لم يجدوا منك ريق حلو أو استعداد لمجاراتهم ، وبمجرد أن تشخط فى الواحد منهم بالعربى وترفع له حاجب الغضب الأيسر وتشير إليه بقبضة يدك مفرودة مرة ومضمومة مرة ، إشارة الى أنك بتلعب كاراتيه ، وهى الحركات التى أراها فى إعلانات أفلام الكاراتيه فى التليفزيون ، فإنه يعرف دوغرى أنك إنطوائى ومش عشرى وينصرف عنك على الفور . . . . .

وفئة أخرى وجدناها

تنتشر فى شوارع المدينة فى أمسيات ليالى السبت والأحد ، هى فئة (البنات الصيع) اللاتى يتلطعن على النواصى ويجرين وراء بعضهن ويتهازحن ويتضاحكن بصوت عال وحركات عنيفة ويصفرن بفمهن ويعاكسن المارة ، خصوصا الاجانب اللى زينا ، بالإشارة وبالكلام ـ الألمانى طبعا ـ وشكلهن ومظهرهن يدل على أنهن بنات ناس كويسين لكن صايعين ليه ما افهمشى ، وفين أهلهن مش عارف ، لكن يبدو أنها مرحلة من مراحل العمر من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلطول الفترة التى قضيناها بعد ذلك فى « ڤيسمار » فإننا كنا نرى نفس الوجوه لنفس البنات تقريبا كل ليلة . . وإن كنت أتصور الآن أنهن لكثرة ما كن يريننا دائما متسكعين فى الشوارع كل ليلة نحن أيضا ، أنهن قطعا فكرن نفس التفكير نحونا وقلن عنا ـ فى أنفسهن ـ نفس الكلام من أننا : باين علينا أولاد ناس كويسين لكن صايعين كل ليلة فى الشوارع ليه ؟ ما يعرفوش ، أهلنا فين ؟ ما يعرفوش !!! . . . . .

ورغم كثرة هؤلاء السكارى وأولئك الحسناوات الصايعات الظريفات ، فإننى لا أذكر اننى رأيت عسكرى بوليس ألمانى واحد فى منطقة وسط المدينة فى فترة المساء . . ومع ذلك فإننى أيضا لم أر مشاجرة واحدة ولا خناقة واحُدة ولا زيطة ولا لمة واحدة . . ويبدو أن كل واحد هنا بيفك عن قلبه بالراحة وبهدوء دون أ‘ يزعج الآخرين إلى الحد الذى يستدعى تدخل البوليس . . خصوصا بعد أن عرفت بعد ذلك أن البوليس الألمانى الشرقى ليس شيئا هينا وليس شيئا سهلا وأن البعد عنه غنيمة ، بعد أن قعدت مع ناس مهمين جدا فى المدينة ووجدت أن سيرة البوليس بتلبشهم وتصيبهم بذعر شديد !! . . . . .

جعنا من كثرة المشى ، فذهبنا نبحث عن مكان نتناول فيه العشاء ، وكان القبطان قد انضم الينا و « خيرى » قد انفصل عنا وذهب مع كبير الضباط . . فدخلنا ـ « سلمى » وأنا والقبطان ـ عدة مطاعم فوجدناها جميعها مزدحمة وليس فيها أماكن لثلاثتنا ، حتى استقر بنا المطاف فى النهاية فى مطعم نادى المعلمين فى المدينة «M.T.W» أو« كلوب هاوس » «Klubhaus» . . فوجدنا مائدة تتسع لستة أشخاص يجلس إليها ٣ هنود . . فاستأذناهم فى أن نجلس معهم ، لكنه كان واضحا أنهم عشريين زيادة عن اللزوم وعندهم كبت كلام ، فإنهم بمجرد أن عرفوا أننا مصريين استلموا أذنى القريبة منهم وراحوا ـ بالتناوب ، وأحيانا الثلاثة معا ـ يدشون فيها كلاما لا أول له ولا آخر . . بحارة هنود على سفينة بضائع هندية تذهب الى ميناء الإسكندرية كثيرا ، واحدا منهم له صديق سكندرى إسمه « فوزى »من حى محرم بك أرقى أحياء الإسكندرية ـ هكذا !! ـ « فوزى » هذا متخرج من كلية الآداب ويعمل مهندسا ـ هكذا برضه (!!) ـ وأخته متزوجة من أحد كبار رجال الأمن فى مصر : أمين شرطة يعمل فى الميناء : وأخته الثانية متزوجة من أحد كبار تجار الإسكندرية : واحد من هؤلاء التجار الكبار الذين يصعدون ببضاعتهم فى ترام الرمل ، أبو دورين كمان !! . . . .

وظل صديقنا الهندى يرغى ويرغى حتى كاد أن يخرم طبلة أذنى ، فاستأذنته لخمس دقائق فقط وقمت لأرسل برقية الى وزارة الخارجية المصرية فى القاهرة بأن تقطع العلاقات الدبلوماسية مع الهند فورا وتفيدنى تلغرافيا على مطعم « *M . T . W* » فى « فيسمار » ؛ علشان أستريح من صديقنا البحار الهندى الظريف ؛ اللى فاكرنى أنا هندى . . . .

ونحن في مطعم

« M . T . W » حدث شيء ظريف : كنا، « سلمى » وأنا والقبطان والهنود الثلاثة جالسين على مائدة في منتصف المطعم تقريبا ؛ حين دخل الى المطعم شاب أسمرغامق يبدو أنه أفريقي ؛ ومعه فتاة خمرية اللون ممشوقة القوام شديدة الوسامة . . ودار الشاب والفتاة بعينيهما في أرجاء المكان يبحثان عن مكان خال فلم يجدا ؛ فلما استدارا للإنصراف التقت عينا الحسناء بعينيّ ، فاتسعت عيناها من الدهشة وابتسمت ابتسامة واسعة وهزت رأسها لي محيية كأنها تعرفني ، ثم خرجت مع رفيقها الشاب وتركتني أنا مندهشا شديد الدهشة : لماذا اختارتني أنا دونا عن كل الناس الموجودين في المطعم لتحييني ؟! . . . . واندهش القبطان هو الآخر وقد لاحظ ماحدث فقال يسألني مستغربا : « واشمعنى أنت بالذات يعني اللي بتحييك وتهز لك راسها ؟! » . . . فاترسمت أنا على الفور وقلت بثقة : « علشان أنا مشهور ومعروف طبعا » !! . . فمط شفتيه بين الضيق والتصديق . . . .

وفي نفس الليلة عرفت من المهندس « عبده صالح عبده » أن الشاب الأسمر سوداني إسمه « عباس » وهوقبطان سفينة سودانية موجودة في الميناء ، وأن الحسناء الخمرية زوجته وهي مصرية إسمها « سميحة » . . وقد عرف المهندس « عبده صالح عبده » هذه المعلومات منها شخصيا لأنه قابلهما وتعرف بهما . .

مسألة ظريفة جدا أن يلتقي الإنسان بواحدة تعرفه ككاتب في هذه المدينة الأوروبية الصغيرة المتطرفة قرب سقف العالم هكذا . . خصوصا إذا كانت هذه الواحدة خمرية وحسناء من عينة صديقتنا هذه . . . . .

في الصباح نزلنا

نستكشف المنطقة القريبة من الميناء حولنا . . إكتشفنا حديقة كبيرة غاية في الظرف والجمال والطبيعية . . منظر الحدائق افتقدناه في مدينة القاهرة من زمان بعد انهزام حديقة الأزبكية أمام زحف أسفلت الشوارع ومسرح العرايس ومسرح ٢٦ يوليو وسنترال الأوبرا ومقر بوليس النجدة وفرع الإتحاد الإشتراكي وموقف الأوتوبيسات وغيرها . . الحديقة التي ذهبنا نقضي فيها فترة من الصباح فيها أشجار باسقة وأشجار ظليلة ومدرجات خضراء وبحيرة صناعية كبيرة يمرح فيها البط والأوز ، ومقاعد خشبية ومساحات نجيلية خضراء ومماشي رملية صفراء وأحواض ورد وزهور وخمائل وسلالم ، وكل مايجعل منها حديقة حقيقية طبيعية بسيطة ظريفة ، أقسم أنها لو كانت قريبة من مكتبي أو بيتي في القاهرة لأعطيت مواعيدي فيها واستقبلت أصدقائي وزواري فيها وجعلت منها مقري الدائم ـ ويمكن كمان كنت ركبت فيها تليفون ـ لكنها للأسف في مدينة ألمانية صغيرة تبعد آلاف الاميال عن القاهرة ، لذا فان أقل مايجب أن أفعله طوال

فترة وجودى هنا هو أن أذهب لأجلس أو أتمشى فيها ولو لساعة واحدة فقط كل صباح أملأ فيها عينى وقلبى ومشاعرى منها حتى تكون لى حصيلة ومدخرا وزادا يبقى معى فترة طويلة بعد عودتى الى القاهرة المكربسة المزدحمة . . . .

فـــى الحـــديقة : واليـــوم

الأحد ، مجموعات أطفال ظننتهم فى البداية أطفال مدرسة حضانة ومعهم (أبلواتهم) . . ثم اكتشُفت أنهم مجموعة أطفال جيران فى السكن فقط ، ومعهم ثلاثة من الأمهات الشابات يرعينهم بشكل دورى . . كل أم يأتى عليها الدور مرة كل ٦ أسابيع لتأخذ أطفالها وباقى أطفال العمارة فى يوم أجازتها من العمل وتذهب بهم إلى الحديقة ، فى الوقت الذى تكون فيه باقى الأمهات فى أعمالهن أو فى البيوت . . فكرة ظريفة جدا فعلا . . . .

ملاحظة أخرى لاحظتها : الأطفال الفردانيين : طفل واحد ومعه أبيه أو أمه . . . الأب فقط أو الأم فقط هو الذى يذهب إلى الحديقة لينزه الطفل . . ونادرا ما مر امامنا طفل ومعه أبويه معا . . . قطعا برضه هذه تقسيمة : الأم تفسح الطفل والأب مشغول بشىء آخر ، أو الأب يفسح الطفل والأم تؤدى عملا آخر : تنظف البيت مثلا ؛ تشترى لوازم من السوق ، وهكذا . . .

طفـــل مكلبـــظ صغيـــر

عمره أقل من سنتين . . . مكبب كأنبوبة بوتاجاز شقراء صغيرة ذات عينين زرقاوين . . كان يمر أمامنا مع أبيه ينقل خطواته الصغيرة على الأرض بصعوبة . . تاتا تاتا . . . التقى الأب الشاب بصديق له على مقربة منا فوقفا يتحدثان وانشغلا عن الطفل . . . أحب الأطفال طول عمرى . . أخرجت له لسانى وغمزت له بعينى ولعبت له حاجبى الأيسر ولاغيته بالإشارة ، فوقف الطفل ينظر إلىّ مندهشا . . يبدو أن أحدا هنا لايلاعب أطفال الآخرين . . . أشرت له أن يصعد على سلالم حجرية صاعدة إلى مدرج أعلى من الحديقة . . فهم الصغيرإشارتى وبدا عليه أنه يريد أن يثبت لى أنه قادر على المشى . . بدأ يصعد السلالم سلمة سلمة بصعوبة وأنا قلبى يقفز من مكانه مع كل سلمة يصعدها خوفا عليه أن يفقد توازنه فيسقط على السلالم وأنا متحفز للقفز إلى جواره فى ثانية واحدة إذا بدا عليه أنه سوف يفقد توازنه . . وهو مع كل درجة يصعدها يتوقف ويلتفت إلى ناحيتى ليرينى أنه يصعد وليتأكد من أننى أراه وهو يصعد . . . وصعد وصعد وصعد ، حتى صعد الدرجات كلها إلى نهايتها ففرح فرحا عظيما وتقافز فى مكانه من السعادة والسرور . . ثم استدار ليبدأ فى النزول مرة أخرى فبدا عليه فجأة الهلع والجزع كأنه وجد نفسه فجأة الهلع والجزع كأنه وجد نفسه فجأة فوق قمة الهرم الأكبر ـ بالنسبة إليه ـ ولا يعرف كيف ينزل ؛ فقطعا هذه الدرجات العشر بالنسبة اليه كانت ارتفاعا شاهقا . . وتلعثمت خطواته ونظر إلىّ كأنه يستنجد بى وهو يميل بجسده الصغير إلى الأمام على حافة الدرجة

العليا . . وفى قفزة واحدة كنت أمامه حتى أحمى نزوله . . لكنه ما أن وجدنى أمامه حتى فتح ذراعيه الصغيرين وألقى بنفسه فى حضنى وتشبث برقبتى وهو يثغو فى جذل . . . . وشعرت وهو فى حضنى ولصق قلبى وذراعيه الصغيرين يلتفان حول عنقى كأننى أحتضن كنوز الأرض جميعا . . . . طفل كبير عمره ٤٢ سنة يلاعب طفلا عمره سنتين . . . .

الفصل العاشر

إنفجار . !

[أو]

جبل
الجليد
العائم . .

أهم شارع فى

« ڤيسهار » كلها بالنسبة للبحارة المصريين هو شارع « فيسكار ستراس Fischer StraBe » وهو شارع ضيق جدا عرضه أقل من مترين وليس فيه ولا محل واحد وطوله لا يزيد عن ٣٠ مترا ، يعنى حارة صغيرة ضيقة لا تسمح بمرور أى نوع من أنواع السيارات إلا - بالكاد - الدراجات . . لكن أهميته عند البحارة المصريين مستمدة من أنه أقرب تخريمة إلى منطقة وسط البلد التجارية المليئة بالمحلات والبيع والشراء ، وهم لا يهمهم من هذه المدينة ، أو من أى مدينة أخرى فى أى مكان فى العالم ، إلا البيع والشراء وشوارع البيع والشراء ، لأنهم ليسوا سياحا بطبيعتهم . .

ونحن خارجان من

السفينة عصراً - « سلمى » وأنا - فوجئنا بالفتاة السمراء التى كانت قد حيتنى فى مطعم « M . T . W » ليلة وصولنا إلى الميناء ، وهى تستوقفنا لتحيينا وتعرفنا بنفسها وبرفيقها : إسمها « فاطمة » وهى من الإسكندرية ، ورفيقها هو زوجها وإسمه « محمد » ويعمل مهندسا على السفينة اللبنانية (أورابيا) التى تجاورنا على نفس الرصيف . . « فاطمة » و« محمد » دعيانا لنسهر معهما غدا ، وقبلنا الدعوة ، فإنه شىء ظريف جدا فعلا أن نلتقى بفتاة مصرية أخرى فى هذه المدينة المتطرفة فى آخر الدنيا فى أقصى شمال أوروبا . .

مدهش أمر هؤلاء الناس الذين لديهم كل المعلومات على كل شىء فى الدنيا : المهندس « عبده صالح عبده » كبير المهندسين بسفينتنا كان قد تطوع مشكورا حين عرف أننا قد رأينا فتاة مصرية فى مطعم « M . T . W » فقال لنا معلوماته عن هذا الموضوع بأن هذه الفتاة المصرية من (القاهرة) وإسمها (سميحة » وأن زوجها (سودانى) الجنسية إسمه (عباس) يعمل (قبطانا) لسفينة (سودانية) موجودة فى ميناء ڤيسهار !! . . . . . المهم أنه قال لنا أنه عرف كل هذه المعلومات منها شخصيا ، ثم طلع كل هذا الكلام خطأ وليس فيه غير معلومة واحدة فقط لا غير - للإنصاف - صحيحة ، وهى أن الفتاة : موجودة فى ميناء « ڤيسهار » !! . . . . .

كانـــت أول دعـــوة قبلناهـــا

هنا هى الدعوة التى وجهها لنا مستر « شتيجمان *Stiègmann* » وكيل الشركة صاحبه سفينتنا فى « ڤيسمار » . . وقد كانت طرافتها وموضوعيتها هى السبب فى أننى قبلتها أولا ، لكى أتعرف على المدينة شكل مباشر جدا يتيح لى فرصة المشاهدة والفرجة والتأمل على مهلى . . فقد كانت الدعوة الى جولة فى المدينة : سيرا على الأقدام !! . .

لنا الآن فى « ڤيسمار » أسبوع كامل منذ أن رست سفينتنا على رصيفها ووضعنا أقدامنا على أرضها وتعرفنا بشوارعها ومحلاتها ومطاعمها وكازينوهاتها ، وكانت الجولة التى قمنا بها اليوم مع مستر « شتيجمان » فى نفس الشوارع ونفس الأماكن ونفس الميادين ، لكننا كنا نراها اليوم بنظرة مختلفة تماما كأننا نراها لأول مرة . . الميدان الرئيسى فى المدينة الذى نلف فيه وفى محلاته منذ أسبوع كامل دون أن نلحظ فيه أى شىء غير عادى ميدان « آم ماركت *AM Market* » . . إتضح أنه أكبر ميدان فى ألمانيا الشرقية كلها . . كما أنه يضم أيضا أقدم مبنى فى ألمانيا الشرقية كلها : بيت عادى جدا من دورين عمره الآن ٦٥٠ سنة ، ومع ذلك فهو مازال مسكونا حتى الآن وتعيش فيه أسرة ألمانية عادية جدا ، والطابق الأرضى فيه مطعم تديره هذه الأسرة . .

منطقة وسط المدينة التجارية هذه لم تكن موجودة أصلا حتى ٥ أو ٦ سنوات مضت . . ومكان هذه المحلات الكبيرة الكثيرة الشيك المليئة بأفخر وأظرف البضائع كانت منذ خمس سنوات شوارع عادية تسير فيها وسائل النقل والمواصلات المختلفة ، ثم خططت هكذا ونفذت فورا وأصبحت هى منطقة وسط المدينة منذ سنوات قليلة . . قبل كدة كانت المدينة من غير وسط !! . . . . .

وقـــال لنـــا مستـــر

« شتيجمان » أيضا أن ٨٠٪ من مبانى مدينة « ڤيسمار » قد دمرته قنابل الأمريكان فى خلال الأيام العشرين الأخيرة من الحرب العالمية العظمى الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) التى حارب فيها فى صفوف الجيش الألمانى كجندى فى بولندا وفرنسا والنرويج وروسيا ، وكان عمره فى ذلك الوقت - عام ١٩٣٩ - نحو ١٦ سنة !! . . ثم بعد انتهاء الحرب أعيد بناء المدينة تدريجيا بنفس شكلها القديم شارع شارع وبيت بيت : بدىء فى إعادة بناء بيت واحد حتى انتهى تماما ، ثم يبدأ العمل فى غيره ثم غيره وهكذا . . حتى أن آخر بيتين فى المدينة تم بناؤهما فى الأسبوع الماضى فقط ، وأرانا كلا من البيتين فعلا !! . . . . .

مستر « شتيجمان » يلح دائما ويكرر أن « الأمريكان » هم الذين هدموا المدينة ، رغم أنه يعلم جيدا أن الروس هم الذين احتلوا هذه المدينة واحتلوا الجزء الذى يسمى الآن « ألمانيا الشرقية » بدليل أنه ـ مستر « شتيجمان » شخصيا ـ قد وقع أسيرا هو وكل من بقى من فلول الجيش الألمانى فى أيدى القوات الروسية التى أخذتهم جميعا لتضعهم فى معسكرات الأعتقال فى روسيا ، ولم يعد هو

إلى مدينته « ڤيسمار » إلا بعد ثلاث سنوات ونصف من انتهاء الحرب ، فى أواخر عام ١٩٤٨ ، وكان واضحا أنه قد قاسى كثيرا على أيدى آسريه . . . . .

حين سألته كمواطن ألمانى شرقى : هل يعتقد أن الألمان الشرقيين يفضلون بقاء هذا الوضع هكذا بوجود دولتين ألمانيتين : واحدة شرقية والثانية غربية ، أم يريدون أن تعود ألمانيا واحدة موحدة كما كانت قبل الحرب ؟ ! . . قال أنه ليس هناك ألمانى واحد فى أى مكان فى ألمانية الشرقية كلها لا يرجو أن تعود الوحدة بين شطرى ألمانيا . . لكنهم فى الوقت نفسه يعلمون جيدا أن ذلك مستحيل وحلما بعيد التحقيق ، على الأقل خلال العشرين سنه القادمة . . اللهم إلا إذا جد جديد فى المتغيرات الدولية لم يكن متوقعا وليس فى الحسبان الآن . . . . .

« ڤيسمار » هى شانى

موانى ألمانيا الشرقية : الأول « روستوك *Rostock* » والثالث « سترالسند *Stralsund* » وهو ميناء صغير جدا . . وكانت « ڤيسمار » ميناء شهيرا جدا خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد الحرب كانت من نصيب روسيا ضمن الجزء من ألمانيا الذى سمى بعد ذلك « جمهورية ألمانيا الديمقراطية *German Democratic Republic* » أو « *G .D .R* » ، وأحيانا تتغير هذه الحروف لتصبح « *D .D .R* » . . ليه ؟ ! . . مش عارف . .

تعداد ألمانيا الشرقية كلها ١٧ مليونا (أقل من نصف تعدادمصر) ، وتعداد « ڤيسمار » ٥٥ ألف نسمة فقط ، وبها مدارس من جميع المستويات لكن ليس بها جامعة . . والتعليم هنا مشترك طبعا فى كل مراحله ، ومجانى فى كل مراحله أيضا من الإبتدائى حتى الجامعة ، بل أن كل تلميذ له مصروف من الدولة يتدرج بالزيادة حسب المرحلة التى هو فيها ، حتى يصل الى الجامعة فيتقاضى ١٨٠ ماركً فى الشهر ـ نحو ثلاثين جنيها مصريا ـ وطبعا المتفوقين يأخذون أكثر . . والجميع يتناولون وجبات مجانية فى مدارسهم وجامعاتهم . . وحتى بعد ان يتخرجوا ويتوظفوا يجدوا نفس هذه الوجبة كاملة ـ (٣ أصناف : لحم وخضار ومكرونة + فاكهة + بيرة) ـ فى أماكن عملهم رخيصة جدا بسعر رمزى للغاية : ٦٠ فينيك ، يعنى أقل من عشرة قروش مصرية . .

والعطلة الصيفية للمدارس هنا شهرين فقط : يوليو وأغسطس ، وهما أحسن شهرين من ناحية الطقس هنا ، لأن الشتاء هنا شديد القسوة والبرودة والثلج ، وقد حدث مرة منذ ١١ سنة أن تحول بحر البلطيق عند « ڤيسمار » إلى جليد تماما ، فتوقفت الملاحة فيه وانحبست السفن التى كانت موجودة فى الميناء الذى تعطلت حركته هو الآخر تماما ، حتى ذابت الثلوج مع بداية الربيع . . . . .

والمدينة كلها ـ بما فى ذلك أجهزة الميناء ـ تنتظر أجازة المدراس بفروغ صبر ، حتى يأتى الطلبة والطالبات للعمل فى الميناء وفى محلات ومطاعم وفنادق المدينة بأجور مجزية . .

والمرتبات هنا تبدأ بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مارك للشباب أو الفتاة بمجرد أن ينتهيا من دراستهما الثانوية ـ (بين ١١٢ و ١٢٨ جنيها مصريا) ـ لكنه لا يوجد هنا حد أعلى للمرتبات : تشتغل أكثر تقبض أكثر . .

شىء ظريف للغاية

يحدث هنا ، فى مصر عندنا يحدث عكسه تماما : أداء الخدمة العسكرية هنا فرض لا مهرب منه مهما كانت الظروف ، وبدون استثناءات ولا إعفاءات لأى سبب من الأسباب . . لكن الشيء الغريب هنا وعكس عندنا فى مصر هو أن الشاب غير المؤهل أو الحاصل على مؤهل دراسى متوسط فقط يقضى فترة تجنيد فى الجيش لمدة سنة ونصف فقط ، أما الشاب الحاصل على مؤهل جامعى فهو بقضى فى الجيش : ٣ سنوات !! ، على اعتبار أن الجيش يستفيد منه أكثر فى تخصصه . . ومع ذلك فإن أيهما لايستطيع أن يكون (ضابطا) إلا إذا قضى فى الجيش ١٠ سنوات كاملة !! . .

وبالنسبة لعمل المرأة هنا فإن ٨٠٪ من الفتيات والنساء هنا يعملن ، و٢٠٪ فقط لا يعملن . . وتدخل ضمن نسبة ال ٢٠٪ هذه كل تلميذات المدارس والاطفال الإناث دون سن المدرسة ، والنساء المسنات واللاتى خرجن إلى المعاش . . يعنى باختصار فإن كل فتاة وامرأة هنا قادرة على العمل فهى تعمل . .

والفتاة هنا تعمل فى كل الوظائف والمهن المعروفة لنا فى مصر ، مثل جرسونات المطاعم والكافيتيريات وعاملات الفنادق وبائعات فى المحلات التجارية ، وأيضا فى المهن والوظائف التى لا يمكن أن نتخيل المرأة المصرية فيها ، مثل سائقة ترام ، وشرطية ترتدى زى الشرطة الرسمى وتضع على كتفها النجوم مثلها مثل زميلها الشرطى الرجل تماما . . وأولئك الحسناوات سائقات أوناش شحن وتفريغ البضائع فى الميناء بالخوذات المعدنية الثقيلة فوق رؤوسهن وتحتها الشعر الذهبى الجميل السايح والعيون الزرقاء التى يتحرك لها الونش من غير كهرباء ، وهى تفرغ شحنة سفينة بحالها ، وبعد أن تنتهى من ورديتها تقابلها بالليل فى أى مكان عام تسهر وحدها أو مع صديقها تمرح وتشرب وترقص وتلهو ، وفى السادسة صباح اليوم التالى يجدها فى مكانها فوق الونش فى غاية الصحصحة والنشاط والحيوية . . . . .

حاجة عظمة فعلا أن تستطيع الفتاة ـ خصوصا إذا كانت حسناء ـ أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل ، حتى الاعمال الثقيلة . . وذلك هو ما اكتسبته أوروبا بعد الحرب نظرا لقلة الرجال بعد الملايين منهم الذين ماتوا فى الحرب من كل الدول التى اشتركت فيها أو عانت منها ، فكانت النساء مضطرات إلى النزول الى ميدان الأعمال الشاقة جنبا إلى جنب مع البقية الباقية من الرجال . . . . .

أيضا موزعة البريد

: البوسطجية الحسناء بالميكروشورت والبلوزة العارية الصدر والأكمام ، تدور فى الشوارع توزع الخطابات على البيوت . . البنت زى القمر وزى الوردة المفتحة ومقشرة من فوق ومن تحت ومنظرها يغرى الواحد بأن يرسل لنفسه خطابات كل يوم ، فقط.

لكى يصطبح كل صباح بهذا الحسن وهذا البهاء وهذا الجمال وهذه الرقة ، مش عم بيومى بوسطجى حتتنا . . . . . .

مناطق العمارات الحديثة كلها فى أطراف المدينة البعيدة ، وهى قريبة الشبه بالمساكن الشعبية والإقتصادية عندنا : مجموعات عمارات كلها متشابهة من نوع واحد ولون واحد ، لكنها شيك وجميلة وأنيقة وتتوسطها حدائق متسعة . . والمبانى هنا جميعها ملك الدولة ولا يوجد هنا ملاك ولا أصحاب عمارات قطاع خاص ولا حاجة أبدا ، ولا حتى بوابين . . البيوت القديمة التى كانت موجودة قبل الحرب العالمية الثانية أممت لصالح الدولة بعد الحرب ، والبيوت الحديثة تبنيها الدولة بمعرفتها ، وكل واحد عايز شقة يتقدم بطلب وينتظر دوره فى المبانى الجديدة التى حركة البناء فيها قائمة على قدم وساق كما شاهدنا ، لكنه غالبا ـ هو وحظه وهو ودوره ـ ينتظر ٨ أو ١٠ سنوات حتى يحصل على شقته . . لكن فى الوقت نفسه فليس لدى الدولة مانع من آن تعطى قطعة أرض فضاء لأى واحد محوش من مرتبه لكى يبنى عليها بيتا لنفسه ، ويصبح البيت ملكا للدولة أيضا لكنه يسكن فيه ولا يدفع عنه إيجارا لا هو ولا ورثته الذين يعيشون فيه من بعده . . إنما لا يسمح له بتأجيره ولا باستضافة أحد فيه بمقابل أو بدون مقابل . . يعنى حتى نظام الشقق المفروشة غير مسموح به للأفراد . . الدولة نفسها فقط هى التى تفعل ذلك . .

وكل العمارات والمبانى التى بنيت بعد الحرب هنا ليس فى شققها حمامات ولا دورات مياه داخل كل شقة مثل عندنا فى مصر أو فى أى مكان آخر فى أوروبا ـ ماعدا روسيا طبعا ـ لكن هناك حمام واحد ودورة مياه واحدة مشتركة فى أسفل العمارة لكل السكان معا ، بالدور طبعا !! . . . . لكن المبانى الحديثة التى تبنى فى السنوات الأخيرة فى كل شقة منها حمام خاص . .

السـت ســت أينمـا

كانت ، لذا فقد كان السؤال الذى قفز على لسان « سلمى » فورا وهى تسمع حكاية عدم وجود حمامات أو دورات مياه فى بعض البيوت هنا هو : « والغسيل . . كيف وازاى يغسلون ملابسهم ؟ ! » !! . . وكان رد مستر « شتيجمان » أنه حتى فى العمارات الجديدة التى تبنى الآن وفيها دورات مياه داخل الشقق ، فإن الغسيل معمول حسابه أن يغسل فى غرفة خاصة بالغسيل فى بدروم كل عمارة . . وهناك جدول موضوع بحيث أن كل أسرة تعرف دورها فى الغسيل مرة واحدة كل ٤ أسابيع . . وتنشر غسيلها فى الشارع أمام باب العمارة على منشر يركب يوم الغسيل ويرفع بعد «لم» الغسيل حتى يوم الغسيل التالى . . وذلك حتى لا تمتلىء المنطقة كل يوم بالغسيل المنشور فيجعل شكلها قبيحا !!

لكن ـ «سلمى » تعود فتسأل مستر « شتيجمان » ـ : « هل يكفى يوم غسيل واحد للأسرة الواحدة مرة كل ٤ أسابيع ؟ ! » . . والإجابة : لأ قطعا . . لكن الحل أو البديل هو محلات الغسيل العامة بآلات الغسيل الكهربائية التى توجد مثلها ـ مثل هذه المحلات ـ فى كل أوروبا . . لكنك فى أوروبا تغسل غسيلك وتقف أنت أمام آلة الغسيل حتى يتم غسل الغسيل ، ثم تقف أمام

آلة التجميف حتى يتم تجميفه ، وذلك كله يحدث فى نحو ٢٠ دقيقة أو نصف ساعة على الأكثر إذا كان غسيلك كثيرا . . لكن هنا فالأمر يختلف : سيادتك تذهب فتسلم غسيلك فى محل الغسيل وتتفضل تعود إلى بيتك ، وإما أن تعود بعد أسبوعين كاملين لتسأل عنه خلص والا لأ ، أو أنه إذا خلص قبل هذه الفترة فسوف يرسل لك محل الغسيل إخطارا عن طريق البريد لكن تحضر لاستلام غسيلك !!! . . . . .

والدولة هنا تؤجر الشقق للمواطنين وفيها المطبخ كاملا بكل أدواته من دواليب وبوتاجاز فرن وسخان وثلاجة ، لكنها فيما عدا ذلك تترك لهم حرية تأثيث باقى الشقة بالأثاث الذى يختارونه هم حسب أذواقهم وحسب قدراتهم . . المدهش الذى علمته أيضا أن إيجارات هذه الشقق - بالنسبة لنا فى مصر - رخيصة للغاية . . فهى تتراوح بين ٢٠ مارك للشقة غرفة واحدة وصالة (نحو ثلاثة جنيهات مصرية) ، صعودا إلى ٨٠ مارك (نحو ١٣ جنيها مصريا) للشقة ثلاث غرف وصالة فى أفخر العمارات هنا وفى أحسن موقع فى المدينة . . . عقبالنا يارب . . . . .

لفت نظرنا فى

منطقة العمارات الحديثة أنها كلها تصميم واحد ولون واحد ، فيما عدا مبنى كبيرا وعريضا جدا لونه مختلف ومميز . . فلما سألنا عنه قيل لنا أنه مخصص لسكنى الشبان العزاب الذين يعملون فى ميناء « ڤيسمار » ، ومع ذلك فغير ممنوع أن تتردد عليه صديقاتهم من الفتيات فى أى وقت ولأى مدة ، بشرط ألا تصبح إقامتهن إقامة دائمة !! . . وبنفس النظام يوجد مبنى آخر للفتيات غير المتزوجات اللاتى يعملن فى الميناء ، وأيضا ليس هناك مانع من أن يتردد عليهن أصدقاؤهن من الشبان فى غرفهن ، بشرط عدم المبيت - فقط - عنـدهن !!!! . . . . .

برضه عقبالنا يارب !! . .

موضة الجلاليب البلدى

الحريمى كانت قد ظهرت فى القاهرة والإسكندرية قبل بدء رحلتنا هذه بفترة قصيرة . . « سلمى » أحضرت معها واحدة من هذه الجلاليب وخرجت بها إلى شوارع « ڤيسمار » فأوقفت - كما نقول فى مصر - الشوارع هنا على رجل . . لفتت أنظار كل الرجال وكل النساء . . الرجال يفتحون أفواههم من الدهشة والإستغراب كأنهم يرون أسدا لابس جزمة كاوتش ، والبنات والنساء يتوقفن عن السير وتدور أعناقهن ليلتفتن مندهشات مبهورات وراء « سلمى » بجلابيتها الفضفاضة المرحرحة ذات الأكمام الواسعة و(القطان) أو (الليزريه) الملون حول الأكمام وحول العنق وفتحة الصدر . .

ولم يخب حدس وتصورى . . فقبل أن نغادر « ڤيسمار » بعد ذلك بثلاثة أسابيع كانت قد ظهرت فى شوارع المدينة ٣ أو ٤ جلاليب من نفس النوع بتنويعات أوروبية على أجساد البنات الألمانيات . . لكن يروحوا فين جنب ظرف وخفة دم البنت المصرية ؟ ! . . . .

عدنا اليوم إلى

السفينة الساعة ٢,٣٠ ظهرا فلم نجد غداء متروكا لنا . . وقلت ذلك للقبطان فابتسم ابتسامة ساقعة وقال شامتا : « أصلكم اتأخرتم عن ميعاد الغدا . . » . . . . وفى المساء لم يحضر لنا السفرجى العشاء فى القمرة فنزلنا لنتعشى فى الصالون فوجدنا السفرجية قد أنهوا العشاء بدرى الليلة وأغلقوا الصالون نفسه ونزلوا يتفسحوا فى البلد !! . . وعرف القبطان بذلك فلم يفعل أكثر من أنه قال لنا أن الأكل هنا فى البلد دى رخيص جدا ، يعنى - ببساطة جدا - روحوا كلوا فى البلد !!!! . . . .

لكنه مع ذلك ثار ثورة عنيفة وسمعت السفينة كلها صوته حين عاد إلى السفينة فى الثانية صباحا فوجد أن السفرجية لم يتركوا له عشاء فى قمرته . . وزعق وفتح حسه وأيقظ الطباخ والخباز والسفرجية جهزوا له سفرة فورا !! . .

يوم أن دخلت سفينتنا

ميناء « ڤيسمار » وركنت على الرصيف ، سلمت سلطات الجمارك فى الميناء لكل واحد من أفراد طاقم السفينة بطاقة صغيرة مطبوعة مسجل فيها إسمه وإسم السفينة والمبلغ الذى صرفته له السفينة بالمارك الألمانى الشرقى . . والمفروض أن هذا المبلغ هو المسموح له بالصرف فى حدوده . . وكلما كان عائدا من المدينة إلى سفينته داخل الميناء فحص رجال الجمارك على بوابة الميناء المشتروات التى يحملها معه وعرفوا ثمنها وسجلوه على ظهر البطاقة التى معه وخفضوه من الرصيد الأصلى . . وكل مرة هكذا حتى ينتهى رصيده تماما فتحسب منه هذه البطاقة ولا يسمح له بدخول الميناء بأى مشتروات أخرى بعد ذلك .

لكن الذى يحدث عادة هو أن رجال الجمارك مرة يصهينوا ومرة يفوتوا ومرة ما يدقوش ومرة يطنشوا ومرة يعملوا نفسهم مش واخدين بالهم ، ومرة واحدة كل ١٠ مرات يفتشوا ويسجلوا ، وكل واحد وحظه . . والذى حدث اليوم أن سوء الحظ أوقع اثنين من أطيب أفراد السفينة وأشدهم تهذيبا وخلقا ، أوقعهما حظهما السيء فى براثن رجال الجمرك الألمان وهما عائدين إلى السفينة ومعهما مشتروات بمبالغ أكثر من المسجلة على بطاقتيهما : مسجل فى بطاقة كل منهما أن معه ٩٠ ماركا ، ووجد رجال الجمارك معهما مشتروات بأكثر من ذلك كثيرا ، فتركوا لكل منهما ما قيمته ٩٠ ماركا من المشتروات التى يحملها وصادروا باقى المشتروات ، ثم فتشوهما بعد ذلك وصادروا كل ماوجدوه معهما من العملات : صادروا ٢٥٥ ماركا من واحد منهما و١٥٠ ماركا من الثانى . . ووجهة نظر

رجال الجمارك الألمان أنه إذا كانت السفينة قد صرفت لكل منهما ٩٠ ماركا فقط ، فمن أين له كل هذه المبالغ الزائدة ، إلا اذا كانت من التهريب . . ويحمدوا ربنا أن رجال الجمارك قد اكتفوا بذلك ولم يضعوهما فى السجن ويعملوا لهما قضية تهريب !!

قطعا هذين الإثنين باتا الليلة متنكدين آخر نكد ، فقد باظت الرحلة بالنسبة إليهما من ناحية المشتروات وخسرا الجلد والسقط . . ليس ذلك فقط ، لكنهما أيضا سيظلان طول عمرهما بعد ذلك فى القائمة السوداء لرجال الجمارك الألمان . .

نزلت أنا و « سلمى »

نتمشى اليوم نستكشف جانبا جديدا من المدينة لم نكن قد رأيناه من قبل . . وظللنا نمشى نمشى والكلام واخدنا حتى وجدنا أنفسنا قد وصلنا دون أن نشعر إلى أقصى أطراف المدينة عند بلاج (وندورف) . . تعبت « سلمى » جدا فقررنا أن نعود فى الأوتوبيس الألمانى الذى نركبه لأول مرة رغم أنه قد مر علينا نحو عشرة أيام الآن فى « ڤيسمار » . . وفى الأوتوبيس حدث لنا مطب من المطبات السخيفة الرذلة المحرجة التى يقف الواحد أمامها عاجزا خيبانا لا يعرف كيف يتصرف . .

الأوتوبيسات هنا تصعد من الباب المجاور للسائق فتجده جالسا فى غرفة زجاجية مغلقة غير مفتوح فيها إلا فتحة صغيرة جدا تطل منها فوهة ماسورة صغيرة تنتهى بعلبة موجودة إلى جوار السائق فى داخل هذه الغرفة الزجاجية المغلقة . . والمفروض أن تكون فلوسك ـ الفكة ـ ثمن التذكرة جاهزة فى يدك وأنت صاعد تسقطها فى فوهة هذه الماسورة فتنزلق حتى تستقر فى العلبة إلى جوار السائق . . لن يراجعك أو يعد عليك أو يسألك كم وضعت والمسألة متروكة لأمانتك ، فالتذكرة بـ٢٠ فينيك أو ما يساوى ٣ قروش مصرية . .

ركبنا الأوتوبيس أنا و « سلمى » ، ونحن صاعدان على السلم وضعت يدى فى جيبى فلم أجد فيه غير ورقة واحدة صحيحة بعشرة ماركات : تصور أنت أنها جنيه مصرى كامل مثلا وأنا أريد تذكرتين بستة قروش ، والسائق ليس لديه وقت ليشغل نفسه أو ليعطل نفسه بالبحث لسيادتك عن فكة . . فوقفت أمام السائق محرجا مخضوضا والماركات العشرة فى يدى لا أعرف ماذا أفعل . . وكانت « سلمى » قد سبقتنى ودخلت وقعدت واستربعت ولا هامها ، تشغل نفسها ليه بالمسائل التافهة دى ؟ ! . . ونظر السائق إلىّ ورأى فى يدى الورقة ذات العشر ماركات ففهم الموقف على الفور طبعا وعرف أننى أجنبى ، فقال كلاما بالألمانية لم أفهم منه حرفا واحدا طبعا ، فهز كتفيه وأغلق أبواب الأوتوبيس وبدأ فى السير !! . . فهززت كتفى أنا الآخر فى استسلام ودخلت فجلست إلى جوار « سلمى » وأنا (أشهر) فى يدى طول الوقت الورقة ذات العشر ماركات وأنا فى منتهى الحيرة ، ومتوقع فى أى لحظة أنه سوف يوقف الأوتوبيس ويشخط فينا ويطردنا وينزلنا منه أويسلمنا للبوليس الألمانى . . لكن الراجل ماعبرناش ولا سأل فينا . . وتوقف الأوتوبيس بعد ذلك فى عدة محطات ، وصعد ناس ونزل ناس ، دون أن يسأل برضه عنا . . حتى

جاءت محطتنا المفروض أن ننزل فيها وفاتت دون أن أجرؤ على النزول . . وبعد أن فاتت عدة محطات أخرى بعد محطتنا قمت وذهبت إليه لأسأله بالإنجليزية من وراء زجاج غرفته المغلقة إن كانت قد جاءته فكة لكى يأخذ ثمن التذكرتين ويعطينى الباقى ؟ . . لكنه رد علىّ بالألمانية بكلام كثير لم أفهم منه شيئا أيضا ، الشىء الوحيد الذى فهمته كانت إشارته بيده التى ترجمتها على أن معناها : « إتفضلوا مع السلامة ، بس إبقى جهز الفكة معاك بعد كده لما تيجى تركب الأوتوبيس » !! . . . . .

وعدنا ٤ محطات طويلة سيرا على الأقدام حتى وصلنا إلى محطتنا الأصلية . . ومن يومها وأنا لا أخرج إلا وفى جيبى جنيه كامل فكة معدنية ألمانية مختلفة الأشكال والأحجام والفئات . . وظللت حتى آخر يوم لنا فى « ڤيسبار » أدقق النظر فى وجه كل سائق أوتوبيس أركبه بحثا عن السائق إياه ، حتى أدفع له ثمن التذكرتين اللتين أعفانا منهما ، كنز خيره !! . . . .

ويبدو أن الفقس لما يسعد

تيجى له سهرتين فى ليلة . . فقد حدث لى اليوم أيضا موقف يعتبر أحرج موقف صادفنى فى حياتى الصحفية كلها حتى الآن . . دخلنا ـ « سلمى » وأنا و« خيرى » ـ محل (كوفهاوس ماجنت) أكبر محلات المدينة ، وهو من عدة طوابق بنظام المحلات الكبيرة الشهيرة فى أوروبا ، ومثل محلات شيكوريل وشملا وعمر أفندى وجاتينيو عندنا فى القاهرة . . وبعد أن طالت جولتنا فى طوابقه المتعددة أكثر من ساعة ، نزلنا مرة أخر الى الطابق الأرضى لنغادر المحل . . وفى طريقنا الى باب الخروج لفت نظر « سلمى » زجاجة (پارفان) ظريفة جدا : على شكل جبل جليد عائم فوقه فى مكان الغطاء يقف تمثال صغير للدب القطبى شعار روسيا . . وطلبت « سلمى » أن تشترى الزجاجة ، ولما كانت الزجاجة موضوعة فى ڤاترينة زجاجية مغلقة فقد أريتها للبائعة الحسناء الصغيرة لكى تحضر لى واحدة مثلها . . لكن يبدو أنها كانت الأخيرة عندهم فى المحل ، لذا فقد بدأت البائعة الحسناء تزيح الضلفة الزجاجية من مكانها بيديها الإثنتين لكى تحضر لى الزجاجة من الڤاترينة ، وأنا واقف إلى جوارها أرقبها وأنا شديد الإشفاق عليها وهى تحمل بيديها الرقيقتين ذلك اللوح الزجاجى الواضح أنه ثقيل جدا فعلا . . لذا فما أن أزاحته ـ بعد مجهود ـ من مكانه حتى أردت أن أتصرف أنا كـ (چنتلمان) وأساعدها حتى لا أحملها عناء ركن اللوح الزجاجى الكبير على الأرض وسنده على جدار الڤاترينة ريثما تمد يدها إلى داخل الڤاترينه لتحضر لى الزجاجة من مكانها . . أردت أن أوفر عليها هذا كله فمددت أنا يدى بسرعة إلى داخل الڤاترينة والتقطت زجاجة الـ (پارفان) ورفعتها من مكانها . . وكأننى دست على زر أطلق شحنة من المفرقعات تكفى لنسف المدينة كلها : تدربكت الدنيا فى لحظة واحدة فى داخل الڤاترينة وانهارت كل زجاجات البارفان والعطور والكولونيا من مكانها داخل الڤاترينة على الأرض فى فرقعة وقرقعة شديدة مدوية وسقطت الرفوف الزجاجية على بلاط الأرض لترتطم به بعنف فى أعلى صوت رنين وصليل وجلجلة ممكن أن تتخيلها فى مكان هادىء جدا يدور كل شىء فيه همسا . . ونزل علىّ سهم الله وأنا أرى نفسى فجأة وقد هدمت المحل والزجاج المفرقع المتطاير المتناثر

حولى فى كل مكان ، والفتاة البائعة المسكينة راكعة على ركبتيها أمامى على الأرض متشبثة باللوح الزجاجى الكبير الذى بين يديها كأنها تحتمى به وهى لا تعرف بالضبط ـ ولا أنا ـ ماالذى حدث ؟ ! . . وكل الناس الذين فى المتجر يهرعون برعب وهلع شديدين فى اتجاهنا وكأن قنبلة زمنية شديدة الإنفجار قد فرقعت فى المحل . . وأنا واقف فى مكانى ومتصلبا متخشبا متلبشا كطفل صغير ضبط متلبسا بذنب لا يعرفه ، وقد أوشكت أن ألقى بنفس منبطحا على الأرض لأحتمى من الإنفجار الذى تصورته . . . . وكان المنظر على بعضه يؤكد أن شيئا رهيبا قد حدث ، ولو كان ذلك قد حدث فى متجر فى نيويورك مثلا لأخرج حراس المحل مسدساتهم وأطلقوها علىّ فورا قبل أن يسألوا عما حدث !!!! . . . .

وانتهــت فــرقعات الــزجاج

والبللور بعد أن استقر كل شىء على الأرض فى كومة كبيرة واسعة من حطام زجاجات البارفان والكولونيا والعطور وعلب وأدوات الماكياج وشظايا الزجاج المهشم المكسور . . ونهضت الفتاة البائعة من ركعتها بهدوء شديد بعد أن أسندت اللوح الزجاجى الذى كان لا يزال فى يديها على جدار الفاترينة ، وهى تبتسم لى لتطمئننى وتهدئنى بعد أن رأت شحوب وجهى ومقدار إحساسى بهول مافعلت . . وبدأ الناس الذين كانوا قد تجمعوا حولنا على صوت الإنفجار العظيم وهم يتمتمون بكلمات وعبارات باللغة الألمانية لم أفهم منها حرفا واحدا طبعا ، بدأوا ينحسرون ليعودوا إلى ماكانوا فيه . . وبدأت أنا أسترد أنفاسى قليلا وأنا فى شدة الخجل والكسوف وأنا لا أدرى ماذا أفعل ولاكيف أتصرف فى هذه المصيبة . . وكل ما استطعت أن أفعله هو أن أعتذر بخجل شديد للبائعة الحسناء وأبدى استعدادى لدفع قيمة كل الخسائر التى تسببت فيها . . وابتسمت لى ابتسامة رقيقة مهدئة واستأذنتنى وغابت عنى أقل من نصف دقيقة فى غرفة جانبية صغيرة ، ثم عادت لتأخذ زجاجة الـ (بارفان) من يدى وتلفها لى ، وتأخذ من يدى ثمنها فقط وتدقه على الماكينة الحاسبة أمامها وتعطينى الفاتورة كأن شيئا لم يكن ، فسألتها وأنا مندهش : « والخسائر التى أحدثتها ؟ ! » فتجيبنى وابتسامة عذبة تضىء على شفتيها الجميلتين : « لاتشغل بالك بما حدث . . إنساه . . وسوف يسعدنا أن نراك دائما عندنا » . . . .

ونحــن فــى طــريقنا

الى خارج المتجر بعد أقل من ٥ دقائق كان كل شىء فى الفاترينة قد عاد إلى مكانه تماما ، والرفوف الزجاجية وزجاجات البارفان التى تحطمت قد حلت محلها رفوف جديدة وزجاجات جديدة وليست هناك شظية زجاج واحدة فى الأرض ، كأن شيئا لم يحدث على الإطلاق ، وكأن حسين قدرى لم يمر من هنا . . . .

ونحـــن نضـــع أقـــدامنا

على بداية سلم السفينة توقفت « سلمى » لحظة وقد بدا عليها أنها تفكر فى شيء .ما . . وتوقفت أنا أيضا والتفت إليها متسائلا . . قالت متفكرة : « تعـرف . . قزازة البـارفان مش عـاجبانى أوى . . تعـالى نروح نـرجعها ونـاخد ثمنها » !!!!! . . . . .

الفصل الحادى عشر

الفلاح الفصيح .. فى أوروبا .!

مر علينا صباح

اليوم مستر « جونتر دومكه *Gunter Domke* » مدير ميناء ڤيسهار ، ليأخذنا من السفينة بسيارته الـ «موسكوفيتش» الحمراء ، وهى تشبه إلى حد كبير السيارة الـ « نصر ١٢٨ » . . مستر « دومكه » دعانا إلى جولة فى « ڤيسهار » نفسها ثم إلى زيارة مدينة « چيفرين » على بعد ٣٥ كيلو مترا من هنا . . المشوار بين المدينتين رائع الجمال شديد الظرف ، والطريق شديد النعومة كأنه مفروش بحرير ولا مطب مصرى واحد جاء وراءنا من القاهرة . . البحيرات والغابات الطبيعية شديدة الإنتشار هنا ترافقنا طول المسافة ، كلما سارت بنا السيارة بضعة عشرات من الأمتار وجدنا على يميننا غابة وعلى يسارنا بحيرة أو العكس ، على يميننا بحيرة وعلى يسارنا غابة . . الأشجار على الجانبين عالية باسقة ظليلة وارفة توحى بالشعر لو كنت أستطيع أن أكتبه . . الأماكن الكثيرة جدا المعدة لاستقبال الراغبين فى قضاء عطلة نهاية الأسبوع . . عظمة طبيعية حقيقية فعلا . . وإذا كان ذلك هو شكل طريق فرعى طوله ٣٥ كيلو مترا فقط يوصل بين مدينتين صغيرتين من مدن ألمانيا ، فما بالك بباقى ألمانيا كلها ؟! . .

فى الطريق الى « چيفرين » نستريح قليلا فى كازينو صغير جدا جدا مبنى على شكل طاحونة هواء هولندية بمروحتها الشهيرة العالية . . الكازينو نفسه من الداخل ضيق جدا وصغير جدا ، لكن ملحق به ومبعثرة حوله عدة كبائن صغيرة كل واحدة منها على شكل برميل كبير جدا راقد على جانبه ، وله باب صغير . . تدخل هذا البرميل لتجد بداخله (دكتين) ومائدة مصنوعين من خشب الشجر بشكله الطبيعى تتسع لأربعة أشخاص ، يادوب واخدهم بالعافية . . يأكلون ويشربون على هذه المائدة فى داخل هذا البرميل الكبير . . وإذا كان معهم كلاب فإن حضرات الكلاب تنتظر أصحابها فى أكشاك خاصة من نفس الطراز : براميل صغيرة من نفس النوع راقدة على جوانبها ولها فتحة مكان الباب ، لكنها طبعا ليست بها مائدة تتسع لأربعة كلاب !! . .

وفى الطريق إلى

« چيفرين » نتوقف مرة أخرى ليرينا مستر « دوكه » برج چيفرين الذى يشبه برج الجزيرة عندنا فى القاهرة ، وفيه أيضا فى الدور الثانى عشر قبل الأخير كافيتيريا مثل التى فى برج الجزيرة عندنا ، مثلها فقط فى أنها لاتدور حول نفسها ، لكنها أحسن منها

ألف مرة فى الشكل وفى النظافة وفى حسن الخدمة ، وفى الجرسونات الألمانيات الحسناوات . . وفى الدور الأخير يوجد ـ زى عندنا ـ المنظار المكبر الذى تطل منه على ما حولك فلا ترى إلا بحيرة واسعة كبيرة ومروج خضراء خضراء خضراء : مساحه خضراء هائلة تسرح مخك حتى نهاية الأفق ، حتى لتظن أن الكون كله قد أصبح لونه أخضر . .

أما البرج نفسه ـ كبناء معمارى ـ فهو متواضع جدا وبسيط جدا وعادى جدا ، وبرج الجزيرة عندنا فى القاهرة أشيك وأجمل منه ـ من الخارج ـ ألف مرة ، وأعلى منه ٣ مرات على الأقل . . لكن أهم ما يميز البرج هنا قطعا هى تلك الحسناء الظريفة جدا الرشيقة جدا القطة جدا كأنها تلميذة نضرة بريئة فى سنة أولى ثانوى تعمل فى أجازة الصيف . . ومين عارف ، مش يمكن تكون هكذا صحيح ؟! . . ولابد أن تسحرك ابتسامتها الرقيقة التلاميذى لدرجة أن تسلم لها حقيبتك دون أن تفتح فمك ، وتأخذ منها النمرة المعدنية الصغيرة التى ستتسلم بها الحقيبة وأنت نازل بعد زيارتك للبرج ، فلا تتذكر أنك صحفى وأنك تركت عندها الحقيبة وفيها كل كاميراتك التى ستصور بها البرج ، إلا بعد أن يصل بك المصعد إلى آخر دور فى البرج فعلا !!

ونصل إلى جيفرين

وتستمر جولتنا بها أكثر من ٤ ساعات ، لكننى سأوجل الكلام عنها الآن لأننا سنزورها مرة أخرى قريبا . .

وفى طريق عودتنا يمر بنا مستر « دومكه » على منطقة خلوية فى وسط المزارع ، بها مجموعة ڤيللات صغيرة أقرب إلى الشاليهات ، ليدعونا إلى كأس من عصير التفاح فى هذا المكان الظريف ، الذى نكتشف أنه معسكر من معسكرات الأطفال المنتشرة فى كل أرجاء ألمانيا الشرقية والغربية . . معسكر مختلط للـ (أطفال) بين ١٣ و١٦ سنة ، صبيان وبنات ، تأتى إليه الأفواج من المناطق المحيطة به ، كل فوج مكون من ١٠٥ (طفلا) و(طفلة) ـ أكرر : أعمارهم بين ١٣ و١٦ سنة !! ـ ليقيموا فى هذا المعسكر لمدة ١٧ يوما إقامة كاملة بعيدا عن أسرهم وعائلاتهم ، من باب الترويح عنهم وانبساطهم !!

واضح أن ألمانيا كلها ـ الشرقية والغربية ـ لايعانى « أطفالها » من مشاكل الكبت على الإطلاق !!

وفى نهاية الجولة

يعيدنا مستر « دومكه » مرة أخرى حتى باب سفينتنا ، ويهدى إلينا علم مدينة « ڤيسمار » تذكارا لزيارتنا وتقديرا للصحافة المصرية ممثلة فى أشخاصنا . .

وبعد عودتنا إلى السفينة اكتشفت أن كل واحد من أفراد الطاقم الـ ٤٥ لديه علم من نفس النوع . . الظاهر برضه تقديرا للصحافة المصرية !! . .

تاج المدينة . . السلطانية !! . .

مـن خطـاب مـن

« سلمى » فى ألمانيا إلى أختها فى القاهرة :

« كل حاجة هنا جميلة جدا ياحنان .. كل حاجة حواليكى جميلة ونظيفة ، الشوارع والمبانى والبيوت والفيللات والمحلات والمعروضات والناس .. والستات والبنات كلهم زى القمر ، يهبلوا ، متفصلين تفصيل .. والبنات مشلحين على الآخر والبنت منهم يتهيأ لك أنها معمولة مخصوص ، شغل يد ، عمولة : شعر وعينين وجسم وقوام وصحة ومشية ودلع .. أنا شخصيا باتهبل على حلاوة البنات اللى هنا أكثر من الأستاذ حسين ، والله يكون فى عون الأستاذ خيرى !! » ..

« والأطفال اللى هنا ياحنان : طول ما احنا ماشيين نعاكسهم ونبصبص لهم من كتر حلاوتهم وطعامتهم والسكر اللى بينقط منهم .. وعلى أبواب المحلات الكبيرة دايما تلاقى الأمهات يدخلوا المحل علشان يشتروا لوازمهم ويسيبوا أطفالهم الصغيرين فى عربيات الأطفال على باب المحل من برة .. نفوت إحنا على المحل من دول نلاقى ٤ ـ ٥ عربيات أطفال راكنين على الباب ، نقف نلاعبهم ونلاغيهم ونصفر لهم ونهشكهم ، والناس اللى فايتين رايحين جايين يضحكوا ويسخسخوا علينا وعلى هبلنا ، الظاهر مش واخدين على الحكاية دى وعلى إن حد يلاعب ويدلع أطفالهم كده » ......

الجرسونة الحسناء فى

مطعم (شتادت چيفرين) طلبنا منها على العشاء فراخا مشوية ، فلم تفهمنا .. إنجليزيتها لم تسعفها وألمانيتنا لم تسعفنا .. قلنا لها كلمة (دجاج) بكل اللغات التى تعرفها فلم تفهم .. نحن أيضا لا نعرف معناها باللغة الألمانية .. لم يكن أمامنا غير هذه الطريقة : رسمنا لها على قائمة الطعام دجاجة ، وحرك الضباط الثانى « الحسينى » كوعيه كأنهما جناحين وقلد صوت الديك قائلا : « كوكو كوكو » .. فتهلل وجه الفتاة إشراقا وسعادة وصاحت بالألمانية : « آخسو » يعنى : « آه ، فهمت » .. وذهبت فأحضرت لنا أطباق بيض مقلى !!!!!........

كنـا نسـير فـى

الشارع فى « ڤيسمار » فى طريقنا إلى نادى البحارة (السيمن كلوب) ، مجموعة من ضباط السفينة « رمسيس » ومجموعة الصحفيين والقبطان .. ـ القبطان أطولنا جميعا ، ولعله أطول واحد على السفينة كلها (١٧٠ سم) ، لذا فقد كان هو الوحيد

الذى يسير تحت الرصيف حتى يصبح فى مثل طولنا .. رجل بوليس ألمانى استوقفنا وشخط فى القبطان بصرامة وطلب منه أن يصعد فوق الرصيف لأن السير تحت الرصيف ممنوع ، وإلا قبض عليه وأودعه السجن !! . . . .

وقفز القبطان إلى فوق الرصيف فورا بكل شجاعة دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة ، لأن اللماضة مع رجال البوليس هنا لاينفع فيها لقب قبطان ولاباشقبطان !! . . . .

من هوايات القبطان

البارزة ، غير أنه بطل مصر فى كل الألعاب والرياضات ، إطلاق الألقاب والتسميات على أهل السفينة ، تأكيدا لفكرة الظرف وخفة الدم .. يطلق على « محمد عبد الباسط » ضابط اللاسلكى إسم « زكى رستم » ، السفرجى « أبو الغيط » يطلق عليه « الغفير » ، كبير الضباط « على أبو طالب » يطلق عليه « على وزة » ، عم « زكريا » الذى يغسل الصحون فى المطبخ يسميه « شنبو » ، « عطيطو » السفرجى يسميه « منخار » . . . وأطلق على « خيرى » لقب « الراكب الإنجليزى » .. وفى وقت من الأوقات أطلق علىّ أنا (جيمس بوند) ثم « الحاج » و « الرجل الصامت » حتى كشرت فى وجهه وقلت له بغلاسة وتسخيف أننى لاأحب هذا النوع من الهزار وخفة الدم فى حكاية التسميات هذه بالذات ولا أحب أن يطلق على إسم غير إسمى ، وإلا فسأطلق عليه هو أيضا لقب (فضيلة الشيخ عصعص مفتى البحار المصرية) .. فكف فورا عن مناداتى بأى إسم ؛ حتى ولا بإسمى الحقيقى . . . .

كما يختلف الأشقاء

فى داخل البيت الواحد فى الملامح والسمات واللون ؛ وأيضا فى المزايا وفى العيوب وفى الطباع وفى الأخلاق .. فإن سفينتين مصريتين تتبعان لشركة مصرية واحدة وتقفان متجاورتين على رصيف واحد ـ الرصيف رقم ٨ فى ميناء ڤيسمار ـ وأخذتا مشترواتهما من ميناء واحد : ميناء « كيل » فى ألمانيا الغربية ؛ فى وقت واحد أيضا .. ومع ذلك نجد ـ على سبيل المثال فقط ـ أن كرتونة السجاير الـ « دانهيل » تبيعها السفينة « المندرة » لأفراد طاقمها بـ ١٠٤ قرشا ، بينما تبيعها سفينتنا لأفراد طاقمها بـ ١٤٦ قرشا . . . ليه ؟ .. الله وحده يعلم !!!!! . . . . .

قطة ألمانية سمينة

مربربة كانت تتهادى أمامى فى تقل وخيلاء .. أحب القطط طول عمرى .. قلت لها « بسبس » فلم تكلف نفسها عناء الرد علىّ ولا حتى الإلتفات إلى ناحيتى .. طقطقت لها بأصابعى فالتفتت إلى مصدر الصوت فقط ونظرت إلى وجهى باندهاش

كأنها تقول « الراجل الأهبل ده بيعمل بصوابعه كده ليه ؟ » . . . ويبدو أن الألمان يتفاهمون مع قططهم بوسائل أخرى غير البسبسة وطقطقة الأصابع . . وبالتالى تكون القطط المختلفة الجنسية حين تتقابل لاتستطيع أن تتفاهم مع بعضها . . فلا أعتقد أن هناك قطة تجيد اللغات القططية الأجنبية !!

رغم أننا الآن في

أواسط أغسطس ، الوقت الذى لايطيق الناس فيه مصر ملابسهم اللى عليهم من الحر، إلا أن الجو هنا شديد التقلب سريع التغير . . كان الجو صحوا طوال فترة الصباح والشمس مشرقة حتى أننا خرجنا بالقمصان النصف كم . . وفجأة قرب الظهر امتلأت السماء بالسحب السوداء الداكنة وتلبدت السماء واختفت الشمس تحت طبقة كثيفة من الغيوم ، حتى لتشعر أن الشمس لن تشرق بعد ذلك أبدا . . وينزل المطر رفيقا هينا أول الأمر ، ثم لاتلبث ان تفتح السماء أفواه القرب فتصب منها المطر غزيرا عنيفا شديدا يكاد أن يكون سيولا ، كأن السماء قد انخرمت وتحولت إلى دش عظيم بحجم السماء كلها . . .

ونطل من وراء زجاج نافذة قمرتنا الذى غبشه ماء المطر ، لنرى تلك الشابة الحسناء التى ظلت مجعمزة على الشاطىء المقابل لسفينتنا طول اليوم فى عز المطر وسنارتها فى يدها مدلاة فى الماء ، آل يعنى بتصطاد ، دون أن تصطاد بسارياية واحدة طول اليوم ، ومانابها إلا سيول المطر شربتها فوق رأسها وهى منكمشة ومتقوقعة تحت معطف المطر تحتمى به فوق رأسها كالخيمة . . رياضة إيه المهببة الهبلاء دى اللى تجيب للواحد نزلة شعبية أو التهاب رئوى ، أيهما أقوى !!! . . . .

ثم . . ما أن يمر وقت قليل حتى تجد أن السماء قد عادت إليها زرقتها وصفاؤها وكأنها لم يكن بها أبدا سحاب أوغيوم فى يوم من الأيام منذ سنة على الأقل . . . . .

لدينا دعوة الليلة

للعشاء صاحبها « موريس مرقص «ممثل الشركة المصرية العامة لأعمال النقل البحرى ، أو بإسمها الأجنبى (مارترانس) . . « موريس مرقص » هو المصرى الوحيد الذى يقيم فى هذه المدينة ، ومعه أيضا زوجته وأولاده : زوجته « نادية » التى كانت زميلته فى كلية التجارة ، وابنه الوسيم « هانى » ـ ١١ سنة ـ وطفلته الظريفة « نيڤين » ـ ٧ سنوات . .

« موريس مرقص » رغم أنه قد مضى عليه هنا مايقرب من سنة ونصف الآن . إلا أنه ليس لديه سيارة بعد . . يمكن لأنه لا يحتاجها لأن المدينة نفسها صغيرة والإنتقال فيها لايحتاج إلى سيارة . . لذا فقد التقينا وعرفنا بزوجته وطفليه على محطة الأوتوبيس القريبة من الميناء ، ثم ركبنا

كلنا أوتوبيس رقم ١ إلى نهاية الخط حيث بلاج « وندروف » ، حيث يوجد أيضا كازينو ظريف هناك كانت جلستنا فيه . .

طارت من رأسي كل الموضوعات التي كنت أفكر في مناقشتها مع « موريس مرقص » حين لاحظت كيف يتعامل إبنه الصبي وابنته الطفلة مع الشارع الألماني وشكل الحياة الألمانية ، لم يعد يثير الصبي ولا الطفلة المصريين أو يلفت نظرهما منظر القبلات المتبادلة بين الشبان والفتيات في الشوارع أو على محطات الأوتوبيس أو في الكازينوهات والأماكن العامة عيانا جهارا وليست خطفا واختلاسا . . خلاص اعتادا عليها وزالت الإنبهارة والخضة منها حتى أنهما لم يعودا يلتفتان إليها حين تحدث على مقربة منهما !! . .

ويحكى لنا « موريس »

وزوجته « نادية » حكايةذات مدلول نفسي واضح جدا : حين التحقت « نيفين » الصغيرة عند وصول الأسرة إلى ألمانيا بمدرسة الأطفال دون سن المدرسة ، كانت حين تجلس في البيت لترسم ، ترسم أطفالا عرايا واضحة فيهم تماما أعضاء الذكورة وأعضاء الأنوثة ، لتفرق بين الولد والبنت في الرسم . . كانت هذه هي الإنطباعة الجديدة عليها تماما نتيجة أنهم هنا حين يدخل الأطفال الحمام في المدرسة يدخلون معا : الصبيان والبنات معا . . فتفاجأ « نيفين » الصغيرة القادمة من مصر غير معتادة على أن يستحم الأطفال الصبيان والبنات معا في حمام واحد في وقت واحد ، تفاجأ بأن هناك اختلافا بين الصبيان والبنات لم تكن تعرفه ، ويظهر أثر ذلك واضحا تماما في رسوماتها . . لكنها بعد أن قضت فترة في المدرسة أصبحت هذه المسألة بالنسبة إليها عادية تماما ، فعادت تنظر إلى البنات والصبيان بنظرة عادية ، وأصبحت حين ترسمهم ـ الآن ـ ترسم الصبيان يرتدون بنطلونات والبنات يلبسن فساتين . .

إعتادت « نيفين » الأمر خلاص . . وماأكثر ما سوف تعتاده الطفلة المصرية إذا استمرت بها الحياة في أوروبا حتى تكبر !! . .

ويقول لى « موريس »

أن الحياة هنا بالنسبة للأجنبي صعبة جدا في البداية ، العامل اللغة الجديدة أولا ، ثم لأن الألمان الشرقيين بشكل عام يخشون الأجانب ولايطمئنون إليهم إلا بعد أن يعاشرونهم فترة طويلة ويتأكدون ويرتاحون إليهم فيثقوا فيهم . .

طريف جدا وواضح جدا وصريح جدا « موريس مرقص » حين يقول لنا بكل بساطة ـ نحن ضيوفه على العشاء ـ أنه لايدعو إلا الناس الذين له مصلحة عندهم وبيدهم تسهيل أموره !! . .

الأظرف من ذلك أن كل مصرى من المصريين الذين التقينا بهم خلال رحلتنا ، كلهم بلا استثناء ، شتم فى المصريين الآخرين ولعن أبو خاشهم وقال عنهم أنهم لصوص وحرامية وبيسمسروا ويستاهلوا الشنق أو على الأقل الحرق ، وذلك لكى يظهر كل منهم نفسه على أنه ملاك بجناحين وأنه أطهر رجل فى العالم وأنه يبات طول الليل يبكى ويتهجد من خشية الله !! . .

الصحفى رزقه فى

رجليه دائما : وأنا خارج عصرا التقى بعد خروجى من بوابة الميناء بلقطة صحفية ظريفة جداً : إثنان من بحارة السفينة المصرية (المندرة) التى تركن الى جوارنا على نفس الرصيف ، خارجان من الميناء . . دقت أجراس مزلقان السكة الحديد القريب من الميناء وأقفلت البوابة قبل أن يصلا إليها ويعبراها ، فببساطة مصرية شديدة إنحنى كل منهما ومرا من تحت البوابة المقفلة كما يحدث عندنا فى مصر عند أى مزلقان ، لكنهما لم يعملا حساب الشىء الذى لايحدث فى مصر : خرجا من تحت بوابة المزلقان من الناحية الأخرى ليجدا نفسيهما فى حضن رجل البوليس الألمانى وفى يده (قسيمة غرامة) لكل واحد منهما ليدفع ثلاثة ماركات ـ ٨١ قرشا بالسعر الرسمى ـ تدفع فورا وحالا : يا الدفع يا الحبس . . مفيش تفاهم ولا تنازل عن النظام من أجل سواد عيون المصريين . . ولم ينفع مع رجل البوليس الألمانى « معلش يا شاويش مش حانعمل كده تانى » ولا « ربنا يخليك لأولادك يا حضرة الصول ، خد المارك ده عشانك وبلاش الغرامة » أو « طيب ندفع إحنا الإثنين ٣ مارك وكفاية قسيمة واحدة » . . مفيش فايدة ، وكع كل منهما ٣ مارك زى الشاطر وأنا أقف لأتفرج عليهما من بعيد ،قلبى يزغرد من السعادة والفرح لأنهما سيرويان هذه القصة قطعا لأسرتيهما وأصدقائهما بعد أن يعودا إلى مصر . . وأنا متأكد أنهما بعد ذلك حين يسمعان صفارة قطار فى القاهرة سوف يقفان فى مكانهما متسمرين حتى يطمئن إلى أن القطار قد عبر كل المزلقانات من الإسكندرية حتى أسوان . .

أدب . . . . .

كنـا عائدين الى

السفينة ليلا بعد انتهاء سهرتنا فى المدينة : « سلمى » وأنا و « خيرى » وكبير الضباط « على أبو طالب » ، عبر الشارع الصغير الضيق المظلم « فيسكار ستراس » الذى يفصل بين المدينة والميناء . . فى ظلام الشارع الصغير وجدنا شابا وفتاتين يجلسون على عتبة باب بيت . . إستوقفنا الشاب وطلب ـ بالألمانية ـ سيجارة من كبير الضباط ، فتوقف « على » وأخرج علبة سجائره وطلب من « خيرى » أن يبقى هو معه ، وطلب منى أنا و « سلمى » أن نسبقهما (!!) . . وحينى لحقا بنا عند بوابة الميناء بعد نحو نصف ساعة كان « خيرى » متأثرا جدا وهو يحكى لنا ما حدث : الفتاتين هما شقيقتا ذلك الشاب الذى يبحث لأختيه عن صديقين تمارسان معهما الجنس علشان كلهم يبقوا مبسوطين !!!!! . . ساذج « خيرى » وطيب وأهبل « على

أبو طالب » اللذين صدقا هذا الكلام . . فأوضح من الشمس أن الشاب قواد ألمانى يسرح فتاتيه لمن يدفع ، تحت اسم الصداقة بين الشعوب ، تحت إسم العلاقات الإجتماعية ، تحت أى إسم يعجبك ، لكنه قواد والسلام والمسألة ليست فى حاجة إلى كبير تفكير . . لكن يبدو أن « الظلام » يشل التفكير أحيانا !! . .

مسكين « خيرى » . . مسكين « على » . .

« خيرى » رفض أن يذهب

معنا إلى بلاج (وندورف) اليوم . . إعتذر بأنه لم يعد يحتمل رؤية كل هذا الجمال الأنثوى الذى يحيط به وهو قد افتقد بشدة « بيته » . فكيف نريد منه أن يذهب الى البلاج ليزداد اكتواء وعذابا بالأجساد الألمانية البيضاء الناعمة فى المايوهات البيكينى كمان ؟! . .

إضطررت ازاء «حالة خيرى » إلى أن أعتذر عن دعوة كنت قد تلقيتها من الدكتور « الزعبى » الطبيب السورى الذى يعمل فى إحدى مستشفيات « ڤيسبار » ، للذهاب أنا وهو و « خيرى » لقضاء يوم على بلاج (نادى العراة) على بعد عدة كيلو مترات من المدينة . . فإذا كان « خيرى » مش مستحمل بلاجا عاديا بمايوهات بيكينى فماذا يمكن أن يحدث لو أخذته معى إلى بلاج نادى العراة ؟! . . خصوصا وأننى كنت أنوى أن أجعلها مفاجأة له ولا أخبره بشىء إلا حين يجد نفسه فجأة فى وسط البلاج وبين العراة والعرايات !!

بلاش . . الطيب أحسن !! . .

نزلت أنا و « سلمى »

و « خيرى » بعد الغداء مباشرة لنفعل شيئا جديدا ونحاول أن نستكشف أماكن فى ڤيسبار لم نرها من قبل ، فوقفنا على محطة الأوتوبيس وركبنا أول أوتوبيس وصل دون أن نهتم برقمه ولا إلى أين هو ذاهب . . وذهبنا معه إلى آخر الخط . . آخر حدود المدينة عند ضاحية اسمها « أمسيلويج » . . حقول كثيرة كثيرة وشارعين ريفيين أو ثلاثة فيهم ڤيللات صغيرة على الطراز الألمانى الشهير بسقفها المخروطى الحاد المغطى بالقرميد الأحمر . . تمشينا نحو ساعة كان الناس القليلون الذين قابلونا فى الشوارع شبه الخالية ينظرون الينا بدهشة واستغراب كأنهم يعرفون أننا غرباء عن الضاحية . . وجدنا حديقة أطفال صغيرة « كندر جاردن » بها مراجيح ومنزلقات وأدوات للعب الأطفال ، لكننا لم نجد الأطفال أنفسهم ، يبدو أنهم كانوا قد عادوا إلى بيوتهم . . فدخلنا نحن الحديقة وتشعبطنا على مرجيحة وتمرجحنا عليها . . وركب « خيرى » على أحد طرفى مرجيحة الأطفال التى تشبه الميزان أو الرافعة ، وكان يكتشفها لأول

مرة . . وركبت أمامه فى الناحية الأخرى من المرجيحة ، وحين صعد فى الهواء ووجد نفسه معلقا فوق ، جحظت عيناه واحتبست أنفاسه وضغط فكيه بعنف واحمرت أرنبة أنفه ودمعت عيناه من تحت نظارته البيضاء وبدا عليه أنه على وشك أن ينفجر باكيا ، كأنه يركب صاروخا منطلقا به إلى الفضاء وحده . . فأنزلته برفق (هبوطا لينا) حتى لاتحدث له أزمة قلبية ويموت تشهيد المراجيح !! . . .

الفصل الثانى عشر

سقط
خيرى
سهواً .!

كان الافطار الذى

قدم فى صالون السفينة اليوم للضبابط والمهندسين والبحارة : قطعة جبنة بيضاء وقطعة حلاوة طحينية لا تكفيان إفطارا لتلميذ صغير فى سنة أولى ابتدائى ، فما بالك ببحارة يتسلقون الصوارى طول النهار ومهندسين وفنيين يستهلك جو غرف الألات صحتهم وعافيتهم طول اليوم ؟! . .

على أى حال فيبدو أنهم قد اعتادوا على ذلك ، فرغم أن هذا هو تقريبا شكل وجبة الإفطار على السفينة كل يوم ، إلا أن صوتا واحدا لم يرتفع بالشكوى حتى الآن : إما مبسوطين من كده وخدوا عليه ، أو خايفين حد يفتح بقه ويتكلم .

المهم أن ذلك يحدث

فى الوقت الذى يخبز فيه فرن السفينة نوعا خاصا من الخبز مختلف الشكل والحجم يقدم للقبطان وكبير المهندسين وحدهما فقط : خبز مدهون سطحه بالزبد !! ويطلع لهما فى قمرتيهما عينى عينك قدام كل الناس هنا يرونه وينظرونه ولا يجرؤ واحد منهم على أن يفتح فمه ويتكلم وإلا فلن يرى البحر مرة أخرى .

وناس آخرين على السفينة أيضا ـ الشهادة لله هما اثنان فقط وليس أكثر ، ويعتبران الطبقة الثانية فى هيئة كبار الحكام على السفينة ـ هذين الإثنين يأكلان فراخ كل يوم ، وأيضا توضع أمامهما الفراخ عينى عينك على مائدتها الخاصة أمام « باقى » الضابط والمهندسين والبحارة الذين يوضع أمامهم لحم كالكاوتش أو كجلد الحنفيات ، نوعا وحجما و . . مضغا !! . .

أما عن « حسان » : « أسد السفينة رمسيس الثانى » فحدث ولا حرج : فرخة لسعادته شخصيا كل يوم . . وحتى لا يكلف نفس سعادته عناء المصمصة والتفصيص ، فقد خصصوا له سفرجى خصوصى يتولى مهمة تخليص الفرخة من العظام وإطعامها لسيادته !! . . ويسأل فى ذلك الخباز « كمال بخيت » وباشريس بحارة السفينة « عبد الواحد محمد » الذى أراد أن يخطف الفرخة مرة من أمام الكلب ويرميها فى البحر ، فلما لم يستطيع جرى وراء « كمال بخيت » يريد أن يضربه !!!! . . . .

القبطان وحشنى .. لم

أره منذ عدة أيام ، وكذلك أهل السفينة لم يعودوا يرونه . . فهو يخرج من السفينة بمجرد أن يستيقظ قرب الظهر ، ولا يعود إليها إلا بعد الفجر . . كان الله فى عونه . . مشاكله ومهامه ومسئولياته كثيرة !! . .

ذهبت أقا و سلمى

والضابط الثانى " الحسينى " إلى مستشفى المدينة لزيارة البحار « سعيد بيومى » أحد أفراد طاقم السفينة . . « سعيد » وظيفته على السفينة (زيات) ومهمته تزييت آلات السفينة وماكيناتها ، ووظيفته على البر قبل أن يصبح بحارا : ترزى سيدات !! . . وسبحان مغير الأحوال . . هذه هى أول رحلة لـ « سعيد » فى البحر ، لذا كانت شاقة جدا عليه وتعب منها جدا وأغلب الوقت مصاب بدوار البحر وراقد فى سريره . . وما أن وصلنا الى ميناء « ڤيسمار » حتى كانت زائدة « سعيد » الدودية قد أعلنت العصيان وانفجرت . . ونقل « سعيد » إلى المستشفى حيث أجرى له الأطباء الألمان جراحة عاجلة لاستئصال الزائدة . . وقبل أن تنتهى فترة النقاهة كان الأطباء الألمان قد اكتشفوا أن « سعيد » يحتاج أيضا وبشكل عاجل إلى عملية أخرى لإزالة دوالى فى ساقيه . . وبعد الدوالى إكتشفوا شيئا ثالثا ثم شيئا رابعا . . ولم يهنأ « سعيد » طويلا بتحوله من ترزى سيدات إلى بحار ، فقد تحول هنا إلى زبون دائم فى غرفة عمليات مستشفى ڤيسمار . . ورتب زملاء « سعيد » فيما بينهم أن يزوروه فى المستشفى دائما بحيث لا يتركونه وحده فتزداد وطأة الغربة والوحدة عليه فوق وطأة المرض والعمليات الجراحية . . وهكذا زار أفراد السفينة جميعهم ـ حتى مجموعة الصحفيين ـ " سعيد " فى المستشفى ، فيما عدا واحدا فقط لم يتسع وقته لزيارته ، لأنه ـ كان الله فى عونه ـ مشاكله ومهامه ومسئولياته كثيرة !! . . . . .

وفى أوتوبيس ڤيسمار

نلتقى بصورة تصادفنى لأول مرة فى أوروبا كلها : فتاة لا يزيد عمرها عن ١٥ سنة على الأكثر ، سكرانة إلى أقصى حد ، تفرغ كل مافى جوفها وهى جالسة فى مقعدها داخل الأوتوبيس . . فيوقف السائق الأوتوبيس ويترك مقعده ويأتى لغاية عندها ليطلب منها أن تغادر الأوتوبيس فورا ، لكنها ترفض . . ويحاول أن يرغمها على النزول لكنها تتشبث بمقعدها ، فينذرها بأنها إذا لم تنزل الآن فورا فإنه سوف يأخذها معه إلى أخر الخط وهناك إما أن تدفع ٢٠ ماركا غرامة ـ نحو ثلاثة جنيهات وربع مصرية ـ أو تنظف أرض ومقاعد الأوتوبيس من كل ما أرجعته من جوفها . . ولا ترد عليه الفتاة بأكثر من أنها لن تغادر الأوتوبيس الآن . . فيعود السائق إلى مقعده ليقود الأوتوبيس مرة أخرى وعينه عليها من خلال المرآة الكبيرة الموضوعة أمامه

التى تكشف له الأوتوبيس كله من الداخل . . ويتوقف فى عدة محطات حتى قبل نهاية الخط بمحطة واحدة ، فتقف الفتاة فى مكانها وهى تترنح لتغادر الأوتوبيس ، فيسرع السائق بترك مقعده واللحاق بها بعد أن تكون قد نزلت فعلا من باب الأوتوبيس . . وتدور بينهما مناقشة حادة : هو مصر على أن تدفع له ٢٠ ماركا الآن حالا أو تقوم بتنظيف الأوتوبيس ، وهى تبكى ومنهارة تماما وتشير إلى بيتها القريب . . ولم يستجب السائق إلى توسلاتها وحملها حملا إلى داخل الأوتوبيس ، دون أن يتدخل أى واحد من الركاب ، ومنعت « خيرى » بالعافية لأنه كان يريد أن ينزل ليضرب السائق قلمين باللغة العربية !! . . واحنا مالنا ياخيرى ؟ . . هم ألمان فى قلب بعض مالناش دعوة بيهم . . هو احنا اللى حانحل لهم مشاكلهم ؟ ! . .

ويتحرك الأوتوبيس ليفرغ كل ركابه فى محطته النهائية ، ثم ينطلق ـ فاضيا ـ بالفتاة إلى حيث لا ندرى . . وإن كان « موريس مرقص » قد قال لنا بعدها أنه قطعا سوف يأخذ الفتاة إلى جاراج الأوتوبيس لتقوم بتنظيف الأوتوبيس هناك . . وأن ذلك فى ذاته رحمة بالفتاة وشفقة عليها من السائق . . أولا لأنه هو المسئول عن الأوتوبيس تماما ، عهدته ، هو الذى ينظفه بنفسه ، فلماذا يتحمل تنظيف ما يوسخه غيره . . وثانيا لأنه كان من الممكن أن يسلم الفتاة للبوليس الألمانى فيعمل لها ١٠٠ مشكلة : للفتاة نفسها أساسا لأن عمرها أقل من ١٦ سنة وغير مسموح لها بالشرب ولا بالسكر ، ولأسرة الفتاة أبوها وأمها اللذين لم يراقباها حتى لا تشرب وهى دون السن المسموح لها فيه بأن تشرب ، وللمحل الذى شربت فيه وقدم لها خمرا وهى أصغر من ١٦ سنة ، ولمدرستها ، ولأصدقائها الذين شربت معهم وتركوها تشرب ولم يمنعوها . . . . . وهكذا فإن تصرف السائق الذى بدا لنا فظا غليظا قاسيا ، كان فى غاية الشفقة والرحمة بالنسبة للفتاة !!

صحوت من النوم

بعد تعب طول النهار ، فى العاشرة مساء ، فوجدت السفينة كلها خالية تماما من طاقمها جميعه إلا أنا و« سلمى » فقط ، حتى الضابط النوبتجى لم نجده . . لففنا السفينة كلها نبحث عن أى حد نأتنس به فلم نجد . . فكرة خبيثة جالت بذهنى : نأخذ السفينة ونبحر بها ، وحدنا ، طالما أن أحدا لن يشعر بنا ، ونشغلها لحسابنا فى البحر ، أونعود بها إلى القاهرة ونعملها ذهبية على النيل ونؤجرها مفروشة ، أو نصبغها ونغير لونها ونقلبها تاكسى حتى لا يتعرف عليها أحد . . . . .

على مائدة الغداء

اليوم طلبت « سلمى » كوب ماء فذهب السفرجى « أبو الغيط » وأحضر كوبين وضع أحدهما ـ بعناية ـ أمامى ، ووضع الآخر أمام « سلمى » . . رشفت رشفة من كوبى فوجدته ماء فاترا من الحنفية ، ولاحظت أن كوب « سلمى » مغبشا فرشفت

منه رشفة فوجدته : مثلجا !! . . فناديت على « أبو الغيط » وسألته بسخرية : " إيه يا أبو الغيط المسألة بالضبط ؟ ! . . المية الساقعة عندكم ماكفتش غير كوباية واحدة بس والا إيه ؟ ! " . . فبدا عليه الحرج الشديد والكسوف الشديد ، وأخذ الكوبين وذهب على الفور وأحضر كوبين آخرين مليئين بقطع الثلج المكعبة ، وقال وهو يبدو مغلوبا على أمره وكأنه « عبد المأمور » : « والله ياأستاذ حسين القلب مليان كلام كتير لكن الواحد مش قادر يقول . . معلش ، أنا ماليش ذنب فى اللى بيحصل ده » !!

صباح اليوم التالى :

أحضر لى السفرجى « عطيطو » الشاى فى قمرتى فى السابعة صباحا كالمعتاد ، ثم نزل ليحضر لى الإفطار . . وانشغلت أنا فى الكتابة ولم أنتبه إلا فى الساعة العاشرة إلى أن « عطيطو » لم يعد مرة أخرى ولم يحضر لى الإفطار . . ناديته وسألته : « فين الفطار . . ماجبتوش ليه ؟ » فأجاب : معلش . . أصل الريس برهام - رئيس السفرجية - كان نايم » !! . . فقلت له بغيظ شديد : وأنا مالى اذا كان برهام نايم والا صاحى ؟ وهو لما يكون برهام نايم السفينة كلها تتوقف لغاية سعادته مايصحى ؟ . . إتفضل روح هات لى الفطار دلوقتى : وربنا يستر ومايكونش برهام بيه لسه نايم » . . يغيظك أكثر ويفرسك أكثر : « دلوقتى الساعة بقت عشرة وفى المطبخ بيجهزوا الغدا » !! . . أنا أعرف نفسى : سهل جدا أن أستثار فتحت حس عليه وقلت له : « إنزل هات لى الفطار دلوقتى حالا ، واللى يقول لك عليه برهام تعالى قوله لى فورا » . . بعد دقائق سمعت صوت « برهام » عاليا فى قمرة كبير الضباط القريبة من قمرتى . . ذهبت إليهم لأجد « برهام » يشكونى لكبير الضبابط وللضباط الإدارى « سعد سلامة » . . « برهام » هذا منذ بداية الرحلة وهو يلح علىّ فى أن أكتب له شهادة تقدير على حسن خدمته لنا على السفينة يحتفظ بها ضمن شهاداته التقدير التى لديه من كبار الشخصيات التى خدمها فى رحلاته العديدة من قبل على سفن أخرى . . كتر خيره ، اعتبرنى من كبار الشخصيات بالنسبة للشهادة فقط ، لكنه لم يعتبرنى كذلك من ناحية الخدمة الفعلية . . قلت للثلاثة معا فى وقت واحد : كبير الضباط والضابط الإدارى ورئيس السفرجية : لما الواحد منكم يروح للمصوراتى علشان يتصور صورة بيحلق دقنه وبيستحمى ويتشطف ويسرح شعره ويفرقه على جنب ويتزوق ويتلمع ويلبس أحسن هدومه ، ويروح يتصور . . لكن إذا راح للمصوراتى وشعره منكوش وعينيه معمصة ودقنه طويلة وماغسلش وشه من سنة ولا بس جلابية مقطعة ، فاللى حايطلع فى الصورة هو اللى المصوراتى شايفه قدامه . . الكاميرا مش بتألف لكن بتنقل اللى قدامها . . بتنقل شكلكم اللى شايفاه قدامها ، وإنتم شكلكم اللى أنا شايفه قدامى وحش ولا أحقر مطعم فول وطعمية فى القللى وباب الشعرية ومحرم بيه . . أنا هنا على السفينة دى مصوراتى . . وإوعوا تفتكروا إنكم حايبقى شعركم منكوش ومبهدلين ولابسين مقطع وأنا حاطلعكم فى الصورة حليوة ومسمسمين ومقطقطين . . إنتم حاتطلعوا فى الصورة بتاعتى زى تصرفاتكم بالضبط . . أنا مالى - كراكب على السفينة - إذا كان فلان نايم والا فلان صاحى ؟ . . أنا لى خدمتى - كراكب - تكون عشرة على

عشرة . . أنا لى النتيجة . . والنتيجة لغاية دلوقتى مش فى صالحكم على الإطلاق . . النتيجة صفر على عشرة » . .

وحسم « على أبو طالب » كبير الضباط الموقف بأن قال أنه مما لا شك فيه أن العمل من السفينة على بعضها غير مرض على الإطلاق ، وأن له ١٦ سنة حتى الآن كضابط بحرى لم يرفيها خدمة أسوأ مما هى الآن على هذه السفينة . . وأن الذنب فى ذلك ليس ذنب السفرجية ، لأن طاقم السفرجية هذا نفسه كان ممكن يكون على سفينة أخرى ومع قيادات أخرى ويكون العمل ماشى زى الساعة . . ولما ماكينة تعطل فى مكان ما بيبقى العيب مش من الماكينة نفسها لكن من اللى بيشغل الماكينة ، أو بمعنى أصح : من اللى مش عارف يشغل الماكينة !! . .

أفادكم الله يا « على » . . وضع إصبعه على رأس الدمل فعلا . . .

« الألقاب » في البحر

مختلفة تماما عنها فى البر . . كلمة « أستاذ » ليست واردة أبدا فى لغة أهل البحر ، لكن كلمة « أفندى » هى المتداولة . . كل واحد من الضباط « أفندى » : « على أفندى » و « الحسينى أفندى » و « منير أفندى » و « الخوجة أفندى » ـ أى الضابط الإدارى ـ . . وحتى « الكاديت » أو الطالب البحرى هو « عابد أفندى » . . وأحيانا بتكلمون عن بعضهم بلقب الوظيفة ، فيقولون : « السكند » فتفهم أن الكلام عن الضابط الثانى أو المهندس الثانى ، ويقولون « الخوجة » عن الضابط الإدارى ، و « التشيف » عن كبير الضباط ، و « التشيف إنجنير » عن كبير المهندسين . .

حين تدرب كلبك

على أن يعض الناس ، فلابد أنه سوف يأتى اليوم الذى يريد فيه الكلب أن يجرب أنيابه فيك شخصيا ، فيعضك أنت ويهبرك أنت وينشب أظافره فيك أنت . .

« سليمان » السفرجى هبش القبطان نفسه اليوم . . وقف وفتح حسه عليه فى وسط السفينة وأمام أهل السفينة كلهم . . وقال عن كبير الضباط أنه : « على وزة » كما يسميه القبطان !! . . وذلك كله دون أن يحرك القبطان ساكنا . . كل ما فعله هو أنه حرض كبير الضباط على أن يستكتب الضباط وكل الناس على السفينة الذين أساء اليهم « سليمان » من قبل شكاوى ضده ، حتى يأمر القبطان بترحيله على السفينة المصرية « المندرة » الموجودة الآن معنا فى ميناء « ڤيمسار » . . ويوقف مرتبه حتى يتم التحقيق معه بعد عودته إلى الإسكندرية !!

وقد كنت أتوقع ذلك كله بالضبط تماما بعد أن رأيت كيف تصرف « سليمان » السفرجى معى ، وكيف أنه (واخد على القبطان شخصيا) أكثر من اللازم ويكلمه كأنهما أصدقاء وليس كسفرجى يكلم قبطانا . . لدرجة أنه يضع ذراعه على كتفه ويقول له : « لازم تاخد بالك من نفسك ياراجل وتشوف مصلحتك . . دا انت عندك بنت بتتجوز ولازم تتجهز كويس . . دى بنت قبطان برضه » !! . . . .

من المؤكد أن « على

« أبو طالب » كبير الضباط إنسان طيب فعلا ، وابن ناس فعلا ، وعزيز قوم أوقعه حظه الوحش فى السفينة دى فعلا . . لكن ذلك لا يمنع أنه أحيانا يكون (مدب) ويلطش فى الكلام دون أن يقصد ودون أن يشعر . .

كنا الليلة قاعدين شلة ضباط فى القمرة التى يشترك فيها « خيرى » مع الكاديت ـ الطالب البحرى ـ « عابد شكرى » ، نتكلم فى أمور السفينة وما يحدث فيها ، حين قال لى « على » فجأة : « أقول لك على حاجة وماتزعلش ؟ . . إنت عامل زى لما يكون عندى كلب شرس ومتوحش وسعران وأنا قدامى خمسة كيلو لحمة عايز آكلهم ومش عارف لأن الكلب السعران ده قاعد قدامى وباصص لى وواخد باله منى . . أقوم أرمى له حتة عضمة علشان يتلخم بيها وأنا آكل الخمسة كيلو لحمة من غير ماهو يشوفنى . . بيلخموك بالسفرجية ومشاكل السفرجية علشان تقعد تكتب كل اللى بيحصل منهم وتسبب الحاجات الأهم وماتاخدش بالك منها » . . . . .

ورغم أن تحليل « على » كان صحيحا فعلا ، إلا أن كان فيه (برجمة) و (قرننة) من كبير الضباط بلا مناسبة . . عايز يشتمنى بالذوق فشبهنى بالكلب الشرس السعران . . فتغيرت ملامحى على الفور وكشرت فى وجهه وقلت له ان ذلك تشبيه حقير جدا يقوله عربجى كارو قاعد فى غرزة حشيش أو قاعد فى بوظة فى حوارى الأنفوشى ، مش كبير ضباط سفينة مفروض فيه انه رجل متعلم ، لكن ده خيال قاصر وعاجز ومريض ولا يدل على أى ثقافة أو تعليم أو حاجة أبدا إذا كان ذلك هو مستواه فى التشبيه . . . . وظلت أسبخ فيه وأوبخه وأغسله حتى قال لى : « بس كفاية كده . . إنت خدت حقك وزيادة » وظل يعتذر لى بعدها طول الوقت حتى تركتهم وقمت منصرفا . .

من غير شك أن البحر قطعا له تأثير على عقول ومستوى تفكير الناس الذين يعملون فيه ، خصوصا حين يكون تعليمهم ناقصا وثقافتهم قليلة أصلا . .

واضح الآن من ركنتنا

على الرصيف بلا أى عمل على السفينة منذ فترة طويلة أنه مازال أمامنا وقت طويل حتى يأتى الدور على سفينتنا لتبدأ تفريغ شحنتها . . سفن عديدة من جنسيات مختلفة دخلت الميناء بعدنا وأفرغت شحنتها وشحنت من جديد وانطلقت إلى البحر

تواصل مشوارها ، ما عدا نحن اللى قاعدين كده دون أى شيء . . أقربها السفينة المصرية (المندرة) التابعة لنفس الشركة التى تتبعها سفينتنا : دخلت الميناء بعدنا وأفرغت شحنتها كلها فعلا وأخذت شحنة جديدة كادت أن تنتهى فعلا من شحنها لتعود إلى مواصلة رحلتها فورا ، ونحن لا حس ولا خبر بالنسبة لنا . . الله يكون فى عون قبطاننا : مشغول ومش فاضى وليس لديه وقت للإتصال بسلطات الميناء لكى ينهى هذه الركنة اللى مالهاش لازمة . . خلصنا من ركنة المخطاف فى وسط البحر لكى تطول ركنتنا على الرصيف فى داخل الميناء . .

وحين طالت ركنتنا

على الرصيف دون تفريغ للشحنة ، قلق أصحاب الشحنة على شحنتهم ، وأخذوا عينات منها وفحصوها فى المعمل فاكتشفوا أن الآف الأطنان من الأرز فى عنابر السفينة قد امتلأت بالسوس والحشرات ، وأنه لابد من تبخير الشحنة بمواد كيماوية خاصة وهى فى العنابر قبل تفريغها . . وذلك يستدعى أن تخلى السفينة من أفراد الطاقم تماما قبل إجراء عملية التبخير ، وتظل السفينة مغلقة تماما ولا يسمح لأى إنسان بالصعود إليها لمدة ٢٤ ساعة كاملة مهما كانت الأسباب والاحدث له تسمم ومات نتيجة تسرب مواد التبخير إلى رئتيه . .

والمفروض فى هذه الحالة أن يقيم أفراد طاقم السفينة خلال هذه الـ ٢٤ ساعة فى فندق إقامة كاملة على نفقة أصحاب الشحنة ، الذين عرضوا على القبطان عرضا ظريفاً للغاية : فبدلا من إقامة الطاقم فى فندق ، سوف يحضرون سيارة أوتوبيس كبيرة بمواصفات خاصة تتسع للطاقم كله ، يقيم فيها طوال الـ ٢٤ ساعة ، نأكل ونشرب وننام فيها ، وتذهب بنا خلال هذه الفترة فى جولة سياحية فى ألمانيا الشرقية نزور فيها أماكنها الهامة : برلين وچيڤرين وروستوك ودرسدن وأى مدن أخرى نرغب فى رؤيتها . . وبعد الـ ٢٤ ساعة تعود بنا السيارة إلى سفينتنا مرة أخرى . .

لكن القبطان لم

يوافق على هذا العرض المغرى وإنما وافق على عرض آخر أقل منه بكثير جدا : ١٧ فقط من ضباط ومهندسى السفينة ـ بينهم مجموعة الصحفيين ـ يذهبون غدا ليقضوا هذه الـ ٢٤ ساعة فى مدينة « چيڤرين » القريبة من « ڤيسمار » وينزلون فى فندق (شتادت چيڤرين هوتيل) ـ مبيت فقط ـ على نفقة اصحاب الشحنة ، وايضا يعطى لكل منهم مبلغ ٢٠ مارك لكى يتناول به وجباته الثلاث هناك . . بينما باقى طاقم السفينة كله ـ ماعدا القبطان فقط والـ باشمهندسين ـ يصرف لكل واحد منهم ٤٠ مارك وهو يتصرف : يأكل ويشرب وينام بهم مطرح مايعجبه ، ولأنه لايوجد فى ألمانيا الشرقية كلها نظام البانسيونات ، ولا يوجد فى مدينة « ڤيسمار » فنادق صغيرة ، فإن بحارة سفينتنا غالبا سوف يهبطون (هبوطا إضطراريا) على جارتنا السفينة المصرية (المندرة) ليناموا على الأرض فى صالون الطعام بها !! . وكانت الحجة فى عدم

ذهاب طاقمنا بأكمله الى « چيڤرين » أنه لايوجد فى ألمانيا الشرقية ـ كلها ـ فى الوقت الحالى أماكن فى فنادقها تستوعب الـ ٤٨ فردا طاقم السفينة ، لا فى أى مدينة قريبة ولا بعيدة !! . . وأتصور ان ذلك غير صحيح وأن المقصود به هو التوفير على أصحاب الشحنة لغرض فى نفس يعقوب ، والا كان القبطان قد قبل عرض السيارة الأوتوبيس التى ذكرتها من قبل وكانت سوف تستوعب الطاقم كله . .

هـــذا بينـــما حجـــز

للقبطان ولـ ٢ الباشمهندسين فى فندق « ڤيسمار هوتيل » أرقى فنادق ڤيسمار . . وكان ممكنا لو أراد القبطان أن يحجز للطاقم كله فى نفس الفندق ، لكن القبطان كما سمعت ـ ولا أستبعده ـ رفض ذلك حتى لايصبح البحارة كلهم معه فى نفس الفندق وتتساوى الرؤوس . . لأنه فعلا ـ كما شاهدت بنفسى ـ يغضب جدا حين يكون سهرانا فى مكان ما عام ويدخل بعض أفراد الطاقم ليسهروا فى نفس المكان ، ولو كان يستطيع أن يطلب منهم أو يامرهم أن ينصرفوا لفعل . . والمفروض فى كل النظم والتقاليد والأخلاق البحرية فى العالم كله أن القبطان هو آخر من يغادر السفينة حتى وهى تغرق، وبعد أن يطمئن على كل افراد طاقمه ، لكن قبطاننا دور على نفسه أولا وعلى راحته أولا واطمأن على نفسه أولا ، ثم ليس هناك « ثانيا » : فليتفلق الجميع بعد ذلك مادام « هو مبسوط كده » !! . . .

ولما كان « برهام » رئيس السفرجية أكثر حرصا على راحة سفرجيته ، فقد رفض « برهام » أن يتطفل سفرجيته على بحارة (المندرة) وأصر على ان ينال هو ورجاله حقهم كاملا ، وهو النزول فى فندق . . ورفض القبطان ، فثارت بينهما مناقشة عنيفة بصوت عال سمعته السفينة كلها . . وكان كل الناس على السفينة ـ ونحن ايضا ـ يؤيدون « برهام » فى وجهة نظره وحرصه على راحة رجاله وعلى أن ينالوا حقهم ، لكن البحارة المصريون مغلوبين على امرهم فى النهاية ، لان الشركة صاحبة السفينة فى ختام الرحلة تصدق تقرير القبطان ولا تستمع الى اى كلام اخر يصلها عن تصرفاته . . الرحلة تنتهى فيودع تقرير القبطان فى ملف السفينة وبلاش وجع دماغ !!

فـــى الصبــاح البــاكر

جاء أوتوبيس صغير (ميكروباس) إلى السفينة ليحمل ١٧ من أفراد الطاقم إلى « چيڤرين » . . بعد أقل من ساعة واحدة كنا هناك : « چيڤرين » ليست ميناء ولا تطل على البحر ، ومع ذلك فإنها ذكرتنى على الفور بمدينة الإسكندرية لكن منذ ٢٥ سنة ، أيام أن كانت الإسكندرية مدينة أغلب سكانها من الأجانب وكانت بتضوى من النظافة والأناقة والنظام . . « چيڤرين » هى أجمل مدينة فى المانيا الشرقية كلها ، وذلك ليس رأيى شخصيا وانما هو رأى الألمان أنفسهم . .

وننزل فى فندق (شتادت چيڤرين هوتيل *Stadt Schwetin Hotel*) أفخر وأجمل فنادق المدينة . . الغرف غاية فى الرقة والظرف والرشاقة . ورق الحائط الجميل يكسو جدران الغرفة كلها . . مساحة الغرفة توازى مساحة غرفة عادية فى أى بيت حديث فى القاهرة ، لكنها تحوى كل احتياجات الإنسان فى شقة كاملة ! ؟ . . السجاد الموكيت الفاخر يفرش الارض من الجدار الى الجدار . . سريرين متقابلين مفروشين بمراتب ومخدات رخوة هشة لينة مصنوعة من ريش النعام . . منضدة ليست كبيرة وليست صغيرة بين السريرين . . كرسيين واحد منهما فوتيل ، ركن به دولاب بار صغير وفوقه عدة كؤوس من البللور الرقيق وفتاحة وطقطوقة سجاير وجهاز راديو شيك وتليفون ملون أنيق وأباچورة صغيرة ظريفة . . فى الركن أباچورة كبيرة (لمبادير) وفى الركن الآخر سلة مهملات . . على الجدار لوحة فنية صغيرة ، ونافذة بعرض الغرفة كلها تكشف أمامك عن (بانوراما) للمدينة بأكملها تواجهك فى منظر طبيعى أخاذ للأبراج الألمانية القديمة الحمراء العالية التى تشبه قلاع العصور الوسطى وتعلو كل الأسطح المواجهة لك . . تستطيع وقتما تشاء أن تغطى هذه النافذة بطبقتين من الستائر : واحدة خفيفة تجعل المنظر يبدو أمامك وكأنه مغلف بطبقة من ضباب أو شبورة الفجر . . والثانية ثقيلة تخفى المنظر تماما إذا كنت لاتحب أن تنام فى الضوء . .

وملحق بهذه الغرفة

طرقة صغيرة لاتزيد عن متر ونصف ، فيها دواليب فى داخل الحائط وافية لكل الأغراض والإستعمالات ، وبها مرآة كبيرة بارتفاع الدولاب . . وفى الطرقة أيضا حمام تكاد من فرط نظافته وأناقته ولمعانه وبريقه أن تستكثر على نفسك استعماله !! . .

وأثار ذلك كله إعجاب « سلمى » الشديد حتى انها قفزت وصفقت بيديها فرحا وطربا ، وتساءلت هى فى سعادة : « أى شيء أكثر من هذه الشقة الصغيرة المتكاملة تتمناها أى عروس فى أى مكان فى الدنيا ؟ كل احتياجات أى فرد موجودة هنا ، فماذا يريد أكثر من ذلك ؟ . . أردت أن أختبرها فسألتها : « لو تقدم للزواج منك شاب يربط بينك وبينه قصة حب ، وجاء أبوك ليعاين نبيته فوجده هذه الغرفة فقط كما هى الآن ، هل تظنين أنه يوافق ؟! » . . أخذت قليلا ، وفكرت قليلا ، ثم نطقت أخيرا كأنها تقول حكمة بليغة : « أنا أوافق ، لكن بابا . لا أظن » !!

والاقامة فى هذه

الغرف ليست رخيصة بعكس الحال فى إيجارات المساكن والشقق فى ألمانيا الشرقية كلها . . فإن الغرفة الواحدة إيجارها ٧٠ مارك لشخصين فى الليلة الواحدة ، أو ما يقرب ١٩ جنيها مصريا بالسعر الرسمى ، وذلك ليس إيجارا قليلا

اذا عرفت أن المواطن الألمانى يدفع نفس هذا المبلغ كإيجار « شهرى » لشقة كاملة ٣ غرف وصالة .

لكننى عرفت بعد ذلك أن أسعار الفنادق هذه للسياح والأجانب فقط ، أما بالنسبة للألمان أنفسهم أو للأجانب الذين يعملون فى ألمانيا ومضت على إقامتهم بألمانيا أكثر من ستة شهور ، فإنهم يدفعون نصف هذه الأسعار فقط ، يعنى بتخفيض ٥٠ ٪ .

ذهبت مع « خيرى »

أريه غرفته . . « خيرى » مبهور جدا بكل ما حوله . . الغرفة الأنيقة الشيك جدا قصر صغير بالنسبة إليه . . دخل « خيرى » الحمام فاتسعت عيناه وزادت دقات قلبه من فرط انفعاله . . ينظر حوله فى الحمام فتلتقط عيناه سماعة تليفون متصلة بماسورة مياه فلا يفهم شيئا . . يمسك السماعة ويضعها على أذنه مندهشا فلا يسمع شيئا . . فيتساءل فى استغراب متلاحق : « طيب والتليفون ده محطوط فى الحمام ليه ؟ والواحد ممكن يكلم به مين ؟ واشمعنى بكلمة من الحمام بالذات يعنى ؟ !! « . . وحين مددت يدى إلى صنبور الدش وفتحته فانطلق الماء بقوة من الدش الذى على شكل سماعة تليفون ، نظر « خيرى » إليه مذعورا مبهورا مخضوضا وعلى وجهه وفى عينيه وعلى طرف لسانه ألف سؤال وسؤال ، لكننى تركته واقفا أمام هذه العجيبة التكنولوجية وعدت إلى غرفتى . . وحين التقينا فى بهو الفندق بعد ساعة سألته بجد : « أخبار التليفون اللى فى الحمام إيه ؟ ! » فأجابنى محتدا مستنكرا : « ده التليفون ده بايظ . . مافيهوش حرارة ، كمان بتطلع منه مية » !!! ..

ونخرج لنتجول فى

المدينة . . « ڤيڤرين » مدينة جميلة فعلا وذات طابع خاص مختلف عن « ڤيسبار » تماما . . مازال الترام يسير فى شوارعها والتماثيل الكبيرة العظيمة منتشرة فى ميادينها . . ومليئة بالمتاحف والقصور القديمة والجسور القديمة الطراز التى تعبر فوق بحيرتها الواسعة التى تتوسط المدينة تقريبا . . وعلى حافة البحيرة قصر تاريخى مهول يشبه القلاع التى نراها فى الأفلام التاريخية القديمة بأبراجه الحمراء الداكنة المتعددة الكثيرة ، توصل إليه قنطرة صغيرة . . وتحيط بالقصر حديقة

كبيرة جدا من كل جانب وتطل على البحيرة الرائعة . . الحديقة نفسها ذات عدة مستويات ومدرجات وفيها مكان مبنى كله بالرخام أشبه بالمسارح الرومانية أو الإغريقية القديمة لتعزف فيه فرقة موسيقية كاملة ، وأمامه مساحة كبيرة تتسع لعشرات من المشاهدين أو المستمعين . .

كل هذه القلعة العظيمة أو القصر العظيم كان قبل الحرب العالمية الثانية ملكا لبارون ألمانى عظيم الثراء كان يعيش فيه وحده . . وطبعا بعد الحرب وبعد أن وضعت روسيا يدها على هذا الجزء من ألمانيا وأسمته (ألمانيا الديمقراطية) لم يعد أحد يمتلك شيئا وضاع هذا البارون وتبدد ، وتحول القصر العظيم إلى مدرسة لتدريب وتخريج الـ : دادات !! . . أى والله العظيم : مدرسة لتخريج الفتيات اللاتى يرعين الأطفال فى الحضانة أو قبل سن المدرسة . . وطبعا لا أظنك تتصور أن هناك الآن فى ألمانيا الشرقية ـ أو فى أوروبا الشرقية عموما – تلك الأسرة التى يمكنها أن تستخدم (دادة) لترعى أطفالها . . لكن هؤلاء الدادات يعملن فى الحضانات أو الدور التى ترعى الأطفال تحت سن السادسة . .

وفى شوارع المدينة

استوقف شكل العربات الصغيرة المصنوعة من السلك داخل الـ (سوبر ماركت) نظر « خيرى » وظنها عربات أطفال فى البداية !! . . ثم جازف وسأل ، فأخذته إلى داخل الـ (سوبر ماركت) لأريه كيف يدور العمل به وكيف يخدم المشترون أنفسهم دون وجود بائعات اللهم الا بائعة واحدة أو اثنتين ، وهما ليستا بائعتين بالمعنى المفهوم وانما هما أقرب إلى المرشدتين أو الدليلتين ، لكى تدلان من يسأل عن صنف يريده إذا كان فى زحمة المعروضات لم يستطع العثور عليه وحده . . لكنه يوجد عدد كبير من الفتيات المحصلات التى تجلس كل واحدة منهن خلف خزينة تحسب المشتريات وتتقاضى منك الفلوس بسرعة جدا ، وتترك لك مشترواتك لتتولى أنت رصها فى حقيبتك إذا كانت معك حقيبة ، أو تتولى – أنت برضه – لفها وتغليفها بنفسك بأوراق لف موجودة أمامك فى أحد أركان الـ (سوبر ماركت) . . لكن أحد لن يلف لك شيئا . . إخدم نفسك بنفسك . .

واتهبل « خيرى » تماما من كل شىء واتخض من كل شىء . . كل ما رآه هنا انبهر له ووجف له قلبه ، الجو والمناظر والشوارع والمحلات والمعروضات والنظام والنساء والبنات . . آه . . لكن النساء والبنات هذه قصة أخرى . . . . . .

فـــى «چيفـيرن» ضـــاع

«خيرى» منا .. سقط سهوا .. خرج ولم يعد .. تاه يا ولداه
وراح منا فجأة وكأنه أغمى عليه أو أغشى عليه .....

والحكاية من البداية : ونحن فى الإسكندرية قبل بدء الرحلة بعدة أيام سألت «خيرى» مداعبا : الا يخشى على نفسه من الجمال الإفرنجى والحسناوات الأوروبيات والحرية الزائدة عند الحسناوات الأجنبيات اللاتى سوف نصادفهن خلال رحلتنا ؟ ! .. ألا يخشىٰ على نفسه – وهى تجربته الأولى فى أوروبا – أن يقع فى حب شقراء ترطن بالنسان الأورباوى ؟ ! « .. فرفع «خيرى» حاجب الإستنكار الأيسر وقال فى كبرياء محارب من اسبرطة : «ولا كل بنات أوروبا يخلونى أفكر فى غير مراتى .. المسألة مسألة مبدأ» ..

«وبدأت الرحلة ، لكنه كان واضحا أن «خيرى» يعانى كثيرا مسكين ، واستهلك حجارة نظارته الطبية وباظت سوستة رقبته ونعمت من كثرة اللف والإلتفات يمينا ويسارا وإلى الأمام وإلى الخلف وراء الحسناوات الشقراوات زرقاوات العيون اللاتى يحطن بنا من كل جانب .. وكنت أكتشف أحيانا ونحن نسير فى شوارع أوروبا أن «خيرى» «يسير بظهره بعد أن لوحته شقراء شحيحة الملابس ونسى أن يتعدل .. كل ذلك وهو يكابر كلما قلت له : «وبعدين يا خيرى ؟ .. حاتتعب كده» فيعود إلى تأكيد كلامه السابق لكن بصوت أخفت وبحماس أقل وبفتور أكثر .. حتى جاء عليه الوقت الذى كان يرفض فيه أن يخرج معنا إذا عرف أننا ذاهبون إلى موطن من مواطن التهلكة : البلاچ مثلا أو كازينو أو للسهرة والعشاء فى مكان عام .. ثم وصل الى المرحلة التى صار فيها لا ينطق خالص : نسأله : «وبعدين يا خيرى ؟ حاتتعب كده» فلا يصد ولا يرد ولا يجيب على الإطلاق ولا يبدو عليه أنه – حتى – سمعنى أصلا ، وكأن بطارياته قد خلصت ، ويبات طول الليل يشكو من رقبته .. حتى وقعت الواقعة أخيرا اليوم ونحن «چيڤرين» ، وانهار تماما كما ينهار المبنى المجمع فى ميدان التحرير دون سابق إنذار .. فجأة : طب «خيرى» ساكتا ..

دخلنا مطعم فندق

« شتادت چيڤرين هوتيل » لنتناول الغداء . . وجاءت الجرسونة تسألنا ماذا نطلب : ١٨ سنة على الأكثير . . قدم ممشوق وقوام ملفوف ملىء بالصحة والقوة والشباب والحيوية . . شعر ذهبى قصير متوائم تماما مع وجهها الصبوح كأنها ولدت بشعرها هكذا ، عمره لا طال ولا قصر عن هكذا . . عينان واسعتان زرقاوان صافيتان كبحر لا قرار له ، وشفتين خلقتا لينظرا إليهما الرسام ويرسم والمثال وينحت والشاعر ويكتب . . خلقتا للإلهام فقط . . . . . البنت حلوة كأحلى ما تكون الحلاوة . . والهديل الذى ينثال من بين شفتيها فى ألمانية رقيقة ناعمة ما سمعت مثله فى حياتى كأغنية حالمة بلا لحن أو كلام ، يسرى فى الأذن كحلم عذرى هفهاف . . حقيقى فعلا : البنت كانت تحفة من درجة (سبحان الخلاق) وطالع ، حتى بالنسبة لى أنا الذى رأيت أوروبا عشرات المرات . . . .

« خيرى » كان معذورا إذن حين التفتت إليه ـ بعد أن شبعت أنا من المشاهدة والتملى – فوجدت عينيه تسمرتا من تحت نظارته الطبية البيضاء على وجه الفتاة وقد احتقنت عيناه واحمرت أذناه وازرد وجهه واحتسبت أنفاسه وراح يتنفس بصعوبة والولاعة فى يده مشتعلة قد توقفت فى منتصف المسافة إلى السيجارة فى يده الأخرى معلقة فى الهواء وهو جامد تماما كأنه صورة فوتوغرافية التقطت هكذا !! . . عدلت عن أن أسأل « خيرى » ماذا يطلب للغداء ، وطلبت أنا له معنا . . . . وابتعدت الفتاة ، ووجدت الصورة الثابتة الجامدة – « خيرى » سيهم بالقيام من مكانه وراءها كالمسحور الذى يسير دون أن يشعر ، فوضعت يدى على ساعده لأمنعه من القيام وأنا أقول له : « خيرى » . . وبعدين ؟ ! . . مش كده » . . ورد علىّ بصوت خافت مكتوم كأنه يتكلم من تحت باطه : « لأ . . خلاص لغاية كده » . . « خلاص إيه يا خيرى ؟ » . . « مش قادر » . . « مش قادر إيه ؟ ! » . . « مش قادر أستحمل أكثر من كده . . مقاومتى انتهت . . كل انسان بيلاقى قدره ونصيبه والمكتوب له » . . « مش فاهم ياخيرى . . يعنى عايز إيه إنت دلوقتى ؟ ! » . . وأتانى الرد الحاسم بكل الثقة والإصرار والتأكيد والعزيمة : « عايز أتجوز البنت دى » !!!!! . . . . . « خيرى . . تتجوز إيه ؟ إنت اتجننت ؟ ! ومراتك وأولاك فى مصر ؟ » . . « ما أنا مش حاسيبهم ، لكن الشرع حلل أربعة . . حللهم للظروف اللى زى دى » !! . . يا « خيرى » يهديك يا « خيرى » يرضيك ، مفيش فايدة . . « طيب الحل إيه الآن يا خيرى » ؟ ! . . « تكلمها لى إنت . . إنت بتعرف لغات ، كلمها » . . « طيب

آديك قلتها إنت بنفسك حاتتجوزها ازاى وانت مش بتعرف لغتها ! ؟ حاتكلمها ازاى » ؟ ! . . فرد بحده : « مش حاكلمها يا أخى . . هو انا حاأكلمها ؟ !! . . ثم استدرك قائلا : « قصدى يعنى أبقى أتعلم ألمانى أو إنجليزى » . . « طيب تتعلم الأول والا تتجوز الأول ؟ ! » . . « لا يا سيدى ، أتجوز الأول وأبقى أتعلم على مهلى » . . « طلباتك الآن أيه بالتحديد يا خيرى » . . « تكلمها لى أنت وتقول لها إنى عايز أتجوزها ، والآن فورا ، وما حدش يهزر فى المسألة دى ، وكمان ما حدش يهزر معاها ، وراعوا من الآن أنها تخصنى واحترامها من احترامى » !! .. وعيناه تتابعان الفتاة وهى تروح وتجىء بين الموائد بنشاط ، وقد شعرت هى بنظراته تكوى جسدها فراحت تختلس النظر إليه بين الحين والحين وتبتسم ابتسامتها الخلابة - وآه ، فعلا ، من ابتسامتها الخلابة - كلما رأت منظره هكذا . . حتى جاءت أخيرا تحمل طلباتنا و « خيرى » يستقبلها بنظراته وهى قادمة من بعيد : « آهى جايه أهه ، قول لها بأه ، ومن غير هزار . . وأرجو إنك تحترم مشاعرى . . الليلة ضرورى يا حسين . . لازم الليلة . . مش حاقدر أستنى لبكره . . آهى جت أهه ، قول بأه ، قول » . . وخشيت أن يتهور « خيرى » وما على الرسول إلا البلاغ ، وآهو راجل عاقل وبالغ ورشيد وكامل الأهلية وليس قاصرا ، وعضو فى اتحاد الكتاب . .

قلت للفتاة بأمانة شديدة ، كل ما طلبه منى « خيرى » ، و « خيرى » قد عاد إلى حالة التجمد مرة وتحول كله إلى عينين متحجرتين متعلقتين بشفتيها الناضجتين الناعمتين الشهيتين كأنه ينتظر من بينها حكما بالإعدام ، أو بالجنة . . لكنها ابتسمت ابتسامتها الخلابة التى تشق قلب الصخر ، ولم تجب ، وراحت لتحضر باقى الطلبات ، وغابت طويلا ، حتى سألنى « خيرى » فى قلق : « يمكن تكون راحت تقول لأهمها ؟ ! » . . « أهلها إيه يا خيرى ؟ هو انت فاكر إن أهلها واقفين على باب الهوتيل ؟ . . قطعا إتأخرت علشان . . . . . » وقبل أن أنهى جملتى كانت تقف على رأس مائدتنا جرسونة أخرى تحمل باقى طلباتنا !! . . حلوة مثلها وشهية مثلها وهائلة الجمال مثلها . . سألتها لأهدىء من روع « خيرى » « وأين زميلتك ؟ » فقالت ببساطة : « انتهت ورديتها وانصرفت » . . سألنى « خيرى » : « بتقول لها ايه وبتقول لك إيه » فترجمت له ما قالته ، فقال بقلق : « يمكن راحت تقول لأهلها فى البيت ؟» . . سألت الجرسونة الأخرى : « ألم تقل لك شيئا قبل انصرافها ؟ » قال مندهشة : « شىء مثل ماذا ؟ » قلت : « أى شىء » قالت وهى تهز كتفيها باستغراب : « كل ما قالته لى أنها ذاهبة للقاء أودلف » . . « ومن هو أودلف ؟ » قالت « حبيبها » . . نقلت لـ « خيرى » - بأمانة شديدة - كل ما قالتاه الفتاة بالحرف

الواحد ، وهى واقفة ترقبنا بدهشة . . ففوجئت بـ « خيرى » يقول لى وقد تجمدت عيناه على وجه الجرسونة الثانية : « طيب قول لدى » . . « أقول لها إيه دى كمان يا خيرى . . » . . « أقول لها إنى عايز أتجوزها ، والآن فورا ، الليلة ، الليلة ضرورى ياحسين . . . . إلخ إلخ إلخ !! . .

الفصل الثالث عشر

الحب
ينتظر
على
الرصيف !

فى ترتيب نزول

مجموعة• الضباط والمهندسين فى فندق (شتادت چيڤرين هوتيل) ، ولأن الغرف كلها مزدوجة بسريرين ، كان من نصيب « خيرى » أن يكون رفيقه فى غرفته « محمد أفندى عبد الباسط » ضابط اللاسلكى . . « محمد أفندى عبد الباسط » شاب أصلع عمره فى الكشوف الرسمية ٢٨ سنة لكنه قطعا من سواقط القيد لأن شكله بصلعته الفسيحة اللامعة ونظره المدغشش ونظارته السميكة يجعله أكبر من عمر بعشر سنوات على الأقل . . ومع ذلك فهو يحب أن يبدو دائما فى صورة « الواد الفتك اللى مقطع السمكة وديلها » . . وقد حدث فى بداية وصولنا إلى ميناء « ڤيسمار » أن دعانا بعض ضباط ومهندسى السفينة لنذهب معهم الى بلاچ (وندروف) . . وعندما وصلنا الى البلاچ اكتشفنا أننا لسنا وحدنا المدعوين ، وإنما هناك مدعوتين أخريين : « محمد أفندى عبد الباسط » و « ابراهيم أفندى » مهندس الكهرباء جاءا بحيزبونتين ألمانيتين . . لف « عبد الباسط » و « ابراهيم » المدينة كلها وفتشاها حتة حتة حتى عثرا على أكبر قرشانتين عمرا وشكلا ، ودعياهما للذهاب معهما للبلاچ ، من باب (من فعل خيرا يوم الأحد) . . وحين رأينا هاتين القرشانتين توقعنا أن « عبد الباسط » و « ابراهيم » سوف يقدماهما إلينا على أنهما عماتهما أو خالاتهما أو طنطاتهما الكبيرتين . . وكان كلاهما - « عبد الباسط » و « ابراهيم » - يبدوان سعيدان جدا وتيهين وفخورين بصديقتيهما الى أقصى حد ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ، فلعل « عبد الباسط » و « ابراهيم » يقومان بدور (فاعل خير) أو مندوبا (جمعية الرفق بالقرشانات) . . . . . وأخذتنا المرأتان يومها إلى البلاچ . . إلى أقصى مكان فى البلاچ حتى لانرى نساء غيرهما ونكتشف الفارق . . . لكن المسألة لم تكن فى حاجة أبدا إلى إكتشاف . . فإننى أتصور أن العيب الوحيد الذى يمكن أن يؤخذ على مدينة جميلة مثل « ڤيسمار » هو وجود هاتين الحيزبونتين القرشانتين بين نسائها . . ويخيل إلىّ أن هاتين التهمتين كانات موجودتين قطعا أيام أن بنيت مدينة « ڤيسمار » منذ ٧٤٧ سنة . . ولعلهما - غالبا - قد شاركتا فى عملية البناء !!!!!!! . . . .

المهم في فندق

(شتادت چيڤرين هوتيل) ونحن نغادر غرفنا فى المساء للنزول للعشاء فوجئنا بـ « محمد أفندى عبد الباسط » قادم ومعه واحدة من قرشاناته يدخل بها غرفته المشتركة مع « خيرى » . . واستشاط « خيرى » غضبا وغيظا : « إيه يامحمد أفندى الحكاية !؟ » . . « ولا حاجة ، واحدة صاحبتى وحانقعد مع بعض شوية » !! . . . « ماتقعد معاها تحت فى صالون الفندق . . هو أنت فى الأوضة لوحدك ؟ » . . . « وفيها إيه يعنى لما تقعد معايا هنا ؟ » « فيها إيه إزاى ؟ . . . أنا ماسمحشى » . . وقال « عبد الباسط » : « طيب خلاص . . حانقعد شوية لغاية ماأحلق ذقنى وأغير هدومى ، وبعدين ننزل » !! . . ولم يشأ « الحسينى » الضابط الثانى المسئول عن المجموعة أن يثير أزمة ممكن أن تحدث ضجة تصل إلى إدارة الفندق فتسىء إلى سمعتنا كمصريين ، فكان كل ماستطاع أن يقنع به « محمد أفندى عبد الباسط » هو أنه أخذ منه وعداً بأنه هو وصديقته : مش حايغيبوا . . حايقعدوا مع بعض شوية وينزلوا !! . . . .

وفعلا . . بعد نحو ساعة نزل « محمد أفندى عبد الباسط » بعد أن غير ملابسه ولبس : ملابسها هى !! . . . أى والله العظيم : نزل إلينا فى مطعم الفندق حيث كنا نتناول العشاء ، ليرينا أنه يرتدى چاكت التايير بتاع صديقته ويسير به ببساطة جدا فى الفندق وينزل به من الدور الرابع حتى يجىء إلينا ، فقط لكى يرينا نفسه وهو يلبسه ، ويرينا أيضا محفظتها فى چيب الچاكت !! . . . .

و . . اصحاب العقول فى « نعيم » !! . . .

مستر « بولز « Bolz »

أحد المسئولين عن نادى البحارة فى «ڤيسمار» أطلق على صديقنا « محمد أفندى عبد الباسط » لقب « مستر كازانوڤا » ، لأن « عبد الباسط » رجل مثابر جدا ودءوب جدا ومؤمن جدا بمبدأ التخصص : له مكان معين فى صالة النادى كل ليلة لايتغير أبدا . . الذى يتغير فقط هى الحسناء رفيقة « عبد الباسط » . . فقد تخصص فى الحسناوات (الوافدات) إلى « ڤيسمار » من المدن الألمانية الأخرى القريبة أو البعيدة فى زيارات سريعة لاتزيد عن أسبوع ، لأنها تكون فى نهاية الأمر مسافرة عائدة إلى مدينتها سواء « روستوك » أو « چيڤرين » أو « ليبزج » أو حتى « برلين » ، فتسافر وتترك مكانها شاغرا لوافدة أخرى يمثل معها « عبد الباسط » ـ فى الليلة التالية مباشرة ـ نفس الدور ونفس الوله والهيمان ، ونفس القبلات الطويلة جدا الحالمة جدا التى يرفع « عبد الباسط » رأسه منها وعينيه نصف مغمضتين كأنه مستيقظ لتوه من حلم بعيد أو كأنه يمثل فيلم مصرى من اخراج كمال صلاح الدين !! . . .

وذلك التخصص فى « الوافدات » ذكاء ظريف من « محمد أفندى عبد الباسط » . . فلو أنه ارتبط بواحدة من حسناوات « ڤيسهار » فسوف تلزق له و « تؤمه » لحسابها ولن يستطيع أن يرتبط بغيرها طيلة فترة وجوده فى « ڤيسهار » ، فتقيده بـ « صنف » واحد طول الوقت وهو رجل يحب التغيير والتنويع : تفاحة آه ، موزة ، آه كمثراية آه ، خيارة برضه مايضرش . . لكن المهم التغيير وخلاص . . . .

ذهبنا نسهر الليلة

فى نادى البحارة حيث تقام حفلات راقصة ٣ مرات فى الأسبوع . . وصلنا متأخرين فلم نجد ولا مائدة واحدة خالية . . . عدد كبير من بحارة سفينتنا كانوا قد سبقونا إلى قاعة الرقص واحتلوا أغلب الموائد . . . تسابقوا إلى دعوتنا لمشاركتهم موائدهم . . . من باب الإحترام جلسنا إلى مائدة الناس الأكبر سنا : كبير الطباخين عم « سيد ناصف » والحاج « محمد الطلخاوى » المساح ـ وهى وظيفة فى عنبر ماكينات السفينة ـ والريس « حنفى شاهين » الميكانيكى و « حسين رفاعى » البحار . . كانوا يشربون المنكر قبل وصولنا : لكنهم احتراما لوجودنا وأنا و « سلمى » لانشرب المنكر فقد كفوا عنه وشربوا معنا كوكاكولا وعصير برتقال . . . .

الضابط الثانى « الحسينى » ـ إبن الحاج شعبان ـ قام ليرقص مع حسناء ألمانية متركبة على محرك نفاث : ترقص بعنف شديد وطايحة يمين وشمال تاركة حولها « أرضا اقليمية » فى دائرة نصف قطرها ثلاثة أمتار على الأقل رغم ضيق المكان وزحمة الراقصين . . ولم يجد « الحسينى » بداً وهو يرقص بعيدا عنها جدا هكذا، من أن يرقص وحده . . وجاءت لحظات فقد فيها الـ « رتم » فقلبها بلدى ، حاجة كده زى سهير زكى . . وأحيانا كان ينتهز الفرصة ليقوم بشوية تمرينات لإزالة الكرش ، وآهو كله رقص وكله ماشى ، وهو حد وآخد باله . . . .

وكانت « سلمى » قد

أطلقت على « الحسينى » تشنيعة حين عرفنا انه ـ بحكم كونه ضابط ثان السفينة ـ مسئول عمن يمرض من أفراد الطاقم وعلاجهم أو الذهاب بهم إلى مستشفى المدينة إذا احتاج الأمر ، وكثيرا ما كان يحتاج . . لذا فإنه تبعا لذلك كان كل يوم يذهب إلى المستشفى مرة أو مرتين مع المرضى من بحارة السفينة . . . ولما ذهبنا أنا و « سلمى » مرة إلى المستشفى لزيارة البحار « سعيد » الذى أجرى عملية هناك ، ورأينا الممرضات الألمانيات الحسناوات الشقراوات اللاتى يرتدين مرايل التمريض الميكروچيب التى ترفع درجة حرارة المرضى أكثر ، أدركت « سلمى » سر انبساط « الحسينى » من الذهاب الى المستشفى كل يوم ؛ فأطلقت عليه تشنيعة أنه يعطى للبحارة دواء غلط لكى يمرضوا أكثر ويروحوا المستشفى ويروح هو معاهم

علشان يشوف الممرضات الحسناوات المشلحات !! . . . أيضا حين رأته رايح جاى فى شوارع المدينة وفى ذراعه حسناء ألمانية شقراء ، فقالت له : « عيب ياحسينى اللى بتعمله ده . . . إنت مش بتقول إنك متجوز ؟! » فرد عليها وبراءة الضباط الثوانى فى عينيه : « أبدا والله ، إنتى سيئة الظن ليه ؟ كل المسألة إن البنت دى فى حجم ليلى مراتى بالضبط ، فبأخدها معايا كل يوم كمجرد مقاس ، علشان يمكن أفكر أشترى حاجة لمراتى فاشتريها على مقاس البنت دى » !!!!!!! . . . .

مالكيش حق يا « سلمى » . . ظلمتى الراجل ، وإن بعض الظن إثم ياشيخة !! . . .

« شوزان .. » أو « سوزان » .. ألمانية

حسناء عمرها ٢١ سنة . . طالبة جامعية تدرس الطاقة وتصميم الآلات فى كلية الهندسة وقادمة من مدينة تبعد عن « ڤيسمار » بـ ٥٠٠ كيلو مترا لكى تعمل هنا خلال شهرى الصيف كجرسونة فى فندق « شتادت هامبورج هوتيل » بأجر قدره ٥٠٠ مارك فى الشهر ، يعنى نحو ١٣٥ جنيها مصريا + الأكل والشرب والإقامة مجانا . . « شوزان » التى سوف تكون مهندسة يوما ما قريبا جدا ، تسلم شفتيها وجسدها الشاب مباحا لبحارة وسفرجية وميكانيكيين ممكن أن يصبحوا مرؤوسى مرؤوسيها بعد سنة واحدة فقط بمجرد أن تتخرج . . البحارة المصريون لايتعبون كثيرا هنا . . فهم يجدون الحب ينتظرهم على الرصيف بمجرد أن ترسو سفينتهم على الموانى . . خصوصا موانى أوروبا الشرقية ، أو أوروبا الشيوعية . . .

المهندس « صبرى سالوسة »

كبير المهندسين الإضافى على سفينتنا ، يحتفل اليوم بعيد ميلاده الرابع والثلاثين . . وجه الدعوة لعدد محدود جدا من أهل السفينة ، ستة فقط للعشاء فى مطعم « كوربيانكا » أشهر مكان عام فى « ڤيسمار » . . . الستة كانوا : « سلمى » وأنا و « خيرى » والمهندسين « عبده صالح عبده » و « أحمد الأعرج » والقبطان . . لكن الستة أصبحوا سبعة لأن القبطان اصطحب معه صديقته الألمانية « سوزان » التى يطلق عليها هو إسم « عزيزة » وأصبحت مشهورة به حتى بين صديقاتها وأصدقائها الألمان . . وهى ـ بالمناسبة ـ غير « شوزان » طالبة الهندسة التى تكلمت عنها فى الفقرة السابقة ، وإن كانت فى مثل عمرها تقريبا . . وفى نهاية السهرة دعى المهندس « عبده صالح عبده » قرشانتين ألمانيتين كان يبدو والله أعلم أنهما كان نفسهما يطلعا رجالة لكن ماجابوش مجموع !! . . . . كانتا ـ على رأى « خيرى » والمهندس « سالوسة » ـ (دكورة) بمعنى (ذكور) . . وكن واضحا أنهما من بنات البارات والكباريهات وعلب الليل والفتح ، لأن الجرسون الألمانى حياهما ورحب بهما بحرارة ، ولما طلبتا ويسكى ذهب فأحضر لهما صودا فقط ، والحساب آخر الليل يجمع !!! . . .

عزيزة الألمانية صديقة

القبطان ، تبدو هادئة ورقيقة ومهذبة وحسنة التصرف جدا . . لاحظت طوال الفترة وجودنا فى « كوربيانكا » أنها تطيل النظر إلىّ ، ثم مالت على القبطان وهمست فى أذنه شيئا فقال لى القبطان بصوت مرتفع باللغة العربية : « عزيزة بتشبب عليك ياسيدى » . . . وسألتنى بالإنجليزية : « هل لك شقيق يشبهك تماما ؟ « قلت : لا » قالت : « هل جئت أنت إلى ڤيسبادن من قبل ؟» قلت : « نعم . . سنة ١٩٣٨ وكان عمرى وقتها ٤ سنوات » !! فضحكت وهى تقول : « لم أكن أنا ولدت بعد » قلت : « محتمل أن تكونى قد رأيتينى فى السينما ، فأنا ممثل عالمى مشهور » قالت فى دهشة واستغراب : « ظهرت فى أى أفلام ؟ فأنا مشاهدة جيدة ومتابعة لأفلام السينما ؟ » قلت لها : « فى كل الأفلام التى أخرجها والت ديزنى ، أفلام ميكى ماوس » !! . .

ويتضح فى النهاية أنها كانت منذ عام قد تعرفت إلى قبطان لبنانى يشبهنى تماما ، ويبدو أنها قضت معه وقتا طيبا فأرادت أن تجدد الذكرى ، لكن منها لله « سلمى » التى تعتقد أنها « ولى أمرى » وجاية هذه الرحلة عشان تاخد بالها منى ، لذا فهى لا تفارقنى قط ولا تغفل عيناها عنى لحظة واحدة ، وتتدخل دائما كمقص الرقيب لقطع أحلى المشاهد . . ومنه لله اللى كان السبب !! . .

ومن مبادئى أنتى

لا أحب قعدات الشراب ولا السكر ولا السكارى ، لأننى أخشى أن يفقدوا توازنهم تحت تأثير الشراب ويصبحوا لا يعون ما يفعلون ، فيصيب كرامتى واحترامى لنفسى رذاذاً من تصرفاتهم وأنا رجل عصبى بطبعى ورد الفعل عندى سريع وعنيف غالبا ، لذا فأنا أبعد عن مجالس الشراب من باب (إبعد عن الشر وغنى له) . .

ولم أكن أعرف حين دعيت للإحتفال بعيد ميلاد المهندس « سالوسة » أنهم سوف يشربون ، لذا فإننى قد وجدت نفسى متورطا فى القعدة بعد أن فوجئت بزجاجات المنكر تأتى إلى المائدة ، ولو كنت أعرف ذلك لما قبلت الدعوة منذ البداية ولما عرضت نفسى ـ و« سلمى » معى ـ لما حدث حين أفرط المهندس « عبده صالح عبده » فى الشراب وبدأ يتصرف بالطريقة التى أخشاها من قعدة السكارى . . ووضعت أعصابى فى ثلاجة ٤٥ قدم وتمالكت نفسى بالعافية حتى لا أسيء التصرف أنا الآخر وألخبط الدنيا وأكهرب الجو . . لكننى حين وجدت زمامى يكاد أن يفلت من يدى لم أجد بدا من القيام والإنصراف فورا قبل أن تسوء الأمور أكثر من ذلك ونحن فى مكان عام وفى أوروبا ، وجميعنا ـ للأسف ـ مصريون !! . . . . .

حين يغيب البحارة

فترة طويلة فى البحر عن بيوتهم ، يفتقدون زوجاتهم وأولادهم وبناتهم ، ويصبحون رقيقين وهشين وتتحرك مشاعرهم بعنف حين يجدون أمامهم واحدة تشبه زوجتهم أو فتاة فى سن بناتهم . .

« برهام » رئيس سفرجية السفينة كان عائدا من المدينة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ومعه « السيد كامل » الطالب البحرى الهندسى ، فشاهدا القبطان يجلس على دكة محطة الأوتوبيس القريبة من مدخل الميناء بين فتاتين فى سن ابنته وهو يحيطهما بذراعيه . . لكنك إذا رأيت مثل هذا المنظر من رجل بحر مصرى فى أوروبا فليس فى ذلك ما يشين : الرجل أو حشته ابنته وعاطفة الأبوة عنده تحركت حين وجد هاتين الفتاتين المسكينتين وحيدتين غلبانتين ، فأراد أن يسبغ عليهما من عطفه « الأبوى » ، واختار هذا الوقت المتأخر من الليل بالذات للـ« إسباغ » حتى لا يراه أحد من أهل السفينة فيسىء الظن به لا سمح الله ، لأنه يعلم أن المصريين بطبيعتهم شكاكين ونمامين وأفكارهم وحشة ، فى حين أن المسألة كلها ليست أكثر من « مشاعر أبوية » !! . . . . . .

وقد كانت هذه

المسألة بالذات : مسألة تصرفات البحارة المصريين بعيدا عن الوطن وبعيدا عن بيوتهم وزوجاتهم ، موضوع مناقشة ظريفة جدا حدثت اليوم على مائدة الغداء : « ماذا لو أن زوجة البحار المصرى ـ ضابطا أو مهندسا أو بحارا ـ فعلت فى مصر فى غيبته نفس ما يفعله هو هنا بعيدا وفى غيبتها من شقاوات وهلس وعلاقات وجنس مع أى واحد تلتقى به فى طريقها بالصدفة ؟ ! تماما كما يفعل زوجها البحار هنا مع أى واحدة ألمانية أو أوروبية تسوقها الصدفة إليه ؟ ! . . هل من حق الزوج البحار المصرى فى هذه الحالة أن يحاسب زوجته لأنها فعلت نفس ما يفعله هو تماما ؟ ! . . . . .

وشاط « محمد أفندى عبد الباسط » ضابط اللاسلكى ، وشاط « الحسينى » الضابط الثانى ، وشاط « سليمان » السفرجى لمجرد الفكرة ، لمجرد التصور ، لمجرد أن ذلك ممكن أن يحدث فعلا ـ ولعل بعضهم قد تصور أن ذلك ممكن أن يكون يحدث الآن حقيقة (!!) ـ وكل منهم متزوج وله زوجة شابة تنتظره فى الإسكندرية أو فى القاهرة . . واعترف كل منهم بأنه : غلطان آه ، لكن ـ بإصرار شديد ـ ليس من حق الزوجة المصرية أن تفعل مثلما يفعل زوجها ، لأنه هو « راجل » لكن هى « ست » !!!!! . . . .

الوحيدان اللذان كانت أعصابهما هادئة ومطمئنان وواثقان هما « منير الشحات » الضابط الثالث ، و « عابد شكرى » الطالب البحرى . . يمكن لأنهما لم يتزوجا بعد !. . .

بعد هذه المناقشة بنصف ساعة فقط كان « محمد أفندى عبد الباسط » يرتدى ملابس الهلس ويسرع الخطى فى اتجاه نادى البحارة الـ « سيمن كلوب » ليلحق بموعده مع حسنائه الألمانية القادمة من (ليبزج) لتقضى أجازتها هنا !! . .

قـــراءة الروايـات البوليســية

وكثرة مشاهدة المسلسلات الأجنبية فى التليفزيون علمتنى أشياء كثيرة ممكن أن تندرج تحت بند (أثر التليفزيون فى نشر الثقافة البوليسية فى الدول النامية) حاجة زى كده . . . لذا فحين كنت أعد حقيبتى للسفر مع الـ١٧ المختارين من أفراد الطاقم إلى « چيڤرين » يوم تبخير السفينة ، لمعت فى ذهنى فكرة بوليسية ، نفذتها على الفور . .

وحين رجعنا من « چيڤرين » ظهر اليوم وفتحت باب قمرتى فى السفينة عرفت على الفور أن القمرة قد فتحت فى غيابى وفتشت تفتيشا دقيقا ثم أعيد كل شىء إلى مكانه بالضبط داخل الحقائب والشنط !! . . . ورغم وجود أشياء ثمينة ومغرية للسرقة لو أن الذى فتح القمرة كان أحد البحارة أو لص عادى ، لكن القمرة لم يسرق منها شىء لأن الشىء الذى كانوا يبحثون عنه كان معى فى « چيڤرين » ، بعد أن تنبهت فى آخر لحظة قبل السفر الى أن ذلك ممكن أن يحدث فأخذته معى فى حقيبتى : دفاتر المذكرات التى أكتبها عن هذه الرحلة ، والأفلام التى صورتها « سلمى » خلال الرحلة فى مطاعم وملاهى وبارات المدينة !!!! . . . . .

ولم تكن المسألة محتاجة إلى كبير ذكاء لأعرف أن الذى فتش قمرتى واحد من الذين بقوا هنا ولم يذهبوا معنا إلى « چيڤرين » . . وأيضا أن يكون له مصلحة فى أن يسحب من تحت يدى المادة الصحفية التى سجلتها عن هذه الرحلة ، والصور التى سأنشرها معها !!!! . . . . .

ســفرجى باشــا . قبطــان

السفرجية : بعد كل الثورة الهائلة التى كانت ضده وعملية استكتاب شكاوى ضده من الناس الذين ضايقهم على السفينة وقل أدبه عليهم ، وقرار القبطان وقفه عن العمل وترحيله على السفينة « المندرة » ليعود إلى الإسكندرية للتحقيق معه هناك . . فوجئت اليوم به يمارس عمله عادى جدا كأن شيئا لم يكن وكأن كل هذه الثورة العنيفة ضده كانت من باب الهزار فقط لاغير !! . . سألت عما حدث فقيل لى أن القبطان قد اكتفى بتوقيع ٦ أيام جزاء عليه فى مقابل أنه أهان كبير الضباط وقال عنه : (على وزة) ، وفتح صوته وزعق للقبطان شخصيا !! . . وأنا كان القبطان يريد أن يسجننى فى قمرتى ويعين علىّ حارس ويبعت ٣ بحارة يجرجرونى من القمرة بتاعتى لغاية عنده ، لمجرد أننى (رفعت صوتى) على السفرجى بتاعه !! .

الواد « سليمان » ده سره باتع أو فيه شىء لله قطعا . . وبما أن قانون فؤاد المهندس مافيهوش زينب ، فيبدو أن قانون البحر - أو على الأقل قانون السفينة رمسيس الثانى - مافيهوش سليمان !!!! . . . . . .

أمـــا الشـــىء الأظـــرف

من ذلك كله فقد عرفته الليلة فى سهرتى مع الضباط ، وخلاصته أنه إذا كان كل الجزاء الذى وقع على سفرجى باشا هو خصم ٦ أيام من مرتبه ، ويا عالم هذا الجزاء سينفذ فعلا أم لا (!!) ، وحتى لو نفذ هذا الجزاء فعلا فهو سفرجى مرتبه ١٥ جنيها ، يعنى سيخصم منه ٣ جنيهات يصرف هو أضعافهم فى سهرة واحدة فى نادى البحارة الـ (سيمن كلوب) على الجسناوات الألمانيات اللاتى يسهر ويشرب معهن كل ليلة ، فلا عجب بعد ذلك إذا رأى أن فى قدرته وإمكانياته أن يهين الناس جميعا ، وعنده حق فعلا يعمل كده وأكثر من كده ما دام واثقا أن أحدا لن يستطيع أن يمسه ، لأن الذى يملك العقاب على السفينة هو القبطان وحده ، وهو - أى سفرجى باشا - قد أهان القبطان نفسه ، شخصيا ، فلم يفعل له القبطان شيئا !! . .

أما الذى يندرج تحت بند (الشىء الأظرف) أو (ماخفى كان أظرف) فهو أن الستة أيام الجزاء التى وقعت على سفرجى باشا ليس من بينها يوم واحد لأنه أهان كبير الضباط وقال عنه (على وزة ، وليس لأنه رفع صوته على القبطان وكان قليل الأدب معه ، لكن : يومين خصم لأنه لم ينفذ تعليمات القبطان بالمبيت فى السفينة (المندرة) أثناء تبخير سفينتنا ، وبات (خارج المندرة) + أربعة أيام خصم لأنه ذهب فأشاع بين بحارة السفينة كلها أن المبلغ الذى خصص لكل منهم عن يوم تبخير السفينة هو ٩٠ ماركا لكل واحد منهم وليس ٤٠ ماركا فقط الذى تقاضاه كل بحار بقى فى « فيسمار » ، أو ٢٠ ماركا فقط تقاضاه كل واحد من الـ ١٧ الذين ذهبوا إلى « چيڤرين » . . وأن القبطان قد وضع كل هذه الفروق فى جيبه الشخصى ، أى أنه قد حجز لنفسه ٥٠ ماركا من نصيب كل بحار بات على السفينة (المندرة) = (٣١ بحارا × ٥٠ ماركا × ٢٧ قرشا مصريا للمارك = ٤١٨,٥ جنيها مصريا) و٧٠ ماركا من نصيب كل واحد من الذين باتوا فى « چيڤرين » = (١٧ بحارا × ٧٠ ماركا × ٢٧ قرشا مصريا للمارك الواحد = ٣٢١,٣٠ جنيها مصريا) ، فيكون المبلغ كله حوالى ٧٤٠ جنيها مصريا دخلت فى جيب القبطان من نصيب البحارة ومن حق البحارة !!!! . . . .

هذه هى الإشاعة التى أشاعها سفرجى باشا بين بحارة السفينة . . وقطعا إشاعة كهذه تمس أمانة وشرف القبطان يادوب تساوى - فقط لاغير - أربعة أيام جزاء . . يابلاش !!!!! . . . . . .

واحـــد : قـــال لـــى

كبير الضباط اليوم أن المفروض أن الأكل الذى يقدم للراكب الواحد على سفن الشركة يتكلف ثلاثة جنيهات ونصف فى اليوم الواحد . . وبناء عليه فان الشركة تحاسب السفينة على أن أكل ككل راكب من ركابها - وليس من البحارة - يتكلف ثلاثة جنيهات ونصف فى اليوم . .

إثنان : إنصدت نفسنا ، « سلمى » وأنا ، أمس من شكل العشاء الذى رأيناه على السفرة أمام الضباط والمهندسين ، فطلبنا من السفرجى أن يحضر لنا (تونة) ، فأحضر لنا علبة واحدة صغيرة ثمنها فى الدكاكين ١٤ قرشا ، حتى لم يحضر علبة لكل منا . . وكنا لم نأكل على السفينة طوال يوم أمس ، يعنى الناس بتوع الحساب على السفينة يحاسبون الشركة على أننا أكلنا أمس بسبعة جنيهات فى حين أننا أكلنا علبة (تونة) واحدة بـ ١٤ قرشا ، أو مايساوى ١ : ٥٠ من الجنيهات السبعة المفروضة !! . .

ثلاثة : دخلت إلى القبطان فى قمرته ظهرا لأسأله عن شىء ما ، فوجدت عنده مأدبة فاخرة وسفرة ممدودة قاد كده عليها مالذ وطاب من الطعام والشراب والمنكر ، وتحيط به ضيفتان ألمانيتان حسناوتان زى القمر . . الستائر المسدلة والضوء الخافت جدا والجو الناعم جدا الهادىء جدا ، ذكرتنى بأيام الشباب الخوالى جزاء الله خيرا . .

أربعة : فى نفس الليلة جاءنا العشاء ـ نحن ركاب الدرجة الأولى كما تقول التذاكر التى معنا ـ قطعة جبن تركى مساحتها بالضبط ٣سم × ٤سم ، ثمنها لا يزيد عن نصف فرنك مصرى فى أغلى مكان فى العالم و٣ طماطمايات و ـ للحقيقة وللإنصاف ـ طقم شوك وسكاكين ومعالق وسرفيس فاخر جدا وشيك جدا . . كفاية . . رضا . . حانتهب ؟ !! . .

خمسة : والليلة أيضا أرسلوا لى نصيبى من الفاكهة عن الأسابيع الثلاثة القادمة : برتقالتين وتفاحتين وموزتين وكمثرايتين . . فى الوقت الذى صرفوا فيه لكل أفراد طاقم السفينة ـ عن نفس المدة ـ ٦ أصابع موز و٦ برتقالات و٦ تفاحات و٦ كمثرايات !! . . ويبدو أن الراكب على السفينة « رمسيس الثانى » يعطى رتبة بحرية جديدة اسمها (ثلث ضابط) أو (ثلث بحار) ، أو أنهم مهتمين بصحتنا أكثر من اللازم وخايفين أن نتعب من أكل الفاكهة الكتير ، أو ـ وهذا الإحتمال هو الأقرب إلى الصواب ـ خايفين أحسن نتعود على أكل الفاكهة !! . .

و . . عرفت الآن فقط أين يذهب أكل البحارة على السفينة « رمسيس » ، وأين يذهب أكل الركاب . . ومنك لله ياعلى يا أبو طالب . . إنت اللى فتحت عينينا على حكاية الثلاثة جنيه ونصف أكل للراكب كل يوم !! .

ليس هناك أية

أخبار عن موعد بدء عملية تفريغ سفينتنا . . لنا الآن ثلاثة أسابيع والسفينة راكنة على الرصيف فى الميناء دون أى شىء على الإطلاق . . وكل يوم يمر علينا فى هذه الركنة اللى مالهاش لازمة تخسر فيه الشركة ٢١٠٠ جنيه . . والناس الكبار على سفينتنا ولاهامهم ، هم فاضيين ، كان الله فى عونهم !! . .

جارتنا السفينة المصرية (المندرة) تم تبخيرها هى الأخرى أمس . . القبطان « مراد العلايلى » قبطان « المندرة » أصر على أن يبيت طاقم سفينة جميعهم فى فندق « جيفرين » ، البحارة قبل الضباط وقبله هو شخصيا . . وتم ذلك فعلا بعد أن اتخلقت لهم أماكن مادام القبطان قد أصر . .

أتصور أن ذلك هو المفروض فعلا : أن يكون قبطان السفينة هو آخر من يستريح وآخر من يبحث عن راحته ، بعد أن يطمئن على راحة كل رجالته . .

فى جولتنا عصر

اليوم فى المدينة ، « سلمى » وأنا ، كان يصحبنا مستر « شتيجمان » وكيل الشركة فى « ڤيسمار » . . التقينا بالصدفة بفتاة ألمانية حسناء من موظفات مكتب شركة (مارتراس) المصرية هنا ، كنا قد التقينا بها من قبل فى مكتبها فى لقاءات عابرة . . جميلة الوجه والشعر والعينين شأن كل الألمانيات ، حبوبة جدا وودودة جدا ورقيقة جدا وناعمة جدا ، لولا مسحة من الأسى والحزن الهادىء تبدو مرتسمة أغلب الوقت على وجهها الجميل إلا عندما تضحك فتزداد جمالا . .

وصحبتنا « ريناتيه ميستير *Renate Mester* » فى جولتنا ، ولما كانت تتكلم الإنجليزية بصعوبة قليلا فقد كان مستر « شتيجمان » يقوم بدور المترجم بيننا أغلب الوقت . . . واضطررت أن أتغزل فيها عن طريقه ، وأقول لها ـ كما قلت لكل فتاة قابلتها فى المدينة ـ أنها أجمل فتاة فى « ڤيسمار »كلها ، وأننى أذكر أننى رأيتها تمثل فيلما فى السينما مع « عمر الشريف » ، إلى آخر هذه المغازلات المحفوظة التى تأتى دائما بأحسن النتائج مع الفتيات الأوروبيات اللاتى لسن معتادات على طريقة الغزل المصرى . . وكانت النتيجة أن صديقتنا الحسناء « ريناتيه » دعتنا ـ « سلمى » وأنا ـ إلى العشاء فى بيتها غدا مساء . .

« على أبو طالب »

كبير الضباط يريد أن يصالحنى بعد حكاية الفك المفترس أو الكلب التى قالها لى منذ عدة أيام . . دعانا أنا و« سلمى » و« خيرى » إلى العشاء فى مطعم « كوربيانكا *Kurpianka* » . . لم نجد ـ كما يحدث فى أغلب الأحيان ـ مائدة مستقلة نجلس إليها وحدنا ، فجلسنا إلى مائدة كبيرة كانت تسبقنا فيها شلة ألمانية : سيدة و٣ شبان . . السيدة بدينة ظريفة مرحة تجاوزت الأربعين ولا تتكلم الإنجليزية ، والشبان الثلاثة أعمارهم فى نحو العشرين أو أكثر قليلا . . واحد منهم فقط يتكلم الإنجليزية بصعوبة ، وواحد يدعى أنه يعرفها قليلا وهو لا يعرف منها كلمة واحدة ، والثالث لم يفتح فمه ولا نطق بكلمة واحدة طول السهرة . .

وضحكنا جميعا ومازحناهم وسرحنا بهم وداعبناهم بأن الرجل فى مصر ممكن أن يتزوج ٤٨ سيدة بشرط ألا ينجب أكثر من ١٢٠ إبنا ويشترط ألا يزيد عدد أحفاده عن ١٠٠٠ حفيد ، وأن لنا صديقا غلبان ومسكين وظروفه صعبه لذا فهو متزوج من ٧ سيدات فقط ، واحدة لك يوم من أيام الأسبوع !! . . وطلبوا أن نغنى لهم أغنية مصرية فلم نكسفهم وغنينا لهم أغنية واحدة كوكتيل من (العتبة جزاز والسلم نايلو فى نايلو) و(ياصلاة الزين على عزيزة ياصلاة الزين) و(حبة فوق وحبة

تحت) و(شيل الواد م الأرض إدى الواد لباباه) . . فانبسطوا جدا ، ماهم مش فاهمين حاجة . . . . ولاحظت أن الشاب الألمانى مدعى معرفة اللغة الإنجليزية وإسمه مستر « آخم » قد انتقل من مكانه البعيد ليجلس إلى جوار « سلمى » وهو ينظر إليها بطريقة لم تعجبنى ويحرك يده بتردد كأنما يقاوم نفسه فى أن يمد يده عليها . . وحتى أتلافى حدوث مشاكل أو متاعب إدعيت أننى أشهر قارىء كف فى القارة الأفريقية كلها ، فمد مستر « آخم » يده لى بسرعة فاردا كفه لكى أقرأه له ، فأخذت كفه فى يدى ونظرت فيه ملياً ثم قلت له : « إنت إيدك مش نظيفة . . قوم إغسل إيديك وتعالى ، فصدقنى الأهبل وقام ، فطلبت من مسز « آلما » السيدة البدينة أن تأتى هى لتجلس فى مكانه إلى جوار « سلمى » لأقراء لها كفها ، ففعلت . . لكنه عاد فوجدها تجلس مكانه فحاول أن يجعلها تقوم ليجلس هو إلى جوار « سلمى » مرة أخرى فرفضت « آلما » ، فحشر نفسه بالعافية وجلس بينها وبين « سلمى » وهو لايزال ينظر إليها بنفس الطريقة التى أشعرتنى بأنه ، خلاص ، ينوى أن يمد يده عليها . . وفعلا ، كأنه يريد أن يرينا كيف يضع الألمان دبل الزواج فى أيديهم ، مد يده وأمسك بيد « سلمى » وخلع خاتمها من إصبعها البنهر ووضعه فى إصبعها الوسطى !! مجرد حجة وتلكيكة ليمسك بيدها ، فالألمان لا يلبسون خاتم الزواج هكذا فعلا !! . . فما كان منى إلا أن نطرت يده بعنف بعيدا عن يدها وطلبت منه ببرود أن يقوم ليعود إلى مكانه الأصلى . . ثم قمت من مكانى إيذانا بانتهاء سهرتنا نحن والسلام عليكم وتركناهم ومشينا بعد أن حييناهم عادى جدا . .

لكننا بعد انصرافنا بدقائق وجدنا الشبان الثلاثة يلحقون بنا فى الشارع ، ويحيينا اثنان منهم وينصرفان ، ويتلكأ مستر « آخم » ليتكلم بالألمانية أى كلام وهو يحاول ـ أيضا ـ أن يقترب من « سلمى » وأنا أضع نفسى حاجزا بينه وبينها . . حتى بدأت أفقد أعصابى ، فطلبت من « على أبو طالب » ـ الذى يعرف الألمانية طراطيش ـ أن يطلب من مستر « أخم » الإنصراف قبل أن أضربه . . فشخط فيه « على » وطلب منه أن يروح ينام . . فانصرف الشاب على الفور ، بره بعد أن حيا « سلمى » وحدها فقط !!

وكنت ونحن فى

المطعم قد قرأت كف مسز « آلما *Alma* » بطريقتى المعتادة : المعلومات التى عرفتها عنها خلال قعدتنا !! . . أمسكت بكفها الغليظة وأشرت إلى خط فيها وقلت لها أنها ألمانية !! فهزت رأسها موافقة . . وأشرت إلى خط آخر فى كفها وقلت أنها تعمل فى فندق « شتادت هامبورج هوتيل » فهزت رأسها بالإيجاب وهى مندهشة . . وأشرت إلى خط ثالث وقلت لها أنها أرملة وأن زوجها قد رحمه الله منها من حوالى سنة ، فهزت رأسها وهى ـ الهبلة ـ مبهورة من قدرتى العظيمة على قراءة الكف وقد نسيت أنها هى نفسها التى قالت لنا هذه المعلومات منذ قليل فى بداية القعدة . . وقلت لها وأنا أتامل خطوط كفها أن عمرها فوق ١٨ سنة ، فهزت رأسها وهى سعيدة جدا لأنها فوق الـ ٤٥ على الأقل . . وهنا كانت كل المعلومات التى عرفتها عنها قد انتهت ، فبدأت فى التهريج ـ آل يعنى اللى فات ده كله مكانش تهريج ـ فقلت لها أنها سوف

تعيش ١٤٠ سنة أخرى وتتزوج ٦ مرات أخرى وتنجب ٤٨ ابنا وبنتا ، وأنها سوف تصبح مشهورة جدا وتدخل التاريخ الألمانى الحديث ويسمى بإسمها أكبر ميدان فى « ڤيسمار » . . وهنا فقط تنبهت مسز « آلما » إلى أننى أمزح فضحكت وماتت على روحها من الضحك وهى تقول لى : « لا إنت بتهزر » وداعبتنى بأن خبطت بيدها على صدرى فخلعت كتفى . . . .

الفصل الرابع عشر

لا أحد يشترى قطة فى كيس ! مقفول .!

لم نتعب كثيرا

في العثور على بيت « ريناتيه ميستير» في شارع (لييننجراد) في أطراف « ڤيسمار » . . لم يستغرق منا المشوار أكثر من ١٠ دقائق سيرا على الأقدام حتى وصلنا إلى خارج المدينة ، فالمدينة كلها صغيرة أصلا . . والمنطقة التى تسكن فيها « ريناتيه » واضح انها منطقة إسكان جديدة كلها عمارات متشابهة تشبه مدينة نصر عندنا فى القاهرة ، لكن على أشيك كثيرا طبعا ، وعلى مظهر أوروبى . . عدد كبير جدا من الـ (بلوكات) ، كل (بلوك) منها يضم عدة عمارات متلاصقة بدون فواصل . . والعمارات أو البلوكات مكتوب عليها أسماء سكان العمارة حسب ترتيب الطوابق ، وأمام اسم كل ساكن زر صغير تضغط عليه فيدق جرسا فى الشقة المطلوبة لكى (تدى خبر) لأصحابها بأن سيادتك قد شرفت لكى يستقبلوك . .

الشيء الملفت للنظر جدا فى هذه المنطقة ـ النظر المصرى فقط طبعا ـ هو اللون الأخضر : الزرع والحدائق والنباتات والنجيل يملأ كل مساحات الفراغ أمام وحول العمارات بشكل بهيج جدا يشرح الصدر ويفتح النفس . . وعرفت أن سكان كل عمارة مسئولون عن الرعاية والعناية بالمساحة الخضراء أمام عمارتهم ، بحيث تتناوب كل أسرة من الاسر الثمان رعايةاللون الأخضر أسبوعا واحدا كل شهرين . .

« ريناتيه » تستقبلنا على

باب شقتها فى الطابق الرابع . . لسنا وحدنا ضيوفها الليلة ، عندها أيضا صديقنا المشترك مستر « شتيجمان » وكيل الشركة فى « ڤيسمار » ، وصديقين لها قادمين لزيارتها من برلين : رجل البوليس الألمانى مستر « أتو فاستر *Ott Faster* » (٦٥ سنة وبالمعاش الآن) وزوجته المرحة الظريفة المهرجة مسز « هيدفيج فاستر *Hedwig Faster* » (٦٢ سنة وبالمعاش أيضا) . .

وتأخذنا « ريناتيه » لتفرجنا على شقتها الصغيرة شديدة الأناقة . . هذا هو الذوق الاوروبى الحديث فعلا : حجرتين فقط متوسطتى الاتساع . . حجرة بها مكتبة فى غاية الأناقة بعرض الحائط كله + ٣ كنبات تتحول بالليل إلى ٣ سراير للأم وابنتها وابنها . . الغرفة الثانية بها ـ أيضا ـ مكتبة أخرى كبيرة بعرض الحائط كله كذلك ، تضارع المكتبة الأولى أناقة وجمالا و« كتبا » ـ وهو

الأهم ـ ، وبها أيضا تلفيزيون ملون وراديو وبيك آب ، وكنبة وكرسيين ومائدة صغيرة . . وهذه الغرفة تقوم بدور ٣ غرف فى وقت واحد : غرفة الصالون وغرفة السفرة وغرفة المعيشة . . وطبعا السجاد الموكيت فى أرضية الشقة كلها من الجدار الى الجدار . . المطبخ صغير ومحندق لكنه مجهز تجهيزا كاملا على أحدث طراز بكل احتياجات المطبخ الحديث . . تسلمته « ريناتيه » هكذا عندما استأجرت الشقة من الحكومة ، لم يكن ينقصه إلا الثلاجة التى اشترتها هى . . الحمام أيضا فى غاية الأناقة والنظافة والجمال . . وحوائط الشقة كلها ـ حتى الحمام والمطبخ ـ عليها ورق حائط بألوان ناعمة هادئة مريحة . . والشقة كلها عموما تعطرها اللمسة الأنثوية الناعمة الرقيقة التى تتضح تماما فى شخصية « ريناتيه » . . ولنتفق من الآن على أن نسميها « رينا » من باب التسهيل ، وعلشان ندلعها أيضا ، فهى تستحق !! . .

مـــادامت « رينـــا » و« برنهارد »

« إبنة » وعندما « إبن » وعندها ٣ سراير فقط ، فأين إذن مكان « الزوج » فى شقتها ؟! . . للأسف لا يوجد زوج . . ولعل هذا هو سبب مسحة الحزن والأسى التى لاحظتها حين تعارفنا أمس على وجهها الجميل . . فقد عرفت من مستر « شتيجهان » حين طلبت منه أن يحدثنى عن « رينا » أنها تزوجت وعمرها ١٨ سنة بعد قصة حب شأن كل البنات الأوروبيات ، ودام زواجها ١٩ سنة ثم انفصل الزوجان منذ عام واحد فقط . . واختار الإبنان أن يقيما مع أمهما « رينـا » : « سابينـا *Sabine* » وعمرهـا الآن ١٩ سنة ، و« برنهارد *Bernhard* » عمره ١٤ سنة . . . . ولم تتزوج « رينا » مرة أخرى إكتفاء بتجربتها الأولى .

لـــــو أن « ســابرينا » و« برنهــارد »

كانا موجودين لما اتسع لهما المكان فى الغرفة الصغيرة . . فإن المائدة الصغيرة تستوعبنا بالكاد نحن الستة : « رينا » وضيفاها مستر ومسز « فاستر » ، ومستر « شتيجهان » و« سلمى » وأنا . . المائدة جاهزة للعشاء من لحظة دخولنا الشقة . . هنا يتناولون العشاء بدرى جدا على عكسنا فى مصر . . هم يتعشون فى السادسة أو السابعة مساء على الأكثر والشمس لسه طالعة ، ونحن لا نتعشى إلا بعد العاشرة ليلا . . على المائدة زجاجتين من الـ (منكر) لم أهتم بمعرفة نوعهما ، وطبق كبير به ٦ قطع ، على قدر عددنا ، من الكلاب الساخنة (!!) أو الـ « هوت دوجز *Hotdogs* » ، وطبق كبير جدا من السلطة الخضراء بالمايونيز وبس !! . . هذه هى المائدة المعدة لعشاء ٥ من الضيوف . . لا عشرة أصناف خضار ولا خمسة أصناف رز ومكرونة ورقاق وجلاش ولا ١٥ صنف طيور وفراخ وبط ووز ولحوم وبفتيك وسكالوب ولحمة محمرة ولحمة باردة ولحمة سخنة ولحمة نص نص ، ولا (تعدميني لا انتى واكلة دى) ولا (والنبى لتخلص اللى قدامك ده كله) ولا (بأه تكسفى إيدى) ولا (إن شالله اللى ياكلها غيرك

يزور) ولا (أمال أنا عاملة ده كله لمين ؟) . . بساطة شديدة جدا فى تناول كل الأمور بما فى ذلك أمور الطعام ، وبعد عن المنظرة والمظهرية والفشخرة ، لذا فإنه يندر أن تلتقى برجل أوروبى أو بفتاة أوروبية بدينة ، واذا كانت كذلك فلأنها ولدت هكذا وليس للأكل دخل فى بدانتها . .

ورغم ذلك ، رغم إعجابى الشديد ببساطة المائدة المعدة لعشائنا ، إلا أننى شعرت بأننا سنسبب حرجا كبيرا لمضيفتنا الحسناء « رينا » ، فلا أنا ولا « سلمى » نشرب الخمر ولا نأكل الـ(بورك) أو لحم الخنزير المصنوعة منه الـ (هوت دوجز) . . وبذا سنفسد عليها كل ما أعدته من أجلنا !! . . لكن لم يكن هناك بد من أن أعتذر لها بأن ديننا كمسلمين يحرم علينا شرب والخمر وأكل لحم الخنزير . .

ورغم الدهشة التى بدت واضحة على وجه ضيفيها العجوزين مستر ومسز « فاستر » ، فإن « رينا » بابتسامتها الرقيقة الجميلة أعفتنا من هذا الحرج بأن قالت أنها كانت تتوقع ذلك ، لذا فقد عملت حسابها واشترت الـ (هوت دوجز) من اللحم البقرى ، وجهزت لنا كوكاكولا بدلا من الخمر . . . . . .

وهكـــذا ، مـــن بـــداية

القعدة مباشرة ونحن نبدأ فى تناول العشاء ، إنفتح موضوع الشرق والغرب ، والتقاليد فى الشرق والتقاليد فى أوروبا . . وانهالت علينا أسئلتهم المتلاحقة عن شكل الحياة الإجتماعية فى مصر وكيف يتزوج الشباب والفتيات فى مصر وكيف يتعارفون ، وكيف عرفت أنا شخصيا زوجتى وهل صحيح أن الحجاب مازال موجودا فى مصر ، ولماذا يندهش البحارة المصريون الذين يأتون إلى هنا لأول مرة من منظر القبلات المتبادلة فى الشوارع بين الفتيان والشباب الألمان ؟! . . وعشرات الأسئلة عن التقاليد الشرقية والتقاليد فى مصر ، ونسبة الشيوعيين فى مصر ومدى انتشار الشيوعية عندنا وهل عندنا حزب شيوعى أم لا ؟! . . . . .

لكن بما أننى أنا الضيف ، وبما أننى أنا الصحفى ، فقد استأذنتهم فى أن أستوفى أنا إجابات أسئلتى منهم أولا ، ثم نجيب على كل أسئلتهم بعد ذلك وحدث . .

وكـــان الموضـــوع الـــذى

انفتح تلقائيات هو موضوع : (حرية الفتاة الألمانية فى ممارسة الجنس دون زواج ، وفى سن مبكرة جدا ، دون أى حساب لا من أسرة الفتاة نفسها ولا من المجتمع الذى تعيش فيه . . ولا أحد ينظر الى هذه المسألة حتى ولا ينظرة دهشة) . . . . . نظرة الدهشة كانت تملأ عيونهم وهم يشتركون جميعا فى الإجابة على تساؤلاتى . . لم تكن إجاباتهم

جديدة عليّ ، فقد سمعتها من قبل فى كل بلد زرته فى أوروبا فى السنوات الـ ١٥ الأخيرة ، لكن وقعها على « سلمى » كان شديدا ، حتى أنها ظلت تتابع الحوار الدائر صامتة تماما ما يقرب من ٥ ساعات كاملة . .

* عندما تصل الفتاة الألمانية إلى سن الثامنة عشرة فإنها تستطيع ـ بحكم القانون الألمانى ـ أن تفعل ما تشاء وتحب وتتزوج حتى ، دون موافقة الأسرة . . وحتى لو عارضت الأسرة فإن معارضتها لا تهم . . كل ماتستطيعه الأسرة هو أن تقول للفتاة : « إذهبى إلى الجحيم أنت وفتاك » ـ فى مصر نقولها باللغة العربية : « روحى فى ستين داهية » ـ ولا تساعدها فى نفقات الزواج إذا أصرت على الزواج منه . . لكن حتى ذلك ليس مهما ، لأن الفتاة هنا تعمل قبل سن الثامنة عشرة غالبا ، وبمرتبات كبيرة نسبيا ، ونفقات المعيشة وتكلفة إنشاء بيت جديد ليس كبيرة . .

* وذلك ليس معناه أن الفتاة الألمانية تكون محكومة من الأسرة قبل سن الثامنة عشرة . . فإنه لا توجد فتاة هنا ليس لديها صديق تعاشره وتمارس معه الجنس قبل ذلك السن بكثير ، وغالبا ما تبدأ العلاقة بينهما وهما تلميذان معا فى المدرسة فى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة . . وذلك شىء طبيعى جدا تماما هنا كالأكل والشرب والرياضة والذهاب إلى السينما والذهاب إلى النادى ، وحتى لوكانت هذه الأشياء تثير دهشة فى أى مكان فإن الجنس هنا لا يثيرها . . العلاقات الجنسية بين الفتيات والشباب لم تعد مشكلة وأصبحت الآن شيئا طبيعيا جدا وليست موضع أى مناقشة !! . .

* والأسرة الألمانية ترحب بصديق إبنتها تستقبله فى بيت الأسرة إذا شعر الأب والأم بأن هذا الصديق هو الذى تمارس معه ابنتهما الجنس ، على اعتبار أنه إذا كان ولابد فيبقى فى البيت أحسن وأفضل وأكثر احتراما !!!!! . . . . . أما إذا تعذر على الفتاة والفتى الألمانيان أن يجدا مكانا مغلقا يمارسان فيه الجنس فإن فى الحدائق العامة ـ وهى كثيرة جدا جدا فى ألمانيا كما لا حظت ـ متسع للجميع دون أى إزعاج من أى حد ، وفى حماية ورعاية القانون !!!!! . . . . .

وعن تعدد العلاقات

الجنسية للفتاة ، قالوا أن الفتاة الألمانية عادة ، بحكم مراحل السن واختلاف المزاج وتطور التفكير وتغيره ، تنتقل بين صديقين أو ثلاثة ، لكن ليس فى نفس الوقت . . والمعتاد أن يكون لها صديق واحد تمارس معه الجنس وتظل مرتبطة به وحده حتى يتخاصما أو يفترقا لأى سبب من الأسباب ، فترتبط بغيره ، ثم يفترقان فترتبط بثالث ، ثم برابع وهكذا ، حتى تستقر فى النهاية عند اكتمال نضجها الذهنى والعاطفى بواحد يكون هو غالبا الذى تتزوجه . . لكن ذلك لا يمنع من أن تكون قد أنجبت طفلا أو أكثر ، من واحد أو أكثر ، من أصدقائها السابقين !!!!! . . . . .

ولو أن أى أب ألمانى

دخل إلى مكان عام ـ كازينو مثلا ـ ووجد ابنته فى حالة استغراق عاطفى وقبلات هيمانة نشوانة مع شاب لا يعرفه ، فلن يضايق الأب ذلك ولن يخرج مسدسه ولا سيفه ولا مدفعه الرشاش ولا حتى دبوس ابرة ، بالعكس ، سوف يلوح لهما بيده من بعيد : « هاى » وسيسر ويسعد لأن ابنته مبسوطة وعندها صديق بيفسحها ويخرج معاها وبيبسطها وشايف « راحتها » !! . .

وأنا كأب وأنا كأم ـ « شتيجهان » و « رينا » يستطردان ـ لا أغضب إذا قالت لى ابنتى أنها تمارس الجنس مع فتاها . . كل الآباء الحديثين الآن لا يجدون فى ذلك أى غضاضة أو عيب ، لكن ـ كما فى أى مكال آخر فى العالم ـ هناك بعض الآباء والأمهات من « الدقة القديمة » الذين لا يرحبون بذلك ويتجهمون له ، لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من ذلك : « يتجهمون » فقط ، فالقانون لا يمنعهم من التجهم ، هم أحرار ،لكنه يمنعهم من التعرض لبناتهم وأبنائهم وتقييد حرياتهم !! . . كل ما أستطيعه بالنسبة لإبنتى ، إذا كنت أبا أو أما مثل كل الآباء الأمهات العاديين فى ألمانيا ، هو أن أجلس معها كصديق لأقول لها : « أنت كبيرة الآن بما فيه الكفاية لتعرفى مصلحتك ، وهذه هى حريتك الشخصية تماماً » . . لكن ينبغى أيضا أن أنبهها الى أنها يجب أن تفكر جيدا قبل أن تقرر ما إذا كانت تنوى أن تأتى بطفل فى الوقت الحالى قبل تتزوج ـ (طفل غير شرعى طبعا) ـ . .

وحتى اذا قررت ابنتى ذلك - رغم نصيحتى - فإننى لا أستطيع أن أمنعها . . لكن عموما فإن أغلب الفتيات الألمانيات حريصات على استخدام حبوب منع الحمل طالما هن تلميذات فى المدرسة بعد ، وطالما انهن لا يردن إنجاب أطفال فى تلك الفترة حتى لا يعطلهن ذلك عن الدراسة . . كما أن القانون الألمانى يسمح بإجراء عمليات الإجهاض مجانا وعلى نفقة الدولة ، إذا لم ترغب الفتاة الحامل فى وجود الطفل الآن ، على شرط واحد فقط هو أن تكون مدة الحمل أقل من ٣ شهور !! وقد كان لقانون إباحة الإجهاض أثر كبير فى الإقلال من عدد الأطفال غير الشرعيين ، وأصبح الآن ١٥ ٪ أو ٢٠ ٪ - فقط (!!) - من الفتيات الألمانيات يكن لديهن أطفال قبل أن يتزوجن !!!!! . . . . . .

ومع ذلك فإن

هذا لا يمنع من وجود نسبة كبيرة من البنات الألمانيات فى سن الـ ١٣ و١٤ و١٥ لديهن أطفال !! . . نسبة عالية جدا من البنات تحت سن ١٦ سنة أمهات بدون زواج : حملن وأنجبن فى بيت الأسرة دون أن يتزوجن ، وليس فى ذلك فضيحة أو جرسة ولا شرف البنت زى عود الكبريت ولا حاجة أبدا . . شرف البنت هنا - ده أنا اللى باقول - أصبح زى الولاعة الرونسون : يولع ١٠٠٠ مرة كل يوم دون أن يفسد ولا يجراله حاجة !! . .

وذلك أيضا – ده أنا برضه اللى باقول – جانب من جوانب القانون الألمانى الظريف : يمنع زواج البنت الألمانية قبل سن الـ ١٨ ، لكنه ليس لديه مانع أبدا فى أن تنجب نصف دستة أطفال غير شرعيين حتى تصل إلى سن الزواج الـ . . . قانونى !!! . . .

ولكن هذا العدد

الهائل من الأطفال غير الشرعيين : الأطفال بدون آباء معروفين محددين ، أين يذهب هؤلاء الأطفال غير الشرعيين ؟ ! . .

لا يذهبون ولا يجيئون : القانون الألمانى الظريف يكفل لهم كل الحقوق التى للمواطن العادى تماما . . وببساطة جدا وبدون أية مشاكل ، يعطى للطفل إسم أسرة الأم ، ولا حد يزعل ولا يتقهر ولا يشغل باله ولا حاجة أبدا . . هى المشكلة مشكلة أسماء ؟ ! ما هى الأسماء كتير والحمد لله ومفيش أكتر منها !! . .

القانون يلزم ، فقط ، والد الطفل – (إذا كان معروفا ومحددا ولا خلاف عليه ، وإذا وافق هو على أنه متأكد أن هذا الطفل منه شخصيا وحده) – يلزمه بأن يدفع للطفل « نفقة » مقدارها ١٠٥ مارك شهريا حتى يصل الطفل إلى سن الـ ١٨ فيتوقف الأب عن دفع النفقة !! . . والنفقة هنا للطفل نفسه وليست للأم ، لأن نفس النفقة بالضبط يدفعها أيضا الزوج الذى يطلق زوجته فى حالة وجود أطفال فقط ، فيدفع ١٠٥ مارك عن كل طفل مهما كان عددهم . . لكن إذا حدث الطلاق دون أن يكون بينهما أطفال فلا يدفع نفقة على الإطلاق . .

والدولة هنا تهتم

بالأطفال جدا ، شرعيين وغير شرعيين ، وتقدم لكل أم ١٠٠٠ مارك – نحو ٢٧٠ جنيها مصريا كهدية الولادة عند وصول كل طفل . . وأيضا تقدم مبلغا شهريا للأم مساهمة من الدولة فى رعاية الطفل والعناية به ، فيعتبر كأنه « مرتب » للطفل أو « مصروف » له من الدولة ، لدرجة أن بعض الأطفال بعد أن يكبروا قليلا ويعرفون ذلك يطالبون آباءهم أو أمهاتهم بذلك المصروف الذى تدفعه لهم الدولة لكى ينفقونه بمعرفتهم .

القانون هنا أيضا يرعى الفتاة الحامل ، وسواء وليدها المنتظر شرعيا أو غير شرعى ، معروف الأب أو مجهوله ، فإن القانون الألمانى يعطيها الحق فى أن تنقطع عن العمل تماما حتى تضع مولودها ، ويعطيها أيضا أجرها طوال هذه المدة !! . .

ظريف جدا القانون الألمانى هذا . . مُلْعَبْ جدا !! . . . .

الطفل الألمانى « طارق

إبن البحار المصرى الذى أنجبه من فتاة ألمانية دون زواج ، ثم هجرها وراح لحا وعاد إلى مصر ، وبقيت الأم الألمانية الصغيرة وطفلها الأسمر ذو الشعر الأسود الأكرت والعينين الزرقاوين والإسم المصرى !! . . وتزوجت الأم الصبية مؤخرا من شاب ألمانى ويعيش معهما « طارق » ، بل وأعطاه الزوج الألمانى إسمه أيضا . . عادى جدا !!! . . .

الأظرف من ذلك كثيرا أنه حين تحدث حالة طلاق فى أسرة ألمانية لاى سبب من الأسباب ، فنظرا لعدم توافر الشقق لكل ينفصل كل واحد من الإثنين ويذهب إلى شقة أخرى ، فإن الحال تظل على ما هى عليه : يعيشان معا فى نفس البيت وعلى نفس الأثاث ، ويأكلان معا ويشربان معا ويشاهدان التليفزيون معا ويستقبلان الأصدقاء المشتركين معا . وفيما عدا ذلك فلكل منهما حياته الخاصة تماما : الزوجة - أو المطلقة الآن - تستقبل صديقها الجديد فى البيت فى وجود الزوج - أو المطلق الآن - وتدخل مع حبيبها غرفة نومها ويغلقان على نفسيهما الباب ، والزوج قاعد يتفرج على مباراة كرة القدم فى التليفزيون !! . . والعكس أيضا يحدث : حين تصل صديقة الزوج - المطلق الآن - تفتح لها الزوجة الباب وتقابلها بالأحضان وتطرى تسريحه شعرها وذوقها فى اختيار فستانها وتقعدان تدردشان معا حتى يستيقظ (البيه) من نومه أو ينتهى من حلاقة ذقنه وأخذ حمامه وارتداء ملابسه ، ليخرج هو وصديقته ليسهرا فى الخارج ، أو برضه يدخلان غرفة نوم الزوج ويغلقانَ الباب وراءهما بينما تنشغل الزوجة فى تجهيز العشاء للجميع !!! . . . ببساطة وظرف ومنستوى عال من الثقافة والإنفتاح والرقى ، والله يخرب بيوتهم أكثر مما هى خربانة . . . .

سألت « رينا » و« شتيجمان »

كأم وكأب : « فى أى سن لابنتك لا تجدان غضاضة فى أن تعرفا أن ابنتكما تمارس الجنس مع صديقها ؟ ! . . وبمعنى آخر : متى تظنان السن المناسب لكل تبدأ فيه ابنتكما حياتها الجنسية ؟ ! » . .

والجواب : اتفق كلاهما على أن أن ١٦ سنة - فى رأيهما - سن مناسب . . لكن الذى يحدث فعلا هو قبل ذلك بكثير . . وأحيانا قبل ذلك بكثير جدا !! . .

* عدت أسألهما : « فهل يقلقكما أن تصل ابنتكما إلى سن الـ ١٦ وهى لا زال عذراء : أو دون أن يكون لها صديق تمارس معهاالجنس ؟ ! » . .

وأجابا : « لغاية سن ١٦ لا نقلق ، لكن بعد ذلك مباشرة - فى سن الـ ١٧ أو الـ ١٨ - نبدأ فى القلق من أجلها ، وقد يحتاج الأمر إلى أن نعرضها على أخصائى نفسى لنعرف السبب ، خوفا من أن تكون الفتاة (معقدة) لسبب لا نعرفه (!!) » . . .

* ويقول لى مستر « شتيجهان » ضاحكا أن لديهم قولا ألمانيا شائعا ، أو لنعتبره مثلا شعبيا ، يقول : (لا أحد يشترى قطة فى كيس مقفول) . . وهو المثل الذى يقابله عندنا فى مصر : (ما حدش بيشترى سمك فى ميه) - يستطرد مستر « شتيجهان » : « وعلى ذلك فإنه ينبغى أن نجرب الشىء قبل أن نأخذه لأنفسنا ، والتجربة هنا - إلى أقصى الحدود - مسموح بها ومطلوبة !!! . . .

* ووفرت « رينا » علىّ - كتر خيرها - سؤالى الذى كنت أريد أن أسأله لها وأنا فى حرج شديد ، فسألته هى لنفسها : « لعلك تريد أن تسأل : هل يندهش العريس الألمانى إذا وجد عروسه فى ليلة الزفاف غير عذراء ؟ ! . واستطردت « رينا » ضاحكة ترد على السؤال الذى وجهته لنفسها ، بأن ذلك لا يحدث قطعا لأنهما من المؤكد أنهما لن ينتظرا حتى ليلة الزفاف دون أن يمارسا الجنس . . وحتى لو انتظرا ، فإن العريس سوف يندهش - جدا - إذا وجد العكس ، أى إذا وجدها عذراء . . لأن واحدة فقط فى المليون تكون عذراء فى ليلة زفافها ، وتكون الأسباب مجهولة ومستغربة !!! . . .

وآمن الجميع على كلام « رينا » وهم يرفعون كؤوسهم ليشربوا نخب الصداقة بين الشعبين الألمانى والمصرى !! .

ويحكى لنا مستر

« شتيجهان » الذى كان حتى فترة قريبة رئيسا لشركة كبيرة قبل أن يتقاعد صحيا ، وهو فى الثانية والخمسين من عمره الآن . . يحكى لنا أن ابنته « چيزيللا » - (وقد وافق دون تردد على أن أنشر إسمها وصورتها أيضا) - حين كانت فى السادسة عشرة أحبت بحارا وحملت منه وأنجبت طفلة جميلة إسمها « سيلڤانا » . . لكن البحار رفض أن يتزوج « چيزيللا » فى الوقت الحالى وطلب منها أن تنتظره عدة سنوات لم يحدد عددها - بطريقة (فوت علينا بكرة) - ، لكن « چيزيللا » رفضت أن تنتظره يوما واحداً وطلبت منه أن يذهب هو إلى الجحيم ، وقالت لأبيها - بعد أن جعلته « جدا » - أن صديقها البحار ذهب إلى الجحيم ولا تعرف متى سيعود ، فقال لها الأب مستر « شتيجهان » : « ولا يهمك . . فى ستين داهية » . . واستمرت « چيزيللا » فى مدرستها حتى تخرجت وتوظفت ، ثم تزوجت بعد ذلك من مهندس شاب ألمانى ، وسارت العروس « چيزيللا » فى حفل زفافها وابنتها « سيلڤانا » ذات الثلاث سنوات تسير وراءها تحمل ذيل طرحتها البيضاء !!! . . . ولم يعط العريس إسمه لـ « چيزيللا » فقط ، إنما أعطاه أيضا لابنتها الطفلة « سيلفانا » !! . .

وهكذا أصبحت « سيلفانا » الآن طفلة ظريفة جميلة فى الخامسة من عمرها ، بينما لم تتزوج أمها إلا منذ سنتين فقط ، فأين نحن فى مصر من هذه التكنولوچيا المتقدمة جدا !! . .

وجـــاءت « ســابينا » ابنـــتة

وسهرتنا فى بيت أمها « رينا » مازالت مستمّرة . . جاءت فى العاشرة والنصف مساء ، فتاة حلوة مضيئة عمرها ١٩ سنة ، رائعة الجمال شديدة الظرف والجاذبية والوسامة والرقة والبراءة كطفلة فى الثانية من عمرها . . وساعدتها أمها « رينا » فى خلع معطفها وصبت لها كأسا لتشرب معنا - أقصد معهم - وأشعلت لها السيجارة . . واشتركت « سابينا » معنا فى الحديث الدائر ، فما أن عرفت الموضوع الذى نتحدث فيه حتى قامت وأحضرت لنا صورة صديقها « بيتر هوب » *Peter Hopp* الذى تمارس معه الجنس منذ ٣ سنوات منذ كانت فى السادسة عشرة من عمرها ، وهو أكبر منها بسنة واحدة ، وقد تخرج من المدرسة فى العام الماضى ويعمل كهربائيا فى مدينة « روستوك » على بعد ٦٥ كيلو مترا من « ڤيسمار » لذا فهو لا يحضر إلى هنا إلا فى عطلات نهاية الأسبوع يوم الجمعة مساء ، ليقضى مع « سابينا » يومى السبت والأحد ، ويعود إلى عمله يوم الإثنين من بدرى . . .

« سابينا » نفسها طالبة فى المدرسة التى تخرج مشرفات فى دور الحضانة التى ترعى الأطفال دون الثالثة من أعمارهم ، وسوف تتخرج فى العام القادم ، لكنها تستطيع أن تستمر فى الدراسة ٣ سنوات أخرى فى مرحلة أعلى وأكثر تخصصا . . « سابينا » مزيج من شمس الباودى ونجلاء فتحى وسعاد حسنى معا ، ولو جاءت إلى القاهرة فى زيارة سريعة لمدة أسبوع واحد فقط لما تركها المنتجون والمخرجون المصريون تعودإلى ألمانيا قبل أن تمثل عشرة أفلام على الأقل ، برضه فى خلال هذا الأسبوع الواحد !! . .

وانتهـــى كـــــل الكـــلام

الجد : أجابو على كل أسئلتنا فى ألمانيا ، وأجبنا عن كل أسئلتهم عن الحياة فى مصر . . وبدأت السهرة تأخذ جوا مرحا بعيدا عن « المناظرة المصرية الالمانية » ، فطلبوا منا أن نغنى لهم أغنية من أغنينا المصرية ، لكنه لم نفعل حرصا على مستقبل الصداقة بين الشعبين الألمانى والمصرى . . فقامت السيدة العجوز الأروبةمسز « هيدفنج فاستر » لترقص هى رقصة شعبية ألمانية وتغنى باللغة الألمانية ، فكانت ختاما سيئا للسهرة كلها ، أفسدتها منها لله . . - (أرجو من الذى سوف يقوم بترجمة هذا الجزء من المقال لمسز « فاستر » ألا يترجم لها كلامى بالضبط ،

بل يقول لها ـ كتر خيره ـ أننا إنبسطنا جدا من رقصها ومن غنائهالا أراه الله رقصا فى عزيز لديه) ـ . .

وقالت لهم « سلمى »أننى أقرأ الكف ، « فشبطت » «رينا » الحسناء فىّ لأقرأ كفها ، فقرأته بطريقتى اياها : أمسكت كفها الجميل بيدى وتأملت خطوطه طويلا ثم قلت لها أنها تملك أجمل يدين فى ألمانيا كلها بقسميها ، الشرقية والغربية ، فماتت من الضحك . . وعن خط العمر قلت لها أنه واضح جدا أنها ستظل طول عمرها فى سن الحادية والعشرين ، فماتت من اضحك . . وعن خط الإنجاب والأولاد قلت لها أنها أنجبت فتاة ظريفة سمها « سابينا » عمرها ١٩ سنة وولدا إسمه « برنهارد » عمره ١٤ سنة ، فماتت من الضحك . . وكان ممكنا أن أظل هكذا ممسكا بكفها الناعم البض الدقيق الجميل فى يدى طول الليل وأنا أحكى لها كلاما هايفا مثل هذا وهى تموت من الضحك ، لولا أن ضلوعى لا تتحمل تأثير كوع « سلمى » – التى تعتبر نفسها ولى أمرى هنا – أكثر من ٣ مرات فى الليلة والواحدة . . . . .

الفصل الخامس عشر

الكونتيسة ..
وماما الحاجة ..
و ..
حسان يأكل البندق !

قال لى القبطان

أثناء حديث عابر أنه يريد أن يشترى كسارة بندق ؛ فسألته ببراءة : « ليه ؟ . . . هو انت ماعندكش فى مصر كسارة ؟» عندى طبعا ؛ لكن عايز واحدة تانية علشان هنا . . إمبارح رميت لـ (حسان) بندق بقشره ؛ مسكين بقى محتاس فيه ومش عارف يكسره باسنانه . . علشان كده عايز اشترى كسارة علشان أكسر له البندق فيعرف ياكله " !! . . . .

" حسان " هذا هو كلب الضابط الإدارى ؛ وهو من نوع الـ (وولف) - " حسان " طبعا وليس الضابط الإدارى - هو يحظى برعاية خاصة من القبطان الذى يحب الكلاب ويرعاهم ؛ جزاه الله عنهم خيرا . .

وأثار إعجابى فعلا مدى شفقة وعطف القبطان على الكلاب إلى الحد الذى يجعله ينفق نقوده فى شراء بندق لكى يتسلى " حسان " وينبسط ويسعد ويهز ذيله سرورا . . وحكيت هذه الحكاية مرة أمام بعض أفراد طاقم السفينة للتدليل على مدى " إنسانية " القبطان وعطفه ورقة مشاعره ؛ لكننى سمعت وشايات غريبة من أولئك النمامين الحقودين الذين لايعجبهم العجب ولا الصيام فى تشرين التاسع . . سمعت أن هذا البندق ليس من جيب القبطان الخاص كما تصورت فى البداية ؛ لكنه من عدة الكيلو جرامات من الياميش التى اشترتها السفينة على ذمة الحفلة التى أقيمت ليلة وصولنا ميناء « ڤيسمار » احتفالا بوصول السفينة (رمسيس الثانى) فى رحلتها العذراء إلى الميناء الذى يعتبر محطتها الرئيسية فى بحر البلطيق !! . .

ولم أصدق هذه الشائعات المغرضة ؛ فسألت وتقصيت وتحريت حتى اكتملت أمامى صورة لا أعرف مدى صدقها ؛ لكنها قطعا سوف تجدها الشركة القطاع العام صاحبة السفينة موجودة فى كشوف مشتروات السفينة ؛ حتى لا نتهم أحدا - إستغفر الله - ظلما . .

كان القبطان قد

قال لى فى بداية الرحلة أن السفينة إحتفالا برحلتها العذراء سوف تقيم حفلة فى ميناء « ڤيسمار » بألمانيا الشرقية ؛ وحفلة ثانية فى ميناء " جيدانسك " ببولندا . . وأن الميزانية التى رصدتها الشركة لكل حفلة من هاتين الحفلتين هو مبلغ ٥٠ جنيه

استرليني ؛ على أن يكون الطبق الرئيسي فى كل حفلة هو : الديوك الرومى !! . . لم أعرف ساعتها لماذا ديوك رومى بالذات لكننى تصورت أن ذلك قطعا جزء من التقاليد البحرية التى وضعها واستنها اجدادنا العظام " كابتن مورجان " وكابتن " بيتر بلود " وغيرهما من القراصنة الأماجد الذين اخترعوا البحر !! . .

لكننى فى الحفلة التى أقامتها السفينة فى « فيسهار » بمجرد وصولنا لم أر على الموائد ديوكا رومية ولا ديوكا مصرية ولا حاجة أبدا غير عادية ؛ وأكل الضيوف الألمان من نفس الأكل الذى نأكله على السفينة فى أى يوم عادى جدا ؛ كل ما فى الامر أنه كان : مطبوخ كويس (!!) : شوربة خضار ؛ أرز ؛ ملوخية ؛ قطع فراخ ؛ والحلو بطيخ ؛ وكان الله يحب المحسنين . . وبعد العشاء انفتحت زجاجتين ويسكى (بالعدد) وزجاجة كونياك واحدة (بالعدد) - (كما هو اضح من الصور التى صورتها " سلمى " خلال الحفلة) - + خرطوشتين سجاير (برضة بالعدد) . . ولأننا كنا موجودين فى الحفلة فقد حسبنا تكاليفها بالعملة الصعبة علشان نبقى نعمل زيها فى المجلة لما نرجع مصر بإذن الله ؛ فوجدنا أن تمن زجاجتى الويسكى ٥ دولارات ؛ وزجاجة الكونياك دولار ونصف وثمن خرطوشتى السجاير خمسة دولارات ؛ والأكل كله كان من مخازن السفينة . . فيكون المجموع ١١,٥ دولارا ؛ نقول ١٥ دولارا بالنثريات ؛ يعنى ٦ جنيهات استرلينية . . راحوا فين إذن بقية الخمسين جنيها المخصصة للحفلة ؟!

ويتضح أنه قد تم - فعلا - شراء صندوق ويسكى كامل (١٢ زجاجة) وصندوق كونياك كامل (١٢ زجاجة) و١٥ صندوق بيرة علب و٧ صناديق كوكاكولا علب و٣ كيلو ياميش (لوز وبندق وعين جمل) و٢٠ علبة سيجار - (ملحوظة صغيرة : " سيجار " وليس " سجاير ") - وسحب من مخزن السفينة ٢٥ كرتونة سجاير (دانهيل) و(كنت) = ٢٥٠ علبة سجاير !! . . لكن كل هذه الأشياء اختفت اثناء الحفلة ولم يظهر منها إلا ما ذكرته فى الفقرة السابقة : ٣ زجاجات ويسكى وكونياك وخرطوشتين سجاير . . وظهرت باقى هذه الأشياء بعد ذلك فى مناسبات سعيدة متفرقة : أعياد ميلاد بعض كبار مهندسى السفينة مثلا ؛ ولائم الغداء اليومية فى قمرة القبطان لحساوات مكتب الشركة الألمانية مثلا ؛ للطبيبة البيطرية الحسناء مثلا ؛ للحفاوة والترحيب والعطف والحنان على الكلب (حسان) مثلا ؛ وهكذا . . لكن الطاقم نفسه وكل الضباط وكل صغار المهندسين. الشهادة لله - لم يروا منها شيئا . . بل أنهم - حتى - لم يستمتعوا برؤية (حسان) وهو يأكل البندق !!! . . . .

وكنت أتصور

• بمناسبة الحفلة - أن المفروض أن يحضرها كل طاقم ضباط ومهندسى السفينة بملابسهم الرسمية البيضاء أو السوداء الشيك ؛ ملابس الحفلات البحرية الرسمية ؛ ليستقبلوا الضيوف الأجانب ويحتفون بهم . . لكن الذى حدث أن القبطان بقدر اهتمامه بتوجيه الدعوة إلى مجموعة الصحفيين ؛ كتر خيره ؛ لم يوجه الدعوة إلا إلى ٥ فقط من الضباط والمهندسين ؛ ولم يحضر فعلا غير ثلاثة فقط : كبير الضباط وضابط اللاسلكى والمهندس " أحمد الأعرج " واعتذر كبيرا المهندسين " عبد صالح عبده " و" صبرى سلوسة " إحتجاجا على عدم

دعوة باقى المهندسين . . وهكذا لم يظهر فى الحفلة كلها غير ٢ فقط من ضباط السفينة بملابسهما الرسمية : القبطان وكبير الضباط ؛ فقد كان ضابط اللاسلكى والمهندس " أحمد الأعرج " لا يرتديان الزى الرسمى . . وبمجرد انتهاء العشاء زاغ القبطان تماما ولم نره بقية الحفلة على الإطلاق ؛ وانشغل كبير الضباط فى مكان آخر فى السفينة واختفى ضابط اللاسلكى . . وهكذا وجدنا أنفسنا ـ نحن الصحفيين ـ فجأة وحدنا نحن والمهندس " الأعرج " مع ٧ من الضيوف الألمان من كبار المسئولين فى المدينة ؛ إبتداء من عمدة المدينة ومدير ميناء « ڤيسمار » إلى رئيس جمعية الصداقة المصرية الألمانية ؛ فاضطررنا إلى أن نقوم بدور المضيفين وأصحاب البيت ونلاغى الضيوف ونحكى لهم الحواديت ونروى النكت حتى تزيل من نفوسهم أثر اختفاء أصحاب الحفلة الأصليين من ذوى الرتب البحرية والزى الرسمى ؛ حتى عاد " حسن صبرى " مدير منطقة شمال أوروبا من توديع بعض الضيوف ؛ فأخذ الباقين وانصرفوا . .

إعتاد الله أن يحقق لى أمنياتى ؛ كل أمنياتى ؛ ولو بعد حين . . إذا حققها لى " عاجلا " حققها كما أريد تماما ، أما إذا حققها " آجلا " فإنه يحققها أجمل وأروع كثيرا مما حلمت بها وتمنيتها . .

دائما كنت أحلم بأن أعيش ؛ ولو لفترة قليلة ؛ فى (دهبية) على النيل : عوامة من ذلك الطراز القديم بتاع زمان الذى ينقرض الآن ويوشك أن يختفى ويندثر تماما . . أصحو من النوم من النوم صباحا لأجد الماء أمامى مساحة كبيرة واسعة وأرى النهر تحت أقدامى منبسطا عريضا ؛ وأستنشق هواء الصبح نقيا نديا . .

وطال الوقت دون أن تتحقق هذه الأمنية حتى توارت فى زوايا النسيان وكدت أنساها تماما ؛ حتى جاءت هذه الرحلة على السفينة " رمسيس الثانى " فركنت السفينة على رصيف الميناء فى « ڤيسمار » مايقرب من شهر ونصف ـ ٤٣ يوما كاملة ـ أفتح عينى كل صباح على الأصوات الرقيقة المرحة لطيور النورس وهى تزقزق قرب نافذة قمرتى ؛ فأنظر من هذه النافذة لأرى (بانوراما) ملونة رائعة لمنطقة من أجمل مناطق ألمانيا الشرقية فى ربيع شبه دائم . .

وهكذا حقق الله لى أمنيتى " آجلا " ؛ وبدلا من أن أسكن فى دهبية على النيل فى أمبابة ؛ منحنى : دهبية على بحر البلطيق !! . .

وبمناسبة طيور النورس : العادة أننا نرمى الخبز لطيور النورس فى الماء وهى تتنافس على التقاطه من الماء والطيران به . . اليوم عصرا ونحن نرمى لها قطع الخبز من نافذة القمرة كالمعتاد خطر على بالى أن أجرب معها شيئا جديدا : فلأن طيور النورس حين تجدنا واقفين فى نافذة القمرة نلقى بالخبز فهى تأتى وتطير وتحوم أمامنا مباشرة وفى مستوانا مباشرة أكاد لو مددت يدى أن

أمسك بها . . لذا فقد فكرت فى أن القى لها بقطع الخبز إلى أعلى عسى أن تستطيع إلتقاطه وهو فى الهواء قبل أن يسقط فى البحر . . وفعلا : أول مرة عملناها نجحت تماما ؛ والتقط طائر النورس قطعة الخبز (على الطاير) من الهواء قبل أن تنزل فى الماء . . فأصبحت هذه هى لعبتنا المفضلة بعد ذلك طول الوقت . . ولم نتوقف إلا بعد أن اكتشفنا أننا ألقينا للنورس بكل الخبز الذى أبقيناه من وجبتنا السابقة ؛ وايضا ـ بعد أن استغرقتنا اللعبة الجديدة ـ بكل الخبز الذى كان مخصصا لعشائنا نحن !!

وهكذا عشينا طيور النورس ؛ وصعنا إحنا !!..

فى جولتنا فى

المدينة اليوم ساقتنا أقدامنا إلى شارع صغير جدا لم نمش فيه من قبل ؛ إسمه شارع " هيجيديه *Hegede* ".. فى هذا الشارع الصغير اكتشفنا محلا ظريفا ودمه خفيف جدا إسمه (سوندرفيركوف *sonderverkauf*) . . المحل يبيع الملابس برخص التراب مش فاهم ليه : البدلة الكاملة الشيك جدا بجنيهين ونصف مصريين ؛ الجاكت بجنيه ونصف والبنطلون بجنيه واحد ؛ بالطو رجالى أو حريمى بجنيهين ؛ أى قطعة ملابس حريمى : بلوزة صوف أو " جوب " جيرسيه أو بنطلون فاخر وغيرها يتراوح ثمن القطعة منها بين خمسين قرشا إلى جنيه ونصف مصرى على أكثر تقدير ؛ بيجامات حريرية نسائية شيك جدا وفاخرة للغاية بـ ـ وماتتخضوش ـ : ريال مصرى !!ـ . . . " سلمى " هجمت على المحل كالمسروعة ؛ و " خيرى " انكسى وكسى العيال واشترى مجموعة جاكتات فاخرة لاخواته الكبار ـ اللى فى البلد ـ الجاكت بجنية واحد !! . .

كنا ـ " سلمى " وأنا و" خيرى " ـ أول من اكتشف هذا المحل ؛ رغم ان بحارة سفينتنا يأتون الى هذه المدينة منذ عدة سنوات ؛ لكننا مسعدين ورزقنا فى رجلينا . . المهم أن نفس الأشياء التى اشتريناها اليوم ـ وفيما بعد ـ من هذا المحل ؛ وجدناها معروضة فى المحلات الأخرى بأربعة أضعاف الأسعار التى يبيعها بها محل (سوندرفيركوف) هذا ؛ رغم أن كل المحلات هنا بلا استثناء قطاع عام وملك الدولة . . أمال ليه هنا رخيصة وفى المحلات الأخرى غالية ؟! مش فاهم ولم أستطع لذلك تفسيرا إلا أن تكون بواقى مصانع الملابس مثلا ؛ أو فيها أخطاء وعيوب غير ظاهرة ولم نستطع إكتشافها أو التنبه لها ؛ أو ـ والله أعلم ـ تكون ملابس سرقها اللصوص من على حبال الغسيل ؛ أو تكون ملابس ناس " مرحومين " إشتروها ثم انتقلوا الى الرفيق الأعلى قبل أن يلحقوا يلبسوها وباعها الورثة الى هذا المحل لكى يتخلصوا منها !! . .

وبناء عليه : أطلقنا على هذا المحل إسم : (محل ملابس الموتى) !! . . . .

أقوم في هذه

الرحلة بدور المترجم الفورى الخاص للزميل " خيرى " . . فلأن " خيرى " ضليع فى اللغة العربية فقط ويستنكر تماما أى لغة أخرى ولا يعترف بوجودها أصلا ؛ فإننى إذا التقينا بأجانب وتكلمنا أنا و" سلمى " معهم أترجم على الفور كل الحديث الدائر لـ " خيرى " لكى يكون معنا فى الصورة . . صحيح أنه حين يكون هناك شىء يستحق الضحك ؛ مثلا ؛ فإن " خيرى " يضحك متأخر شوية ؛ بعد أن أترجم له ؛ لكن على أى حال أحسن من أنه مايضحكش خالص ويبقى واقف (طيشة) ومش فاهم حاجة أبدا . .

وحين كنت أنا و" سلمى " ندعى وحدنا دون " خيرى " إلى أى مكان ؛ فإننا بمجرد عودتنا إلى السفينة نحكى له فورا كل ما حدث وكل الحواديت والحكايات والأشياء الغريبة التى سمعناها فى ذلك المكان . . لذا ؛ ولأن " خيرى " لم يكن معنا فى سهرتنا الألمانية بالأمس فى بيت "ريناتيه ميستير " فإننا قد حكينا له بعد عودتنا كل الأشياء الغريبة التى سمعناها عن الحرية الجنسية المهولة فى المانيا الشرقية وفى أوروبا الشرقية عموما . . و مع ذلك ـ مع يننا هيأناه ذدميا لهذا الموضوع ـ إلا أنه كاد اليوم أن يضعنا فى قبضة البوليس الألمانى لولا أننا لحقناه فى آخر لحظة :

كنا نتمشى فى شوارع ضاحية « إيمسيلويج » حين شهد « خيرى » فجأة لأول مرة فى حياته المنظر الذى كنا نتكلم عنه معهبالأمس : طفلة صغيرة فى الثالثة عشرة من عمرها على الأكثر : حامل ؛ وبطنها قدامها قاد كده بما لايتناسب إطلاقا مع « حجمها » البناتى الصغير ، دعك من عمرها وملامحها الطفلة . . وجزع « خيرى » جزعا شديدا وثار بعنف وعصبية وبدا عليه كأنه يوشك أن يتصرف تصرفا « تربويا » عنيفا مع الطفلة الحامل . . فلما شخطت فيه وكشرت فى وجهه ـ علشان أفوقه ـ وقلت له : « واحنا مالنا ، إحنا فى ألمانيا مش فى قلينيا ـ بلدته (قلين) فى محافظة كفر الشيخ ـ وأننا ومن بقية عائلتها ولامسئولين عنها ، ومادام أبوها راضى وأمها راضية والقانون الألمانى راضى ، دخلنا إحنا إيه ؟! » . . . ضبط أعصابه غصب عنه ، لكنه بدا كأنه يوشك أن يفرغ مافى بطنه !! . .

مسكين « خيرى » : لسه مش واخد على (التقدم) الأوروبى !! . . أتمنى أن أكون معه فى رحلته العاشرة إلى أوروبا لأرى كيف سيتصرف حين يرى مثل هذه المناظر . . . وإن كنت أتصور من الآن أنه سوف لا يلحظها ولاتستوقف نظره . . مثلى أنا الآن !!! . . .

نفس الحال بالنسبة

لـ « سلمى » ـ فكلاهما هذه هى رحلته الأولى فى أوروبا ـ فمنذ سمعت « سلمى » مستر « شتيجهان » فى سهرتنا الألمانية فى بيت « ريناتيه » أن الشبان والبنات هنا يمارسون الجنس فى الحدائق العامة إذا لم يجدوا مكانا مغلقا ، وهى كلما مررنا بحديقة عامة تدور بعينيها فى أرجائها بحدة وتكاد تشمشم كالكلب البوليسى تبحث عن الصبيان والبنات الذين يمارسون الجنس !! . . وكلما رأت فتى وفتاة يسيران فى شوارع المدينة فى حالة حب قالت وهى

تتابعهما بنظرها : « آهم دلوقتى رايحين الجنينة » . . . حتى مررنا مرة على فتى وفتاة يجلسان على دكة خشبية فى أحد شوارع وسط المدينة فى حالة اندماج تام ، ففوجىء المسكينان بمن تقف فوق رأسيهما وتشخط فيهما بحدة باللغة العربية : « إنتم مالكمش جنينة تلمكم ؟! ماتفزى يابت إنتى وهو تروحوا الجنينة » . . . .

مسكينة الست دى . . . حصلت لها أرتكاريا فى مخها إسمها الجنينة !! . . . .

سمعنا اليوم على

السفينة خبرا مؤسفا أشاع حالة من التوتر على السفينة كلها ، خصوصا عند « سلمى » و « خيرى » : السفينة المصرية « اللاذقية » التابعة لنفس الشركة صاحبة سفينتنا ، غرقت قرب الهند بعد أن واجهت إعصارا قاسيا وفقد قبطانها السيطرة عليها ، فاضطر - لينقذ طاقمها بعد أن فقد الأمل فى انقاذ السفينة نفسها - إلى أن (يشحط) بها فى أقرب شاطىء إليه ، حتى تكون المسافة قريبة بقوارب النجاة أمام البحارة ما أمكن . . وقال ضباط سفينتنا الذين نقلوا إلينا هذا النبأ ، أنه فى عالم البحر تعتبر هذه المسألة بطولة من قبطان « اللاذقية » أنه استطاع إنقاذ الطاقم ، لأن الإنسان - فى البحر - أغلى كثيرا من أى سفينة !! . .

وكما يقول الأطباء أحيانا : (نجحت العملية ومات المريض) ؛ فقد نجا بحارة « اللاذقية » لكن السفينة نفسها قد غرقت . . . .

موقف صعب ونادر : أن يكون الإنسان على سفينة تواجه حالة الغرق . . الأصعب منه طبعا أن يغرق هو أيضا معها !! . . . .

دخل قبطاننا صالون

الضباط فى السفينة فوجد جهاز تسجيل كاسيت دائر بشريط عليه تسجيل لآيات القرآن الكريم يدور بصوت عال ، فصاح على الفور : « سكوا البتاع ده ، هو إحنا فى أربعين واحد ميت والا إيه ؟ . . . . . إقفل البتاع ده ياجدع انت » !! . . . .

وقفل الجدع انت البتاع ده !!!!! . . . .

ظريف جدا أن يلتقى

الإنسان المصرى فى هذه المدينة المتطرفة فى أقاصى المعمورة على شمال الدنيا ، بفتاة مصرية ، وحسناء كمان . . مالذى جاء بـ « فاطمة » السمراء الوسيمة إلى « فيسمار » لتكون واحدة من ثلاث مصريات فقط فى هذه المدينة الآن : « نادية » زوجة « موريس مرقص » ، و « سلمى » ، و « فاطمة » ؟ . . . ماهى حكاية « فاطمة » ؟! . . .

« فاطمة ابراهيم السيد » سكندرية من سيدى بشر عمرها ٢٦ سنة ، ولو أنها تبدو أصغر من ذلك كثيرا . . حين تخرجت من معهد إعداد الفنيين التجاريين والتحقت بوظيفة مؤقتة بشركة

إسكندرية للأدوية فى انتظار تعيينات القوى العاملة ، وأيضا ـ شأن كل بنت بلغت سن الزواج ـ فى انتظار إبن الحلال ، لم يكن يخطر على بالها على الإطلاق أن تتزوج من شخص غير مصرى ، بالعكس : كانت دائما تعترض على أن تتزوج فتاة مصرية من شخص غير مصرى : « يعنى من قلة الشبان المصريين ؟! » . . . لذا فحين جاء الشاب الإريترى الأصل الصومالى الجنسية « مهارى بارى » ـ الذى يعمل مهندسا على سفينة لبنانية ـ ليزور صديقه زوج اختها فى البيت ، ورآها ورآته - ، وكان ذلك منذ سنة ونصف تقريبا ، لم تكن تتوقع أن يقع فى حبها . . . لكنها بدأت تلحظ أن زياراته قد تعددت طوال فترة بقاء سفينته فى ميناء الأسكندرية . . ثم سافر « مهارى بارى » مع سفينته فى رحلة دامت نحو ٦ شهور قبل أن تمر سفينته على الأسكندرية مرة أخرى ، وجاء ليزور صديقه « متولى » ـ زوج أخت فاطمة ـ وفى هذه المرة إستجمع شجاعته وصارح صديقه بأنه يحب « فاطمة » ويريد الزواج منها . . . لكن « متولى » قال له أن هذا الأمر يخص « فاطمة »وحدها ، وطلب منه أن يكلمها هى . . فكلمها فعلا ، لكن « فاطمة » ـ التى فوجئت تماما ـ طلبت منه أن يترك لها مهلة تفكر فيها ، وحين يعود من البحر فى المرة القادمة تكون قد استقرت على رأى واتخذت قرارها . . وغاب « مهارى » ١٠ شهور هذه المرة ثم عاد ليتلقى رد « فاطمة » بالموافقة ، لكنها كانت تعنى الموافقة على مبدأ الخطوبة فقط على أن يؤجل الزواج بعض الوقت حتى تكتمل استعداداتها له . . . لكن « مهارى » كان مستعجلا فى إتمام الزواج لكى تسافر معه على سفينته وتكون رحلة شهر العسل لهما فى البحر ، وفى أوروبا . . . وقد كان . . .

« مهــارى بـــارى » اريتـــرى

الجنسية الصومالى الپاسپور المصرى الزوجة : « محمد حسن حسنى » الآن بعد زواجه من « فاطمة » . . عمره ٢٨ سنة قضى منها ٩ سنوات فى البحر . . الآن هو المهندس الثالث للسفينة اللبنانية (أورابيا) . . « مهارى » لم يعرف اللغة العربية على الإطلاق ، ولكنه قضى سنة ونصف فى عدن حيث تعلم ، إلى حد ما ، اللغة العربية التى ينطقها الآن بلكنة مزيج ، لأنه تعلمها من العديد من اللهجات العربية : عدنية على لبنانية على صومالية على مصرية ، لكنه الآن زوجته مصرية وأغلب اصدقائه مصريين ، لذا فقد بدأت لهجته تتحول الآن إلى اللهجة المصرية شيئا فشيئا . . أسرته كلها فى إريتريا ، وهو الوحيد البعيد عن وطنه الأصلى . . سألته عن عدد إخوته فبدت على وجهه علامات دهشة حقيقية كأنه يفاجأبهذا السؤل لأول مرة فى حياته : « إستنى لما أعدهم لك »!! . . وفكر ، وعد على أصابعه ، وأعاد التفكير وأعاد العد ، ثم قال : « ٤ بنات و٦ رجال » . . هو أصغر الرجال والتاسع فى الترتيب للعام من الأخوة العشرة . . وأسرته فى إريتريا لم تعلم أنه تزوج إلا بعد زواجه بنحو شهر حين كتب إليهم من هنا ، من « ڤيسهار » . .

« مهارى بارى » كان ينوى أن يتزوج أوروبية ، لكنه عاد فشعر أن الزوجة الأوروبيةلا يمكن أن تدوم إلى الأبد ، لاختلاف الطباع والعادات والتقاليد ولأن المرأة فى الأسرة الأوروبية هى التى تحكم البيت وتحكم الزوج ، لذا فقد قرر أن يتزوج من عربية ، مصرية بالذات . . الناس الذين احبهم أكثر وقدر يصادقهم أكثر وجعلوه يشعر بأن مصر هى وطنه شخصيا . . فقد أحب أسرة

« فاطمة » قبل أن يحب « فاطمة » نفسها . . ذهب يزور صديقه « متولى » فشعر بأنه فى بيته وفى وسط أهله واخواته وأسرته ، وشعر بالبيت والأبوة والأمومة والجو العائلى ، فتزوج فاطمة » - كما يقول لها دائما - من أجل أبيها وأمها ، لكن يشعر أن لديه أسرة هنا ينتمى إليها . .

مشكلة « مهارى بارى » أو « محمد حسن حسنى » الوحيدة الآن هو أنه يريد أن يتعلم قراءة وكتابة اللغة العربية حتى يكتب ويقرأ بها . . كان على السفينة قبل هذه الرحلة طباخ أزهرى ، فكان « مهارى » يتلقى على يديه دروسا فى اللغة العربية ، لكن يبدو أن « فاطمة » سوف تحل من الآن محل الطباخ الأزهرى وتعلم « مهارى » : الطبيخ !! . .

زرت أنـديـة البحـارة فـى عـدد

من موانى العالم . . أندية ظريفة جدا ودمها خفيف ومهمتها الأولى هى أن تجعل البحار الأجنبى يقضى وقتا سعيدا مرحا . . وحين أقول « الأجنبى » فأنا أقصد الأجنبى بالنسبة إليهم وليس بالنسبة إلينا نحن . . لأن أندية البحارة فى معظم موانى العالم تحرم دخولها على أبناء جنسية الدولة الموجود فيها النادى . . تماما كما هو حادث هنا الآن فى ميناء « ڤيسمار » فى ألمانيا الشرقية ، فإن البحارة الألمان أو الشباب الألمان عموما غير مسموح لهم بدخول نادى البحارة هنا ، لكن أى فتاة ألمانية مرحبا بها فى النادى فى أى وقت ، لأن الفتيات مطلوبات للترفيه عن البحارة الأجانب - « الأجانب » الآن اللى هم احنا - لأنهم ضيوف مؤقتين ينبغى أن يجدوا المكان الذى يرفهون فيه عن أنفسهم . . لكن لو فتح النادى أبوابه أمام الشباب الألمانى فسوف يزحمونه ويحتلونه كل ليلة بحيث لا تتبقى فيه أماكن للبحارة الأجانب المقام النادى من أجلهم أصلا . .

ونـــادى البحـــارة هنـــا

هنا فى « ڤيسمار » ، ويطلق عليه إسم الـ (إنتركلوب) اختصارا لإسمه الطويل (إنترناشيونال كلوب دى زيلوتيه ڤيسمار *International Klub Der Seeleute Wismar*) . . مبناه من الخارج شكله قديم ، لكنه من الداخل شيك جدا ومؤثث بشكل عصرى ومودرن جدا . . به قاعة كبيرة للقراءة ومشاهدة التليفزيون الملون ، وقاعة للبنج بونج ، وقاعة كبيرة جدا للحفلات الراقصة التى تقام ٣ مرات أسبوعيا ، وبار أنيق ، ومطعم ظريف للغاية . . الأهم من ذلك كله أن الأسعار فيه رخيصة الى أقصى حد . . يعنى تستطيع أن تقضى سهرتك كلها فيه ، فترقص وتلهو وتمرح وتتناول عشاءك وتشرب عصير برتقال أو ليمون أو كوكاكولا ، ويمكن كأسا من المنكر ، فتصرف ٤ أو ٥ ماركات على الأكثر . .

لكن أجمل شىء قطعا فى نادى البحارة فى « ڤيسمار » هو . « چيتيه *Gitta* » الجرسونة الحسناء إلتى تشبه الى حد كبير جدا مذيعة التليفزيون « نجوى ابراهيم » ، لولا أنها دلوعة جدا ومايصة جدا ومقصعة جدا ومخلعة جدا . . طبعا أنا أقصد « چيتيه » وليست « نجوى » . .

الإثنان من المسئولين

فى نادى البحارة فى « ڤيسهار » اللذين نتعامل معهما ، هما : مستر « بولز *Bolz* » وهو ألمانى أربعينى بسيط وظريف ودمه خفيف . . ترجمنا إسمه من اللغة الألمانية « *Bolz* » إلى نفس نطقه باللغة الإنجليزية ليصبح (*Balls*) ، ثم الى اللغة العربية ليصبح (كرات) أو (كور) . . فسميناه (مستر كور) . . وهكذا أصبح صديقنا « مستر كور راح » و « مستر كور جه » و « مستر كور عمل » و « مستر كور قال » . .

أما المسئول الثانى فهو « مستر چورك فيشمان *Jorq Wichmann* » . . شاب عملاق عمره ٢٣ سنة يتكلم الإنجليزية بصعوبة شديدة ، وأتصور أنه يتكلم الألمانية أيضا بصعوبة شديدة . . سألته مرة ـ باللغة الإنجليزية ـ هل هو متزوج ؟ ففكر طويلا جدا ثم بدا عليه أنه لم يفهم سألى ، فشرحته له بالإنجليزية وبالإشارة : دبلة وطرحة زفاف وفرح وكنيسة وبيت صغير وحسناء ذات جسم جميل وخصر نحيل ، فتهلل وجهه وصاح فى سعادة : « *Yes* » . . الحمد لله فهم أخيراً ، فعدت أسأله هل لديه أطفال ؟ فقال على الفور : « طبعا . . إثنين . . إنجليكا ، وماريون » ، سألته عن عمريهما فقال : « إنجليكا عمرها ٢٤ سنة ، وماريون عمرها ٢٠ سنة ، وأنا عمرى ٢٣ سنة » !!!!

وأتضح أنه فهم من الأول أننى أسأله هل لديه إخوات بنات !!!! . .

من ضمن نشاط

نادى البحارة هو أنه ينظم لرواده من البحارة الأجانب رحلات إلى برلين العاصمة فى مقابل ما يساوى جنيه مصرى واحد للفرد . . أوتوبيس سياحى فاخر كبير يأخذ المجموعة من على باب السفينة إلى برلين ، وهناك يكون قد استقبالهم مرشد سياحى يتكلم اللغة التى يريدونها : الإنجليزية أو الفرنسية أو العربية أو حتى اليابانية إذا احتاج الأمر . . ليأخذهم لزيارة برج برلين ومعالم وآثار ومتاحف وقصور برلين القديمة ، دون أية رسوم أخرى ، فى جولة تستمر ٣ ساعات كاملة ، ثم يتركهم على راحتهم فى جولة حرة لمدة ٣ ساعات أخرى يذهبون فيها إلى السوق أو إلى أى مكان يعجبهم بنفس الأوتوبيس السياحى أيضاً ، والعودة الى « ڤيسهار » قرب منتصف الليل . . وكل ذلك بجنيه واحد يابلاش . . إذا علمت أن برلين تبعد عنا هنا بحوالى ٢٠٠ كيلو مترا ، وإذا علمنا أن هذا الجنيه الذى ندفعه ليس هو التكلفة الفعلية للرحلة ، لكن نادى البحارة يدفع مقابل هذا الجنيه منك جنيه ونصف آخرين من ميزانيته عن كل بحار يشترك فى هذه الرحلة . .

ليس ذلك فقط ، بل أن الرحلة إلى برلين فقط هى التى يتقاضى عنها رسوما أو اشتراكا من البحارة المشتركين فيها . . لكن النادى ينظم رحلات مجانية . . مجانية تماما ، دون أن تتحمل

ميزانيتنا ولا جيوبنا ماركا واحد ولا مليما واحدا ، إلى أى مدينة قريبة يريد البحارة زيارتها ومشاهدتها . . لذا ، فإننا ـ كمصريين شاطرين ـ لم نتردد فى الإتفاق مع مستر « كور » فورا على أن يرتب لنا النادى زيارة لمدينة « روستوك *Rostock* » أكبر موانى ألمانيا الشرقية ، على بعد ٦٥ كيو مترا من « ڤيسمار » . . ووافق « مستر كور » فورا . . واتفقنا أن تكون زيارتنا لـ « روستوك » بعد غد . .

« مستر بولز » يحكى

لنا حدوتة غريبة جدا ، أنه أمس فى الساعة الواحدة صباحا بعد انتهاء العمل فى نادى البحارة ، كان يقود سيارته فى الشارع القريب من الميناء عائدا إلى بيته ، وفجاة شاهد فى الظلام شجرة واقفة على جانب الطريق تحت الرصيف ، فكاد أن يصطدم بها لولا أنه تفاداها بسرعة . . ولما كان وجود شجرة مزروعة تحت الرصيف وفى وسط الشارع هكذا شيء بعيد التصديق فى ألمانيا هنا ، خصوصا فى هذا المكان بالذات الذى يمر عليه كل يوم مرتين على الأقل ويعلم جيدا أنه ليس به أشجار ، فقد توقف مستر « بولز » بسيارته بعد أن تجاوز الشجرة بقليل والتفت وراءه يتفحصها جيدا ، فاكتشف أنها ليست إلا شابا وفتاه غارقين فى (عناق عميق) وقبلة طويلة وهما ملتصقين تماما ولا يتحركان ولا يشعران بما حولهما ولا حتى بالسيارات التى تكاد أن تدهمها !! . .

ورغم الظلام فقد تبين مستر « بولز » شكل الشاب وعرفه ، وحمد ربنا أنه لم يدهمه بسيارته ، وإلا كانت السفينة « رمسيس الثانى » قد أكملت رحلتها بدون ضابط لاسلكى !!!! . .

رغم أن لنا الآن أكثر

من ٣ أسابيع فى مدينة « ڤيسمار » إلا أننى لم أر هذا المنظر إلا اليوم فقط . . رأيت الجزارات الحسناوات : فتاة ألمانية زى القمر ، مانيكان شقراء ترتدى بالطو أبيض شديد النظافة تأحلى طبيبة فى العالم لسه متخرجة الآن حالا ، وهى تمسك فى يدها السكين والساطور تقطع اللحم وتبيع للزباين !! . .

مؤكد أن اللحم من هاتين اليدين الرقيقتين الجميلتين والأظافر الأنيقة المطلية بالمانيكير يكون أطعم وألذ وأشهى مليون مرة من قطعية الحاج محمود جزارنا الذى نشترى منه فى سوق التوفيقية فى القاهرة . .

هيه . . عقبالنا يارب !! . .

علـى مائـدة الغـداء

اليوم إرتفعت الأصوات على سفينتنا لأول مرة بالشكوى . . « أول مرة » هذه تعود على ارتفاع الأصوات وليس على الشكوىَ فى حد ذاتها ، فإنهم كانوا حتى اليوم يشكون لكن فى همس ، أما اليوم فيبدو أن الكأس قد فاضت والصبر قد نفذ ، حتى أن واحدا من المهندسين ـ « مصطفى المملوك » أظن ـ زعق فى وسط صالون الطعام بأعلى صوته بعصبية شديدة وحنق وهو يزيح بيده بقرف الطعام الموضوع أمامه على المائدة : « طيب أنا حافضل قاعد هنا فى الصالون لغاية ما أشوف الأكل اللى بيطلع فوق للقبطان والباشمهندس حقير زى أكلنا ده والا لأ ؟! . . ما هو مش معقول يتعمل لهم حتى العيش مخصوص وبالزبدة ، والباقيين ياكلوا طول الرحلة رز وفاصوليا بيضا . . وقطعا يبقى عندهم حق الناس الأكابر اللى بيسهروا كل ليلة فى بارات ڤيسهار لوش الصبح والفلوس اللى بتتصرف كل ليلة على النسوان والشمبانيا عينى عينك قدامنا كلنا.والواحد منهم بيصرف له كل ليلة ١٠٠ والا ١٢٠ مارك على الأقل ، كأنهم مش بياخدوا مرتبات زينا . . بيجيبوا الفلوس دى كلها منين إلا إذا كانت من أكلنا ومن حقنا ؟! » . .

حقيقـى صـحيح فعـلا

: بيجيبوا الفلوس دى كلها منين ؟! . . دا احنا قعدنا فى « ڤيسهار » وحدها أكثر من ٥ أسابيع (٣٨ يوما بالضبط داخل الميناء) ، لم تمر ليلة واحدة منها لم يسهر فيها فراودة السفينة الثلاثة الكبار فى مطاعم وبارات « كوربيانكا » و « ڤيسهار هوتيل » و « *Sony* » و « *M.T.W.* » . . وإذا كان كل واحد منهم قد حصل من مكتب وكيل الشركة هنا على مبلغ ٢٠٠ مارك تحت حساب مرتبه يوم دخولنا الميناء ، وافترضنا إنه كان يصرف فى الليلة الواحدة ٢٠ ماركا فقط ليس إلا ـ وذلك مبلغ تافه جدا لو تعلمون ـ إذن فإنه يكون قد صرف فى البارات فقط ـ غير مشترواته الشخصية ـ ٧٦٠ مارك فى الـ ٣٨ يوما التى قضيناها هنا . . واذا افترضنا أن كل منهم كان رجلا هلاسا مهياصا يصرف على الهلس ضعف ما يشترى به لنفسه ولبيته ولأولاده الذين ينتظرون عودته فى الإسكندرية ، إذن فهو قد صرف أيضا ٣٨٠ مارك فقط على مشترواته ، ولكان المجموع = ١١٤٠ مارك . . من أن إذن جاء هذا المبلغ الباقى : ١١٤٠ مارك مصروفات ـ ٢٠٠ مارك قبضهم = ٩٤٠ مارك ؟!! . . . دعكم أن أن هذه الفلوس أحق بها بيوتهم وزوجاتهم وبناتهم وأولادهم فى الإسكندرية ، فهم أحرار طبعا ويمكن هذه الفلوس زائدة عن احتياجات البيت ، لكن ـ وهذا هو الأهم ـ من أين لهم ذلك فعلا ؟! . . . . هل خرجوا بهذه الفلوس من الإسكندرية أم وصلتهم هنا ؟! . . وإذا كانوا قد خرجوا بها من الإسكندرية فـ ـ أيضا ـ هل سجلوها فى إقراراتهم الجمركية بشكل رسمى ، أم خرجوا بها كده ، جدعنة ودكاكينى وتهريبا ، وتلك مصيبة أكبر ؟! . . أفيدونا يا أهل العلم أفادكم الله ، على الأقل علمونا إزاى

علشان نعمل زيكم ، بدلا ما نفضل طول عمرنا نأكل رز وفاصوليا بيضاء فى هذا البلد . . علمونا إزاى نقدر نأكل وياكم (كوسة) ما دام ده حال البلد والناس الكبار فى البلد وفى الشركة القطاع العام صاحبة سفينتنا و ٤٥ سفينة أخرى غيرها ، راضيين ومبسوطين وولا على بالهم !!!! . . . .

نزلت آقا و « سلمى »

نتمشى فى شوراع المدينة شبه الخالية مساء الأحد . . كانت تمر علينا لحظات تكون فيها نحن فقط اللذين نسير فى الشارع . . قادتنا أقدامنا إلى أبواب مطعم « كوربيانكا » فدعتنى « سلمى » إلى العشاء على الطريقة الأنجلو مصرية التى ابتكرتها هى : نتعشى معا : وأنا أدفع حسابها وهى تدفع حسابى !! . .

لكننا بمجرد أن دخلنا المطعم وجلسنا إكتشفنا أن القبطان يجلس على المائدة المجاورة لنا : فعدلنا عن العشاء واكتفينا بأن طلبنا كوكاكولا لنشربها وننصرف بأسرع ما يمكن : لأن القبطان من على مائدته كان يوجه كل كلامه إلينا : فرصة يلاقى حد يفهم كلامه ويتفاهم معاه . . فقد كان جالسا مع فتاة شبه بلهاء أو عندها تخلف عقلى : لا تكاد تتكلم ولا حتى بالألمانية : كلاهما سعيد جدا : هو يحدثها بمزيج من اللغة العربية ولغة الإشارة : وهى ترد عليه بضحكة واسعة دائمة بلهاء كأنها مبطوحة فى وجهها فى مكان الفم !! . . يسميها « الكونتسية » : ويسمى الجرسونة الصبية الحسناء « النونو » : ويسمى حارسة الملابس فى مدخل المطعم « عذراء فيسهار » أو « ماما الحاجة » لأنها عجوزة شمطاء تجاوزت السبعين وهو - كما قال لنا - ينعم عليها كل ليلة بثلاثة ويسكى على حسابه حتى تفقد توازنها ويدور رأسها فتتصرف تصرفات عبيطة هبلاء وهى تتطوح وتصيح بأعلى صوتها : « هيه .. أنا قبطانة » !! . .

طيب أوى قبطاننا ده !!!!! . . . .

« خيرى » .. يبدو أن رحلتنا

قد استنفذت أغراضها بالنسبة إليه بعد أن اشترى من هنا كل ما كان يريد، ويحلم به ويتمناه ، فاتفق مع كبير الضباط فى السفينة اللبنانية (أورابيا) الراسية إلى جوارنا فى الميناء لكى يعود معهم إلى الأسكندرية يوم السبت القادم . . قال لى أنه حكى لهم عن ظروفه الصعبة وحكاية البرنامج الذى يعده للإذاعة فى رمضان فيكسى منه العيال فى العيد وربنا ما يحوجكم ولا يحطكم فى زنقة يا قادر يا كريم !!

المسألة كده شكلها وحش جدا فى حقنا كصحفيين لأنها شحاته وتوسل : سفينة أجنبية طاقمها لبنانى ومزيج من جنسيات مختلفة وقبطانها بولندى : تأخذه معاها بتذكرة مجانية بمناسبة إيه ؟ ! . . شكلها مهين جدا ليس لنا وحدنا ولكن للصحافة المصرية كلها : وأنا السبب فى ذلك كله . . فأنا

أتصور أن الصحافة مهنة كريمة عزيزة شديدة الكبرياء والكرامة شديدة الإباء وعزة النفس .. وهو يتصرف على إن يا بخت من قدم شيء بيداه وأن كسوة العيال فى العيد فى رقبتكم ياسادة يا مسلمين يا مؤمنين يا موحدين !!!! .....

وبما أنه خلاص

فرر العودة : وبالتالى فسوف يسبقنى فى الوصول إلى مصر وبالتالى ـ أيضا ـ إلى المجلة : فإنه ـ ونحن نتمشى الليلة فى شوارع « ڤيسمار » ـ يحاول أن يتفق معى على أن نقتسم العمل بيننا بالنسبة للكتابة عن هذه الرحلة : أنا أتناولها بشكل صحفى تقريرى : وهو يتناولها كعمل أدبى : والأديب زى ما أنت عارف ـ ده « خيرى » اللى بيقول ـ « من حقه أن ينطلق كما يشاء وله رؤيته الخاصة للأشياء : وله أن يتصرف فى الحقائق المجردة لكى يعطيها الشكل الأدبى المطلوب » .. بمعنى أنه يريد أن يقول أنه قابل الفتاة الأوروبية التى (حادثها) وقالت له كذا وكذا وحصل معاها كذا وكذا ، وأنه دخل بيت الأسرة الألمانية الفلانية وقالوا له كذا وكذا وقال لهم كذا وكذا !! .. يعنى ، باختصار ، ناوى يفبرك على راحته ويدعى أشياء لم تحدث ، ويريدنى ألا أكذبه به أمام المجلة أو أقول أن ذلك لم يحدث ، بحجة أنه هو أديب وأن الأدب هكذا ، مفترضا أننى أنا عجلاتى أو سباك أو تاجر أداوت صحية ولست أديبا ولا كاتبا !!!! ....

وأتصور من الآن أن « خيرى » بمجرد عودته إلى القاهرة قبلى ـ بحداقة وفهلوة فلاح قلين الأروب النشيط ـ سوف يكتب وينشر كل ما ترجمته له أنا وكل ما حكيته له أنا و « سلم» ، على أنه حدث له شخصيا ، ولما أرجع أنا إلى مصر يبقى يحلها ربنا : يعنى حا عمل أيه ؟ !!! ...

منك لله يا رئيس تحريرنا .. آدى شورتك وآدى فكرتك الـ .... ظريفة !! ..

شاهدت اليوم منظرا

كنت أتمنى أن أراه فى أوروبا من زمان ، لولا أن هذا المنظر بالذات لا أستطيع أن أذهب اليه أو أبحث عنه بمزاجى ورغبتى ، ولم يكن ممكنا أن أراه إلا بالصدفة ، وبالصدفة فقط .. المنظر : حادث سيارة فى طريق عام !! ..

سيارة صدمت رجلا يعبر الشارع .. وليس المهم هو حادث التصادم فى حد ذاته ، لكن المهم هو ما حدث بعده ونتيجة له :

سيارة نقل تسير بسرعتها العادية فى الشارع الرئيسى لـ « ڤيسمار » الموصل إلى الميناء .. شارع « كارل ماركس » .. رجل يعبر الشارع من غير المكان المخصص لعبور المشاه ـ (وهذا هو الخطأ رقم ١) .. ولا ينتظر حتى تمر السيارات تماما لكنه حاول ـ زى عندنا ـ أن يسبقها (خطأ رقم ٢)

. . لكن السيارة النقل تكون اسرع منه فتصدمه فى وسط الشارع ، لكنها ـ لحسن حظه ـ تصدمه فقط ولا تدوسه . . فتطرحه على الأرض إلى جوارها . . . . .

هذا هو الحادث . . فلنر ما حدث بعد ذلك . . .

* توقفت السيارة اللورى على الفور . . لم يهرب السائق بسيارته : ولم يضغط على البنزين بأقصى قوته قبل أن يلتقط أحد نمرة السيارة . . حتى أن المصاب كان ملقى على الأرض عند منتصف جانب السيارة تماما . .

* لم يتلم الناس أو ينزلوا جرى حول المصاب وحول السيارة : ولا تجمعوا وزحموا الدنيا وربكوا المرور وعطلوا كل حاجة ، ولا وقفوا فى تباتة وسداغة ينظرون فى بلاهة ويتلكأون متلطعين مستنطعين كذباب الصيف الثقيل وكأن المسألة « فرجة » كما يحدث عندنا فى مصر . . لم ينزل ولا أحد من فوق الرصيف على الإطلاق ، وكان الحادث قد وقع أمام محطة أوتوبيس عندها طابور طويل واقفين فى إنتظار الأوتوبيس ، فلم يتحرك واحد منهم من مكانه ولا ترك دوره فى الطابور . . صحيح أن جميعهم إلتفتوا نحو مكان الحادث : لكن برؤوسهم وعيونهم فقط . .

* نزل سائق السيارة اللورى ـ التى ارتكبت الحادث ـ من مكانه مسرعا ليرى المصاب ، لكنه لم يلمسه ولم يحركه من مكانه . . ثم أشار برأسه إلى الناس الذين أطلوا من نوافذ بيوتهم على صوت الفرملة ليروا ماذا حدث ، يطلب منهم أن يستدعوا الإسعاف بالتليفون . .

* إختفت بعض الرؤوس من النوافذ لتطلب الإسعاف ، بينما خرج من باب بيت مجاور فتى فى نحو الرابعة عشرة يجرى مسرعا ، نظر يمينا ويسارا فى الإتجاهين ليتأكد من خلو الطريق من السيارات ـ حتى لا يصبح الحادث حادثين ـ قبل أن ينزل من فوق الرصيف ويتجه نحو المصاب وهو يحمل بطانية مطبقة ، وفى يده حقيبة مرسوم عيلها علامة (الصليب الأحمر) . . وضع البطانية برفق جدا وبالراحة جدا تحت رأس المصاب الذى كان لا يتحرك . .

* بعد ٣ دقائق بالضبط كانت ٣ سيارات تأتى مسرعة وراء بعضها . . ركنت الأولى قبل مكان الحادث ونزل منها عسكرى مرور ألمانى ألقى بنظرة واحدة على مكان المصاب وعلى موقع الحادث ـ كأنه يدرسهما ـ ثم أخذ مكانه على الفور لتنظيم المرور فى الشارع بحيث ينبه السيارات القادمة من الإتجاهين لتمر بهدوء جدا فى منطقة الحادث . . وبين حين وآخر يقفل الطريق أمام السيارات ليعبر المشاة الشارع بالعرض . .

* السيارة الثانية سيارة إسعاف ركنت إلى جوار المصاب بالضبط ، ونزل سائقها السمين الممتلىء ببالطوه الأبيض ليفحص المصاب فحصا سريعا ـ عرفت بعد ذلك أن سائق سيارة الإسعاف أيضا طبيب !! ـ ثم يشير إلى طبيب آخر داخل السيارة لينزلان معا النقالة . . وبرفق جدا وبالراحة جدا حملا المصاب ووضعاه فوق النقالة وحملاه إلى داخل سيارة الأسعاف : ليتولى مباشرة الطبيب الذى كان بداخل السيارة ومعه طبيبة أخرى كان قد بقيت ولم تنزل ، علاج المصاب . . بينما عاد الطبيب السائق الى مكانه أمام عجلة القيادة ليقود السيارة بهدوء ويركنها إلى جوار الرصيف : حتى

يفتح الطريق للمرور . . ثم ينزل مرة أخرى إلى مؤخرة السيارة ليشارك زميليه الطبيبين فى علاج المصاب داخل السيارة . .

وأطل برأسى من خلال زجاج السيارة - صحفى وغريب وفضولى - لأكتشف أن بداخل السيارة مستشفى كامل صغيرة بوحدة نقل دم وأجهزة قياس ومعدات طبية وأدوات لا أفهم منها شيئا ، لكن الواضح أن كل واحد من الأطباء الثلاثة يعرف دوره جيدا ويعرف المطلوب منه جيدا : ويؤديه جيدا . .

* السيارة الثالثة سيارة (ميكروباس) وقفت إلى جوار الرصيف المقابل للحادث ، وانفتح بابها الجانبى ليتضح أنها من الداخل عبارة عن (قسم بوليس صغير) : محقق يجلس إلى مكتب صغير جدا ، وبجواره مقعدان جلس على واحد منهما السائق الذى إرتكب سيارته الحادث ، وجلس على المقعد الآخر شرطى بملابسه الرسمية يسجل أقوال السائق ، فى نفس موقع الحادث . .

* كان ذلك وحركة المرور ماشية طبيعية جدا فى مكان الحادث . . السيارات رايحة جاية من الإتجاهين ، والناس تعبر الشارع بالعرض بين حين آخر كلما أشار لها عسكرى المرور المؤقت ، والأتوبيس يصل بانتظام ويقف فى محطته أمام مكان الحادث مباشرة ، وركاب يصعدون وركاب ينزلون ، ولا أحد من كانوا موجودين لحظة وقوع الحادث ظل موجودا حتى الآن ، إلا أنا و« سلمى » وقد اعتبرنا أنفسنا فى حالة عمل فورا . . نرقب كل ما يحدث أمامنا الآن كصحفيين بعيون مصرية . .

* واضح الآن أن حالة المصاب تستدعى نقله إلى المستشفى . . الطبيب السمين يعود إلى مكانه أمام عجلة القيادة ليرفع سماعة تليفون فى تابلوه السيارة ويتكلم مع المستشفى ، ثم يضع السماعة ليتحرك بالسيارة فى طريقه إلى المستشفى . .

* ينتهى التحقيق مع سائق السيارة اللورى فى ٥ دقائق بالضبط ، فينزل من سيارة البوليس ليعود إلى سيارته ويقودها مرة أخرى فى طريقه إلى المكان الذى كان ذاهبا إليه . . مش حا يهرب ولا حاجة : يعنى حا يروح فين ؟ ! . . وقت ما يعوزوه حا يقدروا يجيبوه - بهذا النظام الدقيق المتناهى - فى ٥ دقائق . .

* سيارة البوليس « مكتب المحقق » تغلق بابها الجانبى وتنطلق لتعود إلى قسم البوليس . .

* لم تعد هناك ضرورة بعد ذلك لوجود عسكرى المرور المؤقت . . هو الآخر يترك مكانه فى وسط الشارع ليعود إلى سيارته يقودها بنفسه وينطلق بها . .

* بعد ١٠ دقائق فقط ، محسوبة ، من وقوع الحادث لم يكن أمامنا أى أشارة تدل على أنه قد وقع حادث فى هذا المكان منذ عشر سنوات على الأقل . . . .

□ □ □

كما أقول دائما : عقبالنا يارب . . . . . .

الفصل السادس عشر

السفينة تباع فى المزاد العلنى . !

قطار السابعة صباحا

من « ڤيسمار » إلى « روستوك » يحمل مجموعتنا من شباب السفينة . . لم يتسع الوقت أمام مستر « بولز » ومستر « ڤيشمان » من نادى البحارة لتدبير سيارة (ميكروباس) تحمل مجموعتنا فى رحلتها إلى « روستوك » ، فجاءنا فى السفينة أمس مستر « ڤيشمان » لـ (يستأذننا) فى أن تكون الرحلة بالقطار ، وأيضا على نفقة نادى البحارة تماما دون أن ندفع ماركا واحدا ولا مليما واحدا . . ووافقنا على الفور طبعا حتى لو ذهبنا بالحناطير ، هو احنا غرمانين حاجة . . ببلاش وكمان حانتشرط ؟ . .

وهكذا ركبنا الـ (ميتسوك) أو القطار باللغة الألمانية ، ليأخذنا إلى « روستوك » على بعد ٦٥ كيلو مترا من « ڤيسمار » فى أكثر من ساعة . . قطاراتهم بقدر ماهو واضح أنها من طراز قديم نسبيا الا أنها مريحة جدا ونظيفة جدا ، وليست سريعة جدا . . لكن أظرف شىء فى القطار قطعا هو الكمسارية الحسناء ذات الميكروبونيفورم . . متخلفة جدا هيئة السكك الحديدية عندنا فى مصر وغير متطورة . . ليه ماتعملش النظام ده عندنا : نظام الكمساريات الحسناوات طبعا وليس نظام القطارات القديمة . .

كل الأطفال فى

أى مكان فى العالم وهم يبكون ويصرخون ، ماعدا الطفل « عبد الفتاح صلاح محروس » ، فقد ولد قطعا وهو مسخسخ من الضحك ، ومن يومها لم يكف عن الضحك رغم أنه كبر الآن وأصبح - باسم الله ماشاء الله - « المهندس عبد الفتاح صلاح محروس » أحد مهندسى سفينتنا الشبان . . « عبد الفتاح » لايكف عن الضحك طول الوقت ، وأتصور أننى لوتسللت الى قمرته بالليل فسأجده يضحك وهو نائم أيضا . .

« عبد الفتاح » بلا شك كان أكبر بواعث المرح فى رحلتنا إلى « روستوك » . . لم أقترب منه كثيرا قبل الآن فى زحمة العدد الضخم من الناس على سفينتنا : ٤٥ بحارا + ٣ صحفيين ، لكن اليوم لأن عددنا ١٢ فقط ذاهبين إلى « روستوك » لذا فقد كان ظهور « عبد الفتاح » واضحا وجعل جو الرحلة بانطلاقاتها التلاميذى يبدأ ونحن مازلنا بعد على رصيف محطة « ڤيسمار » ننتظر قدوم القطار لنبدأ رحلتنا : غازل « عبد الفتاح » صبية ألمانية صغيرة عمرها لا يزيد أبدا ١٢ سنة :

« مشروع فتاة » يادوب حاتبتدى تطلع فى المقدر جديد . . وعملت البنت تقيلة وراسية فلم ترد على معاكسات « عبد الفتاح » على عكس البنات هنا اللى بيتلككوا ومابيصدقوا . . فما كان من « عبد الفتاح » إلا أنه ـ ببساطة جدا ـ مد شفتيه إلى خد الفتاة الصغيرة وقبلها ! ثم تركها ومشى !! . . لكن يبدو أن البنت الصغيرة أعجبتها اللعبة ، فقد ظلت طول الوقت بعد ذلك تحوم حول « عبد الفتاح » من كل ناحية وتحاول أن تلفت نظره وتنكشه ، وهو ولا هنا . . إنشغل عنها ونسيها تماما . .

خلال رحلة القطار

تتطاير الضحكات والتشنيعات والغمزات بعد أن اكتشفنا أن سفينتنا سوف يعلن افلاسها اليوم وأننا قد نفدنا بجلدنا ـ بسفرنا الى « روستوك » ـ من أن يوقع الحجز علينا ضمن منقولات السفينة ونباع بالمزاد العلنى !! . .

كنا قد طلبنا من كبير الضباط أن يعطى تعليمات للمطبخ بتجهيز صاند وتشات لـ ١٢ فردا ـ عدد أفراد المجموعة الذين سيذهبون إلى « روستوك » ـ لنأخذها معنا بما أننا سنغيب عن السفينة طول اليوم ولن نفطر أو نتغدى أو نتعَشى فيها ، باختصار : أكلنا يعنى . . وعصلج كبير الضباط قليلا ثم أعطى تعليماته المضابط الإدارى . . وعصلج الضابط الإدارى كثيرا قبل أن يعطى تعليماته إلى رئيس السفرجية . . ومادامت المسألة قد بدأت بعصلجة إذن فيى « غير مرض عنها » من « الجهات العليا » على السفينة ، لذا فإن التعليمات حين وصلت إلى رئيس السفرجية عصلج تماما ورفض التنفيذ . . « ليه بامولانا » . . « ماعندنا فى مخازن الأكل فى السفينة حاجة تنفع تتعمل صاندوتشات » !! . . « إزاى ده يامفتى الديار الرمسيسية ؟ » . . « هو كده . . مفيش جبنة رومى ولا بيضا ولا تركى ، مفيش بولوبيف ، مفيش بيض ، مفيش لانشون ، مفيش بسطرمة ، ومفيش ومفيش ومفيش . . قصر الكلام : مفيش حاجة أبدا فى المخزن » !!!! . . . . يعنى مخزن السفينة فارغ تماما من أى مأكولات وسوف تشهر إفلاسها اليوم ويتعمل بروتستو بعد ذهابنا إلى « روستوك » وتباع بالمزاد العلنى !! . . ولو أن القبطان كان قد « أشر » بإصبعه علامة الرضا لأنفتحت كل مخازن السفينة على مصراعيها ، لكن : « حسان » يأكل البندق والبنى آدمين حتى افطارهم وغداءهم وعشاءهم مش بيطولوه !! . .

إذا اعتبرنا « ڤيسمار »

مدينة صغيرة مثل الإسماعيلية عددنا مثلا ، فإن « روسترك » مدينة كبيرة مثل الإسكندرية ، وهى أكبر الموانى فى ألمانيا الشرقية كلها . . شوارعها كبيرة واسعة . . مبانى كبيرة وعمارات عالية فاخرة . . محلات عديدة ضخمة كل محل مكون من عدة طوابق ـ فى « ڤيسمار » محل واحد فقط من هذا النوع ـ . . فإذا كان فى محلات « ڤيسمار » مثلا ألف

نوع من البضائع فإن فى محلات « روستوك » عشرة آلاف نوع . . كل نوع (مطبوع) عليه سعره بحيث لا يستطيع البائع أبدا أن يغالطك ، وبحيث يباع هذا الصنف فى « روستوك » بنفس السعر الذى يباع به فى « چيفرين » ونفس السعر الذى يباع به فى « ڤيسمار » ونفس السعر الذى يباع به فى برلين وفى أصغر قرية فى ألمانيا الشرقية كلها . .

والشىء الذى رأيته

فى أوروبا كلها من قبل رأيته هنا أيضا فى ألمانيا الشرقية : أقل عدد ممكن من البائعات فى المحلات ، ثقة مطلقة فى أمانة الزبون وفى أنه لن يأخذ شيئا دون أن يدفع ثمنه . . وحتى لو حدث أن بعض ضعاف النفوس مدوا أيديهم إلى بعض المعروضات وسرقوا منها ، لنفرض . . فبكم سوف يسرقون فى اليوم الواحد ؟ بجنيه ؟ بخمسة جنيهات ؟ بعشرة جنيهات ؟ . . ولو : بتفضلوا يسرقوا بعشرة جنيهات كل يوم من كل محل . . لكن مقابل ذلك : كم تبلغ أجور عدة آلاف من العاملات والعمال زيادة يوميا لكى يحرسوا المعروضات من أصحاب الأيدى الخفيفة ؟ ! . . هنا قطعا تبقى السرقة أرحم وأوفر كثيرا من ملايين الماركات التى سوف تدفع أجورا لأيدى عاملة زيادة فى بلد يحتاج إلى أيد عاملة فى مليون مجال آخر أهم من حراسة السلع والمعروضات !! . .

الشارع التجارى الرئيسى

فى منطقة وسط البلد فى « روستوك » هو شارع « كروبيلاينر ستراس *Kropeliner StraBe* » ـ كما اتفقنا من قبل : حرف *B* فى اللغة الألمانية ينطق *S* . . ليه ؟ مش عارف !! ـ شارع « كروبيلاينر » هو الذى يضم كل المحلات التجارية الكبيرة والمطاعم والكازينوهات والـ (سوپر ماركت) فى منطقة وسط البلد ، وهو شارع طويل بلا تفريعات ولا شوارع صغيرة متفرعة منه تقريبا . . شارع واحد يمتد لمسافة نحو كيلو مترين ، يعنى أطول قليلا من شارع سليمان باشا فى القاهرة . . ممنوع فيه تماما دخول السيارات أو وسائل النقل على الإطلاق ، ولا حتى الدراجات . . نفس ما لاحظته فى مناطق وسط المدينة التجارية فى المدن الألمانية الشرقية الثلاث التى زرناها حتى الآن فى رحلتنا هذه : « ڤيسمار » ، « چيفرين » ، « روستوك » . .

مثل أغلب المدن

الألمانية الشرقية وعلى عكس أغلب مدن أوربا : مازال الترام يجرى فى شوارع « روستوك » ، لكنه ترام حديث وظريف وسريع وأنيق وشيك جدا من الداخل ومن الخارج . . وأيضا ملاحظتان تستوقفان نظرى فى ترام « روستوك » ، الأولى : أن

الذى يقود الترام حسناء زى القمر عمرها لا يزيد عن ١٩ سنة أو ٢٠ سنة على الأكثر . . تجلس فى كامل زينتها وحسنها وشياكتها فى مقعد السائق لتقود الترام : مجرد سائقة ترام ، ولو جاءت الى القاهرة لمثلت ١٥ فيلما فى كل موسم - (لاحظت على نفسى أننى كررت كثيرا حكاية السينما . . لكن ذلك صحيح فعلا : البنات هنا جميلات جدا فعلا بشكل يثير الإنتباه المصرى . . أجعل من تسعة أعشار ممثلات السينما عندنا ، فما بالك بممثلات التليفزيون !!) . .

الملاحظة الثانية أنه ليس فى الترام كله كمسارى ولا كمساربة : تصعد الى الترام فى أى عربة من عرباته الثلاث ، وتتجه وحدك - أنت وضميرك - الى الآلة الصغيرة الموجودة فى وسط كل عربة ، لكى تضع فيها قطعة العملة المعدنية ثم تضغط على ذراع الآلة بعدد التذاكر التى تريدها . . مستر « ڤيشمان » قائدنا فى الرحلة ضغط على زراع الآلة ١٥ مرة بعددنا ، وكان ممكنا أن يطنش ويكتم ثمن التذاكر فى جيبه طالما أن أحدا لن يراه ولن يشعر به ولن يحاسبه . . لكنهم هنا - وفى أوربا عموما - يشعرون تماما بحق الملكية العامة وبحق الدولة عليهم : الدولة تعطيهم كل شىء بأرخص ما فى الإمكان ، لذا فانهم أيضا يعطونها حقها . .

لماذا قلت أن مستر

« ڤيشمان » قد ضغط على ذراع الآلة ١٥ مرة (بعددنا) اذا كنا نحن ١٢ فقط من طاقم سفينتنا ، ومستر « ڤيشمان » هو رقم ١٣ ، فمن هما الإثنين الآخرين ؟ !

شاب طويل جدا ، نخلة متوسطة الإرتفاع ، جاء مع مستر « ڤيشمان » فى الصباح الباكر وانضم الى مجموعتنا منذ بداية الرحلة ، دون أن يهتم مستر « ڤيشمان » بأن يجرى بيننا وبينه عملية التعارف : لا قدمه إلينا ولا قدمنا نحن إليه . . صديقنا النخلة هذا عافق فى حضنه حسناء ألمانية عملاقة أطول منه ، لو اقتسمت تطلع ٣ أو ٤ بنات بالراحة ، ظل يحتضنها طول الوقت ويقبلها بلا انقطاع من ٦ صباح إلى ١٠ مساء - ١٤ ساعة كاملة : وارديتين عمل !! - كأن والدته مأمناه أمانة إنه يظل يحتضن ويقبل هذه الفتاة طول ما هى قدامه . . والبنت من ناحيتها مش معصلجة وسايباه على راحته خالص ، هى خسرانه إيه : خد راحتك يا ابنى ولا يهمك ما دام انت مبسوط كده . .

صديقنا هذا حين أوشكت الرحلة ان تنتهى فى نهاية اليوم دون أن يكلف نفسه عناء الكف عن تقبيل الطويلة الهبلة ولو للحظة واحدة يقدم لنا فيها نفسه ، إضطررنا فى النهاية أن نسأله نحن : « إنت يا ابنى إسمك إيه ؟ » فكأنه بيتلكك وكان مستنى ، فقط ، الفرصة : حكى لنا تاريخ حياته كلها فى ٥ دقائق لكى يخلص منا ومن أسئلتنا تماما ويعود إلى تقبيل صديقته البرج من جديد : إسمه « عماد سرى » من مصر الجديدة ويعمل على السفينة اللبنانية « سنترا » التى يملكها المصرى البورسعيدى « وائل لهيطة » ، والتى وصلت منذ أيام لتركن قريبا منا على رصيف « ڤيسمار » ، وأنه سمع أمس عن رحلتنا « المجانية » إلى « روستوك » ، وربما أننا مصريين زى بعض واخوات ومفيش فرق فقد اعتبر أن (الدعوة عامة) وجاء هو وفتاته لينضما إلينا . . ثم : إنتهى / حول / إنتهى الإرسال ، وعاد إلى فتاته العملاقة يتشبث بشفتيها أحسن يقع !!! . . .

وليست هذه الحسناء

وحدها فقط هى فاعلة الخير الطيبة المستسلمه ، لكن البنات عموما هنا مابيعصلجوش فى حاجة أبدا . . « عبد الفتاح » قبل فتاة فى محطة القطار فى « ڤيسمار » فلا هى زعلت ولا اتقمصت ولا نادت الشاويش ، ولا أى حد من مئات الواقفين على المحطة تدخل فيما لا يعنيه وفقع « عبد الفتاح » قلمين ، ولا حتى أسرة الفتاة نفسها التى كانت ترافقها وشايفه كل حاجة . . فى « روستوك » وجد « عبد الفتاح » - أيضا - فتاة واقفة فى الشارع تأكل برقوقا من كيس فى يدها وهى تنتظر أن تخضر اشارة المرور لتعبر الشارع ، فذهب « عبد الفتاح » ببساطة شديدة - أو برذالة شديدة ، حسب تقديرك الشخصى - ومد يده فى الكيس المفتوح فى يد الفتاة وأخذ برقوقاية واحدة : هزار وظرف ، وماله . . فما كان من الفتاة إلا أنها فى يدها كبشة برقوق ومدت له يدها الأخرى بباقى الكيس كله وألحت عليه فى أن يأخذه !! . . طبعا « عبد الفتاح » ما كدبش خبر أخذ الكيس فورا . . وانفتحت الاشارة وعبرت الفتاة الشارع وراحت الى حال سبيلها ، وكادت تختفى عن عيوننا حتى انقض الجميع - اللى كانوا عاملين عاقلين ومؤدبين - على كيس البرقوق فى يد « عبد الفتاح » فاختفى كله فى ثوان !! . .

فتاة حسناء تسير

فى الشارع مع أبيها وأمها . . ضاق عليها حذاءها فيما يبدو فخلعته وأمسكته فى يدها ومشت فى الشارع حافية . . لست أدرى هل الساق البيضاء العارية الجميلة هى التى لفتت نظر « عابد شكرى » أو « عادل أبو الخشب » - لست أذكر أيهما فى الحقيقة - أم أن الحذاء كان شكله مغريا فى يد الفتاة وليس فى قدمها . . المهم أن واحد منهما تقدم ببساطة وخطف الحذاء من يد الفتاة ، فوقفت وضحكت وكركرت وسخسخت من الضحك ، ووقف أبوها ووقفت أمها يبتسمان فى هدوء ووداعة وظرف وهما يرقبان - عن بعد - المناوشات بين ابنتهما الجميلة والفتى المصرى والمفاوضات المرحلة التى انتهت بأن الفتاة أخذت حذاءها والفتى أخذ موعدا ، لم يذهب إليه قطعا لأننا عدنا إلى « ڤيسمار » فى نفس المساء !! . .

كنا - « سلمى » - وأنا -

واقفين نتلقط صورة قرب تمثال ظريف يطل على حوض سباحة صغير للأطفال مقام فى وسط مساحة نجيلية خضراء فى الشارع العام أمام أكبر فنادق « روستوك » . . حوض سباحة صغير فى الشارع . . لا مشرفين ولا مدربين ولا غطاسين ولا زحمة موظفين - لو كان عندنا فى مصر كانوا عينوا له رئيس مجلس إدارة بمكتب وسكرتيرة و٣ تليفونات !! - ولا كباين للقلع واللبس ولا حاجة أبدا إلا حوض السباحة وبس فقط لا غير . .

يأتى الطفل أو تأتى الطفلة فى حدود ٦ أو٧ أو ٨ سنوات وهما يلبسان مايوهاتهم تحت القميص أو تحت الـ (چوب) والبلوزة أو الفستان ، فتخلع فستانها ويخلع بنطلونه الشورت ويضعانهما على دكة من الدكك الخشبية المنتشرة فى الحديقة حول الحوض ، وينزلان إلى حوض السباحة يسبحان ويبلبطان . .

« سلمى » أعجبها المنظر فأرادت أن تلتقط صورة للأطفال وهم يتقافزون فى الماء . . ثلاث حسناوات ألمانيات ١٦ - ١٧ سنة عابرات فى الشارع إستوقفهن شكل « سلمى » والكاميرا فى يدها . . صحن فى تهريج ضاحك بما معناه : « إيه ده يا اسمك إيه ؟ . . حاتصورى العيال واحنا لا ؟ ! » . . دعوناهن ليتصورن فجئن جرى ، والتقطت « سلمى » لهن عدة صور . . بعد الصور وقفن يدردشن معنا قليلا ثم : « باى باى ، باى باى » ومشين وتركننا . . ده إحنا اللى قلنا « باى باى » الأول مش هن . . ولو كان عليهن كان زماننا لسه واقفين لغاية النهاردة فى « روستوك » ندردش معـ . . . هن !! . .

وينتهى يومنا فى

« روستوك » فنبدأ رحلة العودة إلى « ڤيسمار » مرة أخرى . . ورغم أننا جئنا فى الصباح فى القطار الا أننا لم نلاحظ ذلك الشيء الذى لاحظته « سلمى » عندما دخلنا محطة السكة الحديد لنستقل قطار العودة فصاحت مندهشة لأنها كانت تراه لأول مرة . . ولم تكن وحدها ولكننا جميعا أيضا كنا نراه لأول مرة : قطار السكة الحديد أبو دورين !! . . أعجبنى جدا رغم أن فكرته فى نفس فكرة الترام أبو دورين فى الإسكندرية والأتوبيس أبو دورين فى إنجلترا والـ « ترولى باص » أبو دورين فى أسبانيا . . لكن رغم ذلك فالقطار أبو دورين شكله ظريف جدا ودمه خفيف ، وقطعا اقتصادى جدا ، ضعف عدد الركاب تماما بنفس التكلفة واقتصاديات التشغيل للقطار نفسه . . لا يحتاج إلى قضبان إضافية ولا إلى سائق زيادة ولا حاجة أبدا . . مكسب١٠٠ ٪ . .

عدنا الى السفينة

ليلا بعد رحلتنا فى « روستوك » لنجد أن الموقف مازال كما هو : السفينة راقدة على الرصيف كجثة هامدة وليست هناك أية أخبار عن موعد بدء تفريغ شحنتها رغم مرور ما يقرب من شهر كامل علينا فى ركنتنا هكذا فى ميناء « ڤيسمار » . . وياعالم لنبدأ متى ومتى سننتهى . . ولاقتراب موعد دخول المدارس فى مصر فيبدو وأننا سنضطر إلى أن نحول أبناءنا من مدارسهم فى القاهرة والإسكندرية الى مدارس « ڤيسمار » إذا أن المسألة شكلها كده أننا سنستقر هنا على طول !! . .

جـاء صبـاح اليـوم

التالى ومعه إشاعة قوية ملأت السفينة كلها ، لكنها لم تصلنا نحن – مجموعة الصحفيين – إلا آخر ناس ، إذ أن الذين أطلقوها كانوا يظنون أننا طرف فيها أو أنها تهمنا بشكل مباشر وتؤثر فى « وضعنا » الذى هو بالنسبة إليهم كابوس ثقيل يتمنون أن ينتهى فى أسرع وقت بل وليته ما بدأ أصلا . .

الإشاعة كانت من باب (جس النبض) أطلقت لكى تصلنا ولكى يروا نتيجتها وتأثيرها علينا ، ولكى – أيضا ـ يعرفوا بالضبط (إحنا مسنودين من مين بالضبط فى الشركة ؟) . .

« نقب الصحفيين جه على شونة » . . هذه هى المحصلة النهائية للإشاعة التى كان مطلوبا أن تصل إلينا بها. والتفاصيل كالتالى : القبطان « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى غرب أوروبا ومقره هامبورج فى ألمانيا الغربية ، إتصل بـ « حسن صبري » ممثل الشركة فى شمال أوروبا ومقره جيدانسك فى بولندا ، و« حسن صبرى » إتصل بمستر « شتيجمان » وكيل الشركة هنا فى « ڤيسمار » ، ومستر « شتيجمان » إتصل بالقبطان بتاعنا ، والقبطان بتاعنا قال للطاقم إن : « نقب الصحفيين – اللى هم احنا – جه على شونة ، لأن اللى كان بيسندهم مشى » !! . . الإشاعة تقول أن « حسين زاهر ياقوت » رئيس مجلس إدارة الشركة صاحبة سفينتنا قد (عزل من منصبه) ، وحل محله رئيس مجلس إدارة جديد إسمه المهندس « صلاح رضا » !! . .

الناس دول هبل والا إيه ؟ ! . . مين قال لهم إننا بنشتغل عند « حسين زاهر ياقوت » أو جايين من طرف « حسين زاهر ياقوت » ؟ ! نحن لا نتبع إلا قلمنا ، وقلمنا فقط ، وضميرنا الصحفى فقط . . ولا حتى رئيس تحرير مجلة « الاذاعة والتليفزيون » نفسه – التى نتقاضى مرتباتنا منها – يستطيع أن يملى أو يفرض علينا شيئا أو يغير ويبدل شيئا مما نكتبه طالما أن الحق معنا . . وهل كان « حسين زاهر ياقوت » هو الذى نشر رحلتى السابقة فى المحيط الأطلنطى على سفينة صيد سمك بعنوان « راكبان على السفينة » ، فى مجلة الاذاعة أو كان هو الذى نشرها فى كتاب ؟ ! . . وإذا صغنا التساؤل بشكل آخر : هل استطاع أى مسئول – بحرى أو غير بحرى – أن يمنع أو يوقف نشر (راكبان على السفينة) كمسلسلة فى المجلة أو ككتاب ؟! . .

لا يا أيها السادة العظام : نقبنا ماجاش على شونة ، وسينشر كل حرف نكتبه عن هذه الرحلة التى كنا نظنها « عذراء » ، سواء كان رئيس مجلس الإدارة عندكم هو حسين زاهر ياقوت أو حسين زاهر خشب ! . .

وكـان رد الفعـل السـريع

لهذه الاشاعة هو أن مجموعة مهندسى السفينة حين علموا بها وبأن رئيس مجلس الإدارة الجديد مهندس ، هاصوا وزاطوا واحتفلوا بذلك احتفالا كبيرا بأن شربوا وسكروا طوال الليل فى قمرة كبير المهندسين « عبده صالح عبده » وهم يهتفون

ويصيحون : « ماكينة ، ماكينة بس . . ماكينة ، الماكينة وبس » !! . . ورغم أن السكر وشرب الخمور ممنوع على السفن المصرية جميعها بحكم القانون البحرى المصرى ، إلا أن كبير الضباط لم يستطع أن يفعل شيئا لأنه ـ كما قال لى ـ يعلم أن المقصود بهذه المظاهرة المخمورة الصاخبة هو استفزازه هو شخصيا حتى يتدخل حفظا للنظام فى السفينة وتطبيقا لقانون البحر بحكم مسئولياته ككبير ضباط ، وذلك بالضبط هو ما يريدونه حتى يهينونه ويجرحونه ويهزأوه !! . .

السفينة اللبنانية « سنترا »

، لبنانية الجنسية ترفع علم ألمانيا الشرقية ، موجودة الآن فى ميناء « ڤيسمار » ترسو على رصيف قريب منا . . قبطانها مصرى إسمه « جلال الجزار ».كان ضابطا فى السلاح البحرى المصرى قبل أن يتجه للبحرية التجارية . . لم أسعد بمعرفة القبطان « جلال الجزار » من قبل لكنه هو كان يعرفنى من خلال كتبى التى قرأها هو وأولاده . . فلما عرف بوجودى فى ميناء « ڤيسمار » أرسل لى أحد ضباطه يحمل لى دعوة منه لزيارة سفينته . . وكانت الدعوة موجهة إلى « سلمى » أيضا على اعتبار أن زوجة القبطان « الجزار » وابنته وابنه معه على سفينته فى هذه الرحلة . . و . . قبلنا الدعوة . .

يبدو ـ والله أعلم ـ أن ناس البحر مخهم طاقق ومش طبيعيين . . والظاهر أن تصورهم أن الموت قريب منهم فى كل متر يقطعونه فى الماء وأن الغرق قد ينقض عليهم فجأة فى أى لحظة ، يجعلهم طايحين وفاقدين ، وأحيانا قلالات الأدب ، وحاقدين على الناس الذين ليس البحر مهنتهم ، لتخيلهم أن حياتهم معرضة لخطر الموت غرقا دائما بينما ناس البر بعيدين عن هذا الخطر آمنين منه . .

ذهبنا فى المساء

إلى السفينة « سنترا » . . استقبلنا القبطان « جلال الجزار » وابنته « إيمان » وإبنه « محمد » الطالب فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية . . وقعدنا ودردشنا وتكلمنا فى موضوعات عامة بين الصحافة والأدب والبحر . . ثم على مائدة العشاء انضم الينا الضابط الذى كان قد حمل لى فى الصباح دعوة القبطان « الجزار » . . على العشاء انفتحت مناقشة سياسية لا أول لها ولا آخر ، موضوعها : « جمال عبد الناصر » . . لم أعد أحب أن أتكلم فى هذا الموضوع بالذات . . الذين يحبون الكلام فيه قلة منهم موتورين لأنهم أضيروا فى عهد « عبد الناصر » لسبب أو لآخر ويحملونه شخصيا مسئولية ماحدث لهم ـ (أعرف سيدة أصيب إبنها الوحيد بتسمم من أكلة كشرى ومات ، فكرهت « عبد الناصر » حتى الآن !!) ـ أما أغلبية الذين يكرهون « عبد الناصر » فهم مطيباتية أو منافقين : مطيباتية لرؤسائهم الذين يكرهون « عبد الناصر » ، أو منافقين لأنهم يتصورون أنهم باعلان كراهيتهم ـ الآن ـ لـ « عبد الناصر » سوف يفرح بهم ويسعد الرئيس الحالى !! . .

ماعلينا ، إنفتح على مائدة العشاء موضوع « عبد الناصر » ، وظللت طوال السهرة بعد ذلك وأنا أحاول أن أقفل هذا الموضوع دون جدوى : القبطان « الجزار » مصر على أن يحكى لى الأضرار التى أصابته فى عهد « عبد الناصر » ، وضابطه الذى معنا على مائدة العشاء يحاول أن يبدو فى مظهر المؤيد المتعاطف مع ما يرويه القبطان بإعلان كراهيته هو الآخر لـ « عبد الناصر » . . وحين لم يجد منى تجاوبا مع نفاقه وجليطته ومداهنته الصغيرة ، فوجئت به يهز رأسه بصلافة وغطرسة وقلة أدب وهو يقول : « الظاهر إن الأستاذ حسين مش قادر يفهم وما عندوش الحاساسية الصحفية الكافية . . . . . » !!!!! . . . . . هذا الصبى الذى كان تلميذا فى إعدادى يوم مات « عبد الناصر » قد أصدر « حكمه » على (حساسيتى الصحفية) لأننى لم أوافقه على كلامه الهايف التافه . . . . . . ولم أتركه يستطرد فى كلامه وانما نططت فى كرشه فورا بشراسة وغلظة وتعالى وفظاظة : « لحظة من فضلك قبل ما تكمل كلامك . . إن مكانوش وانت صغير علموك فى البيت إنك لازم تحترم الأكبر منك لأن الكبار لهم احترامهم ، فلازم تعرف كويس أوى إنى بافهم أكتر منك ألف مرة لأنى أكبر منك سنا بـ ١٥ سنة على الأقل ، وإذا كان أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة فأبقى أنا أعرف أكتر من سعادتك بمليون سنة . . لازم تعرف حدودك وحدود مركزك وأصول الكلام والتخاطب مع الأكبر منك فى السن وفى المركز . . الموضوع اللى انت بتتكلم فيه أنا أفهم فيه أكتر منك مليون مرة لأنى صحفى ودى شغلتى ، لكن إنت مجرد راجل بحار رايح جاى فى البحر مش أكترمن كده ، ويادوب تفهم فى البحر تفهم فى الميه تفهم فى شحن المركب فى تفريغ المركب فى دهان المركب بالبوية ، والمفروض إنك تتكلم فى اللى إنت تعرفه بس ، وبأدب برضه ، لكن مسائل السياسة دى انت بعيد عنها تماما ومالكش فيها لأنك ـ زى ماهو واضح من طريقتك فى الكلام وطريقتك فى المناقشة ـ ماتفهمنش فيها » . . . . .

كان يحاول أن (يتنطط على اكتافى) إرضاء لقبطانه ، فلما فوجىء بغلظتى معه حاول أن يتراجع بغير انتظام واعتذر عن تصرفه بأنه لم يكن يقصد ماقاله ، فتركته يعتذر على راحته خصوصا بعد أن شعر القبطان « الجزار » بأن الموقف قد باخ وأصبح سخيفاً ويوشك أن يتأزم ، ولما أراد ضابطه أن يستطرد فى الكلام بعد اعتذاره قلت له بضيق وقرف : « لأ . . الموضوع ده خلاص بنقفله وبنتكلم فى حاجة تانية تكون خفيفة ومريحة تقدر تشترك فيها وتقول حاجة . . نتكلم عن الرقاصات عن الكباريهات عن الهلس عن مجلة الشبكة . . حاجة زى كده تناسب سنك » !!!!! . . . . .

وسكت تماما طول الوقت بعد ذلك حتى انتهت سهرتنا مع القبطان « الجزار » . . ولكن :

بمجرد أن أقلعت السفينة

« سنترا » فى اليوم التالى فى طريقها إلى هامبورج ، فوجئت بـ « على أبو طالب » كبير ضباط سفينتنا يخبرنى بأن ضابط السفينة « سنترا » قد أعطاه رسالة موجهة منه إلى رئيس تحرير مجلة (الإذاعة والتلفيزيون) ، ليقوم « على » بإرسالها إلى رئيس

التحرير إذا نشرت عنه شيئا فى المجلة ، تكذيب مقدما لما سوف أنشره عنه !! . . بطريقة (يكاد المريب يقول خذونى) أو (اللى على رأسه بطحة بيحسس عليها) !!

هناك بعض الناس يدفعهم حبهم للشهرة وأمل حياتهم فى أن تكتب الصحف أسماءهم يوما ولو حتى فى صفحة الحوادث . . لكننى لن أجعل صديقنا هذا ينال غرضه . . لن أريحه وأهدى سره وأنوله اللى فى باله ولن أنشر أسمه . . وإنما سأنشر ، فقط ، رسالته إلى رئيس التحرير حتى يطمئن بالا إلى أن رسالته قد أبلغت . . . . . . وهذا هو نص رسالته :

« السيد رئيس مجلس إدارة مجلة الإذاعة والتليفزيون . .

بعد التحية ـ هذا هو ردى على السيد الصحفى حسين قدرى على ماجاء ذكره فى مجلتكم بصفحة . . . . بتاريخ . . . .

إذا جاءت مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل . . . . !!!!!!

انتهت الرسالة التى كتبها صاحبها يكذب فيها ما سأنشره قبل أن يعرف أصلا ماذا سوف أكتبه ، وقبل أن أنشر منه حرفا واحدا !!!!!!!!! . . . .

ولست أدرى لماذا تتداخل الصور فى خيالى الآن ، فأرى هذا البحار النشيط وقد أصبح يوما ما ـ بأخلاقه هذه ـ قبطانا للسفينة « رمسيس الـ . . . ثالث » !! . .

غريب أمر رجال

البحر المصريين ، وهذه مشكلة فعلا ، فانه اذا أخطأ أوأساء فرد واحد فى فئة معينة ، فإن إساءته تمتد لتمس الفئة التى يمثلها كلها ، وتصبح هذه الفئة متهمة بأنها ـ عموما ـ فئة سيئة . . فما بالك فعلا لو أن الطابع المميز لهذه الفئة فى أغلب أفرادها هو التصرفات السيئة ؟!!! . . .

سوء تفاهم حدث ليلة أمس فى ملهى الـ *SONY* بين سفرجى باشا من سفينتنا وبحار مصرى آخر من السفينة اللبنانية « سنترا » . . فعاتب البحار سفرجى باشا قائلا : « جرى إيه ياأخى . . عيب كده . . ده احنا مصريين زى بعض » . . فكان رد سفرجى باشا عليه وهما فى محل عام أجنبى فى مدينة أوروبية : « يلعن أبوك لأبو المصريين اللى انت منهم لأبو مصر اللى جابتك » !!!!! . . . . .

كانت نتيجة ذلك شيئا غريبا تماما : شاب لبنانى كان جالسا فى الملهى على مقربة منهما ، إنقض على سفرجى باشا وفقعه علقة محترمة لها العجب ، وورم له عينه اليسرى وجراه قدامه كأرنب جبان لم يجد قبطانه الى جواره ليحميه !! . . . . . ثار البحار اللبنانى لأن « مصر » أهينت وشتمت . . وثار أكثر حين عرف أن الذى يشتم مصر هو واحد « مصرى » . . . . وأصر على أن يضربه ، وضربه

فعلا . . . بل وأصر عل يأنه سوف يذهب إليه فى سفينته « رمسيس الثانى » فى اليوم التالى ليضربه مرة أخرى أمام كل الناس المصريين الذين عليها . . وجاء اليوم فعلا على سفينتنا لكن ضباطنا هدأوه وإعتذروا له وطيبوا خاطره ، وجاء سفرجى باشا يجرى لكى يعتذر إليه بنفسه . . ماهى علقة امبارح لسه واجعاه !!!!!!!!!! . . . . . .

ثار اللبنانى من أجل مصر ولم يثر المصريون من أجلها . . . وآه يابلد منكوبة بأبنائها . . بعض أبنائها !! . . . .

الفصل السابع عشر

مرفود
أسبوع ..
ويجيب
ولى أمره !

.. وحين تحركت السفينة

اللبنانية « أورابيا » صباح اليوم لتبتعد عن رصيف ميناء « فيسهار » عائدة إلى الإسكندرية ، كان على ظهرها الزميل « خيرى شلبى » يسبقنا إلى أرض الوطن ، ليكون هناك قبلنا بستة أسابيع كاملة . . بعد أن لم يحتمل الوحدة والغربة وانقطاع وسيلة الإتصال والتفاهم بينه وبين الناس هنا لعدم معرفته بأى لغة أجنبية ، وبعد أن لم يحتمل البعد عن البيت والأسرة والأولاد . . وبعد أن صدمته صدمة شديدة وبعثرته تماما ـ وأتعبته نفسيا أيضا ـ الحرية الهائلة التى تتمتع بها الفتاة الأوروبية هنا وفى كل مكان فى أوروبا ذهب إليه معنا فى هذه الرحلة . .

لك الله يا « خيرى » . . . الغلطة غلطتنا إحنا ، فقد كان يجب أن نجعله يمر بمرحلة انتقال تمهيدية قبل أن نجىء به إلى أوروبا ، ولو لفترة قليلة فى الإسكندرية مثلا !! . .

خاطر غريب يملؤنى

كلما قدمت لأحد خدمة ما أو توسطت له فى أمر كبير : أتوقع الغدر والنكران والإساءة وعض اليد التى قدمت الجميل . . لذا عودت نفسى ـ من زمان ـ على أن أبتعد فورا الى أكبر مسافة ممكنة عمن أقدم له خدمة ما . . . .

على اى حال : ربنا يستر !! . .

الاشاعة التى انطلقت

فى السفينة أمس تأكد اليوم صحتها . . وجاءت التفاصيل بأن رئيس مجلس الإدارة « حسين زاهر ياقوت » لم (يعزل من منصبه) بالضبط كما قال القبطان ، لكن الذى حدث أنه (رقى) وكيلا لوزارة النقل البحرى بحالها . . أما الذين عزلوا من مناصبهم فهم « كل » أعضاء مجلس إدارة الشركة ، بما فيهم « عدلى عبد المعطى » مدير عام الشركة للشئون الإدارية ، وأيضا كل مديرى الادارات الكبار الذين كان الجميع هنا على سفينتنا يجأرون بالشكوى منهم !! . .

يبدو أن إنقلابا قد وقع فى الشركة !! . . .

« الدناوة » وحشة . وفراغة

العين وحشة والطمع يقل ماجمع كما قالوا فى الأمثال الشعبية زمان . دخلت و« سلمى » محلا لنشترى بعض الأشياء . . لفت نظر « سلمى » كيس من النايلون به ٣٠ مشبكا من مشابك الغسيل البلاستيك الملونة بألوان زاهية جميلة . . « سلمى » لاتعرف اللغة الألمانية وأنا أعرفها طراطيش ؛ لكننى أجيد قراءة الأرقام والأعداد بكل اللغات الأوروبية !! . . طلبت منى أن أقرأ لها السعر المكتوب على كيس المشابك فوجدته ١١ فينيك ألمانى ؛ يعنى مايقارب ١١ مليما مصريا . . ورغم أنها لم يكن فى برنامج مشترياتها أن تشترى مشابك غسيل من أوروبا إلا أن ـ كما قدمت ـ الطمع وفراغة العين والدناوة طبع أصيل فى كل مصرى مهما بلغ مركزه ومهما بلغت درجة ثقافته . . سألتنى وكأنها تستأذننى : « إيه رأيك ؟ آخد كيس مشابك ؟ . . دا تمنه حوالى قرش صاغ ، مش حانخسر » !! . . بما أنها تستأذننى فبكبرياء الذى يمنح التصريح قلت لها : « خدى لك كيسين تلاتة مادام المشابك رخيصة أوى كده ، الحسبة كلها مش حاتكمل ٤ صاغ !! . فرحت بتصريحى وأخذت ٣ أكياس بها ٩٠ مشبكا ، ووضعتها فى السلة مع مشترياتها ، وذهبت إلى فتاة الخزينة التى دقت لها على الآلة الحاسبة حساب مشترواتها وطلبت منها الحساب وفيه مايساوى جنيه كامل زيادة عما قدرنا !! . . ليه ياحسناء يابتاعة الخزينة ؟! الجنيه ده بتاع إيه ؟! الـ ٩٩٠ فينيك دول أيه ؟! إحنا ماأخدناش حاجة ثمنها ٩٩٠ فينيك . . ثم إنك ماسجلتيش ثمن المشابك ؟! » . . وأجابت فتاة الخزينة الحسناء :« الـ ٩٩٠ فينيك دول هم ثمن المشابك . . » . . ياستى أبدا . . ثمن المشابك ٣٣ فينيك . . الكيس آهه مكتوب عليه ١١ فينيك ، وإحنا أخدنا ٣ أكياس يبقوا ٣٣ فينيك . . تجيبى الـ ٩٩٠ فينيك دول إزاى ؟! » وتضحك فتاة الخزينة الحسناء وتضحك كل البنات البائعات فى المحل على سذاجتنا وعلى فتاكتنا فى الوقت نفسه . . و : « مادام انتوا مابتعرفوش ألمانى مش تسألوا الأول وإحنا ندلكم ؟ المشبك الواحد هو اللى بـ ١١ فينيك . . يعنى الكيس فيه ٣٠ مشبك بـ ٣٣٠ فينيك ، والـ ٣ أكياس فيهم ٩٠ مشبك بـ ٩٩٠ فينيك » !!!!!! . . . .

ودفعنا ١٠ ماركات كاملة فى شوية مشابك غسيل ملونين ، وخرجنا زى الـ . . . . . شاطرين !!

كنت و« سلمى » و « الحسينى »

الضابط الثانى عائدين من المدينة عصرا إلى قرب مدخل الميناء التقينا بالقبطان وكبير الضباط عائدين من المدينة أيضا . . سرنا جميعا معا . . بعد خطوات قابلتنا السيارة (الميكرو باص) التى تحمل الفتيات الموظفات فى الميناء تتحرك ببطء خارجة لتعود بهن إلى بيوتهن . . تركنا القبطان فجأة وجرى بطوله الفارع وراء الـ « ميكروباص » وهو يشوح

للفتيات بيديه معا ويرسل لهن قبلاته فى الهواء ويضم كفيه ويضعهما على قلبه ثم يوجهها إلى البنات بطريقة تمثيلية ـ من باب الغزل والظرف وخفة الدم ـ وطبعا البنات الألمانيات .

خطر على بالى تساؤل غريب جدا لحظتها وأنا أشهد هذا المنظر « الظريف » : لو أن ناظر مدرسة إعدادية فى الإسكندرية ، ضبط أحد تلامذة مدرسته ـ ولنفرض أنه « شريف » إبن القبطان بتاعنا ـ يفعل مثل ذلك ويجرى وراء سيارة مدرسة بنات ـ فى اسكندرية طبعا ـ ويلقى إلى التلميذات بقبلاته فى الهواء بنفس الطريقة .. كيف سيتصرف حضرة الناظر ؟! ..

وكان الجواب ـ فى تصورى ـ هو على الأقل : رفد أسبوع ، ويجيب ولى أمره !!!!! ......

طـال شعرى الأكـرت

المجعد كثيرا وتدلدل على قفاى ، وأنا مصر على ألا أحلقه الا بعد عودتى الى القاهرة .. وتكسرت عليه النصال ، أقصد كل الأمشاط المصرية التى أحضرتها معى من القاهرة ، فاضطررت لشراء ١٠ أمشاط من هنا لتكملة الرحلة .. وربنا يستر ولا يتكسروش هم أيضا ونحن فى طريق عودتنا فى عرض البحر ، والا فسنطر أن ندخل ميناء لشراء أمشاط* أخرى ....

لـنـا مـا يقـرب

من شهر كامل الآن وسفينتنا راكنة كلقيط مجهول الأهل متروك فى ملجأ ميناء « ڤيسمار » لغاية مايبان له صاحب .. الخروج يوميا إلى المدينة الصغيرة الظريفة قطعا يستهلك فلوسنا القليلة جدا التى خرجنا بها من مصر .. بمراجعة سريعة لرصيدنا الباقى إتضح أننا موشكين على الإفلاس تماما من مبلغ الماركات الألمانية الذى استبدلناه عند دخولنا ألمانيا الشرقية .. « دبرينى ياوزيرة » .. « التدابير لله ياملك » .. واحد من ضباط السفينة كان جالسا معنا ونحن نراجع حساباتنا ، تدخل فى الحديث : « إنتوا شاغلين نفسكم بإيه ؟ » حكينا له احنا شاغلين نفسنا بإيه ، فقال مندهشا : « هو انتو عملتوا (بزنس) والا ماعملتوش ؟! » .. « بزنس ؟! » .. « آه بزنس .. عمرك ماسمعت على كلمة (بزنس) ؟ ماأخذتهاش فى المدرسة ؟ » .. « أخذتها .. لكن إيه علاقتها بالموقف اللى احنا فيه دلوقتى ؟! » .. وضحك الضابط وهو يسحب من يدى الورقة والقلم ليكتب هو : « بالعكس .. دى هى دى الحل الأعظم للموقف اللى انتوا فيه دلوقتى .. هو انتوا فاكرين إن البحارة المصريين مرتباتهم اللى بياخدوها تكفى المصاريف الكبيرة اللى بيصرفوها هنا والمشتريات المهولة اللى بيجيبوها من هنا ؟! .. لكن بالـ (بزنس) بيقدروا يسووا الهوايل .. » .. « إزاى يامولانا .. زدنا من علمكم أفادكم الله » ..... « معاك قد إيه عملات أجنبية ، يعنى مش مارك شرقى .. دولارات أو استرلينى أو ماركات

ألمانى ؟! » . . « معانا كذا دولار وكذا ماركات غربية . . بس دول مخصصيتهم لباقى الرحلة فى الموانى الثانية اللى حانروحها بعد كده » . . « ربع المبلغ ده يكفى . . تحوش الربع بس وتخليه على جنب » . . « شلنا الربع وخليناه على جنب ، وبعدين ؟! » . . « وبعديس سيبوا الباقى علىّ أنا » . . « حاتعمل ايه ؟ . . ما احنا لازم نفهم على الأقل إيه اللى حايحصل بعده كده » . . « ولاحاجة . . المبلغ ده حاخليه لكم ٤ أضعاف . . بالبزنس » . . « شوف بأه ، ماتتسلاش علينا . . ياتفهمنا كويس حاتعمل إيه ، ياتقوم تلعب فى حتة تانية » . . . . . .

« كل البحارة المصريين

ـ بحارة وضباط ومهندسين ، وحتى القباطين نفسهم ـ بيعملوا اللى أنا حاقول لكم عليه ده . . المبلغ العملات الأجنبية اللى معاهم بيروحوا يشتروا بيه من السوق الحرة اللى داخل الميناء شوية حاجات ، غالبا سجاير أجنبية مستوردة ، وبمجرد مايخرجوا بيها من باب السوق الحرة ألف واحد يشترى السجاير دى منهم بـ ٤ أضعاف المبلغ اللى هم اشتروها بيه ، لكن بيدفع لهم بالمارك الألمانى الشرقى طبعا . . وفى الحالة دى بيقف المارك الألمانى الشرقى على البحار المصرى بحوالى ٧ قروش بس بدلا من ٢٧ قرش سعر البنك فى مصر . . يعنى تقريبا ربع سعره فى البنك . . وبالماركات الألمانية الشرقية دى ينزلوا البلد هنا يشتروا من المحلات كل اللى هم عايزينه ، فتقف عليهم الحاجة بربع ثمنها الأصلى المكتوب عليها . . ولما يرجعوا اسكندرية يبيعوا الحاجات اللى اشتروها من هنا لتجار البضائع المستوردة وأصحاب البوتيكات بـ ٣ أضعاف السعر اللى اشتروها بيه من هنا . . وتعالى نحسب بالورقة والقلم : نفرض أن بحار مصرى معاه ١٠ ماركات ألمانية غربية . . حايشترى بيهم سجاير من السوق الحرة هنا ، ويبيع السجاير دى بـ ٤٠ مارك شرقى . . حايشترى بضايع من المحلات هنا بالـ ٤٠ مارك شرقى ويبيعها فى اسكندرية بما يساوى ١٢٠ مارك شرقى ، يبقى ضاعف رأس ماله كام مرة ؟! ١٢ مرة . . الخطورة هنا إنه يطب وهو داخل بمشترياته الميناء هنا فيفتشوه ويصادروا اللى معاه ويبقى خسر الجلد والسقط . . لكن الحكاية دى بتحصل قليل جدا ، وحتى لو كانت ، فالمجازفة والمغامرة برضه تستاهل ، فمضاعفة الفلوس اللى معاك ١٢ مرة دى حاجة تستحق ـ بالنسبة للبحار المصرى ـ إنه يغامر علشانها ، وغالبا بينجح . . وبما إنكم إنتم بالذات الحاجات اللى حاتشتروها من هنا حاتشتروها لنفسكم ومش حاتبيعوها للبوتيكات لما ترجعوا مصر ، فتبقى فلوسكم حاتتضاعف ٤ مرات بس . . واحنا من ناحيتنا ـ كضباط السفينة ـ حانشيل عنكم عبء إنكم تعملوا الحكاية دى بنفسكم ، وحانعملها إحنا عنكم . . هه . . موافقين ؟! » . . . . .

ياخبر ؟!
إلا موافقين ؟!
ده إحنا

موافقين ونص . . على الأقل وفى أضعف الايمان ـ آل يعنى ـ علشان تبقى اكتملت تجربتنا الصحفية اللى احنا جايين علشانها ومن أجل معايشة حياة البحارة المصريين معايشة كاملة . . ونبقى شفنا وجربنا بنفسنا كل جوانب حياة البحارة المصريين فى الموانىء الأوروبية . .

أيها السادة ـ وذلك إقرار منا ، وربنا يستر وبتوع الجمارك فى ألمانيا الشرقية مايكونوش بيعرفوا يقروأوا عربى ـ عشنا كأصحاب الملايين فى الفترة الباقية التى قضيناها فى ألمانيا الشرقية ، واشترينا منها كل اللى نفسنا فيه وأكثر من اللى نفسنا فيه . . وعدنا معنا بهدايا للأسرة والأهل والأقارب والأصدقاء والأحباب . . وبارك الله فى البزنسة !!!!! . . . . . .

ورغم أن
ذلك
هو

هو جانب من جوانب الإشتراكية : السجائر الأجنبية كماليات ، والكماليات مرفوضة أساسا فى إشتراكيتهم . . الشوكولاتة كماليات مرفوضة . . السيارات الشيك كماليات والكماليات مرفوضة . . كل ماهو أجنبى ومستورد لا محل له ولا مكان له هنا . . ليس ذلك فقط ، بل أن هذه الأصناف المعدودة من الكماليات لو أن مثيلاتها تصنع هنا محليا فستجدها أيضا غالية الى الدرجة التى تجعلك ـ حتى لو معاك فلوس ـ تتردد كثيرا فى أن تشتريها ، وغالبا لن تشتريها اذا عرفت أن قطعة الشوكولاتة ، مثلا ، التى تشتريها من لندن بشلن واحد ، تدفع فيها هنا نحو ٥ ماركات ألمانية ، أو مايساوى ١٣٥ قرشا مصريا ـ بالسعر الرسمى طبعا ـ وهو مبلغ يشترى طن شوكولاتة من أى بلد غربى ، ويشترى الآن ـ رغم ارتفاع أسعار الشوكولاتة فى مصر ـ ١٥ قطعة شوكولاتة من نفس الحجم فى مصر . .

وإذا قارننا بين مفهوم الاشتراكية عندنا ومفهوم الإشتراكية عندهم . . فالإشتراكية عندنا هى الفوضى والفساد والمحسوبية والرشوة وكل ما يتصوره المرء من سوء فى أى نظام ممكن ، أو أى (لا نظام) ممكن . . والإشتراكية هنا هى السعر المطبوع على كل سلعة ، تباع به من برلين العاصمة إلى چيڤرين إلى أصغر قرية فى ألمانيا الشرقية كلها . . هنا البائعة فى أى محل تجارى ـ و ٩٩,٩٪ من المحلات هنا قطاع عام ـ البائعة تقابلك بابتسامة وتودعك بابتسامة وفى غاية الأدب ، وتتحمل رذالتك وظرفك وخفة دمك ـ اذا كنت مصريا من خفاف الدم إياهم ـ وتخشى أن تتجهم فى وجهها فيراك رؤسائها . . وسواء اشتريت شيئا بـ ٢٠ فينيك ـ قرشين صاغ ـ أو قلبت لها المحل كله دون أن تشترى شيئا فسوف تشكرك قبل أن تغادر المحل . . ولو قدمت لها سيجارة أو قطعة لبان فإن البائعة تتلفت حولها فى رعب وفزع خشية أن يراها أحد وهى تأخذ منك قطعة اللبان ، وغالبا فإنها سترفضها بابتسامة أيضا . . وكل الأجهزة هنا فى خدمة الناس ، ويتساوى أمام القانون وأمام

النظام العام الكبير قبل الصغير ، حتى حاكم المدينة نفسه ـ عمدة « ڤيسمار » ـ وهو ذاهب ليحضر حفلة رسمية الكل فى استقباله فيها ، أبرز بطاقته الشخصية عند الباب ليسمح له رجل البوليس الألمانى ـ الموظف عنده ـ بالدخول !!

والإشتراكية عندنا : إسرق قدرما تستطيع ، هلب قدرما تستطيع ، إهبش قدرما تستطيع واظلم قدرما تستطيع ، فإن أقصى عقاب سوف ينزل بك هو أنهم سوف ينقلونك من وظيفتك إلى : وظيفة أحسن وأكبر ، مجال السرقة والهبش والتهليب فيها أحسن وأكبر !!!!! . . . . .

الإشتراكية عندهم فكرة واضحة فعلا ، مفهومة فعلا ، منفذة فعلا ومطبقة فعلا . . الإشتراكية عندنا ولا حاجة أبدا : مجرد ١٠ حروف لغة عربية ، فقط لا غير . . . . .

الاسعار هنا مثيرة

للدهشة فعلا . . رخيصة إلى حد يثير العجب . . الناس هنا تكاد تكون تأكل ببلاش . . برطمان المربى الكبير جدا الشيك جدا الذى يساوى وحده ـ وهو فاضى ـ ٥٠ قرشا ، يباع بمارك ونصف ـ (ولنتعامل من الأسعار هنا بالسعر الحقيقى الفعلى للمارك الألمانى الشرقى ، وهو ما يساوى ١٠ قروش مصرية) ـ فهو إذن يساوى ١٥ قرشا مصريا . . كيلو التفاح بـ ٦٥ فينيك أو ٦,٥ قروش مصرية ، كليو الكمثرى بـ ٧٠ فينيك أو سبعة قروش مصرية ، كيلو البرقوق الفاخر جدا اللذيذ جدا بمارك واحد . . زجاجة اللبن الكبيرة الضخمة فيها كوبين كبيرين من اللبن غاية فى الدسم ، بنصف مارك . . الفرخة المشوية كبيرة الحجم التى يكفى ربع فرخة منها لتلكم أى معدة مصرية مفجوعة وتملؤها ، بما يساوى ٢٥ قرشا مصريا . . لو دخلت أشيك مطعم فى البلد وتناولت عشاءك: نصف فرخة كاملة وخضار سوتيه وسلطات وكمية بطاطس ، وشربت بيرة أو بيبسى كولا ـ لا يوجد هنا كوكاكولا التى نعرفها ـ فلن تدفع أكثر من ٥ مارك أو ٥٠ قرشا مصريا . . ده لو كنت لوحدك طبعا !! . .

الأهم من ذلك أنك لو لففت المدينة كلها ، أو حتى مدن ألمانيا الشرقية كلها ، فسوف تجد نفس الصنف يباع بنفس السعر فى كل مكان دون زيادة فينيك واحد ـ (مليم واحد) ـ . . كما أن الأصناف كلها نوعيات جيدة وممتازة ، ليس فيها كمثراية ضاربة ولا تفاحة معطوبة ولا برقوقة خضراء ، ولا يضع لك البائع شوية برقوق كويسين فوق وش الكيس وبعد أن تصل الى بيتك تكتشف أن الكيس كله من تحت عنب فرط ، ومعفن كمان . . كل حاجة هنا نقاوة وممتازة وتصل إلى المستهلك بشكل جيد جدا وخدمة جيدة جدا وانسياب شديد . . طيلة الأربعين يوما تقريبا التى قضيناها فى « ڤيسمار » لم نلحظ اختفاء أى صنف من الأصناف التى نراها . . كان البحارة المصريون يقبلون إقبالا شديدا على البرقوق الألمانى الظريف الذى يختلف شكله عن شكل البرقوق عندنا ، فلم يرتفع سعره ولا اختفى من المحلات والدكاكين ، ولم يأت واحد شحط شكله مريب ليميل على آذاننا فى الشارع ويهمس : « معايا برقوق ممتاز يا بيه ، صالة وبلكون » !! . .

وعـــن الملابـس ، فهنـــاك

محلات خاصة بملابس العمال . . ليست العفريتة والأوفرول ، وأنما ملابس شيك جدا وكويسة جدا وقطيفة وشمواه ومتفصلة جيدا وكل حاجة ، وفى هذه المحلات بائعات حسناوات زى الورد وزى القمر . . كل ما فى الأمر أن (أسعار) هذه المحلات رخيصة جدا وفى متناول العمال ، ومع ذلك فاللى عايز يشترى من غير العمال برضه يتفضل ، ما احنا كلنا عمال . .

ومحلات أخرى رخيصة جدا جدا مثل تلك التى اكتشفناها نحن وعرفها طاقم السفينة كله من بعدنا ، وشرحتها من قبل . . يكفى أنك تستطيع أن تشترى منها بنطلونا جديدا وجاكت جديدا ـ يعنى بدلة كاملة زى اللى لابسها « خيرى » دى ـ بجنيهين ونصف مصريين ، لا يقل ثمنها لو اشتريتها أو فصلتها فى مصر عن ٨٠ أو ٩٠ جنيه مصريا . . أغلى جزمة رأيتها هنا بما يساوى ٤ جنيهات مصرية : الجزمة التى تشتريها أنت ويتوارثها من بعدك أبناءك وأحفادك ، ومع ذلك فشكلها ظريف جدا ومودرن جدا . . أما الجزم الحريمى وجزم الأطفال فهى أرخص من ذلك كثيرا جدا . .

أســـواق الخضـــار القطـــاع

العام . . فى أى مكان مكشوف هنا أو فى أى أرض فضاء ، يقام فيها ـ فى يوم وليلة كما رأينا بأنفسنا ـ سور أو مجموعة أكشاك مسقوفة تباع فيها كل أنواع الخضر والفواكه ، وكل صنف مكتوب عليه تسعيرته بخط كبير وواضح عدة مرات . . والستات والفتيات الألمانيات الحسناوات واقفات فى طوابير طويلة أمام البائعة الحسناء التى تقف فى الكشك أو أمام (مشنة) أو (عربية يد) بعجلتين ـ زى اللى عندنا فى مصر بالضبط ـ وكل واحدة فى دورها بنظام شديد وبهدوء شديد وبلا أى ضجة أو لغط أو كلام أو دوشة . . لو ذلك عندنا فى مصر لكان صوتهن وصل من ميدان التحرير الى مصر الجديدة ، ويمكن إلى السويس . .

كل صنف هنا مطبوع عليه أو محفور عليه سعره بحيث لا يستطيع البائع أبدا أن يغالطك ، وبحيث يباع نفس الصنف فى « ڤيسمار » كما يباع فى « روستوك » كما يباع فى برلين العاصمة كما يباع فى أصغر قرية فى ألمانيا الشرقية كلها . . والذى رأيته فى أوروبا كلها من قبل رأيته هنا أيضا فى ألمانيا الشرقية هذه المرة ، أقل عدد ممكن من البائعات فى المحلات ثقة مطلقة فى أمانة الزبون وفى أنه لن يأخذ شيئا دون ين يدفع ثمنه . . وحتى لو حدث أن بعض ضعاف النفوس مدوا أيديهم الى بعض المعروضات وسرقوا منها ، لنفرض . . فبكم سوف يسرقون فى اليوم الواحد . بجنيه ؟ بخمسة جنيهات ؟ بعشرة جنيهات ؟ . . ولو : يتفضلوا يسرقوا بعشرة جنيهات كل يوم من كل محل . . لكن مقابل ذلك : كم تبلغ أجور عدة آلاف من العاملات والعمال الزيادة يوميا لكى يحرسوا

المعروضات من أصحاب الأيدى الخفيفة ؟ ! . . هنا قطعا تبقى السرقة أرحم وأوفر كثيرا من ملايين الماركات التى سوف تدفع أجور لأيدى عاملة زيادة فى بلد يحتاج إلى أيد عاملة فى مليون مجال آخرهم من حراسة السلع والمعروضات .

ذلك ليس معناه

أن الناس هنا ملائكة أطهار بأجنحة بيضاء و٦ سلندر وأنهم جميعا حايروحوا الجنة ، فهنا أيضا ـ أحيانا ـ يسرقون ويهربون ـ (لاحظوا أنى أقول « أحيانا » . . لاحظو فكرة « الإستثناء والقاعدة ») ـ !! . . هنا أيضا يهربون السجاير الأجنبية ومبيعات السوق الحرة من داخل الميناء إلى خارجه : البحارة المصريون يشترونها بالعملة الصعبة ثم يبيعونها بأربعة أضعاف ثمنها لعمال وموظفى الميناء ، وهؤلاء يهربونها معهم وهم خارجون بعد انتهاء العمل ليبيعوها فى السوق المحلية بضعف الثمن الذى يدفعونه للبحارة المصريين . . ظننت فى البداية أن الألمان يشترون السجاير الأجنبية لمزاجهم الخاص ليدخنوها هم ، حتى رأيت حسناء ألمانية رقيقة تعمل فى الميناء تشترى من البحارة المصريين ٤٠ كرتونة سجاير من ماركة واحدة خلال أسبوع واحد ، فسألتها مندهشا : « هل أنت مدخنة شرهة إلى هذا الحد ؟! ثم ماذا يعجبك فى هذا النوع بالذات وهناك أنواع أخرى كثيرة أفضل منه ؟! » فأجابت باستنكار : « أنا شخصيا لا أدخن ، لكن كثير من الأصدقاء يفضلونه » !! . . وطبعا لم يكن ممكنا أن أتصور أن هذه العاملة الشابة البسيطة « تعزم على أصدقائها » بـ ٨٠٠٠ سيجارة كل أسبوع ، ثمنها يساوى نحو ١٠٠٠ مارك ألمانى أو نحو ١٦٠ جنيها مصريا ، إلا إذا كانت تقف على ناصية شارعهم لتوزيعها مجانا على الرايح والجاى . .

وأيضا يسرقون : من

بين كل عشرة محلات هنا ـ كلها قطاع عام ـ دخلتها لأشترى منها غولطت فى الحساب فى محلين أو ثلاثة منها : تدق لك فتاة الخزينة حساب مشترياتك على الآلة الحاسبة أمامها ثم تقطع شريط الحساب وتقدمه لك فتدفع المبلغ المدون به من سكات وتخرج . . حاتحسب وراها ليه ؟ هى الماكينة حاتغلط ؟ . . حتى تصادف مرة أنه لم يكن فى جيبى غير مبلغ محدد كنت مضطرا أن أشترى فى حدوده فقط ولا أتجاوزه طبعا ، فحسبت قيمة مشترياتى قبل أن أتقدم بها إلى حسناء الخزينة ، واطمأننت الى أن مشترواتى على قد المبلغ الذى معى بالضبط حتى آخر فينيك أو مليم ألمانى فى جيبى . . لكننى فوجئت بشريط الحساب يطلب منى مبلغا أكبر !! . . صحيح بمارك واحد فقط زيادة ، لكن هذا المارك الواحد ليس معى . . فاضطررت ـ محرجا جدا ـ إلى أن أعيد حساباتى وأنا واقف أمام الخزينة ومعطل طابور طويل ورائى . . لكننى إكتشفت أننى أنا اللى صح والماكينة ـ أو حسناء الماكينة ـ هى اللى غلط . . فرفعت حاجب الإتهام الأيسر وزغرت للفتاة دون أن أتكلم نظرة معناها : « إيه يا بت يا حسناء انتى ؟ يعنى أشتكيكى

دلوقتى للحزب أخليم يودوكى سيبيريا تتفسحى لك كام سنة ؟! » . . وفوجئت بالفتاة من سكات ودون أن أتكلم أو أقول أى شىء أو حتى أحدد لها قيمة المبلغ الزيادة ، تسحب من درج الخزينة مارك واحد وتضعه أمامى بشويش وبالراحة خالص وهى تنظر فى عينى بنظرة متوسلة معناها ـ بالألمانى ـ « فى عرضك يابيه . . إستر على الولايا ربنا يستر على ولاياك » . . .

وسترت . . أصل البنت كانت عينيها حلوة وخسارة فى سيبيريا !! . .

وذلـــك الولـــد الصـــغير

الذى لا يتجاوز عمره ١٢ أو ١٣ سنة على الأكثر . . كنا مجموعة من المصريين فى محل بيع أدوات كهربائية . . الرقابة غير موجودة هنا . . خذ ما تريد وضعه فى السلة التى معاك وتقدم إلى فتاة الخزينة لتحاسبها . . إندفس ذلك الصبى الألمانى الصغير فى وسط مجموعة البحارة المصريين كأنه يشترى مثلهم ، ومد يده وأخذ زر كهرباء صغير وقلب فيه كأنما يتفرج عليه ، ثم ـ خلسة وبسرعة ـ وضعه فى جيبه !! . . كنت أرقبه من بعيد وإحساسى الداخلى يقول لى أنه سوف يفعل شيئا كهذا ، وأردت أن أتفرج كيف يسرق الخواجات أنفسهم وكيف ينحرف الأولاد الصغار ليصبحوا مجرمين كبار فيما بعد . . ولم يكن الأمر يهمنى ولا يخصنى فى حاجة ، فأنا لست حامى حمى الشعب الألمانى وليست مسئولا عن تنشئة الجيل الجديد فيه ، لكننى ومضت فى ذهنى فجأة فكرة غريبة : « هذا الولد الألمانى لم يكن ليمد يده هكذا إلا لأنه مدفوس فى وسطنا الآن نحن المصريين ، وحين ـ فى آخر اليوم ـ يكتشفون أن أشياء قد سرقت من المحل فسوف يقولون على الفور أن المصريين هم الذين سرقوها ، ولن تتجه شكوكهم أبدا إلى واحد من مواطنيهم » !! . . يا ابن الـ . . . . . ألمانى !!! . . خطوتين وأصبحت إلى جواره ووضعت يدى على كتفه وعصرت كتفه فى قبضتى بشدة كأى مخبر مصرى عريق ، وأشرت إليه بيدى أن يخرج ما وضعه فى جيبه ويعيده إلى مكانه . . وحاول الولد أن يفلفص من قبضتى وهو يرطن بالالألمانية التى لا أعرفها ، وعلى صوته بدأت البائعات يلتفتن نحونا ، وأنا مازلت مصرا على أن أشير له بيدى بما معناه : « إطلع باللى فى جيبك ورجعه مطرحه . . يا حرامى يا لص » . . وأخرج الولد زر الكهرباء من جيبه وأعاده إلى مكانه ، وجاءت عاملة من عاملات المحل لتأخذه من يدى وتدفعه أمامها وهى تتيح الفرصة لكل العاملات أن يرين وجهه حتى يعرفنه ، حتى دفعته إلى خارج المحل .

هم أيضا . . يسرقون !! . .

نظـــام المعاشات هنـــا

أيضا ممتاز جدا . . منذ ١٠ سنوات فقط كان الحد الأدنى لمعاش أى إنسان هنا هو ١٤٠ مارك شهريا ـ حوالى ٢٢,٥ جنيه مصرى تقريبا ـ . . وظل هذا الحد الأدنى يتصاعد تدريجيا حتى وصل إلى ٢٣٠ مارك شهريا ابتداء من نهاية العام ١٩٧٦ ـ نحو

٣٧ جنيها مصريا ـ . . فالحكومة الألمانية الشرقية كلما زادت الحالة الإقتصادية للدولة تحسنا وتقدما كلما رفعت هي أيضا من ناحيتها الحد الأدنى للمعاش دون أن يطلب منها المواطنون الألمان ذلك . . وقد نفذت ذلك فعلا عدة مرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . .

ولكن ذلك هو الحد الأدنى فقط . . مستر « أوتو فاستر *Otto Faster* رجل البوليس السابق الألمانى الذى كنت قد تعرفت به عند صديقتى الألمانية « زيناتيه ميستير » ، تبعا لمدة خدمته وتبعا لوظيفته وتبعا لآخر مرتب كان يتقاضاه قبل أن يصل إلى سن المعاش : فإن معاشه الآن ٦٣٠ مارك ـ نحو ١١٠ جنيهات مصرية تقريبا ـ وهو مجرد رجل بوليس . . وأيضا لأنه هو وزوجته كانا أعضاء فى إتحاد العمال الألمانى فإن الإتحاد يصرف لكل منهما كمعاش إضافى من الإتحاد ١٦٠ مارك . .

ذلك كله بالإضافة إلى الحقوق الأخرى التى يتمتع بها أصحاب المعاشات ، ومنها أن لهم تخفيضات كبيرة فى الإنتقالات بالسكك الحديدية وكل وسائل الموصلات ، وأن يتناولوا طعامهم متى شاءوا ـ حتى لو كان ذلك كل يوم ـ فى مطاعم الجهات التى كانوا يعملون بها قبل إحالتهم إلى المعاش ، فى مقابل ٨٠ فينيك فقط للوجبة الكاملة ، يعنى نحو ٨ قروش مصرية . . بالإضافة إلى العلاج والرعاية الصحية المجانية والدواء المجانى ، وإجراء العمليات الجراحية مجانا حتى لو أستدعى الأمر بقاء المريض فى المستشفى مدة غير محدودة .

أما إذا احتاجوا ـ بعد كل ذلك ـ إلى أية مبالغ أخرى ، فإنهم ببساطة جدا يكتبون إلى الحكومة فتعطيهم فورا ما يطلبون !!

وبعد الخروج إلى

المعاش : ٦٥ عاما للرجل الألمانى و ٦٠ للمرأة الألمانية ، فإنهما يستطيعان ـ وقتها فقط ـ أن يتحركا بحرية كاملة إلى أى مكان فى العالم الخارجى ألمانيا الشرقية . . قبل ذلك لا أحد من ألمانيا الشرقية ، ولا من أى دولة من الدول الشيوعية فى أوروبا الشرقية كلها ، يستطيع أن يتحرك إلا فى داخل نطاق الدائرة المقفلة للدول الشيوعية ، يذهب إلى أى دولة شيوعية فقط ، لكن يزور أى دولة غربية فممنوع تماما إلا فى الحالات الإضطرارية الشديدة وباجراءات طويلة جدا وشديدة التعقيد ، وعلى شرط أن تكون هناك ضمانات أكيدة تكفل عودته من هذه الزيارة . . من بين الضمانات إعتقال واحد من أشد المقربين إليه قبل سفره هو ، أحد والديه أو أخوته ، زوجته ، أحد أبنائه . . ولا يفرج عن هذا المعتقل إلا بعد عودة المسافر إلى وطنه مرة أخرى !!!!! . . . . .

حكى لى كبير

ضباط سفينتنا « على أبو طالب » اليوم شيئا غريبا لم أصدقه . . قال أن واردية عمال الرباط الألمان ، الذين يتولون تربيط البضائع المشحونة فوق سطح السفن ، عدد أفرادها ٤ عمال ألمان يعملون لمدة ٦ ساعات ويتقاضون ـ فى هذه الساعات الست ٦٠٠٠ مارك ، يعنى ١٥٠٠ مارك لكل واحد منهم ـ ٢٤٠ جنيه مصريا للفرد بالسعر الرسمى أو ٤٠٥ جنيهات بالسعر الحر ـ . . فى حين أنه ـ يستطرد كبير الضباط ـ لو قام بحارة السفينة المصريون بنفس العمل تماما وقاموا هم بتربيط البضائع فوق سفينتهم ، فإن مكافأة كل واحد من الشركة صاحبة السفينة بعد العودة إلى الإسكندرية لن تزيد ـ مهما بلغ عدد الورديات التى عملها ـ عن مرتب ٦ أيام فقط لا غير !!!!! . . . . . يعنى لا يتقاضى الواحد منهم أكثر من جنيهات قليلة لا يكمل عددها أصابع اليدين ، غير ما يستقطع من الضرائب والخصومات . .

المهم الذى لم أفهمه ، ولم يستطع كبير الضباط أيضا أن يجد له سببا ، لماذا ٦ أيام بالتحديد وليس ٥ أو ٧ أو ٨ ؟ ! . . الله أعلم ، وعلم ذلك عند عباقرة لوغاريتمات الإدارة المصرية . . . .

لكن ذلك وغيره

قطعا هو السبب الذى يجعل البحارة والضباط والمهندسين المصريين يهربون من العمل على السفن المصرية بمجرد أن يتم لهم (زفارة الپاسپور) !! . . وذلك أيضا تعبير بحرى جديد سمعته الليلة لأول مرة . . زفارة الپاسپور . . ومعناه أن المصريين الذين يريدون أن يعملوا فى البحر ولم يكونوا يعملون فيه من قبل ، لن تقبلهم السفن الأجنبية التى تعطى لبحارتها مرتبات كبيرة مغرية ، لن تقبلهم للعمل بها وهم حديثو العهد بالبحر هكذا دون خبرة ودون أن تكون على جوازات سفرهم البحرية تأشيرات تدل على أن صاحب الباسبور قد خدم فى البحر مدة كافية من قبل . . لذا فإن البحار المصرى ـ ضابطا أو مهندسا أو بحارا ـ يقبل على مضض أن يعمل على السفن المصرية ، وجميعها ملك لشركة واحدة هى الشركة المصرية للملاحة البحرية صاحبة هذه السفينة و ٤٥ سفينة أخرى معها ، سنة أو سنتين أو عدة رحلات ، حتى يحصل على عدد كاف من التأشيرات على جواز سفره ، فيكون بذلك قد (زفر) الپاسپور ، فتقبله السفن الأجنبية للعمل بها على أنه صاحب خبرة سابقة ، ويتمتع بالمرتبات الكبيرة والإمتيازات الكثيرة التى تقدمها هذه السفن . .

واذا كانت الاشتراكية المطبقة

فى الدول الأوروبية الشرقية تسمح بأن تكون هناك نسبة واحد فى المليون من النماذج والعينات الرديئة ، التى تلقى جزاءها القاسى والرادع فورا بمجرد إكتشافها ، فإن اشتراكيتنا نحن هنا تسمح أيضا بوجود نسبة واحد فى المليون من النماذج والعينات

الـ ، طيبة !! . . لا أظن أن عندهم سفينة من سفنهم ممكن أن يسمح لقبطانها بأن (يستلف) الفاصوليا البيضاء من سفينة أخرى تقف إلى جوار سفينته على الرصيف . . لا أظن أن أن إشتراكيتهم تسمح لقبطان من سفينة بأن (يشحت) كمية من الفول من سفينة أجنبية أخرى تجاوره ـ كالسفينة اللبنانية (أورابيا ستار) مثلا !! ـ ، كأن سفينتنا مركب يتيم الأبوين مالناش صاحب وليس لنا أهل . . لا أظن أن أشتراكيتهم تسمح بأن يحاول كل مسئول أن يخطف مسئوليات المسئول الأصغر منه ويجرده من سلطاته ليبدو هو فى شكل الأقوى والأعظم والأوحد . . القبطان يسحب سلطات كبير الضباط ويحيله إلى (خيال مآته) على السفينة زى قلته وكأنه غير موجود وهو (كبير) الضباط . . وكبير الضباط ـ بالتالى ـ يسحب سلطات الضابط الثانى ، والضابط الثانى يلغى سلطات الضابط الثالث . . وأجيال بعد أجيال ـ مش فى المجال البحرى فقط ـ تتربى على ذلك وتكبر وتتعلم ذلك ، وحين تكبر هذه الأجيال وتتولى هى المناصب القيادية ـ فى السفن وفى غير السفن ـ تكرر مع المسئولين الأصغر منها نفس ما حدث معهم وهم فى بداية السلم : إنتقاما مما حدث لهم شخصيا ، لأن ـ وذلك هو المهم ـ ذلك هو الذى تعلموه ورأوه وعوملوا وتعاملوا به . .

من عجائب كوكب

السفينة « رمسيس الثانى » الراسية حتى ساعة تاريخه بلا عمل فى ميناء « فيسمار » بألمانيا الشرقية منذ شهر كامل حتى الآن ، كبير الضباط وجد أن تعليماته التى أصدرها بالنسبة للمطبخ لا تنفذ : وأن أكل الضباط والمهندسين والبحارة ناقص عن المقرر لهم : والأكل الذى يقدم إليهم أصلا ردىء للغاية . . زعق وعمل هيصة وزيطة ، فرد عليه رئيس السفرجية « برهام » زعيقا بزعيق ، وأصبحنا نحن الموجودين فى الصالون لحظتها لا نعرف من منهما كبير الضباط ومن منهما رئيس السفرجية ، لأن رئيس السفرجية ردح لكبير الضباط و (اتشبلق به) . . فأصدر كبير الضباط أمرا بإيقاف رئيس السفرجية عن العمل وبأن يلزم قمرته حتى تعود السفينة إلى الإسكندرية . . ذلك من سلطاته ومن حقه ، استعملها فى موضعها تماما . . ولكن . . . .

ذلك الأمر لم يستمر ولا دقيقة واحدة لأن القبطان ألغاه فورا وأمر رئيس السفرجية بأنه (ما يسألش فيه) ـ فى كبير الضباط يعنى ـ وأن يستمر فى العمل وكأن كبير الضباط كان يغنى فى الحمام . . فألغى بذلك شخصية كبير الضباط ومركزه واختصاصاته ، ويصبح « المسئول » مجردا من « المسئولية » . . يصبح كبير الضباط منظر فقط كما يقول هو دائما عن نفسه !!!! . . . . .

عظمة . . السىء يسود والنظام مرفوض . . . .

وذلك لا يحدث من

القيادات العليا إلى القيادات التى تليها فقط ، إنما يتدرج أيضا من القيادات « التى تليها » إلى القيادات « التى تلى التى تليها » !! ، وهكذا . .

الضابط الثانى ، التالى فى الرتبة بعد كبير الضباط مباشرة ، مفروض أن هناك أجهزة معينة

تكون عهدته السفينة ، هو الذى يتسلمها ويفحصها ويراجعها ويطمئن إليها قبل قيام السفينه وقبل أن تبدأ رحلتها ، وتظل عهدته بعد ذلك طول الرحلة وطالما هو موجود على السفينة كضابط ثان . .

الضابط الثانى على سفينتنا ، « الحسينى شعبان » . . لم يتسلم عهدته قبل قيام السفينة من الإسكندرية ، ولم يتسلمها خلال الرحلة من الإسكندرية إلى ألمانيا الشرقية ، ولم يتسلمها طوال الـ ٤٣ يوما التى قضيناها فى ألمانيا ، ولم يتسلمها خلال رحلة العودة من ألمانيا التى استغرقت ١٥ يوما . . وقبل وصول السفينة إلى الإسكندرية منهية رحلتها بيومين فقط طلب منه كبير الضباط أن (يوقع) على أنه قد تسلم عهدته منذ بدء الرحلة !! . . . . . ورفض الضابط الثانى أن يتسلم العهدة ـ وعلى الورق فقط كمان ـ ووجهة نظره فى ذلك سليمة ١٠٠٪ : أيه اللى حبكها الآن لكى يتسلم العهدة بعد أن ظلت فى حوزة كبير الضباط طوال مدة الرحلة ؟ ! . . . واشمعنى الآن فقط يريد يتخلص منها ويزحلقها على صاحبها الأصلى ؟ ! . . لكن المسألة كما قلت فى البداية أن كل مسئول يريد أن يلغى اختصاصات ومسئوليات المسئول الأقل منه درجة : قبطان يلغى الضباط ، كبير الضباط يلغى الضباط الثانى ، والضباط الثانى يلغى . . ألخ ألخ ألخ ! . . .

سفرجى باشا اليوم

على مائدة الغداء ظهرا ـ وما أكثر حكايات وحواديت سفرجى باشا هذا ، دلوعة القبطان ـ وضع سفرجى باشا الأكل على السفرة أمام الطالب البحرى « عابد شكرى » وهو يبستفه ويؤنبه ويوبخه : « تانى ماتجيش متأخر على الغداء . . المرة دى أنا خاغديك ، لكن مرة ثانية بعد كده مفيش أكل علشانك » !! وهو يتقصع ويتمايل بمرقعة الواثق من أنه قادر على توزيع الإهانات على كل ناس السفينة ـ الكبار قبل الصغيرين ـ مادام قد استطاع أن يهين القبطان نفسه دون أن يعاقبه القبطان . . علشان قبطاننا حنين !! . .

وانتفض « عابد » واقفا ورفض أن يأكل ، وغادر الصالون كله وقد ازرد وجهه من الغضب المكبوت ، فإنه يعلم جيدا أن مستقبله البحرى كله مرهون بأى كلمة تصدر منه لسفرجى باشا قبطان السفرجية ، فإن القبطان ـ وله فى ذلك سابقة مشهورة تعرفها السفينة كلها معى أنا شخصيا ـ لا يقبل أى مساس بالسفرجى المفضل بتاعه مهما كان مخطئا . . ولو أن « عابدا » أغضب سفرجى باشا بكلمة كده والا كده ولوحتى بكلمة عتاب ، لكان من المؤكد أن القبطان سيرفد « عابد » من على السفينة ويكتب فيه تقريرا يضيع مستقبله تماما كضابط بحرى . .

وكان الضابط الثانى « الحسينى » موجودا فى الصالون عندما حدث ذلك ، وهو المسئول عن الصالون وعن السفرجية ، ولم يتحرك ولم يتصرف كأنه لم ير شيئا وكأن شيئا لم يحدث أمامه . . ونقلت ماحدث الى كبير الضباط فى نفس اليوم ـ ككبير ضباط مسئول عن السفينة كلها بعد القبطان ـ فلم يفعل شيئا ولم يتخذ أى اجراء ، وآدى حال الدنيا !! . .

الطالب البحرى « عابد » هذا سوف يكون قبطانا يوما ما ، وقطعا سوف يفعل فى ضباطه الصغار حينذاك نفس ما يفعله الآن قبطاننا الحنين مع ضباطه الصغار والكبار ، حتى جعلهم جميعا

هكذا ، يرعبهم سفرجي ويهينهم سفرجي ويهز كرامتهم سفرجي . . سفرجي باشا . . قبطان السفرجية . . . . .

الشعب الأمريكي والشعب

الإنجليزي هما أكثر شعبين فى العالم يؤمنان بالتفاؤل والتشاؤم . . لكننى لم أكن أعلم أن الشعب الألمانى أيضا ينافسهما فى ذلك . . لعبة الحظ وبختك يا ابو بخيت وجرب حظك وشوف بختك يا صاحب الحظ والنصيب موجودة أيضا فى شوارع ألمانيا وفى أرقى أحيائها التجارية : رجل يرتدى ملابس السهرة كاملة فى عز الصبح : الردنجوت الذيل الطويل والقبعة العالية وقد رشق حولها مجموعة من أوراق النقد الألمانى فئة ٥٠ ماركا ، وأمامه عربة يد صغيرة جدا ليس عليها سوى رزم أوراق صغيرة مطرية فى حجم تذكرة الأوتوبيس أو أكبر قليلا ، وقد التف حوله جمع كبير من الناس يتخاطفون من أمامه هذه الأوراق المطوية . . تدفع ماركا واحدا ـ (نحو ١٠ قروش) ـ وتسحب ورقة من هذه الأوراق المطوية وتقرأ ما فيها وأنت وبختك : قد تجد مكتوبا فيها أنك تكسب ٥ ماركات أو ١٠ ماركات ، فيصيح الخواجة ذو القبعة العالية ويهلل : « ياخراب بيت الخواجات . . مال الخواجات راح بلاش ياجدعان . . قرب قرب قرب » ـ باللغة الألمانية طبعا ـ ويفضحك ويجرسك ويلم عليك الناس قبل أن يسلمك الماركات الخمس أو العشرة . . وقد تجد فى هذه الورقة المطوية أمنية بالسعادة أو بالصحة أو بالنجاح أو بالحب ، وقد تجد الستر . . وغالبا ، طبعا ، ستجد الستر !! . .

وهنا أيضا تجد

محلات ـ قطاع عام ـ تبيع الحظ وفتح عينك تاكل ملبن . . تعرض مجموعة من السلع والبضايع مختلفة المستويات : ابتداء من لعب الأطفال وباكوات الشوكولاتة وساعات اليد والمنبهات وساعات الحائط ، إلى أطقم شاى وأطقم صينى ودراجات وغسالات كهربائية وأجهزة راديو وغيرها . . كل سلعة مكتوب عليها رقم ما . . وتشترى تذكرة بخت من البائعة وانت وحظك : تكسب دراجة تكسب ثلاجة تكسب باكو شوكولاتة تكسب الصلاة على النبى . . وطبعا كل واحد يكسب سلعة من هذه السلع يقابله ألف واحد لا يكسبون سوى الصلاة على النبى . .

والبخت فى هذه المحلات القطاع العام درجات ومستويات : تدفع ربع مارك فيكون من نصيبك ـ لو كان لك نصيب وفزت ـ جوائز صغيرة بسيطة . . وتدفع نصف مارك فتأخذ تذكرة من فئة أخرى جوائزها أكبر وأقيم . . وهكذا تتدرج قيمة تذكرة البخت ـ ولنسميها (التمبولا) كما يحدث عندنا فى مصر تقريبا ـ من ربع مارك الى ٣ ماركات . . والتذكرة الكبيرة فئة الثلاث ماركات هى التى تكسب الثلاجة أو الغسالة أو البوتاجاز ، ومين عارف يمكن كمان تكسب الفتاة

الحسناء الموظفة فى الدولة التى تبيع البخت لأصحاب البخت والنصيب ، وقرررررب . . قرب قرب . . . . .

حكايات البحر والبحارة

ما أكثرها ، والأكثر منها هى مقالبهم لبعضهم البعض . . « منير الشحات » الضابط الثالث حكى لى قصة ظريفة عن شقاوات البحارة ، فقال أنه رست سفينة مصرية فى أحد موانى دولة أفريقية من التى مازال مسموحا فيها ببيع وشراء العبيد . . ونزل بحاران مصريان واحد منهما أسمر جدا ولا يتكلم غير اللغة العربية ، ليسهرا فى أحد بارات المدينة . . وبالصدفة جاءت جلستهما فى البار قرب رجل أوروبى أبيض من الذين يعملون فى تجارة الرقيق ، كلمة من هنا وكلمة من هناك وبالظرف المصرى الشديد ـ البايخ أحيانا ـ إنتقل الرجل الأوروبى إلى مائدة البحاران المصريان ، ودار بينه وبين البحار « الفاتح شوية » حديث طويل باللغة الإنجليزية لم يفهم منه صديقنا البحار « الغامق كتير » ولا كلمة طبعا . . ثم فتح الرجل الأوروبى حفظته وأخرج منها رزمة من النقود أعطاها للبحار « الفاتح شوية » الذى وضعها فى جيبه ثم استأذن من زميله البحار الأسمر : « ٥ دقايق وارجع حالا . . بس حاشترى حاجة للخواجة ده من برة وأرجع على طول » . .وخرج صاحبنا ولم يعد طبعا . . وانتظره زميله البحار الأسمر ربع ساعة : نصف ساعة . . فلما زهق من الإنتظار أراد أن ينصرف ليعود إلى سفينته ، لكن الرجل الأوروبى تشبث به ورفض أن يسمح له بالإنصراف ، وصاحبنا البحار الأسمر مش فاهم حاجة أبدا ، ولم يكن أمامه إلا أن ينفاهم مع الرجل الأوروبى باليد وبالركبة وبالدماغ !! . . وجاء البوليس ليكشف المسألة كلها : البحار المصرى « الفاتح شوية » الذى يتكلم الإنجليزية (باع) زميله الأسمر إلى تاجر العبيد ، وقبض الثمن مقدما وزوغ وراح لحاله . . وتركهما هما يتصرفان مع بعض !!!! . .

هزار . . لكن دمه تقيل شوية !! . .

فى بداية وصول

سفينتنا إلى ميناء « ڤيسمار » هنا وبدء تعاملنا مع بوابة جمرك الميناء دخولا وخروجا لأول مرة ، استقبلنا رجال الجمرك بتحفز فى البداية ، لكنهم بمجرد أن رأوا جوازات سفرنا والبطاقات المعطاة لنا من إدارة الجوازات الألمانية حتى غيروا معاملتهم لنا على الفور تماما وحيونا تحية طيبة وطلبوا منا منا أن نتفضل بالدخول ، دون حتى أن يسألونا عما معنا أو يمتشوه أو يفتحونه ليرونه !! . . ودخلنا بين دهشتنا الشديدة لهذه المعاملة الطيبة زيادة من اللزوم التى لم نكن نتوقعها من السلطات الألمانية الشرقية التى سمعنا الكثير عن انغلاقها وتزمتها وشدتها مع الجميع !! . .

لكن كبير الضباط « على أبو طالب » شرح لنا أن تصاريحنا المكتوبة باللغة الألمانية بها إشارات رمزية من ادارة الجوازات الألمانية مفهومة لرجال الجمارك بأننا (*V.I.p.*) أو (شخصيات هامة جدا) (*Very Important Persons.*) لمعاملتنا معاطلة طيبة وعدم تفتيشنا !! . .

وفعلا ، طوال المدة التى بقيناها فى ميناء « ڤيسمار » - ٣٨ يوما - لم يتعرض لنا رجال الجمارك مرة واحدة ، لدرجة أننى أنا و « سلمى » دخلنا مرة نحمل كرسيين كبيرين من كراسى الڤراندات ، ومرة ثانية طقم شاىٔ كامل فى صندوق كبير ، ومرة ثالثة حقيبة ملابس كبيرة مقفلة ، فلم يطالبونا حتى بفتحهم . .

وعرف ضباط وبحارة السفينة حكاية الـ (*V.I.P.*) هذه فاستغلوها هم أيضا من باب (إعطونا مما أعطاكم الله) ، وبدأوا يطلبون منا أن ندخل لهم معنا الأشياء التى يشترونها ويخشون أن يقفشهم بها رجال الجمارك عند بوابة مدخل الميناء . . وفعلا كنا نقوم لهم بذلك عن طيب خاطر . . وألف حمد وشكر لك يارب على أننا (*V.I.P.*) !! . .

يبدو أن المسألة قـــــ

تحتاج إلى « مكتب أمن » مصرى فى كل ميناء هام ترسو عليه كثيرا السفن المصرية ، وتكون مهمة « مكتب الأمن » هذا مراقبة تصرفات البحارة المصريين - خصوصا الكبار منهم - حفاظ على سمعة مصر التى تتمرمط وتتبهدل فى بارات وعلب الليل فى موانى أوروبا . .

خناقة وشد عنيف حدثا أمس ليلا فى بار « كوربيانكا » بين قبطاننا و « عبده صالح عبده » كبير مهندسى السفينة ، كاد أن يصل إلى تماسك بالأيدى . . والسبب أن المهندس « عبده صالح عبده » كان سكرانا وأراد أن (يستلف) « سوزان » صديقة القبطان التى يسميها « عزيزة » ، لكى (تذهب) مع أحد مهندسٍ سفينة لبنانية موجودة فى الميناء ، لأن المهندس اللبنانى سفينته سترحل غدا وعايز يودع !! . . فتشاجر القبطان والباشمهندس المصريان وارتفح صوتا هما باللغة العربية أمام كل رواد البار الألمانى من المصريين والعرب والألمان البحارة وغير البحارة . . فضيحة ، وحاجة تكسف !! . .

عنــــد بوابـــة جمـــرك

الميناء نلتقى : « سلمى » وأنا والضابط الثالث « مدير الشحات » خارجين من الميناء ، والقبطان عائد إليه . . ويرى القبطان الكاميرا معلقة فى كتف « سلمى » ، ويرى أيضا حسناء المانية تجلس وحيدة على (دكة) خشبية للإنتظار قرب مدخل الميناء ، فيجرى - بظرفه المعهود - ليجلس إلى جوار الحسناء الألمانية ويطلب من « سلمى » أن

تصوره معها ، ويقول للحسناء مشيرا إلى سفينتنا على مرمى البصر أنه قبطان هذه السفينة الراسية هناك . . لكن الفتاة تنتفض واقفة مغضبة وهى تقول له : « إتفضل إقعد على الدكة زى ماانت عايز ، ده مكان عام . . لكن تتصور معايا وأتصور معاك ليه » ؟ ! . . ورفضت تماما أن تعود إلى الجلوس على الدكة إلا بعد أن أغلقت « سلمى » الكاميرا وتركتها من يدها لتتدلى معلقة فى كتفها . . ومضينا فى طريقنا إلى خارج الميناء وتركنا القبطان مازال واقفا يشير للفتاة إلى سفينته المصرية هناك وهو يؤكد لها أنه قبطان هذه السفينة !!!! . . . .

سمعت حدوتة ظريفة

حدوثت هنا فى « ڤيسهار » لبحار مصرى ناصح وفهلوى كان لازال حديث العهد بالميناء هنا : ذهب إلى السوق الحرة واشترى عدة خرطوشات سجاير ماركة (آستور) ، وهى أشهر ماركة سجاير أجنبية مطلوبة هنا ، وخرج يبحث لها عن مشتر فى السوق السوداء . . وشاء له حظه العاثر أن يعرض بضاعته على أول شخص قابله وسأله : « ماذا معك فى هذه الحقيبة ؟ » ففتح له البحار المصرى الحقيبة التى معه وأراه خرطوشات السجاير التى فيها وقال له : « سجاير (آستور) . . الخرطوشة بـ ٢٥ مارك » فقال له الرجل مفصحا عن شخصيته : « كستم » ـ (أى أنه من ضباط الجمرك) ـ لكى يقبض عليه !! . . لكن صديقنا البحار الذى لا يعرف اللغة الإنجليزية لم يفهم معنى كلمة (كستم) وظن أن الرجل يطلب نوعا آخر من السجاير إسمه (كستم) ، وأراد أن يغريه ببضاعته الموجودة ، فقال فى فهلوة ونصاحة إسكندرانية : « آستور جود ، كستم نو جود » يعنى السجاير الآستور كويسة ، والسجاير الكستم مش كويسة !! ، . وظل صديقنا البحار يردد : « آستور جود ، كستم نو جود » ورجل الجمارك يأخذه معه ليعرضه على رؤسائه واحدا بعد آخر والبحار يظن أن (الزبون) يستشير أصدقاءه فى ماركة السجاير . . . حتى صادروا منه خرطوشات السجاير وكعموه الغرامة المقررة . . . . .

وقتها فقط عرف غلطته وعرف معنى كلمة « كستم » . . ومع ذلك فقد خرج بحقيبته الفارغة وهو يردد ـ وهو فاهم معناها هذه المرة ـ : « طيب ما انا كان عندى حق برضه : كستم نو جود » !!!!! . . . . .

أخيرا .. أخيرا .. أخيرا ..

وألف حمد وشكر لك يارب . . بعد شهر كامل ٣٠ يوما من وصولنا إلى ميناء « ڤيسهار » وركنتنا على الرصيف بلا عمل كل هذه المدة : بدأ العمال الألمان فى تفريغ سفينتنا الليلة فى تمام الساعة العاشرة مساء . . نسجد لله حمدا وشكرا . . صحيح أنه خلال تلك المدة وصلت إلى الميناء ـ بعدنا ـ ٣ سفن مصرية وعربية أخرى ، أفرغت جميعها شحناتها وأخذت شحنات جديدة ، ومضت فى طريقها تكمل مشاويرها ورحلاتها وتركتنا راكنين فى وقفتنا

هذه زى ما احنا ، إلا أن الصبر مفتاح الفرج وطولة البال تبلغ الآمال وآهو الحمد لله أخيرا برضه ربنا فرجها علينا . . وبناء عليه فقد قررنا أنه ـ بإذن الله ـ سوف يصبح هذا التاريخ هو العيد القومى للسفينة « رمسيس الثانى » . . . . .

إحتفالا بيــاى تفريــغ

السفينة نزلنا نسهر الليلة فى كانتين البحارة . . شلة من ضباط السفينة هرب النوم من عيوننا فخرجنا فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل نبحث عن مكان نذوب فيه فى زحمة الناس . . كانتين البحارة داخل الميناء هو المكان الوحيد الذى يظل مفتوحا ليلا ونهارا لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم . . المصريون صوتهم عالى بطبيعتهم وناس إجتماعيين ومنفتحين ولا يحبون أن يخفوا أسرارهم . . فى كل مكان عام قعدنا فيه شلة مصريين قال لنا الألمان ـ كما حدث الليلة ـ : « إيه الهيصة اللى انتوا عاملينها دى ؟ . . ما توطوا صوتكم شوية . . إنتوا فاكرين نفسكم (آبذ الهليم هافز) ؟ » !! . . . . . .

الفصل الثامن عشر

من الذى يخاف من رجـــال البوليس ؟!

حكى لى القبطان

اليوم ماحدث له مع الفتاة الألمانية الحسناء التى تركناه معها بالأمس قرب مدخل الميناء وهو يكاد أن يحلف لها على المصحف بأنه قبطان هذه السفينة المصرية الراسية هناك ؛ بعد أن رفضت أن تتصور معه . . قال أنه بعد انصرافنا جلس إلى جوارها على الدكة الخشبية محاولا أن يوصل حبل الحديث معها ؛ فسألها : « هو انتى منتظرة حد والا جاية هنا تتفسحى فى الميناء »؟! فقالت له أنها تنتظر زوجها فى هذا المكان كل يوم فى نفس الموعد ؛ فقال لها قلقا : « هو انتى جوزك بيشتغل هنا فى الميناء » ؟! فأشارت له بإصبعها ناحية كشك بوابة مدخل الميناء حيث يقف رجال الجمارك الألمان الذين يثيرون رعب أهل السفينة كلهم لأنهم يفتشونهم فى الدخول وفى الخروج ؛ وقالت : « هو ضابط الجمارك اللى واقف هناك ده » !! . . ونظر القبطان ليجد الزوج الضابط يقف عند البوابة على بعد اقل من ١٠ أمتار منها : عملاق طول وعرض كأحد أبطال الملاكمة المحترفين فى الوزن الثقيل ؛ وهو ينظر إلى حيث تقف زوجته والقبطان وقد رفع حاجب الأذية الأيسر . . ويبتلع القبطان ريقه بصعوبة وهو يبحث فى ذهنه بسرعة عن وسيلة يخرج من هذه الورطة بأقل " الأضرار " الممكنة ؛ فسألها : وانتى كل يوم بتيجى تنتظريه فى الميعاد ده ؟! فأجابت : أيوه . . علشان بابا بياخدنا معاه يوصلنا بعربيته لغاية بيتنا " فقال يائسا : " يعنى باباكى كمان جاى دلوقتى ؟! فقالت ببساطة وهى تشير مرة أخرى إلى كشك البوابة : هو مش جاى ؛ لأنه هنا من الصبح . . هو رئيس جوزى اللى واقف جنبه بيبص لنا ده " !! . . وينظر القبطان الى الأب الذى يقف ينظر إليهما عن بعد ؛ ليكتشف أن الزوج الملاكم قطعا سوف يكون أرحم كثيرا !! . . ويسقط فى يد القبطان الجسور فيحدث نفسه بالعربية قائلا : " هايل . . دا الظاهر ان العيلة كلها مشرفة هنا . . مافاضلش غير ماما كمان علشان تكمل » . . ولاتفهم الحسناء الألمانية من كلامة كله غير كلمة (ماما) ؛ فتشير برأسها إلى سيدة مدرعة نصف جنزير تستطيع أن تحمل سفينته (رمسيس الثانى) بحالها بيد واحدة ؛ مقبلة عليهما من بداية الشارع !!! . . .

لم يكمل لى القبطان ماذا حدث بعد ذلك ؛ لكننى استنتجته وحدى من ملازمته للسفينة بعد ذلك وعدم خروجه منها - ومن باب قمرته - طيلة المدة التى بقيناها فى ميناء " فيسمار " بعد ذلك !!! . . . .

« الحسينى » الضابط الثانى

.. مرض أمس فجأة .. كلف القبطان الطالب البحرى " عابد شكرى " بأن يحل محل الضابط الثانى فى وارديته ويقوم بعمله .. " عابد " سعيد وفرحان للغاية بهذه المسئولية ويمارس مسئولياته الجديدة بكل همة ونشاط وحماس ؛ ويكاد لا يغادر سطح السفينة طوال الـ ٢٤ ساعة لمراقبة عمليات تفريغ العمال الألمان لشحنة السفينة .. يوم يتخرج " عابد " ضابطا بحريا ويترقى حتى يصل إلى رتبة ضابط ثان فمن يدرى ؛ فقد يزهق من هذه المسئولية ويتهرب منهاو .. يتمارض !! ..

حين نقلت للقبطان

ذات مرة مايقال عن اختفاء كمية الياميش التى كانت السفينة قد اشترتها لحساب الحفلة التى أقامتها ليلة دخولنا ميناء " ڤيسمار " فلم تقدم فى الحفلة وشوهد الكلب (حسان) يأكل البندق !! .. نسى القبطان أنه هو شخصيا الذى كان حكى لى ذلك حين قال لى أنه يريد أن يشترى كسارة يكسر بها البندق لـ (حسان) !! .. فقال لى أن الضابط الإدارى " سعد سلامة " قد استولى لنفسه ـ ولكلبه ـ على كمية اليامیش المخصصة للطاقم كله وللضيوف الألمان ؛ وأن القبطان لذلك قد أمر بخصم ثمن هذا اليامیش على حساب الضابط الإدارى شخصيا !! ..

فى الوقت نفسه يتهم " الخوجة " ـ اللى هو الضابط الإدارى ـ القبطان بأنه أفرط فى تدليل الكلب بتقديم البونبونى والشوكولاتة والبندق له حتى أفسد أخلاقه ـ أخلاق الكلب طبعا ـ وجعله كلب دلوعة ومايص ومدلل ؛ و" الخوجة " كان يريده أن يكون كلبا بوليسيا !! .. فى حين أنه ـ للحقيقة والإنصاف ـ فإن (البيه الكلب) لا يأكل من يد صاحبه " الخوجة " سوى البيض المسلوق المقشر والفراخ المحمرة وعلب السردين المستوردة .. وأذكر الآن أننا كنا قد طلبنا مرة فى العشاء علبه سردين ؛ فقال لنا السفرجى " برهام " : " مفيش .. خلص » .. وطبعا عندهم حق ومعذورين لأنهم مكانوش عاملين حسابنا والشركة صاحبة السفينة كانت جايبة علب سردين على قد كلب الخوجة دلوعة البقطان !!! .....

وبمناسبة (حسان) كلب

" الخوجة " ؛ فإن الطبيبة البيطرية الألمانية لميناء " ڤيسمار " كانت قد كشفت عليه عند وصولنا الميناء واكتشفت انه سعران ـ دا الكلب طبعا ـ فأمرت بمنع نزوله من على السفينة على الإطلاق والا دفعت السفينة غرامة قدرها ٢٠٠٠ مارك ؛ حتى لايفسد

أخلاق كلاب " فيسهار " الإشتراكية الملتزمة ؛ وحتى لايعقر أحدا خارج السفينة ؛ لكن داخل السفينة .أنتم إحرار معاه وهو حر معاكم : يعضكم تعضوه ؛ مالناش دعوة !!

لكن الذى حدث أن الكلب (حسان) وصاحبه كانا يتسللان كل يوم الى خارج السفينة علشان يفسحوا بعض فى (الأحراش والغابات) على حد الكلام " الخوجة "!! . . وطبعا أجهزة الرقابة البوليسية هنا نشيطة جدا ؛ لاتكاد ترى الكلب خارج السفينة حتى تبلغ الطبيبة البيطرية الحسناء فتأتى الى السفينة جرى كالمجنونة لتحقق كيف خرج الكلب الذى أصدرت أمرها بمنع خروجه ؟! . . وكم كلف الكلب القبطان سفينتنا من ويسكى وسجاير مستوردة ومنكر ؛ ليس لا سمح الله لأنه هو ـ أى الكلب ـ يشرب المنكر أو السجاير الـ (دانهيل) ؛ فهو كلب ابن كلب صحيح لكنه مستقيم ودوغرى ووفى لبيته ولكلبته التى تركها وراءه فى الإسكندرية تنتظر عودته ؛ لكن لانه كلما جاءت الطبيبة البيطرية الألمانية الحسناء لتشكو من خروج الكلب رغم تعليماتها ؛ كان القبطان يغرقها فى الويسكى والمنكر والسجاير ويدعوها إلى الغداء وإلى العشاء ـ وأحيانا إلى الإفطار (!!) ـ حتى تتغاضى عن خروج الكلب و : معلش المرة دى ياست الدكتورة . . آخر مرة ياست الدكتورة ومش حايعمل كده تانى وخلاص حانبه عليه بشدة " . . ومع ذلك يخرج (حسان) وصاحبه ـ برضه ـ فى اليوم التالى وفى الأيام التالية . . وكل يوم تأتى الدكتورة الحسناء لتشكو ؛ ولتتكرر عملية (إكرامها) كل يوم . . حتى خيل الىّ فى وقت من الأوقات أن القبطان هو الذى يوعز للـ " خوجة " ـ أو حتى يأمره ـ بأن يأخذ الكلب يفسحه ؛ حتى يسعد القبطان بالزيارة اليومية للبيطرية الحسناء !!

وبمناسبة الطبيبة البيطرية

الحسناء ، فإننى فى أول مرة رأيتها فيها عند القبطان ؛ وعرفنى بها القبطان وعرفها بى ؛ قدمها لى على أنها : " الدكتورة فلانة " وبس ؛ وسكت . . فأضافت هى فى شبه خجل بأنها طبيبة بيطرية من أجل الحيوانات فقط . . فقلت لها مجاملا منافقا ـ لأن الست الحسناء فعلا ـ : « لاشك أن الحيوانات ڤيسهار هم أسعد حيوانات فى العالم » !! فسعدت البيطرية الحسناء بشدة لهذه المجاملة النفاقية . . وأردت أن أسعدها أكثر وأقول لها أن طاقم السفينة كله يسعده جدا لو أنها كانت هى الطبيبة التى تعالجه ، لكنى لميت لسانى وسكت !! . .

من الذى يخاف

من رجال البوليس ؟! . . سؤال ليس محتاجا إلى ذكاء كبير ولا عبقرية للإجابة عليه : الذى يخاف من رجال البوليس هم فقط : اللصوص . . لكن الإنسان الأمين الذى لا يتصرف من وراء ظهر القانون فى شىء ؛ لايخشى أحدا ولا يخاف من أى

إنسان ولا حتى من سكوتلند يارد نفسها . . وقديما كان عندنا مجموعة أمثال شعبية ظريفة حول هذا الموضوع : (إمشى عدل يحتار عدوك فيك) و(ما عيب إلا العيب) وغيرها وعكسها ايضا يؤدى الى نفس المعنى : (اللى على راسه بطحة يحسس عليها) و(يكاد المريب يقول خذونى) وهكذا . .

السؤال الذى ظل يلح على ذهنى دائما منذ أن بدأت تتغير معاملة القبطان لمجموعتنا ، مجموعة الصحفيين الموجودة على السفينة (رمسيس الثانى) فى رحلتها العذراء بدعوة من الشركة صاحبة السفينة نفسها : لماذا يضيق بنا بعض الناس هنا على السفينة ؟ ! لماذا هم شايلينا على راسهم وزاعقين ، ويكادوا أن يصرخوا فى وجوهنا : « انتم ايه اللى جابكم معانا ؟ ماكنا مستريحين وعلى راحتنا خالص من غيركم . . مين قال للشركة اننا عايزين صحفيين معانا » . . لدرجة أن القبطان نفسه قال لى شخصيا مرة محنقا : « أنا كنت فاكر انكم طالعين معانا تتفسحوا ، لكن لو كانوا فى الشركة قالوا لى انكم طالعين معانا شغل وحاتكتبوا عن السفينة ، كنت رفضت آخدكم معايا » !! . . فلما قلت له مندهشا مستنكرا : « وهل تملك وفى سلطانك أنك ترفض تعليمات لرئيس مجلس إدارة الشركة » ؟ ! « تلعثم وقال مرتبكا « لأ طبعا لأنى موظف عنده . . لكن كنت أعتذر عن الرحلة دى وأنزل من على السفينة ويجيبوا قبطان غيرى » !!!!!

إلى هذا الحد ؟ ! ليه ده كله ؟ ! وإيه اللى يخوفك ويرعبك كل هذا الخوف والرعب من وجود صحفيين معك على سفينتك مادام انت نظيف ومفيش حاجة تمسك ولا تؤثر فى سمعتك ؟ ! . .

لكننى كنت متأكدا أنه عنده حق ١٠٠٪ ، وأنه معذور ١٠٠٪ فيما حدث منه من تصرفات نحونا على امتداد الرحلة حتى الآن ، تصاعدت بعد ذلك حتى وصلت الى مرحلة التصرفات الطائشة المجنونة اليائسة انفلت زمامها فلم تعد تدرى ماذا تفعل !! . .

ويبقى - بعد كل ذلك - السؤال السهل الذى اجابته واضحة جدا وبسيطة جدا : من الذى يخاف من رجال البوليس !!!

توقفنا فى « كرونا »

بأسبانيا ليلة واحدة ، فأخذت السفينة منها كمية مشتروات وأكل هائلة ، أغلبها لم تكن نحتاج إليها . . وتوقفنا فى « هولتناو » فى المانيا الغربية ليلة واحدة فأخذت السفينة منها كمية مشتريات وأكل هائلة أغلبها لم تكن نحتاج إليها . . توقفنا فى « برانسباتل » فى المانيا الغربية ليلة واحدة فأخذت منها سفينتنا كميات مشتروات وأكل هائلة أغلبها لم نكن نحتاج إليها . . وظللنا فى ميناء « فيسمار » فى المانيا الشرقية ٤٣يوما - منهم ٣٨ يوما على الرصيف - فلم تشتر سفينتنا شيئا من هنا بقرش صاغ واحد . . وظللنا ثلاثة اسابيع ونحن لانأكل على السفينة غير الارز واللحم كالكاوتش والفاصوليا البيضاء التى شحنتاها من السفينة (المندرة) ولم يقدم للبحارة جميعهم - وقبلهم الضباط والمهندسين - أى فاكهة طول هذه المدة رغم أن الفاكهة فى البحر ليست ترفا ولا فنطظية ولا كماليات ، لكنها مقررة قانونا ضمن وجبات البحارة حفاظا على صحتهم وعلى قدرتهم على الإستمرار فى العمل . .

ليه هذا التجويع !؟ وهل هو تقشف واقتصاد فى النفقات وضغطا للمصروفات !؟ لو كان ذلك لوافقنا عليه وقبلناه . . لكن ذلك ـ ببساطة جدا ـ لان جهات توريد الاغذية واحتياجات السفن فى أوربا الشرقية كلها ـ بما فيها ألمانيا الشرقية طبعا ـ لا تدفع عمولات لقباطنة السفن عن المشتروات التى يشترونها ، لكن موانى أوربا الغربية والعالم الغربى كله تدفع ١٠٪ عمولة للقبطان عن كل دبوس إبرة يشتريه من هذه الموانى الغربية . . وهكذا اللى يجوع يجوع واللى يتفلق يتفلق ، لكن لابد وأن تصل العمولة إلى جيب القبطان ، بطريقة (أنا وبعدى الطوفان) . . وحين يذهب « برهام » رئيس السفرجية وحامل مفاتيح مخازن الأكل على السفينة ليقول للضابط الإدارى المسئول عن تزويد السفينة باحتياجاتها من الأكل وضمان انتظام وجوده باستمرار ، ليقول له أن مخازن الأكل على السفينة شطبت ولم يعد فيها شيء ، يصرخ الضابط الادارى فى وجهه بضيق وتبرم : « ما تشغلنيش بالمسائل التافهة دى » !! ويذهبون ليشحتوا فاصوليا بيضاء من السفينة (المندرة) وفول مدمس من السفينة اللبنانية (اورابيا ستار) !! . .

ولما تأزمت الأمور

جدا وفاض صبر الناس على السفينة وبدأت اصوات افراد الطاقم من مهندسين وبحارة تعلو بالشكوى من رداءة الأكل وقلة الأكل ، وأصبح الموقف مهددا بالانفجار ، جاء الحل السهل وجاءت النجدة : كأننا فى الصحراء ولسنا فى مدينة طويلة عريضة ممكن أن نجد فيها كل ما نحتاج اليه ، لكن عيب هذه المدينة أنها فى ألمانيا الشرقية ولا تدفع للقبطان عمولات على المشتروات منها . . جاءت النجدة على شكل عربة لورى ضخمة جدا مليئة بكل الخيرات من : ألمانيا الغربية !!!!! . . . . . . جاءت مشتروات السفينة وطلباتها من دولة أخرى غير التى نحن فيها ، من هامبورج فى ألمانيا الغربية على بعد عدة مئات من الأميال . . لكن والله مادام هم اللى بيدفعوا عمولة على المشتريات فقد كان علينا أن ننتظرهم حتى لو كانوا فى القطب الجنوبى . . . .

وتسابق سفرجية السفينة على تفريغ العربة اللورى الضخمة من حمولتها التى جاءت وصامت السفينة من أجلها ٣ أسابيع كاملة : عشرات من صناديق الويسكى ، والكونياك : والبيرة ، وعلب الكوكاكولا والبيبسى كولا والـ (سفن آپ) والـ (دانيهل) و . . عدد ظريف من أجهزة التليفزيون ، وأجهزة الراديو و . . . . و . . . إلخ إلخ إلخ !!!!!!! . . وجاء فى نهاية قائمة احتياجات السفينة القادمة من هامبورج : الأكل !!!!! . . . . .

الأهم من ذلك

كله هو حالة البشر والرضا والسرور والسعادة التى عمت (بعض) الناس على السفينة نتيجة وصول هذه المشتريات من هامبروج ومعها العمولات . . لأن هذا الـ (بعض) إما أنه يحصل على عمولات مباشرة كبيرة : مثل القبطان الذى يحصل وحده

على ٥٠٪ من مبلغ العمولات مهما بلغت قيمة المشتريات . . ومثل كبير الضباط وكبير المهندسين والضباط الإدارى الذى يحصل كل منهم على ٥٠٪ من العمولة على مشتريات القسم الذى يتبعه : كبير المهندسين عن مشتروات القسم الهندسى ، وكبير الضباط عن المشتروات المتعلقة بأجهزة ومعدات السفينة التى لا تدخل فى أختصاص القسم الهندسى ، والضباط الإدارى عن مشتروات الطعام واحتياجات المطبخ وأدوات نظافة السفينة . .

و (بعض) آخر ينالهم من الطيب نصيب من العمولة . . بمعنى أن كل رئيس قسم (يرش على الناس بتوعه) : كبير الضباط يرش على ضباط اللاسلكى و « بعض » الضباط المرضى عنهم منه : أيضا على رئيس بحارة السفينة و « بعض » البحارة المرضى عنهم منه . . وكبير المهندسين يرش على المهندس الثانى و « بعض » المهندسين المرضى عنهم منه . . والضباط الإدارى يرش على « برهام » رئيس السفرجية . . يعنى هؤلاء الناس (ينوبهم من الحب جانب) . .

أما الـ (بعض) الثالث فهم سفرجية السفينة الذين يحصلون على (بقشيش) تحت إسم (بدل شيالة) : لأنهم هم الذين يفرغون السيارة اللورى الكبيرة ويحملون شحنتها على أكتافهم من على الرصيف إلى داخل السفينة . .

شىء ظريف جدا

عرفته اليوم بمناسبة المشتريات التى جاءت من هامبورج . . وكنت قد كتبت فى فصل آخر من قبل عن أن خرطوشة السجاير تباع على سفينتنا بـ ١٤٦ قرشا بينما تبيعها السفينة (المندرة) التى تتبع نفس الشركة صاحبة سفينتنا ، لبحارتها بـ ١٠٤ قرشا ، فى حين أن كلتا السفينتين قد اشترت إحتياجاتها من السجاير من نفس الميناء : ميناء « كيل » بألمانيا الغربية !! . . وطبعاً ناس سفينتنا الأكابر ليسوا هبلا إلى الحد الذى يدفعون فيه من جيوبهم ١٤٦ قرشاً للخرطوشة . . الشركة تدفع ممكن ، البحارة الغلابة يدفعون يدفعون ممكن . . لكن الناس الأكابر : القبطان وكبير الضباط والضابط الإدارى وكبير المهندسين ؛ إشتروا لأنفسهم ولحسابهم الخاص ؛ ومن نفس الميناء أيضاً ؛ كمية السجائر التى يحتاجونها هم شخصياً لاستعمالهم الشخصى - ولسبب آخر سيتضح فيما بعد قدام شوية (!!) - فأصبح السادة يدخنون الخرطوشة بـ ١٠٤ قرشاً والعبيد يدخنون نفس الخرطوشة بـ ١٤٦ قرساً !! . .

وإذا لم تستح ؛ فدخن ماشئت !! . .

بالمناسبة : أنا شخصياً لا أدخن !! . .

معنا على السفينة

مجموعة من مهندسى وفنيين الترسانة البحرية بالأسكندرية ؛ يرأسهم المهندس الشاب « أحمد الأعرج » . . جاءوا على السفينة « رمسيس الثانى » فى رحلتها الأولى يمثلون الترسانة البحرية على أعتبار أنها هى التى قامت ببناء السفينة ؛ ومسئولية المهندس

« أحمد الأعرج » ؛ رئيس قسم بناء السفن فى الترسانة ؛ هى مباشرة واختبار السفينة فنياً وهندسياً واكتشاف العيوب التى تظهر فيها خلال رحلتها الأولى فى البحر قبل تسليمها تماما للشركة ؛ وهو وحده الذى يقرر مدى هذه العيوب وحجمها وحاجتها إلى الإصلاح العاجل أو الإصلاح المؤجل . . وذلك معناه ـ بالتالى ـ أن مسئوليته عن السفينة فى رحلتها الأولى تجب وتلغى ـ أو على الأقل « تجمد مؤقتاً » ـ مسئولية كبير مهندسى السفينة الأصلى « عبده صالح عبده » ؛ الذى يحصل لنفسه على عمولة قدرها ٥٠ ٪ من قيمة أى إصلاحات تجرى على السفينة . . وذلك مصدر رزق عظيم لو تعلمون لكبار المهندسين على السفن المصرية القطاع العام ؛ التى تجرى كل واحدة منها إصلاحات تقدر بعشرات الألوف من الجنيهات الإسترلينية فى كل رحلة من رحلاتها . . والظريف أن كل هذه العيوب « الخطيرة » التى تحتاج إلى إصلاحات « عاجلة » لا تكتشف إلا بعد أن تخرج السفينة من ميناء الأسكندرية وتبتعد عنه وصولا إلى أقرب ميناء أوروبى يدفع العمولات بالعملة الصعبة !! . .

ماعلينا . . منذ بداية الرحلة والمهندس « عبده صالح عبده » يحاول أن (يحتوى) المهندس « أحمد الأعرج » ويطويه تحت باطه : فى كل سهرة من سهراته سواء على السفينة أو فى الأماكن العامة خارجها ؛ يدعوه ويحاول أن يبسطه ويهيصه . . لكن المهندس « أحمد الأعرج » راجل زى حالاق : لا بيشرب ولا بيسكر ولا بيهلس ولا بيدخن حاجات من إياها ؛ ويزيد عنى كمان فى أنه رجل مصلى وتقى وورع . . فلما جاء وقت الجد وكتب كبير المهندسين « عبده صالح عبده » تقريراً طويلا عريضاً بالإصلاحات التى (يرى) أن السفينة تحتاجها ؛ كانت المسألة تحتاج أن يوافق المهندس « أحمد الأعرج » على هذا التقرير على اعتبار أنه ممثل الترسانة البحرية ولا بد من الحصول على موافقته و « توقيعه » قبل إجراء أى إصلاحات . . لكن المهندس « الأعرج » رفض تماما كل طلبات الإصلاح هذه لأن حالة السفينة جيدة جداً ولا تحتاج إلى أية إصلاحات ؛ وبالتالى فإن هذه الإصلاحات المطلوبة وهمية وغير حقيقية ؛ وستجرى على الورق فقط وبفواتير وهمية ـ (شرحتها من قبل . . حكاية الـ« **Dry Bill** ») ـ لكى يكبش الجميع وينهبوا فى المال السايب ؛ وهذا كلامى أنا شخصياً لأن « أحمد الأعرج » رجل مهذب لم يقله صراحة !!

رفض المهندس « الأعرج »

أن يشترك فى عمليات الإصلاح الوهمية ؛ فتغيرت المعاملة بالنسبة إليه فوراً : المهندس « عبده صالح عبده » تعامل معه بشكل فظ جداً وشرس جداً ؛ وكتب خطابا رسميا موجها إلى المهندس « الأعرج » أطلع عليه القبطان الذى حوله بتأشيرة منه إلى « الأعرج » ؛ وقرأت أنا هذا الخطاب الرسمى الوقح جدا الذى كان يمكن أن يضع المهندس « عبده عبده » تحت طائلة قانون العقوبات بتهمة القذف ؛ لولا تدخل « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى منطقة غرب أوروبا ؛ لكن تلك قصة أخرى تفاصيلها فى الفصل القادم . . لكنه كان واضحا أن تصرف المهندس « الأعرج » ـ خريج كلية الهندسة ـ قد حرك عند المهندس « عبده عبده » العقدة القديمة الدائمة : عقدة كراهية الناس الذين تخرجوا من المدارس الصناعية ثم أصبحوا

مهندسين بالأقدمية ؛ للمهندسين الذين تخرجوا من كلية الهندسة . . بالإضافة إلى استقامة وأمانة المهندس « الأعرج » التي كانت واضحة للجميع على السفينة ؛ ويكفى دليلا على أمانته أنه لو كان قد وافق على إجراء الإصلاحات المطلوبة فإنه كان قطعا سينوبه من الحب جانب ؛ وجانب كبير كمان ؛ لكنه رفض ؛ لأن الفلوس عند « بعض » الناس - وهم قلة جدا للأسف - ليست هى كل شيء !! . .

وقد حضرت اليوم بالصدفة ؛ ولم يكن وجودى مرغوبا فيه قطعا ؛ مناقشة حادة جرت بين القبطان الذى يهمه أن تتم هذه الإصلاحات الوهمية ؛ لأنه كما ذكرت من قبل يحصل على ٥٠٪ من قيمة العمولة على كل شيء تشتريه السفينة أو أية إصلاحات تجرى فيها ؛ وبين المهندس « الأعرج » ؛ وكنا جميعاً فى مكتب وكيل الشركة فى « فيسمار » مطلوبين لانتظار مكالمة تليفونية من « أنيس أنسى » فى هامبورج . . القبطان هاجم بشدة المهندس « الأعرج » لرفضه لتوقيع بالموافقة على الإصلاحات المطلوبة ؛ والمهندس « الأعرج » يرى أن هذه الإصلاحات غير مطلوبة أصلا ؛ وحتى لو كانت مطلوبة فهى ليست عاجلة ولا ملحة ولا تمثل أى خطورة تهدد السفينة فى رحلة العودة ؛ وإذا كان ولا بد أن تجرى فلتجرى فى الترسانة البحرية المصرية بعد عودة السفينة إلى الإسكندرية ؛ لأن الترسانة تضم ٧٠٠٠ عاملا لا يجدون ما يعملونه ؛ وليس هناك أى مبرر لإجراء إصلاحات وهمية والسلام فى أوروبا لمجرد أن ينبسط القبطان ويقبض ٥٠ ٪ منها عمولة !! . . . . . ويثور القبطان لكلام « الأعرج » ويهدد بأنه سوف يجرى الإصلاحات التى طلبها المهندس « عبده عبده » رغم كل شيء ؛ ويصمد « الأعرج » ثابتا وبهدوء جداً وبابتسامة مثلجة جداً يقول : « إنت حر طبعاً . . إنت قبطان السفينة . . صلح زى ما أنت عايز واعمل زى ما انت عايز ؛ لكن كون إنى أحط إمضائى على حاجة فده مش حايحصل » !! . . فيتحول القبطان من الثورة والتهديد إلى الرجاء والمحايلة والملاينة وعلشان خاطرى ، وبرضه « الأعرج » ثابت على موقفه . . . . .

وإذا استمر الموقف هكذا ؛ واستطاع « أحمد الأعرج » أن يظل صامدا على موقفه أمام هذه الرجاوات والشفاعات والمحايلات حتى تعود السفينة إلى الإسكندرية ؛ فلن تكون هذه الرحلة خاسرة بالنسبة للشركة وحدها فقط ، لكن هناك أثنين آخرين سوف يخسران كثيراً . . وبالضياع العمولات التى كانت منتظرة بعد ١٩ شهراً قضاها كل واحد هذين الإثنين بعيداً عن البحر قبل هذه الرحلة !!!!! . . . . .

لكنه في الوقت

نفسه : ومن باب (شغل المعلمة البحرية) : فإن القبطان فى نفس الليلة بعد أن يئس من تغيير موقف « الأعرج » : ولكن يؤمن موقفه هو : وبعد أن جمع تحت يده كل الطلبات التى قدمها له المهندس « عبده صالح عبده » طالبا إجراء إصلاحات فورية على السفينة ، ثم كتب للمهندس « عبده » مذكرة شديدة اللهجة يقول له فيها ما معناه : (إصلاحات إيه اللى أنت عايزها ؟ ! . . دا أنت قعدت سنه ونصف تباشر بناء هذه السفينة قطعة

قطعة فى الترسانة البحرية ، والمفروض أنك لم تتسلمها من الترسانة إلا بعد أن وجدتها عال العال وآخر تمام . . وجاى دلوقتى تقول لى إصلاحات ! ؟ إصلاحات إيه ؟ !) . . وحمله مسئولية أى تخريب يحدث فى الآت وأجهزة السفينة !!!! . . . . .

وبذا خرج القبطان من الموقف كله زى الشعرة من العجينة ، و (دبس) فيه المسكين المهندس « عبده عبده » . . . . .

لـــــذا فـــإننى لـــــم

أندهش اليوم حين عدت إلى السفينة ظهرا فاصطادنى المهندس « عبده صالح عبده » ـ وكنت قد قاطعته تماما منذ شهر كامل منذ تلك الليلة التى سكر فيها فى ملهى « كوربيانكا » وأساء التصرف ـ إصطادنى وأنا صاعد إلى قمرتى ليستأذنى بأدب شديد فى أن أتفضل عنده فى قمرته دقيقة واحدة !! . . وتفضلت . . وبدا مرتبكا جدا ومبعثرا جدا وهو يقول لى : « مش عارف أكلمك فى إيه والا فى إيه » قلت له ببرود : « إبتدى بأى حاجة والباقى يكر » فقال بعد تردد : « مثلا . . إنت زعلان منى ليه ؟ » قلت مندهشا : « هو أنت لسه ما اكتشفتش إنى زعلان منك غير النهاردة بس ، بعد شهر كامل من مقاطعتى لك ؟ ! ومع ذلك . . . . . » وعددت له تصرفاته التى حدثت منه ليلة عيد ميلاد زميله المهندس « صبرى » فى ملهى الـ « كوربيانكا » . . فبهت وارتج عليه وتلخبط تماما وأنكر كل شىء حتى أنه كاد ينكر أنه كانت هناك حفلة أصلا ، وكاد أن ينكر أيضا أنه يوجد شخص إسمه المهندس « صبرى درويش مصطفى سالوسة » : وقال : « أنت كده بتجرحنى وتورى صورتى على إنى إنسان وحش جدا وما عنديش أى أخلاق ؟ ! قلت بهدوء وبرود : « مضبوط لأن هو ده اللى حصل منك وهى دى صورتك فعلا » !! . . فعاد يكرر نفس الكلام كأنه يكلم نفسه أو كأنه لا يجد كلاما غيره ليقوله ، فرددت عليه نفس الرد : « لأن هو ده شكلك فعلا » : فقال وقد بدا عليه أنه يوشك أن يغمى عليه : « خلاص : ماعنديش كلام تانى أقوله » . . فقمت وخرجت من قمرته دون أن أحييه . .

مسكين . . خبطتين فى الراس توجع ، فما بالك بثلاث خبطات . . فقد انهار تماما بعد ساعتين وبكى بالدموع كالأطفال أمام « أنيس أنسى » الذى هدده بالسجن . . ولكن : هذه قصة أخرى مكانها فى الفصل القادم . .

أجهـــزة التليفزيون الأنيقـــة

وأجهزة الراديو الشيك التى وصلت منذ عدة أيام من هامبورج ، تم توزيعها فى نفس اليوم : القبطان أخذ لنفسه جهاز تليفزيون وجهاز راديو ، كبير الضباط أخذ لنفسه جهاز راديو ، الضابط الإدارى أخذ لنفسه جهاز راديو ، كبير المهندسين أخذ لنفسه جهاز راديو . . وكلها راديوهات مستوردة من ألمانيا الغربية بالعملة الصعبة على حساب

الشركة صاحبة السفينة ، وعندنا فى مصر أكثر من شركة تصنع أجهزة التليفزيون : وعندنا فى مصر أكثر من شركة تصنع أجهزة الراديو : لكنها كلها شركات مصرية لا تدفع عمولات عن مبيعاتها . . لكن ذلك على العموم ليس هو المهم . . المهم أن الغنيمة قد وزعت بالكامل على أصحاب النصيب . . وبقى صالون الضابط الذى يجتمع فيه كل يوم ٢٠ ضابطا ومهندسا : وبقى صالون البحارة الذى يجيتمع فيه كل يوم أكثر من ٢٠ بحارا : ليس فى واحد منها جهاز راديو يسمعون منه أخبار العالم . . يعنى ٤ أجهز راديو وزعت على أربعة أفراد فقط ، و ٤١ فردا ليس لهم إلا الستر . .

على أى حال فذلك فى حد ذاته يعتبر تقدما : زمان كانت مصر مشهورة ومعروفة بأنها مجتمع الـ ٠,٥٪ : الآن على هذه السفينة زادت النسبة كثيرا لتصبح مجتمع ألـ١٠٪ . .

رضا . . حانهب ؟ إحنا كنا فين وبقينا فين . .

الفصل التاسع عشر

أسوأ
الرحلات
فى التاريخ . !

مع الاعتذار لأنيس منصور ..

الأمور على السفينة . تزداد لخبطة يوما بعد يوم ، والجو يتكهرب ويتوتر كل يوم أكثر من الذى قبله . .

عدت إلى السفينة اليوم متأخرا مساء ، وما كدت أستقر فى قمرتى حتى دق بابها . . فتحت فوجدت السفرجى « أبو الغيط » أمامى ورأسه ملفوف بالقطن والشاش وغرقان دم وشكله متخرشم على الآخر : « مالك يا أبو الغيط ؟ أيه اللى حصل لك ؟ » . . ويدخل « أبو الغيط » ـ ٤٩ سنة ومن أكبر أفراد الطاقم سنا ـ ليتحلى لى قصة غريبة جدا كنت أسمعها فعلا لأول مرة . .

فى بداية رسو السفينة فى ميناء « فيسمار » طلب القبطان من « أبو الغيط » أن يبيع السجائر لحسابه – لحساب القبطان يعنى ـ فلم يمانع « أبو الغيط » وكله مكسب . . لكن القبطان إشترط أن يبيع « أبو الغيط » خرطوشة السجاير بـ ٣٥ مارك ألمانى ، فرفض « أبو الغيط » أن يبيعها بأكثر من ٢٥ مارك ، السعر الذى تباع به سرا لعمال الشحن والتفريغ الألمان داخل الميناء ، أما اذا استطاع أن يجازف ويمر بها من بوابة الجمرك فهو يبيعها خارج الميناء وفى وسط المدينة بـ ٥٠ مارك ، وفى هذه الحالة يكون الفرق لـ « أبو الغيط » شخصيا كربح له لأنه هو الذى سيتحمل المجازفة والمخاطرة ولو ضبط فى يروح فى ستين داهية !! . . رفض « أبو الغيط » إذن وأصر لقبطان ، فإعتذر « أبو الغيط » عن بيع السجائر لحساب القبطان ، فكانت النتيجة أن القبطان طرده من خدمة قمرته وأستبدل به السفرجى « عطيطو » . . لكن « عطيطو » شاب هادى وغلبان وفى حآله ولا بيهش ولا بينش ولا بيعرف يبيع سجاير ولا يعمل حاجة أبدا ويكاد لا يغادر السفينة على الإطلاق ، خيبه خالص « عطيطو » ده . . فعاد القبطان وأرسل ٨ خرطوشات سجاير مع « برهام » رئيس السفرجية لـ « أبو الغيط » ليبيعها لحسابه . . فأرسل له « أبو الغيط » ، مع برهام « رئيس السفرجية »برضه ، ٢٠٠ مارك ثمن السجائر على أعتبار أن ثمن الخرطوشة ٢٥ مارك كما أصر من قبل . . لكن القبطان إعتبر « أبو الغيط » مدينا له بـ ٨٠ مارك : الفرق بين السعر الذى طلبه القبطان والسعر الذى دفعه « أبو الغيط » . . فكيف يحصل القبطان على هذه الماركات الـ ٨٠ ؟! . .

فى يوم تبخير

السفينة حين ذهبت مجموعة من الضباط والمهندسين إلى مدينة « چيڤرين » ، وتقرر أن يصرف لكل واحد من البحارة الذين بقوا فى « ڤيسمار » مبلغ ٤٠ مارك لكى يدبروا لأنفسهم المبيت والأكل فى هذه الليلة الواحدة ، إحتجز القبطان مبلغ الـ ٤٠ مارك الخاصة بـ « أبو الغيط » !! . . ولم يستطع « أبو الغيط » أن يتكلم أو يفتح فمه لأن القبطان ، ببساطة جدا : قبطان !! . . .

« أبو الغيط » معتاد كلما تجمع لديه من حصيلة بيع السجاير قدر من العملات المعدنية الألمانية أن يذهب بها إلى شباك التذاكر فى محطة السكة الحديد القريبة من الميناء ، ليستبدلها بعملات ورقية حتى يسهل عليه إخفاؤها بدلا من العملات المعدنية التى تشخشخ فى جيبه وتفضحه . . ذهب مرة إلى محطة السكة الحديد كالمعتاد دون أن يدرى أن هناك من يتعقبه ، وماكاد يتسلم من موظف الشباك العملات الورقية حتى فوجىء بمن يمد يده من ورائه ليخطف الفلوس منه ويجرى . . . . . لكن المفاجأة الثانية كانت أشد وأقسى ، فإن الذى فعل ذلك لم يكن إلا : القبطان شخصيا !!!!!! . . . . . .

واحتاس « أبو الغيط » ولم يعرف ماذا يفعل ولاكيف يتصرف والناس كلها على محطة السكة الحديد تنظر إليه مندهشة مترقبة ،هل يصرخ مستنجدا : « ياشاويش . . . حرامى . . اتسرقت » ويجرى هو والبوليس وراء قبطانه حتى يمسكوه ويسترد فلوسه ؟!. أم يسكت وأمره إلى الله وبلاش فضايح فى ميناء أجنبى ؟!. .

وقطعا اندهش الناس الألمان الذين كانوا واقفين فى فناء المحطة وهم يرون « أبو الغيط » يهز كتفيه مستسلما ، ثم يمضى خارجا من المحطة فى هدوء !!

وتمر الأيام ويحتاج

القبطان إلى فلوس أخرى ، فيرسل إلى « أبو الغيط » ليبيع كمية سجاير جديدة ، لكن « أبو الغيط » يرفض هذه المرة رفضا باتا لأنه لايريد أن يتكرر ماحدث مرة أخرى . . ومن هنا تبدأ المشاكل : القبطان هو سيد السفينة وأوامره واجبة التنفيذ فورا : أصدر قرارا بمنع نزول السفرجية ـ بالذات ـ من السفينة على الإطلاق ، على أن ينزل كل سفرجى يوماواحد كل أسبوع ، ولاينزل الابعد الساعة السادسة والنصف مساء !!!!!! . . . . . وأصدر تعليماته إلى كبير الضباط بسحب جوازات سفر السفرجية لتبقى عند القبطان شخصيا !! . . كل ذلك لكى ينكد على « أبو الغيط » ويوقف سوقه فى بيع السجائر لحسابه الشخصى ، من باب (فيها لا أخفيها) !! . . لكن السفرجية جميعهم ، وعلى رأسهم رئيسهم « برهام » ، رفضوا أن يمتثلوا لهذا القرار غير المنطقى وغير المبرر . . كيف يكونوا فى ميناء ويحرموا من النزول من السفينة ، هم بالذات وحدهم ، دونا عن باقى أفراد الطاقم ؟! . . ماذا فعلوا ليعاقبوا هذا العقاب ؟! . . ثم

كيف إذا نزلوا ينزلون بعد السادسة والنصف مساء فى حين أن كل المحلات هنا تغلق أبوابها فى السادسة ولاتفتحها مرة أخرى إلا فى صباح اليوم التالى ؟!... كيف إذن يشترون إحتياجاتهم ولوازمهم المطلوبة لهم ولبيوتهم ؟!.....

ولم يسلم ولا واحد منهم جواز سفره إلى كبير الضباط ، ورفضوا الإمتثال لهذه الأوامر غير المعقولة وظلوا يخرجون كل يوم فى أوقات راحتهم على امتداد اليوم كله : بين وجبة الافطار ووجبة الغداء ، وبين وجبة الغداء ووجبة العشاء ، وبعد وجبة العشاء ....

وزاد الطين بلة ماحدث

أمس ليلا - (وهذا الجزء لم يروه لى « أبو الغيط » شخصيا ، لكن رواه لى آخرين بقصد أن يصل إلىّ عن غير طريق « أبو الغيط » ، حتى يصبح هو بريئا من تهمة إفشاء السر !!) - .. « أبو الغيط » كان أمس ليلا يسهر فى الحديقة .. وعبارة « السهر فى الحديقة » كان ممكنا أن تكون عبارة عادية جدا لايقصد بها أى شيء آخر لو كانت أى حديقة ، لكن الذين زاروا البلاد الشيوعية يعرفون ان الحديقة هناك هى مكان الناس « المعذورين فى شقة » أو اللى ماعدندهمش غرفة نوم فى بيتهم .. يعنى باختصار أن الحديقة فى فترة المساء والسهرة تكون عبارة عن « غرف نوم جماعية كبيرة » ، بعلم الدولة ورعاية وحماية بوليسها !!... وباعتراف واقرار كل الناس الألمان العاديين هنا أن الحديقة هى المكان الذى يستطيع فيه الفتيات والشبان هنا أن يتبادلوا الجنس إذا لم يجدوا مكانا آخر .. والأسرة الألمانية التى ترفض استقبال صديق ابنتها أو صديقة إبنها فى بيت الأسرة لأى سبب من الأسباب ، تعرف جيدا أنهما « يلتقيان » فى الحديقة !!!!!!......

ماعلينا، كان « أبو الغيط » أمس ليلا فى الحديقة لأسباب تسويقية .. كان يبيع سجائره لرواد الحديقة .. وفجأة وجد نفسه وجها لوجه أمام شخصية من كبار شخصيات السفينة ومعة فتاتين فى سن ابنته !!...... وكان طبيعيا بعد ذلك أن يحدث ماحدث اليوم عصرا !!

أمر القبطان بجمع كل السفرجية فى صالون البحارة فى الطابق الأول من السفينة لأنه سيجتمع بهم .. ونزل إليهم بنفسه ليوبخهم ويعنفهم لأنهم : « بيبيعوا سجاير فى المدينة ، والبوليس الألمانى جاءه وكلمه فى هذه المسألة ، وأنه - أى البوليس الألمانى - مش راضى يقبض عليهم علشان خاطر القبطان (!!) .. يعنى البوليس الألمانى عامل خاطر برضه للقبطان !! .. وبناء عليه فقد أمر القبطان ، تانى ، بسحب جوازات سفر السفرجية لتبقى عنده شخصيا ، حتى لايغادر أحد منهم السفينة إلا بعلمه وبعد المرور عليه ليأخذ منه ، شخصيا ، جواز سفره الذى لا يستطيع أن يغادر السفينة بدونه والا منعه الجندى الألمانى الذى يقف على بابها !! .. لكن السفرجية - للمرة الثانية أيضا - عصلجوا ورفضوا تنفيذ هذا الأمر .. وثارت مناقشة عنيفة واتهامات متبادلة بين « أبو الغيط » وبين القبطان ، إنتهت بأن دفع القبطان بيده فى وجه « أبوالغيط » الذى كان الغيظ والحنق قد بلغا معه المنتهى ، وفى الوقت نفسه يعلم جيدا أن أى تصرف منه ضد القبطان سوف ينهى عمله

فى البحر تماما ويمكن يقطع عيشه من الشركة كلها ، فانتابته حالة عصبية وهيستيرية عنيفة نتيجة لكبت مشاعره ، وانفجر فجأة مرة واحدة ، لكنه انفجر فى نفسه شخصيا : دخل برأسه فى حائط الصالون وظل يضرب رأسه فى جدران الصالون كالمجنون حتى انفتحت دماغه . . واضطر كبير الضباط إلى التدخل وأمر البحارة بأن يمسكوا « أبو الغيط » ويقيدوا حركته ، وفى الوقت نفسه طلب من القبطان أن يغادر الصالون فورا خوفا من اشتعال الثورةفى نفوس البحارة وحدوث مالا يحمد عقباه ولايمكن بعد ذلك السيطرة عليه !! . . .

وقام كبير الضباط والضابط الثانى بتطهير جروح « أبو الغيط » وتضميد رأسه . . وجاء « أبو الغيط » ليشهدنى على ماحدث لأننى لم أكن فى السفينة عند حدوثه . . .

انتهت حكاية « أبوالغيط » والعهدة على الراوى . . لكن الذى حدث بعدها هو أن السفرجية ظلوا ـ برضه ـ يخرجون من السفينة كل يوم وفى أى وقت يشاءم ، تكسيرا لكلام القبطان وضاربين بأوامره الغريبة عرض الحائط . . . .

حكى لى القبطان

اليوم حكاية غريبة ، مؤداها فى النهاية أن الطبيبة البيطرية الألمانية الحسناء إقتحمت عليه غرفة نومه فى قمرته فى السادسة والنصف صباحا ، بحجة أنها شاهدت حلما غريبا أفزعها ، فجاءته على الفور لأنها تعرف أن الشرقيين مشهورون بتفسير الأحلام !! . . لكنه قال لها أن قدومها إليه فى هذا الوقت المبكر جدا ممكن أن يثير الريبة والشبهات حوله وحولها ، خصوصا وأن أحدا من أفراد السفينة لم يرها وهى داخلة لكنهم جميعا سيرونها وهى خارجة من قمرته فى ذلك الوقت ، وقد يظنون ـ أستغفر الله ـ بها السوء . . وطلب منها أن تنصرف فورا وبسرعة على أن تعود إليه فى وقت آخر ، فانصرفت من قمرته فى السابعة صباحا !! . . والقبطان يحكى لى هذه القصة بنفسه حتى إذا ماوصلتنى عن طريق أى شخص آخر ـ لأن كل السفينةواشين ونمامين ـ أن الطبيبة شوهدت تخرج من قمرة القبطان قرب الفجر ، أكون أنا قد عرفت الحقيقة منه شخصيا !! .

استغفر الله ياقبطان . . إن بعض الظن إثم !!!!! . . . . . .

وفى الوقت نفسه

يحكى لى القبطان قصة ظريفة أخرى من ذكرياته الشخصية ، حدثت له وهو طالب بحرى من نحو ٣٠ أو ٣٥ سنة . . قال أنه كان يتدرب على سفينة كان الضابط الإدارى فيها المسئول عن المطبخ والمطعم والأكل إسمه « أحمد ثابت » . . وفى يوم من الأيام وجد الطالب البحرى ـ اللى هو القبطان الآن ـ دودة صغيرة فى طبق المكرونة بالفرن الذى قدم

إليه على الغداء !! - (هى الحبكة الروائية عايزة كده : صينية مكرونة دخلت الفرن وظلت النار تحتها مشتعلة حتى استوت واحمرت ، لكن الدودة العنيدة فضلت معصلجة وصاحية . . . المخرج بتاعنا عايز كده !!) - المهم ، أخذ الطالب البحرى طبقه وذهب إلى الضابط الإدارى « أحمد ثابت » وقال له : « عيب مايصحش يبقى فيه دود فى الآكل » . . فشخط فيه الضابط الإدارى : « الدود ده يبقى فى بيتكم ياشاطر مش هنا » . . فما كان من الطالب البحرى - القبطان مازال يروى القصة - إلا أن زنق الضابط الإدارى بيده فى ركن القمرة ولحوس وشه بطبق المكرونة بالفرن السخن المولع !! . . فلما صاح الضابط الإدارى وصرخ بأعلى صوته مستنجدا أخرج الطالب البحرى خنجره من تحت رجل بنطلونه - (راجع أفلام فريد شوقى القديمة) - ورشقه فى الترابيزة أمام الضابط الإدارى وصرخ فى وجهه متوعدا : « وعهد الله لو فتحت بقك بكلمةواحدة لأقطع لسانك من اللغلوغ » !! . . وطبعا الضابط الإدارى « أحمد ثابت » خاف على لغلوغه فلم يفتح فمه بكلمة واحدة !!!!! . . . . .

أرى أن الوقت والمساحة لايسمحان بمناقشة تأثير الأفلام المصرية القديمة التى يعرضها التليفزيون العربى فى سهراته ، على الناشئين والأطفال وناقصى المدارك الذين من الممكن - نتيجة كثرة مشاهدتهم لهذه الأفلام - أن يتصوروا أشياء لم تحدث وأن يتخيلوا أنفسهم مكان أبطال هذه الأفلام والخناجر تحت رجل البنطلوب ورشق الخناجر فى الترابيزات والبونيات الحديد وما إلى ذلك . . . . .

لكن محصلة هذه

الحدوتة كلها أن القبطان يريد تخويفى وإرهابى بأنه سوف يفعل معى مافعل مع الضابط الإدارى « أحمد ثابت » و : « لو فتحت بقى بكلمة واحدة فـ ، وعهد الله حايقطع لسانى من اللغلوغ » . . فإذا كنت خايف على لغلوغى يبقى ألم لسانى فى بقى وأسكت ؛ والا . .

حكاية (والا) هذه هى التى سببت كل ما ماحدث بعد ذلك من مشاكل ومتاعب . . كانت المتاعب والمشاكل بينى وبين القبطان قد بدأت بعد أن اهديته فى بداية الرحلة نسخة من كتاب لى عن البحر أيضا عنوانه (راكبان على السفينة) . . كان قبل أن يقرأ الكتاب يظن أننى موفد من قبل الشركة صاحبة السفينة لعمل پروپاجاندا ودعاية وموضوعات إعلانية لحسابها عن السفينة « رمسيس » أو عن سفنها عموما ؛ لكنه بعد أن قرأ الكتاب إتخض جدا من الصراحة الشديدة والنقد اللاذع الذى قرأه فيه ؛ ثم عرف من بعض بحارة السفينة « رمسيس » الذين تصادف أنهم كانوا قبل ذلك يعملون على نفس السفينة التى قمت عليها برحلتى السابقة موضوع الكتاب ؛ عرف منهم أن نشر سلسلة موضوعاتى عن رحلتى السابقة فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » قد نتج عنها إيقاف كبير ضباط « برنيس » وابعاده عن البحر لمدة سنة كاملة ؛ وتنحية مجلس إدارة الشركة بأكمله . . ومن هنا بدأت الصورة عند قبطاننا تختلف : الشركة باعته معاه صحفى لسانه طويل وبيبحث عن العيوب فقط لكى يكتب عنها ويهاجمها ؟! . . وبالفتاكة والفهلوة والحداقة إتخذ قرار

خطيرا : قرر أن يشكمني ويكسر شوكتي ويضع انفي في الأرض ويوريني العين الحمراء ؛ وبقى إتغدى بى قبل أنا ما أتعشى به ؛ وبالشكل ده أخاف وأكش وأترعب منه وأعمل حسابه ألف مرة قبل أن أكتب كلمة كده والا كده . . ومن هنا بدأت الصدمات بيننا . هو يريد أن يلوى ذراعى وأنا معصلج لأننى واخد على مثل هذه المواقف ومعتاد على مواجهتها . .

ولما كان قد قال لى مرة : « مش عارفين نوصل لك منين ؟! . . لا انت بتسكر ولا بتحشش ولا حتى بتشرب سجاير ؛ كنا عرفنا نبسطك ونهيصك ونريحك على الآخر ؛ ولا انت بتاع نسوان ولا انت بتاخد فلوس » !! يعنى الراجل وضع أصابعه العشرة فى الشق منى . . ثم بدأت الأمور على السفينة تتكشف أمام عينى ؛ وفى كل مرة تزداد سوءا ؛ كلما حدث شيء على السفينة كان ممكنا أن يحدث من قبل فى ظروف أخرى ولايهتم له ؛ إهتم جدا هذه المرة وحمل همه لأننى موجود وهو يعرف أننى أسمع كل شيء ويصلنى كل شيء وأكتب وأسجل كل شيء . . حتى شعرت فى الفترة الأخيرة بعد أن حدثت أمامى ثورة الضباط على رداءة الأكل ؛ وحكاية الطبيبة البيطرية التى خرجت من قمرته مهروله فى السابعة صباحا ؛ والكلب (حسان) الذى يأكل البندق والفراخ المشوية ؛ وحكاية العمولات ؛ وحكاية « أبو الغيط » المبطوح ؛ وحكايات الحديقة ومحطة الأتوبيس وأتوبيس الموظفات . . شعرت بأنه قد بدأ يدخل فى مرحلة اليأس التى قد تدفعه إلى التهور ليفعل شيئا خطيرا أو شيئا عنيفا معى . . لست أخشى على نفسى شخصيا فقد روضت نفسى على مواجهة أى شيء حين اخترت لنفسى مهنة البحث عن المتاعب ؛ وهذه هى أهون أنواع المتاعب التى نلاقيها كصحفيين . . لكن وجود « سلمى » معى هذه المرة وخوفى من أن يحدث لها هى شيء ؛ على الأقل أن تواجه تصرفا سخيفا فى أولى رحلاتها الصحفية ؛ وهى أمانة فى رقبتى . . لذا : قررت أن نقطع رحلتنا على السفينة « رمسيس الثانى » ونعود إلى مصر بالطائرة بشكل عاجل . .

لكى نقطع رحلتنا

ونعود إلى مصر بالطائرة ؛ ينبغى أن نخطر الشركة صاحبة السفينة فى الإسكندرية برغبتنا فى ذلك ؛ وأسبابه ؛ حتى تعطى أمرا لوكيلها هنا فى " فيسمار " بأن يحجز لنا أماكن على الطائرة ويحصل لنا على التأشيرات اللازمة ويرعى أمورنا حتى نعود إلى مصر . . طبعا لم يكن ممكنا أن أقول للشركة فى البرقية التى سأرسلها إليها من هنا عن طريق الـ (تلكس) عن مخاوفى من أن يتصرف القبطان تصرفات طائشة أو مجنونة بالنسبة لى أو لمساعدتى « سلمى » . . فكتبت برقية إلى رئيس مجلس إدارة الشركة أخبره فيها بأن الرحلة قد طالت أكثر كثيرا مما كان متفقا معى على مدتها . . كان المفروض - كما قيل لى فى الإسكندرية قبل بدء الرحلة - أن تكون مدتها ٤٠ يوما ؛ وها قد مضت ٥٠ يوما وباقى أمامنا شهر آخر كامل على الأقل ؛ وأيضا نقودنا التى خرجنا بها من مصر على أساس أنها سوف تكفينا ٤٠ يوما قد نفذت . . لذا فإننا نستأذنه - رئيس الشركة - فى عودتنا إلى مصر بالطائره فورا . .

لكى أرسل برقية أو (تلكس) من هنا إلى الشركة فى الإسكندرية فينبغى أن يرسل من مكتب وكيل الشركة هنا ؛ لأنه هو الذى لدية جهاز الـ (تلكس) . . وكيل الشركة لايرسل أى برقية إلا

إذا كانت قد مرت على القبطان ووافق عليها . . لذا فقد كان ولابد أن أخبر القبطان وأحصل على موافقته على إرسال الرقية للشركة . . والذى توقعته حدث تماما . . رفض فى البداية أن يرسل البرقية ؛ على اعتبار أن الشركة لن ترد عليها على الإطلاق ؛ لأن رئيس الشركة الذى يعرفنا ـ يعرف مجموعة الصحفيين ـ مشي ؛ ورئيس الشركة الجديد لا يعلم شيئا عن هذا الموضوع وليس لديه أى فكرة عن وجود صحفيين على السفينة "رمسيس الثانى" أصلا !! . .

هكذا قرر القبطان

وهو على بعد آلاف الأميال من الإسكندرية أن رئيس مجلس الإدارة الجديد لايعلم شيئا عن وجودنا : راجل طيشة ماعندوش خبر عن حاجة أبدا ؛ أما القبطان البعيد عن الشركة بآلاف الأميال فهو وحده العليم بكل أمور الشركة حتى وهو بعيد عنها . . وقال ـ شامتا ـ أننى إذا أردت أن أكمل الرحلة وليس معى نقود فعلى أن أبقى فى قمرتى لا أغادرها وأضع يدى على خدى ـ هذا هو تعبيره بالضبط ـ أما اذا أردت أن أترك السفينة الآن فمع السلامة وكل ما فى الأمر أنه سوف يبلغ البوليس الألمانى هنا أن : « الراجل ده أخذ شنطته وساب السفينة ومشي . . بس علشان البوليس يبقى عنده خبر ويتصرف هو معاك » !! . . فقلت له ببساطة جدا أننى فى هذه الحالة سوف أذهب الى السفارة المصرية فى برلين وأحكى كل شيء للسفير هناك ؛ فقال القبطان : « روح له ؛ السفير مش حايقدر يعمل لك حاجة » !! . . فلما أصررت على أن أرسل البرقية للشركة فى الاسكندرية والشركة هى اللى تتصرف وليس هو ؛ رفض وقال : « فى الحالة دى تبعت البرقية على حسابك إنت » !! آل يعنى زنقنى فى ركن . . وكشف أوراقه كلها حين تصور أنه وجد الفرصة الآن لينتقم منى وأظهر كل اخلافه على آخرها . . قلت له : « ولو . . والمهم إن البرقية تتبعت » فقال : « ما هو أنا ممكن أوافق عليها ؛ وإنت تخرج من هنا وأنا أقول لوكيل الشركة ما يبعتهاش »!!

المهم أنه فى النهاية وأمام إصرارى وافق على أن ترسل البرقية ؛ وأعطاها لوكيل الشركة أمامى فعلا . . لكنه فى الوقت نفسه أصدر تعليمات جديدة بشكل معاملتنا اعتبار من الآن ـ على اعتبار أنه فهم من البرقية أننا أفلسنا تماما ولم يعد معنا نقود ـ فبدأت سلسلة من التصرفات الحقيرة الدنيئة التى توضح أن مسألة الاكل مسألة هامة جدا بالنسبة إليه : منع كوب اللبن الذى كان يقدم لـ « سلمى » كل يوم عصرا لأنها لاتشرب الشاى ؛ وتعلل « برهام » رئيس السفرجية بأن اللبن الذى كان على السفينة خلص !! . . اللبن خلص فجأة ونحن فى ميناء والسفينة ممكن أن تشترى طن لبن كل يوم ؛ السفينة التى اشترت طقم تليفزيونات وطقم أجهزة راديو فاخرة وعشرات من صناديق الويسكى والكونياك والكوزفوازييه والكوكاكولا والبيبسى كولا ؛ لم تتسع ميزانيتها ـ غلابة ياعينى ـ لشراء لبن لطاقم السفينة ـ وهو مقرر لهم رسميا ـ ويقول لنا « برهام » بسداغة وبرود : « اذا كنتم عايزين لبن ابقوا اشتروا من الكا ؛ دا اللبن هنا رخيص أوى القزازة بنص مارك !! » . . فلما جاء موعد الشاى بعد ذلك قيل لنا أن الشاى أيضا خلص وسنشترى شاى من ألمانيا الغربية حين نذهب إليها بعد أسبوعين باذن الله !! . . وفى اليوم التالى لم تقدم لنا وجبة الإفطار بحجة أن السفرجى

كان مش فاضي لأنه كان بيقدم الإفطار للقبطان الذى استيقظ بدرى على غير العادة !! . . . . كأنما إذا أفطر القبطان يوما مابدرى فلن يفطر أحد على السفينة غيره !! . .

وإذا كان « أنيس منصور »

قد أصدر كتابا أسماه « أعجب الرحلات فى التاريخ » فإننى أفكر فى أن أجعل هذه المسلسلة عن رحلتنا هذه بعنوان « أسوأ الرحلات فى التاريخ »!! . . وإذا كنت قد ظننت أننى قد قابلت فى رحلتى السابقة على السفينة (برنيس) أسوأ رجل بحر ممكن أن أقابله فى حياتى ؛ فإننى كنت واهما ؛ لأننى فى رحلتى هذه على السفينة « رمسيس الثانى » قد قابلت (الأسوأ) . . على الاقل « عباس جاد الله » كان شرسا لكنه لم يكن شريرا ؛ وعلى الأقل « عباس جاد الله » كان دمه خفيف فى أغلب الأحيان ؛ وعلى الأقل « عباس جاد الله » كان عاقلا . . ومن المؤكد أن صديقنا هذا : (الأسوأ) ؛ قد لاقى فى طفولته وصباه تعذيبا بشعا ومعاملة شديدة السوء بالغة القسوة ؛ جعلته فى كبره يحاول أن ينتقم من كل من يوقعه سوء الحظ تحت يده . . فإنه يعانى فعلا من عقدة الرغبة الجارفة التى تتملكة لتعذيب الآخرين . . ولو كان هذا الرجل قبطانا لسفينة ركاب لأفلست الشركة تماما بعد رحلة واحدة ؛ فإنها لن تجد بعدها راكبا واحدا يجازف بالسفر مع هذا القبطان الذى يتلذذ بتعذيب الناس ؛ وفى هذه الحالة يكون السفر سيرا على الأقدام أسهل وأضمن وأأمن . . . . .

أرسل القبطان يطلبنى

صبحا بدرى جدا . . أرسل السفرجى « عطيطو » ولم يستعمل التليفون . . ضايقنى ذلك فتعمدت ألا أذهب إليه إلا بعد ساعة كاملة ؛ فلم أجده فى قمرته . . وفى طريق عودتى الى قمرتى وجدته فى قمرة كبير الضباط . . دخلت وقلت : « صباح الخير » فلم يرد ؛ ووجه لى كلاما يفيد أن صورة البرقية التى أرسلتها إلى رئيس مجلس الإدارة عنده وأنه سوف يرسلها لى ؛ فلم أعلق على كلامه وإنما قلت بجفاء : « أنا قلت صباح الخير فى الأول » فرد : « صباح النور » قلت بجفاء ايضا : « إنت طلبتنى ؟ » فقال وهويثنى برقبته إلى أعلى كديك بلدى يريد أيغبر عن استيائه من شىء ما : « آه . . بس الكلام ده كان من ساعة » . . جاى لى بعد ساعة ؟! قلت ببرود : « على ماصحيت وحلقت ذقنى وأخذت دش ولبست وقريت الجرايد . . ومن غير كده وكده أنا ماباخرجش من كابينتى عادة غير هو فى الميعاد ده كده »!! . . ولاحظ هو اننى اتكلم بما يشبة الغيظ .

فقال مداريا : « الـ (تلكس) اللى أنت بعتته الصورة عندى . . تستلمها وتمضى الإيصال . . إتكلف ٤٧ مارك وربع : علشان المبلغ ده أول ما المركب توصل الإسكندرية . . مش أحنا نحط السلم من هنا وأنت تنزل جرى وما نعرفش نجيبك . . لأ . . تدفع قبل ما تنزل من السفينة » !! . . قلت ساخرا : « لا اتطمئن . . مش حا نزل على السلم ، ومش

أنا اللى حادفع ثمن التلكس ده ، الشركة اللى حاتدفعه » قال بكبرياء : « لأ أنت اللى حاتدفعه . . أنا باقول إنك إنت اللى حاتدفعه » قلت مبتسما بهدوء شديد : « ما تسيب المسألة دى لرئيس مجلس الإدارة هو اللى يقرر إذا كنت أنا اللى أدفع والا الشركة هى اللى تدفع » فقال ثائرا : « أنا هنا رئيس مجلس الإدارة » قلت ببرود : « لأ . . إنت هنا قبطان وبس ، بس انت مش واخد بالك » . . وهنا دخل الضابط الإدارى ومعه صورة الـ (تلكس) وإيصال مكتوب أعطاه لى لأوقعه ، لكنى أبقيت الإثنين فى يدى حتى قرأت صورة الـ (تلكس) بإمعان واطمأننت إلى أنها نفس الصيغة التى كتبتها بالضبط قد أرسلت إلى رئيس مجلس إدارة الشركة بالإسكندرية : ثم قرأت الإيصال المطلوب منى أن أوقعه ، ولم تعجبنى صيغته : فألقيتها على مكتب كبير الضباط وسألت « على أبو طالب » إن كان عنده ورقة بيضاء ففام وأحضر لى . . وجلست إلى مكتبه بينما جلس القبطان على كنبة فى مواجهتى ، وبدأت أكتب فسألنى القبطان مندهشا حين رآنى أكتب : « بتكتب إيه ؟ » فقلت وأنا مستمر فى الكتابة : « دلوقتى حاتعرف » وإنتهيت من كتابة صيغة أخرى للإيصال قرأتها له فقال فى غيظ : « وإيه يعنى لما تمضى على الإيصال الأولانى . . ماهو ده زى ده ؟ » قلت : « مادام أنت شايف إن ده زى ده ، إيه اللى زعلك ؟ . . على العموم هى دى الصيغة اللى أنا أرضى أمضيها » قال فى ضيق وغيظ : « بس فيه نظام لازم تتبعه » قلت فى برود : « أتبعه لما أكون مقتنع بيه » فقال : « ده نظامنا إحنا ومش مهم تقتنع أو لا تقتنع . . وحين تكون فى روما فافعل مثلما يفعل أهل روما » قلت ببرود : « لما يكون اللى بيعملوه أهل روما مش عاجبنى مش حاعمله . . يعنى لما يكونوا أهل روما لصوص وحرامية وبيسرقوا ، مش حاسرق زيهم علشان هم ينبسطوا » !! . . فقال : « أنا مش فاهم أنت بتتصرف كده ليه ،؟ قلت ، علشان سعادتك باعت لى السفرجى يستدعينى لمقابلتك » قال : « طيب وكنت عايزنى أعمل إيه ؟ » قلت : « تتكلم فى التليفون . . تطلبنى فى التليفون آجى لك » قال : « وعهد الله ما أعرف نمرة تليفونك « قلت فى سخرية : « مكتوبة عندك فى الكابينة جنب تليفونك على طول . . وطلبتنى فيها ألف مرة قبل كده » قال متخبطا : « مارضتش أضرب لك تليفون فى الميعاد ده علشان ما أزعجكش : قلت يمكن تكون نايم ولا حاجه » قلت : « وهو السفرجى بتاعك اللى جه دق علىّ الباب ما أزعجنيش ؟ . . وخفت ما تزعجنيش الساعة ٩ ونص الصبح وما كنتش بتخاف تزعجنى لما كنت بتطلبنى الساعة اتنين بعد نص الليل علشان آجى أسهر معاك ؟ ! » . . ووجد نفسه مش عارف يقول إيه فقال باستهانة وباستهتار وبصوت مرتفع : « وإيه يعني لما أبعت لك السفرجى ؟ أنا القبطان ولما أبعت لأى حد لازم يجيني دوغرى » !!!! . . . وانفجر الموقف بعنف شديد وارتفع صوتانا على الآخر ، وصرخت فى وجهه بغيظ شديد : « وأنا حسين قدرى ولى إحترامى ولى مكانتى ولى مركزى ، أن مكانشى عندك خبر آديك عرفت » فقال بلا مبالاة وهو يصرخ أيضا : « الكلام ده على البر . . إنت هنا فى سفينتى وأنا الحاكم الآمر الناهى هنا » !!! . . . كلانا الآن يصرخ ونتكلم بأعلى صوتنا حتى تسمعنا السفينة كلها : وڤيسمار كلها ، وألمانيا الشرقية كلها إذا أمكن : « أنا حسين قدرى على البر وفى البحر وفى أى مكان فى الدينا . . أنا حسين قدرى وأنا لابس هدومى وأنا قالع ملط وواقف تحت الدش . . إحترامى محفوظ ومكانتى محفوظة مع الجن الأحمر مش معاك أنت بس . . وإوعى تتصور إن فيه فى مصر الآن حد كبير على العقاب أو كبير على إنه يتجازى ؟ . . أكبر منك وأعظم منك ألف مرة إتعاقبوا واتحاسبوا واتجازوا رؤساء وزراء اتعاقبوا ودخلوا السجن لما غلطوا ، وأنت الغلط ماليك من فوقك ومن تحتك . .

إنت مش حاسس إنت بتعمل إيه والا بتتصرف إذاى ؟ !» . . . . وهدأت قليلا بعد أن أفرغت طاقتى العصبية وقلت كل ما أريد وكل ما فى نفسى واسترحت . . وسكت هو الآخر حين رآنى سكتت : وحاول أن يلم الموضوع فبدأ يتكلم فى موضوعات أخرى وعن كتبى التى تفتقر إلى المرونة وليس فيها ما يجذب القارىء فقلت له : « ما تشغلش بالك أنت بكتبى وكتاباتى ، خلى المسألة دى لى أنا اللى أنشغل بيها . . أنا شكل كتابتى كده ومش حا أغيرها علشان أبسط سعادتك » فقال متظارفا : « إنت إكتب اللى أنت عايزه وأنا كمان حاكتب عنك . . دا أنا حاكتب عنك كتابة فقلت ببرود : « هى الرحلة دى غالبا حاتنتهى على كده . . أنت حاترجع منها كاتب ، وأنا حارجع منها قبطان » واستطرد وأنا أقوم منصرفا : « بس أنا حاكون قبطان كويس » !!! . .

لم أكن أتوقع أن تنتهى المسألة هذا الحد . . لذا فإننى لم إندهش حين فتح معى كبير الضباط فى اليوم التالى موضوعا غريبا جدا أن يثار الآن فيه أى كلام بعده ٥٠ يوم من بدء الرحلة ، بعد أن كادت الرحلة أن تأخذ طريق العودة . . واضح أن القبطان يصدّر كبير الضباط ليكلمنى فى هذا الموضوع حتى يتلقى كبير الضباط رد الفعل منى وحتى أصطدم وانا بـ « على أبو طالب » . . القبطان أصدر قرارا بمنع صعود الأكل إلى القمرات ، وبأن ينزل الجميع ليتناولوا طعامهم فى الصالون تحت فى الوجبات الثلاث : الإفطار والغداء والعشاء !! . . ولما كان لا أحد فى السفينة كلها يرسل اليه الأكل فى قمرته غير خمسة فقط : القبطان ، والمهندس « عبده صالح عبده » : « سلمى » وأنا . . دعنا من القبطان فهو : قبطان ، لكن الآخرين . . سألت « على أبو طالب » : « وهل سيسرى هذا القرار على المهندس عبده عبده وصبرى سالوسة ؟ ! » فرد بطريقة غريبة جدا فيها استغلاب وفيها واحد مغلوب على أمره : « ما تسألشى عن المهندس عبده وسالوسة . . دول ناس عاقين وما بيسمعوش الكلام ولا بيطيعوا أوامر ولا قانون » !! . . قلت مندهشا : « يعنى إذن الفرمان ده صادر علشانى أنا وسلمى بس ؟ ! . . إحنا اللى مش عاقين وناس مهذبين وبنسمع الكلام وبنطيع القانون علشان كده بتصدر لنا قرارات متفصلة على مقاسنا ما حدش ينفذها إلا إحنا ؟ ! . . لأ ياعلى ، القرار ده أنا مش حانفذه . . ولو ماطلعليش الفطار بكره الصبح فى ميعاده تبقوا إنتم مانعين عنى الأكل وحابلغ البوليس الألمانى هنا وأبلغ السفير المصرى فى برلين وأبلغ رئيس مجلس إدارة الشركة فى إسكندرية وأنيس أنسى فى هامبورج وحسن صبرى فى بولندا : وحابلغ إتحاد الصحفيين الدولى فى تشيكوسلوفاكيا : وحاقلب الدنيا فوق دماغكم هنا . . ولو القبطان ماطلعليش ، أنا كمان مش حانزل أتغدى وحاضرب عن الأكل وأحملكم مسئولية اللى يحصل بعد كده . . أنا معتبر على السفينة هنا (راكب) والتذكرة اللى معايا بتقول إنى (راكب)ومن حقى إنى آكل فى القمرة بتاعتى وقت ما أنا عايز . . مش حانزل الصالون ياعلى حتى لو المهندسين نزلوا . . وبلاش نتناقش فى الموضوع ده أكثر من كده : لأنى مش حانفذ القرار اللى القبطان مفصله على مقاسى ده !!! . . .

وعاد كبير الضباط

عصر اليوم نفسه ليبلغنى أن القبطان مصر على رأيه : وانه ـ أى القبطان ـ زيادة فى العند والتنكيل والإستثارة قد أعفى المهندسين « عبده صالح » و « سالوسة » من هذا القرار لأن القانون المصرى يعطيهما هذا الحق . . هذا الحق الذى يمنعه على الركاب !! . . فقلت لـ « على » : « وكان فين القانون منذ بدأت الرحلة من ٥٢ يوما . . والا القانون المصرى ده صدر جديد النهاردة الصبح بس وجالكم على التكلس دلوقتى حالا ؟ ! » . . فحاول « على » بأن يقنعنى بأن : « طيب تعالى نروح سوا عند القبطان نكلمه فى المسألة دى . . وأنا متأكد أنك لما تتكلم كويس وبطريقة كويسة حايصهين عن تنفيذ القرار ده !! » . .

آه . . إذن فهذا هو المطلوب يا سعادة القبطان : أن أتحايل عليك واترجاك وأروح لك لحد عندك علشان أقبل الأعتاب و (تسمع شكواى) و (تنظر فيها) ؟ ! . . لأ يا سيدى مش حاريحك وزى لما يحصل يحصل . . والبادى أظلم . .

وفعلا : جاء السفرجى

« عطيطو » مساء إلى قمرتى ليخبرنى بأنه قد صدرت تعليمات إلى المطبخ بعدم إرسال الوجبات إلى الصحفيين فوق ، وإننا إذا كنا عايزين نتعشى تحت فى الصالون نتفضل . . . .

ولم نتعشى الليلة ـ « سلمى » ولا أنا ـ لا فى قمراتنا ولا فى الصالون . . بعد ان قالت « سلمى » أنها تتبعنى أنا وأن الذى سيسرى علىّ سيسرى عليها هى الأخرى . . . . وأثارت هذه المسألة لغطا بين ضباط السفينة الشبان : واتصل بى بعضهم بالتليفون ليتأكد مما حدث بعد أن ظنوها مجرد إشاعة . .

وكحركة خلفية شهمة

جدا فى ظاهرة حقيرة فى باطنها : طلبنى كبير الضباط بالتليفون فى الساعة الحادية عشر ليلا لأذهب إليه فى قمرته لأنه يريدنى لأمر هام : وهناك وجدت عنده الضباط الثانى « الحسينى » : وحاول الإثنان إغرائى بتناول العشاء الذى وجدته موضوعا على المائدة فى القمرة على أنه عشاء كبير الضباط شخصيا !! . . فلما رفضت وسألت « على » ساخرا : « وإيه اللى طلع الأكل ده هنا ؟ ! مش القرار بيقول مفيش أكل يطلع فى القمرات ؟ ! » حاول « على » بأن يضغط على من (إيدى اللى بتوجعنى) قائلا : « على الأقل علشان الآنسة سلمى

ضعيفة وحاتتعب ومش حا تستحمل . . وهى ذنبها إيه ؟ . . طيب خد لها هى الأكل ده إذا كنت انت مش عايز تأكله !!!!! . . . .

عالم غريب غريب غريب عالم البحر هذا . . لم أعرف حقيقة ما إذا كان هؤلاء الناس ضباط بحريين بصحيح أم قراصنة . . .

وسهرت الليلة فكتبت

١٠ برقيات باللغة الإنجليزية سأرسلها غداً صباحا إلى مصر : إلى رئيس مجلس إدارة الشركة فى الإسكندرية ، إلى وزير النقل البحرى فى الإسكندرية ، . . إلى « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى غرب أوروبا فى هامبورج . . إلى « حسن صبرى » ممثل الشركة فى شمال أوروبا فى بولندا . . إلى رئيس الوزراء فى القاهرة . . إلى وزير الداخلية فى مصر . . إلى نقابة الصحفيين فى مصر . . إلى إتحاد المحررين الألمان فى برلين . . إلى الأتحاد الدولى للصحفيين فى تشيكوسلوفاكيا . . إلى رئيس تحرير مجلة « الإذاعة والتليفزيون » فى القاهرة . . . . . فما دامت المعركة قد بدأت فلتستمر إلى آخر مداها ولتتحمل الشركة نتيجة تصرفات قبطانها الـ . . . . . عاقل جدا . . . . . .

الفصل العشرون

الرجل ..
والصرصار !

عم «زكريا خليل» الرجل

العجوز الذى يغسل الأطباق فى مطبخ السفينة .. جاء يدق باب قمرتى فى الساعة السادسة صباحا ليسألنى ماذا أريد إن آكل أنا والست «سلمى» ؟! .. وقبل أن أفيق من دهشتى لأرد عليه كان هو يستطرد بإباء وعزة وشهامة أولاد البلد الحقيقيين : «أوعى تفتكر إنى حاجيب لك حاجة من المركب هنا ؟ .. أنا معايا فلوس وحانزل البلد أجيب لك اللى تؤمر بيه» ....

لفتة كريمة هائلة وتصرف عميق المغزى من إنسان بسيط جدا : مجرد عامل يغسل الصحون فى المطبخ ، يقابله فى الناحية الأخرى تصرف آخر لإنسان المفروض فيه أنه كبير ، لكن تصرفه حقير ، حين يمنع الطعام عن إنسان آخر .. لكن الإنسانية والأخلاق عمرها ماكانت بالوظيفة ولا المركز ... وكم من انسان مركزه كبير لكنه هو نفسه حقير كصرصار من صراصير المجارى ، وكم من رجل بسيط ، لكنه «رجل» .... وذلك يكفيه ....

وكان طبيعيا ألا يرسل

إلينا طعام الإفطار اليوم فى قمراتنا مادام العشاء ليلة أمس قد منعوه .. الغريب فى الأمر أن السفرجى «عطيطو» جاء صباحا يحمل لى الشاى واللبن !! مدهش .. يعنى السفرجى ممكن أن يجىء بالشاى واللبن فى القمرة لكن الأكل لأ ؟!! .. ورفضت الشاى واللبن طبعا وأعدته مع «عطيطو» .. الناس دول هبل ومابيفكروش .. شاى ولبن إيه اللى باعتينه !! .. صحيح لو أعطيت للمجنون ألف عقل على عقله حايفضل برضه مجنون ، مادام الأساس فيه هو الجنان حايجيب العقل منين ؟! ..

لكن أولاد البلد

- رغم ذلك - ليسوا جميعا عينة واحدة ولا طينة واحدة .. وبقدر ماينفصل ابن البلد عن بيئته ويحاول أن يخرج عنها ويعمل أفندى ويتمحك فى طبقة أعلى منه ، بقدر ما تتغير أخلاقه فلا يحصل إبن البلد ولا هو قدر يبقى أفندى ....

« برهام » رئيس السفرجية ، وهو الآن أفندى شيك ومنظر وطول وعرض . . « برهام » يقابلنى صدفة على سلم السفينة وأنا عائد عصرا فيقول لى بـ « شهامة » و « شجاعة » و « فروسية » : « أنا كنت ناوى أتحدى الأوامر وأطلع لك الأكل بنفسى فى القمرة بتاعتك فوق . . لكن رجعت قلت ياواد بلاش مشاكل وخليك إنت بعيد . . إنت عارف ياأستاذ حسين إننا مافيش فى إيدينا حاجة » !! . . .

فى مكتب وكيل الشركة فى الميناء قابلت صديقى مستر « شتيجهان » وحكيت له ماحدث ، فأخذنى لنقابل معا المدير العام لأحكى له ماحدث مرة أخرى ، وطلبت منه أن يرسل البرقيات العشرة التى كتبتها للمسئولين فى مصر ، وأن يطلب لى على التليفون السفير المصرى فى برلين ، وأن يذهب معى بعد ذلك إلى مدير الميناء وإلى البوليس الألمانى وإلى عمدة المدينة ، لكى يحاطوا جميعا علما بما يحدث وبأن قبطان سفينتنا المصرية قد منع الطعام عنى وعن الزميلة الصحفية التى على السفينة أيضا ، وأننا ـ بالتالى ـ مضربان عن الطعام منذ ٢٤ ساعة . . .

وحاول الوكيل أن يقنعنى بأن هذه مسألة داخلية بيننا وبين القبطان نسويها نحن داخليا ونتفاهم مع القبطان وديا ، وأنه ـ حتى ـ لاعلاقة له أصلا بهذا الموضوع كله لأن المفروض أن علاقته بقبطان السفينة فقط ولا علاقة له بالأفراد عليها ، وأنه لن يستطيع أن يرسل برقياتى إلى مصر إلا إذا وقع عليها القبطان واعتمدها !! ـ (يعنى مطلوب منى أن أحصل على موافقة القبطان على أن أشكوه) ـ . . فقلت للوكيل ببساطة جدا أننى ماجئت إليه إلا لأننى تصورت أنه مادام يمثل الشركة هنا فانه بالتالى يمثلها فى مواجهة المتاعب التى تحدث للناس الموجودين على سفنها ، لكن مادمت كنت فأهم هذه المسألة غلط فإننى اعتذر إليه عن سوء فهمى ، وسأذهب أنا بنفسى ، ودون حاجة إليه ، إلى البوليس الإلمانى وإلى مستر « دومكه » مدير الميناء وإلى عمدة المدينة مستر « شرادى » لكى أضع المشكلة كلها أمامهم وأتركهم يتصرفون . . فإذا لم يفعلوا جميعهم شيئا فسوف أرسل برقية عادية من مكتب التلغراف إلى السفير المصرى فى برلين أطلب منه الحضور حالا إلى هنا ليتصرف هو شخصيا فى هذا الموقف . . .

وانتفض الوكيل من تشددى وإصراى ، فالبوليس الألمانى الشرقى شىء مرعب يحاول أى إنسان هنا مهما كان مركزه أن يتجنبه ويتحاشاه ويبتعد عن طريقه . . وطلب الوكيل منها أن أترك له مهلة ربع ساعة فقط يذهب فيها بنفسه إلى السفينة ليلتقى بالقبطان ويناقش معه هذه المشكلة . . .

وذهب فعلا ، وعاد ليقول لى أن القبطان مصر على تنفيذ رأيه مهما حدث ومهماكانت النتيجة ، وأنه ـ أى القبطان ـ قد وافق على أن أرسل البرقيات التى أريد إرسالها إلى أى إنسان فى الدنيا على

شرط أن أوقع على إيصال بسداد تكاليفها للشركة فى الأسكندرية بعد عودتى !! - (واضح جدا أنه ، فعلا، قلبه على فلوس الشركة وأموال الشركة ومصلحة الشركة !!) - . . ولم أمانع طبعا ، وأعطيت البرقيات للوكيل ليرسلها ، وطلبت منه أن يطلب لى برلين تليفونيا لأكلم هناك السفير المصرى « مصطفى توفيق » . . وأخذ الرجل البرقيات من يدى وهو يكاد يبكى لأنه يعرف جيدا أن الدنيا حاتتطربق فوق دماغه وأن الموقف لو انفجر هكذا فسوف يكون أول من يصيبه رذاذه هنا ، من السلطات الألمانية الشرقية ومن الحزب ومن الحكومة الألمانية أيضا . . وحاول مرة أخرى أن يقنعنى بأن نذهب معا إلى السفينة ونقابل القبطان لنحاول أن نجد حلا غير ذلك ، لكننى أصررت على موقفى فقلب البرقيات فى يده وقرأها كلها واحدة بعد أخرى ، وبعد كل واحدة يزداد وجهه إمتقاعا واصفرارا ، حتى وصل إلى البرقية التى كتبتها إلى رئيس الوزراء المصرى فقال مفزوعا متوسلا : « ورئيس الوزراء أيضا ؟! طيب بلاش دى » . .

ثم رجانى رجاء أخيرا و : « بعدها إفعل ماشئت وسأنفذ لك كل ماتطلبه » . . . طلب منى أن أمهله ٤ ساعات فقط ، ٤ ساعات بالعدد ، فقط لاغير . . إن لم يستطع أن يتصرف خلالها فإن لى كل الحرية فى أن أفعل ما أشاء . . . « ماذا سوف تفعل ياسيادة الوكيل ؟ » . . « سأتصل بكابتن أنيس أنسى ممثل الشركة فى غرب أوروبا فى هامبورج . . وأناواثق أنه قادر على حل كل الأمور ، فإن لديه كل السلطة ليفعل أى شيء وهو رئيس مجلس إدارة فعلى للشركة فى أوروبا كلها وليس فى غرب أوروبا فقط . . ما رأيك ؟ ٤ ساعات فقط . . وقبل الظهر - أنا متأكد - سيكون كل شيء قد إنتهى وتكون المشكلة قد حلت تماما . . . أرجوك أن توافق » !! . .

ووافقت .. والتقط الرجل

أنفاسه وتنفس الصعداء كأنما طفا أخيرا فوق سطح الماء ، لكننى فى الوقت نفسه أصررت على أن أكلم السفير المصرى فى برلين لكى يكون فى الصورة ويعرف كل ماحدث . .

وكلمت السفير « مصطفى توفيق » فى برلين ، وكنا قد تكلمنا عدة مرات من قبل خلال فترة وجودى فى « فيسمار » ورويت له كل ماحدث بالتفصيل وشرحت له الموقف تماما ، وقلت له أن القبطان منع عنا الطعام أنا و « سلمى » وبالتالى فإننا مضربان عن الطعام منذ ٢٤ ساعة . . وأننى كتبت برقيات لأرسلها الى رئيس الوزراء فى مصر ووزيرى الداخلية والنقل البحرى وإتحادى الصحفيين العالمى والألمانى وممثلى الشركة فى هامبورج وفى جيدانسك إلخ إلخ إلخ . . وأننى رأيت أن أتصل به أولا لأنه هو السفير المصرى المسئول عن المصريين هنا جميعهم . .

و - ببساطة جدا - طلب السفير منى ألا آكل فى السفينة وأن : « إنزل كل فى رستوران ياأخى » !! . . منطق عظيم جدا كان - فى الحقيقة غائبا عنى وعن تفكيرى فعلا ، وهذه هى ميزة التفكير الديبلوماسى فى .

حل المشاكل : السهل الممتنع !! . . قلت للسفير أن المسألة ليست مسألة رستوران وانما هى مسألة موقف ومبدأ ومسألة تصرف غريب جدا جدا من قبطان سفينة مصرية اعطى نفسه الحق فى أن يمنع الطعام عن الركاب ؛ وأننى أظن ـ على قدر معلوماتى ـ أنه ولا رئيس الجمهورية نفسه يملك حق منع الطعام عن أى انسان حتى لو كان مجرما أو خائنا أو جاسوسا . . فليس هناك إنسان فى الدنيا يملك حق تجويع إنسان آخر وحرمانه من الطعام ؛ واننى بعد ذلك كله لا أستطيع ـ مهما كان الشكل الذى سينتهى اليه الموقف ـ لاأستطيع أن أطمئن الى عودتى على سفينة واحدة مع هذا القبطان غير طبيعى التصرفات " . . .

وانتقل انفعالى إلى السفير فثار هو الآخر وقال لى : " طيب ماتعملش أنت حاجة أبدا إلا لما اطلبك أنا فى التليفون تانى " وقال أنه سوف يطلب القبطان على التليفون ويشوف إيه الحكاية وأن أطمئن جدا إلى أن هذا الموقف سوف ينتهى بالشكل الذى يرضينى . . وأنه سوف يتصل به مرة أخرى بعد أن يكلم القبطان . .

وقبل أن تنتهى المكالمة بينى وبين السفير " مصطفى توفيق " عدت الى تذكرته مرة أخرى بأننى و " سلمى " ممنوع عنا الطعام منذ ٢٤ ساعة ؛ وأننا لن نستطيع أن نستمر فى ذلك طويلا ؛ لكننا أيضا لن نعدل عن موقفنا مهما كانت الظروف . .

صدق كلام وكيل

الشركة فعلا . . فقبل أن تمضى الساعات الأربع التى طلبها منى كمهلة ؛ كان القبطان " أنيس أنسى " قد وصل فعلا الى " فيسهار " . . والتقيت به بالصدفة وأنا خارج من الميناء : سيارة شيك جدا أمريكية الطراز ذات أرقام المانية غريبة تتوقف إلى جانبى فجأة فى الشارع ليطل منها رجل أشيب وقور ليقول لى بلهجة مصرية واضحة وهو ينظر فى عينى كأنما يختبر فراسته : " السلام عليكم . . ماتعرفشى من فضلك البوليس بتاع هنا فين ؟" قلت له على الفور وقد استنتجت شخصيته ولم أشا أن أبدو أقل منه ذكاء : " أنت القبطان أنيس أنسى ؟! " فقال وهو يفتح باب السيارة لينزل منها مرحا واثقا : " تبقى أنت الأستاذ حسين قدرى " . . ورحب بى بشدة وبصدق ؛ وركبنا معا فى سيارته وهو يطلب منى أن أحكى له ما حدث بالضبط ؛ فلما رويته لى اتسعت عيناه من الدهشة والذهول وهو يسألنى : " هو مين القبطان ده اللى معاكم ؟ قلت له : " فلان " فقال وقد زالت دهشته : " ياه . . . دا راجل مجنون وطول عمره مجنون وملخبط الدنيا ومفيش رحلة طلعها إلا ورجع منها عامل مشاكل مع كل الناس "!! . . وطلب منى أن أطمئن تماما إلى أنه سوف ينهى هذا الموقف بالشكل الذى يرضينى تماما ؛ ليس ذلك فقط ؛ وإنما هو ايضا لايستطيع أن يطمئن إلى اتمامنا الرحلة مع هذا القبطان بعد ذلك ؛ ولذا فسوف يرتب لنا بمجرد عودته إلى هامبورج مساء اليوم أن ننتقل غدا الى سفينة مصرية أخرى تابعة لنفس الشركة موجودة الآن فى ميناء هامبورج ؛ لكى نعود معها إلى الاسكندرية . .

وفي السفينة يجمعنا

نحن الأربعة فقط : أنيس أنسي " وأنا ووكيل الشركة والقبطان ؛ إجتماع مغلق في قمرة القبطان . . ويحاول " أنيس أنسي " في البداية أن يجعل الموقف يمر بهدوء فيقول أن الرحلة في البحر حين تطول يفقد الناس على السفينة اعصابهم نتيجة بعدهم عن بيوتهم وأولادهم ؛ وقطعاً القبطان لايقصد ماحدث وأن من حق الأستاذ حسين أن يأكل في قمرته أو في المكان الذي يستريح فيه . . لكن القبطان ـ المخضوض فعلا من وصول " أنيس أنسي " المفاجيء من هامبورج الذي لم يكن يتوقعه ولم يكن يخطر على باله أن يحدث سريعا جدا هكذا ـ يحاول أن يفلفص وأن يبدو متماسكا ؛ فيقول في احتجاج معاتبا : " لأ ياقبطان أنيس . . إنت كده بتركبه عليّ " . . ثم يكذب ويحاول أن يغير الحقائق ويحكى أشياء لاعلاقة لها بالموضوع على الإطلاق محاولا كعادته أن يشوش على الموضوع الأصلي ؛ لكن " أنيس أنسي " صده بجفاء وحزم بأن الحق في جانبي تماما وأن من حقي كراكب أن أتناول طعامي في قمرتي وقتما أشاء ؛ وفي الوقت نفسه فان ذلك ليس من حق الباشمهندسين كما يدعى القبطان !! . . فقال القبطان مدافعا بتخاذل بأن الباشمهندسين " هم اللى ضحكوا عليه وفهموه كده " !! . . الرجل الذي له ٣٨ سنة في البحر منذ كان في الرابعة عشرة من عمره ؛ وله ١٧ سنه في وظيفة قبطان ؛ لايعرف إن كان من حق الباشمهندسين أن يتناولوا طعامهم في قمراتهم أم لا . . لكنه ـ كما هو واضح ـ يعلم ومتأكد جيدا أن ذلك ليس من حق الركاب !! . . ويتضح أيضا أن ذلك خطأ . . ربنا يستر والمهندسين ما يضحكوش عليه كمان ويقولوا له السفينة بتاعته بتسير بالتبن والعلف والعليق . . . .

وحسم « أنيس أنسي »

الموقف بأن ذلك حقنا تماما أن نتناول طعامنا في قمراتنا ؛ وأنه ترضية منه ـ ومن القبطان ـ واعتذارا لنا وردا لاعتبارنا ؛ سوف نتناول الغداء الآن جميعا على مائدة القبطان شخصيا وفي قمرته شخصيا ؛ و : ديك رومي !! ـ من الحاجات اللي متدكنة للمناسبات القبطانية السعيدة !! ـ . . وقام " أنيس أنسي " ليطلب " سلمى " من قمرتها بالتليفون ليطلب منها أن تقبل إعتذاره الشخصي عما حدث ؛ ويطلب منها أن تنضم الينا في هذه الوليمة الرومي !!

وأيضا قال أنه من حقنا مادامت الرحلة قد طالت عن المدة المقررة لها ؛ أن تتحمل الشركة صاحبة السفينة تكاليف عودتنا بالطائرة إذا شئنا ؛ أو تتحمل هي قيمة بدل سفرنا عن المدة التي زادت عن البرنامج الأصلي . . وسلمني مائه مارك غربي مؤقتا وتحت حساب بدل سفر المستحق لنا عن المدة الزائدة ؛ على أن يتم تسوية الموضوع كله بمجرد وصولنا إلى هامبورج غدا لنلحق بالسفينة المصرية الأخرى هناك . . وأهداني أيضا قلمه الحبر جاف الشيك جدا المصنوع من الصلب ؛ كاعتذار وترضية وعربونا لصداقة جديدة بيننا ؛ ولكي أكتب مقالاتي القادمة (بقلم أنيس أنسي) . .

وبما أن الموضوع قد انتهى بسلام هكذا ؛ فإنه لم يعد هناك منها . . فيقرأ من برقيتى إلى رئيس مجلس إدارة الشركة التى أقول له فيها أن قبطان السفينة يتصرف كشخص غير طبيعى طبعا لإرسال هذه البرقيات . . ومد " أنيس أنسى " يده وأخذها من يد وكيل الشركة ليقرأ بصوت عال وعلى مسمع من القبطان والجميع ـ بطريقة ذكية جدا وخبيثة جدا ـ أسماء المسئولين المرسلة إليهم البرقيات وأجزاء سريعة - ومجنون ؛ فاتخض القبطان وغضب وقال : " ما هى دى وحشة أوى دى " فلما وصل " أنيس أنسى " فى قراءة أسماء المسئولين إلى إسم رئيس الوزراء إصفر وجه القبطان وبهت وانهار تماما وصاح مذعورا : " رئيس الوزراء ؟! رئيس الوزراء ليه ؟؟ هى المسألة كانت محتاجة لرئيس الوزراء ؟! " فقلت له مندهشا : ياسلام ؟! هو انت عايز تمنع الأكل عن اتنين مصريين ؛ وصحفيين ؛ والمسألة ماتوصلشى لرئيس الوزراء ورئيس الجمهورية كمان ؟!. . واضح إنك طيب جدا ؟! " . . .

ساعات قليلة جداً

هى التى أمضاها " أنيس أنسى " على السفينة ؛ بل وفى " فيسبار " كلها ؛ فإنه فى نفس المساء عاد إلى هامبورج فى ألمانيا الغربية بعد أن أعاد كل شىء إلى موضعة على السفينة المجنونة ؛ ووضع كل واحد فى مكانه الصحيح ؛ وحسم كل الأمور . . مسألة قيادة أولا : إذا اهتزت القيادة إهتز كل الناس تحتها وتصرفوا على كيفهم ولخبطوا الدنيا ؛ واذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل بيته الرقص والهلس والهيافة والتصرفات المجنونة ؛ ولهم فى (رب بيتهم) القدوة والمثل والنموذج . .

قبل أن يترك " أنيس أنسى " السفينة كان أيضا قد أنهى الموقف الهندسى المتأزم . . إنها بحسم شديد لصالح مهندس الترسانة " أحمد الاعرج " وكان فى صفه تماما وأعطاه الحق تماما وأنه هو المسئول مسئولية كاملة عن السفينة تماما . . وقال " أنيس أنسى " للمهندس " عبده عبده " أن تصرفاته ـ فنيا وهندسيا وأخلاقيا ـ ممكن أن تذهب به الى السجن ؛ حتى أن المهندس بكى بالدموع أمام " أنيس أنسى " و" الأعرج " والقبطان وهو يعتذر عن خطئه بأنه لم يكن يعرف ذلك !! . . . راجل باشمهندس بحرى منذ عدة سنوات وعامل ابو على ودايما مبرق عينيه ورافع حاجب ومنزل حاجب زى فريد شوقى وعادل أدهم وفى الآخر يعيط زى ليلى حمادة وزيزى البدراوى ويقول أنه ماكانشى يعرف !!! . . . . .

وآه . . . . ياشركة ضحكت من ظرفها الشركات !! . .

الظريف ، الظريف جداً

جدا جدا جدا . . أن القبطان بعد أن انتهت الأزمة بيننا بالصلح وإن اللى فات مات وخلاص نبتدى من الأول ؛ حين سمع " أنيس أنسى " يقول أننى و" سلمى " سوف ننتقل إلى سفينة أخرى هامبورج ؛ وناقش " أنيس أنسى " معى ترتيب سيارة

تنقلنا وحقائبنا من السفينة " رمسيس الثانى " من " ڤيسهار " الى هامبورج ؛ تطوع القبطان ليقول بشهامة : " ماتشغلش نفسك بشنطكم وحاجاتكم ؛ سيبوها لى وأنا آخدها لكم معايا إسكندرية "!!!!! . . . . .

قمرتى التى فتحت فى غيابى أثناء وجودنا فى مدينة " چيفرين " وحقائبى التى فتشت تفتيشا بوليسيا ؛ يريدنى أن أتركها له ليأخذها معه إلى الإسكندرية !! . . الرجل الذى لم يكن أمينا علينا وعلى حياتنا شخصيا ؛ يريدنا أن نتسأمنه على حقائبنا ليأخذها (معه) إلى الإسكندرية !!! . . . . . .

لأ ياقبطان ؛ متشكرين ؛ كتر خيرك . . . .

الأكثر من ذلك

ظرفا بكثير جدا ، جدا جدا جدا أيضا ، أننا حين جلسنا الليلة ، « سلمى » وأنا ، نناقش المسألة من جميع جوانبها ووجوهها . . رأينا أننا لو تركنا السفينة « رمسيس الثانى » الآن وانتقلنا إلى سفينة أخرى ، فإن رحلتنا لاتكون قد اكتملت ، ونكون قد هربنا من الموقف ، وشكل العمل الصحفى الذى بدأناه وتحملنا متاعبه ومشاكله ورذالته طول هذه الفترة ، لم نستطع أن نصمد له حتى النهاية . . .

لذا . . قررنا أن نصرف النظر عن الإنتقال إلى السفينة الأخرى فى هامبورج . . ونكمل الرحلة حتى النهاية مع السفينة « رمسيس الثانى » وليكن مايكون ، وعلى قلبهم لطولون !!

الشىء الوحيد الذى

يدهشنى فى الموضوع كله وأفكر فيه دائما هو : « ياقوت » ؛ لماذ فعلت هذا بأخيك ؟! . . لماذا أرسلنى « حسين زاهر ياقوت » رئيس مجلس الإدارة السابق مع هذا القبطان بالذات إذا كان يعلم هذه هى سمعته وشهرته وأنه مجنون وبتاع مشاكل ؟! . . هل كان لـ « ياقوت » غرض من ذلك ؟! . . هل كان يريد أن يضع أمامى عينة من نوعية الناس الذين يتعامل معهم ، لكى أعذره ؟! . . أم كان يريد أن أرى بنفسى كيف يدور العمل فى شركة كبار المسئولين فيها بنوعية هذا القبطان ؟! . . أم كان يريد أن يضعنى أنا شخصيا فى مطب مع رجل مجنون ، ولماذا ؟!!

أسئلة لم أستطع حتى الآن أن أعثر على إجابات لها . . . .

أعلنت إذاعة القاهرة

التى نسمع برنامجها العام هنا بوضوح جدا . أن غدا هو أول أيام شهررمضان فى مصر وكل سنة واحنا طيبين . . سادس رمضان يأتى علىّ وأنا فى أوروبا ، منهم ثلاث رمضانات ـ بأعيادهم ـ قضيتهم كاملين فى أوروبا . . نسمع إذاعة القاهرة طول الليل : الأوبريت الإذاعى العظيم (رابعة العدوية) الذى غنت فيه أم كلثوم مجموعة من أغانيها الرائعة ، كان مذاقه على آذاننا جديدا تماما ونحن نسمعه هنا على بعد آلاف الأميال عن مصر . . . .

ومن نظام الشركة

صاحبة السفينة أنه حين يأتى شهر رمضان على سفينة من سفنها وهى فى رحلة من رحلاتها فى البحر ، فإنه يصرف لكل فرد من أفراد الطاقم ٢ كيلو ياميش كهدية من الشركة . . لكن الضابط الإدارى لسفينتنا ـ الذى كان كلبه يأكل البندق ـ أفتى بأنه فى هذه المرة سيصرف لكل فرد كيلو ياميش واحد فقط . . . فلما قيل له : « ليه ياسعد أفندى ؟! الفرق ده لمصلحة مين ؟! إذا كانت الشركةنفسها ـ اللى حاتدفع ـ بتقول ٢ كيلو ، إنت تقول كيلو واحد ليه ؟! » . . فكان رده : « من غير ليه . . هو كده ، وابقوا اشتكوا للشرنة لما ترجعوا اسكندرية !! . . غلاسة وغتاتة ، لانه يعلم جيدا أنهم حتى لو اشتكوا للشركة بعد العودة وطلع عندهم حق فإنها سوف تصبح مجرد شكوى لكنهم لن يصرفوا كيلو الياميش الفرق فى الاسكندرية ، لأن بعد العيد مايتفتلش ياميش !! . . . . . .

أول سحور لليلة

أول رمضان . . الأربعة الكبار على السفينة لم يتسحروا مع أفراد الطاقم ، وكان الواجب أن يفعلوا ولو هذه الليلة فقط من باب المشاركة فى الإحتفال . . لكنهم تناولوا سحورهم فى بار « كوربيانكا »محتفلين بقدوم شهر رمضان المعظم أعاده الله عليهم باليمن والعمولات . .

على السحور قدموا لنا صنف الحلو طبق مهلبية بالزبيب وجوز الهند ، فتساءلت « سلمى » : « هم ماجابوش ياميش والا إيه ؟ » فيرد الضابط الثانى « الحسينى » : « هم جابوا » ، لـ (حسان) . . لكن هو مابيحبش الزبيب ولا جوز الهند ، فنزلوهم لنا احنا » !! . . . . . .

الأيام تجرى بسرعة

البرق . . لنا هنا الآن فى « ڤيسبار » ٤١ يوما ، حدثت فيها أحداث ، والتقينا بناس أحببناهم وناس أحبونا . . وعرفنا شوارع هذه المدينة الصغيرة الجميلة وعرفتنا وألفناها واعتدنا عليها وألفتنا واعتادت علينا . . واكتسب وجودنا فيها شكل الإعتياد والتعود ، حتى أن فكرة السفر والرحيل عنها غابت تماما عن أذهاننا فلم نعد نفكر فيها . . لدرجة أن الأمر كان مفاجأة لنا ظهر اليوم حين علمنا أن عملية شحن السفينة سوف تكتمل تماما ظهر بعد غد ، ونرحل لنستأنف مشوار رحلتنا عصر اليوم نفسه . . فخرجنا فى المساء وفى القلب غصة نودع المدينة الظريفة الصغيرة ونملأ عيوننا منها ، من كل شىء فيها . . ستوحشنا جدا « ريناتيه » الجميلة الحزينة . . ستوحشنا جدا « سابينا » التفاحة الشقراء المرحة وحيوية بنت الـ ١٩ الجميلة . . ستوحشنا صديقنا العجوز « شتيجهان » بأحاديثه الظريفة وخفة دمه . . ستوحشنا البائعات الحسناوات الجميلات فى محلات المدينة ، وجميعهن لانعرف أسماءهن ولايعرفن أسماءنا ، لكن الألفة كانت موجودة بيننا وبينهن طول الوقت حتى أننا كنا حين نلتقى بهن فى شوارع المدينة الصغيرة بعد انتهاء عملهن كنا نحييهن وكن يحيننا ويبتسمن لنا . . سيوحشنا « الواد اللواء » الذى كان يقف فى كشكه الزجاجى أمام سفينتنا يحرسها ويحرسنا ، رغم ماسببه لنا من المتاعب فى آخر يوم لنا فى « ڤيسبار » . . . .

آخر يوم لنا

فى « ڤيسبار » . . غدا تبدأ رحلة العودة . . كالعادة دائما فى اللحظات الأخيرة من النهايات يكتشف المرء عشرات الأشياء الصغيرة قد نسى أن يقوم بها مؤجلا إياها يوما بعد يوم ، حتى يكتشف أن الوقت قد سرقه وأنه لم يبق إلا أقل القليل . . .

إكتشفت « سلمى » اليوم أنها قد صورت كل شبر فى « ڤيسبار » ونسيت شيئا هاما جدا فى نظرها من الناحية الصحفية : نسيت أن تصور (الواد اللواء) الواقف على باب السفينة . . لكن كان لازال أمامنا وقت لتدارك هذا النسيان . . .

ونحن نازلان من السفينة صباح اليوم دارت « سلمى » بكاميراتها وراء الكشك الزجاجى من الناحية الأخرى وانتظرت حتى مد « الواد اللواء » يده من داخل الكشك ليسلمنى جواز سفرى ، و « تك » . . التقطت له صورة . . . وشعر هو بما حدث فالتفت إلى « سلمى » ورفع يده فى وجهها أن *NO NO NO* . . فسألته أنا بتساذج إن كان ذلك ممنوعا ؟ فقال أنه ممنوع . . وانتهى الأمر عند هذا الحد . . .

بعد عودتنا إلى السفينة ظهرا ماكدت أستقر فى قمرتى حتى رن جرس التليفون ، وعلى الطرف الآخر من الخط جاءنى صوت « الحسينى » الضابط الثانى مضطربا مرتبكا يقول أن عنده ضابطين من البوليس الألمانى يريدان تفتيش قمرتى الآن فورا وحالا ، وهما يعرفان أنه يكلمنى الآن ، ويسألنى إن كان هناك شيء يجب إخفاؤه فأخفيه قبل وصولهما عندى !!!!! . . . . .

خطر على بالى لحظتها بسرعة جدا كل الخواطر السيئة الممكنة : القبطان أو المهندس « عبده عبده » دسا لى شيئا غير قانونى فى قمرتى علشان أروح أنا فى داهية قبل أن أكتب عنهما مايتصوران أنه حايوديهم هم فى داهية ؟! . . . « محمد أفندى عبد الباسط » ضابط اللاسلكى دس لى دسيسة عند البوليس الألمانى لكى يفتشوا قمرتى فأكون قد اتبهدلت ، على الأقل ، قبل أن أنشر صوره مع فتياته الحسناوات فى نادى البحارة ؟! أو على الأقل لكى تسوء سمعتى أنا قبل أن تسوء سمعته هو ؟! . . أم هم رجال الجمارك الألمان الذين يروننى داخلا الميناء كل يوم شايل حاجات ومحتاجات ، فأرسلوا رجال البوليس الألمانى ليروا ما اذا كانت هذه الأشياء والمشتريات لى ، فمن أين لى بالنقود التى اشتريتها بها ؟! . . واذا لم تكن لى فأين ذهبت ولحساب من !؟ . . و . . . . و . . . . و . . . . إلخ إلخ إلخ . . . .

ألف خاطر وخاطر ، وكلها خواطر سوداء متشائمة ، مرت بذهنى بسرعة جداوأنا أرتدى ملابسى ـ بسرعة جدا أيضا ـ لكى أفتح القمرة لضباط البوليس الألمان الذين كانوا قد بدأوا يدقون باب القمرة من الخارج بإلحاح وهم ينادوننى من وراء الباب : « إفتح الباب يامستر كادرى !!!!! . . . . .

وفتحت الباب لأجد أمامى اثنين من ضباط البوليس الألمانى مرابطين تماما على باب القمرة فى تحفز كأنهما يتصوران أو يتوقعان أننى سأخرج إليهما وفى يدى مدفع رشاش . . فلما رآيانى أكمل قفل أزرار قميصى هدآ قليلا . . . وكان « على أبو طالب » كبير ضباط السفينة وراءهما يحاول إقناعهما بأن نذهب جميعا عنده فى مكتبه لنتكلم فى مكتبه و : « نشوف إيه الموضوع »!! . .

فى قمرة « على أبو طالب » لم أكن قد لممت أعصابى واستجمعت نفسى بعد . . كنت مبعثرا تماما من الداخل وان كان وجهى لا يعكس ما فى داخلى . .

واحد من الضابطين الألمانيين ـ الواضح أنه الأكبر رتبة ـ لا يتكلم الإنجليزية : والآخر يتكلمها خفيف . . فوجئت بسؤاله الغريب جدا : « مستر كادرى . . هل أنت صحفى

معتمد »؟ . . إندهشت جدا من كلمة (معتمد) فقلت له بحدة : « ماذا تقصد بكلمة (معتمد) ؟ ! أنا عضو الإتحاد الدولى للصحفيين » فتدارك ليقول : « أقصد هل أنت فى بلادنا فى مهمة رسمية ؟ » قلت « طبعا » « قال : « لتكتب عن الناس هنا ؟ » ـ (قالها بالضبط : *To Write about our People ?* ـ قلت : « ليس بالضبط . . لكن لأكتب عن السفينة المصرية الجديدة « رمسيس الثانى » فى رحلتها الأولى » . . وتدخل « على أبو طالب » كبير الضباط السفينة ليشرح للضابطين الألمانيين بإسهاب الغرض من رحلتى شرحا رأيته ـ من وجهة نظرى ـ أكثر من اللازم : فلما حاولت أن أستوقفه قال لى باللغة العربية : « معلش أصل الناس دول أغبياء ولازم الحاجة تتشرح لهم وتتفهم لهم بالشكل الكبير أوى ده علشان يفهموا على راحتهم . . ماتنساش إنك فى دولة شيوعية !!

وعاد ضابط البوليس الألمانى يقول لى بإنجليزيته الركيكة فى لهجة تقريرية كأنه يقرأ كلاما مكتوبا : « اليوم وأنت نازل من السفينة المصرية صباحا التقطت السيدة زميلتك صورة واحدة للجندى الألمانى الواقف عند مدخل السفينة وهو يناولك جواز سفرك . . ولما كان التصوير فى الميناء هنا ممنوعا لأسباب متعلقة بالأمن ويحتاج إلى تصريح خاص وإجراءات خاصة ، فإننا نريد هذا الفيلم كله !!!! . . . . .

وتذكرت ما حدث فى الصباح : وعجبت لهذه الضجة كلها من غير مناسبة إلا أن يكون هؤلاء الناس مش لاقيين فعلا حاجة يعملوها فى هذه المدينة الهادئة زيادة عن اللزوم إلى أحد الوداعة . . لكننى لم أشأ أن أثير مشكلة البوليس الألمانى الشرقى شىء مرعب يحاول أى إنسان هنا مهما كان مركزه أن يتجنبه ويتحاشاه ويبتعد عن طريقه . . وأيضا تذكرت كلام « أنيس أنس » يوم كان معنا هنا منذ نحو أسبوع : لا تصطدم مع البوليس الألمانى الشرقى أبدا ولا تضع نفسك فى طريقه ، فهم ناس التفاهم معاهم صعب جدا : لأنهم لا يفهمون أصلا » !! . .

قلت للضابط الألمانى أن زميلتى كانت تقصد تصوير سفينتنا المصرية وليس الجندى الألمانى الواقف عند مدخلها : فهل تصوير سفينتا ممنوع علينا : « الممنوع هو التصوير فى موانينا : وسفينتكم فى ميناءنا » . . قلت : « على أى حال إن الفيلم مازال فى الكاميرا حتى الآن : وسأحضره لكم » وقمت من مكانى لأحضر الفيلم من « سلمى » : لكنى فوجئت بالظابطيين الألمانيين يهبان واقفين ليرافقانى !! . . ولم أشأ أن أخض « سلمى » بمنظر ضابطى بوليس ألمانيين يقتحمان عليها قمرتها : فأشرت إليهما أن يجلسا ويستريحا : ولم أخرج أنا أيضا : وطلبت « سلمى » بالتليفون وطلبت منها أن تحضر الكاميرا وتأتى إلى قمرة كبير الضباط . . وكنت قد قررت أن أسلم إليهما الفيلم حتى لا تحدث مشاكل والسفينة سترحل غداً ، خصوصا وقد تذكرت أن الفليم ليست به صور لها أهمية كبيرة يخشى من ضياعها : وممكن الإستغناء عن الفليم كله إذا لزم الأمر بما قد يسببه من مشاكل وتعطيل . .

وجاءت « سلمى » وأخرجت الفيلم من الكاميرا وأعطته للضابطيين الألمانيين ، اللذين وعدا بأنهما سوف يعيدانه إلينا غدا صباحا بعد أن يقطعا منه صورة جنديهما الألماني على باب السفينة : الواد اللواء !! . .

مدهشة « سلمى » سوف

تكون صحيفة ممتازة يوما ما . . أعصابها زى الحديد . . بمجرد أن غادر الضابطان الألمانيان السفينة قالت لى بلا مبالاة : « ياشيخ خضتنى . . أنا افتكرت أن فيه حاجة كبيرة حصلت وإنهم حايسجنونا » . . . . . . وضحكت ضحكة عصبية قصيرة : ثم سقطت مغمى عليها !!!! . . . » .

الفصل الحادى والعشرون

إنهم
ينهبون
البحر .. نهباً !

الحقيقة أننى لم

أكن أتوقع ولا بنسبة فى المليون أن يحدث ذلك ، لكنه حدث : فى الصباح التالى مباشرة ، وبدرى جدا قبل أن أستيقظ من النوم .. جاء ضابطا البوليس الألمانيان وسألا عنى ، فلما قيل لهما أننى لا أزال نائما تركا الفيلم الذى أخذاه بالأمس مع أحد ضباط السفينة ، مع اعتذارهما الشديد عن إزعاجهم لى أمس !! ..

منتهى الذوق والأدب والأخلاق ومعرفة حدود اللياقة فى العمل وعدم تجاوزها .. قاما بتحميض الفليم ، وقطعا منه ففط الصورة التى التقطتها « سلمى » لـ (الواد اللواء) : وأعادا لنا باقى الفيلم ..

مدهش : حين جاء

يوم الرحيل تذكرت الآن فقط أن السفير « مصطفى توفيق » سفيرنا فى برلين لم يتصل بى !! .. سبعة أيام كاملة مرت منذ ذلك اليوم الذى إتصلت به فيه وقلت له أن قبطاننا منع عنا الطعام أنا و « سلمى » منذ ٢٤ ساعة قبلها ، ووعد بأنه سيتدخل فورا لإنهاء هذا الموقف الغريب .. لكن يبدو أن « فورا » هذه مقاييسها تختلف من شخص لآخر .. يبدو أن سعادة السفير « مصطفى توفيق » صحته كويسه وقادر أن يتحمل الجوع - أو التجويع والحرمان من الطعام - لمدة أطول كثيرا من هذه الأيام السبعة التى مرت حتى الآن دون أن يسأل عن صحة سلامتنا فيها ، لذا فقد أعتبر أن المسألة غير عاجلة ولما يفضى لها يبقى ينظر فيها على مهله .. فإنه منذ ذلك اليوم لم يفعل شيئا على الإطلاق ولا حتى اتصل بالقبطان ليسأله عما حدث : كما قال لى القبطان نفسه حين سألته بعد ذلك !! ..

قطعا تأكد لى الآن أنه صحيح فعلا ما سمعته كثيرا من قبل عن آن رجال سفاراتنا المصرية فى الخارج عموما لا يريدون وجع قلب ولا جع دماغ وعايزين يبقوا مستريحين ، لا يشوفوا مصريين ولا مصريين يروحوا لهم .. وليحى التمثيل الديبلوماسى المصرى فى الخارج ... يعيش يعيش يعيش ......

قلبى مع سعيد

بيومى " بحار سفينتنا وحظه السيء . . الرجل محجوز فى المستشفى من بعد وصولنا الى هنا بأيام قليلة . . أول رحلة له فى البحر بعد أن تحول من ترزى سيدات إلى (زيات بحرى) !! ويبدو أن البحر مخمضة وبعثره وعمل فيه عمايله ولم يستطع أن يتواءم معه ؛ فما أن وصلنا الى " ڤيسمار " حتى كان قد انهار تماما ؛ وأخذه الضابط " الحسينى " الى المستشفى ليكشف الأطباء الالمان أنه مسكين (بايظ خالص من جوا) ؛ فأجروا له عمليتين جراحيتين : المصران الأعور ؛ ودوالى فى ساقيه . . وظل طوال الـ ٣٨ يوما راقدا فى المستشفى حتى الآن . . ولما جاء يوم الرحيل رفض الأطباء الألمان أن يسمحوا بخروجه من المستشفى لسببين : الأول أن علاجه لم ينته بعد حتى الآن ؛ والسبب الثانى أن صحته لم تعد تتحمل ركوب البحر مرة أخرى ولا العودة فى السفينة ايضا . . لذا فقد تقرر أن تتركه السفينة وراءها هنا ؛ على أن يعود الى مصر بالطائره بمجرد أن تسمح حالته الصحية بذلك بعد أن يتم شفاؤه . .

وقطعا موقف صعب جدا على نفسية " سعيد بيومى " ان يشعر ليس فقط بأن رحلته الأولى الى اوروبا قضاها كلها فى المستشفى ؛ بل أن يجد ايضا سفينته قد رحلت وعادت الى مصر وتركته وراءها هنا وحيدا ؛ وهو لا يعرف حتى لغة التفاهم مع هؤلاء الناس الالمان اللى هنا . . . لعله الآن نادم أشد الندم على تركه مهنتة ترزى السيدات . .

سألت الضابط " الحسينى " ماذا فعلوا لبحارهم الذى سيتركونه وراءهم مريضا فى المستشفى فقال انه بمجرد خروج " سعيد " من المستشفى سيصرف له وكيل الشركة (بدل سفر) قدره ٦ مارك الماني عن كل يوم قضاه فى المستشفى ؛ وهو قد قضى فيها أكثر من شهر الآن ؛ ويرتب له الإقامة الكاملة فى أحد فنادق " ڤيسمار " حتى يتم ترحيله الى مصر بالطائرة ؛ وايضا سيتقاضى ٦ ماركات (مصروف جيب) حتى يوم سفره عائدا الى مصر . . .

قطعا ٦ ماركات يوميا مبلغ ضئيل جدا فى اوروبا حتى لو كان سينفقه طفل صغير . . والدليل على ذلك أن المجموعة من طاقم السفينة الذين ذهبوا الى " چيڤرين " يوم تبخير سفينتنا قد اقاموا فى افخر فنادقها مجانا وتقاضى كل واحد منهم فوق ذلك ٢٠ مارك كمصروف شخصى له . . فلم هذه التفرقة فى التعامل بين بحار مريض وبحار سليم ؛ وأين تذهب ـ أيضا ـ هذه الماركات الـ ١٤ الفرق ؟! . . علم ذلك عند ربى وعند واضعى اللوغاريتمات البحرية فى الشركة المصرية للملاحة !! . . .

دخل القبطان قمرة

كبير الضباط فوجد النجار يقوم بتركيب إيريال راديو فى نافذة القمرة . . المفروض فى حالة كهذه لو أن للقبطان أية ملاحظات حول الموضوع أن يقولها لكبير الضباط نفسه ؛ ووحدهما تماما وليس أمام البحارة ؛ حرصا على كرامة كبير الضباط ومركزه

وهيبته أمام مرؤسيه من البحارة . . لكن القبطان تجاهل كبير الضباط تماما وشخط فى النجار : " لاياريس . . لا لا لاياسيدى . . بلاش الهباب اللى بتعمله ده . . شيل شيل . . أنا مش عايز الحاجات دى تتعمل فى المركب بتاعتى » !!

وقف النجار العجوز محرجا خجلانا من الموقف السخيف الذى أصبح فيه " كبير " الضباط !! وثار كبير الضباط أيضا لكرامته ؛ لكنها ثورة هادئة طيبة فى البداية ؛ فقال باحتجاج ؛ مجرد احتجاج : " ليه بس ياقبطان ؟ ما هو كل الناس فى المركب عاملة (أرايل) . . انت عامل ايريال عندك ؛ وكل واحد من الا تنين الباشمهندسين عامل إيريال عنده ؛ إشمعنى أنا » ؟! فرد القبطان برذالة وتحكم وعناد : " أنا قلت لأ يعنى لأ " . . فثار" على " هذه المرة ثورة حقيقية ؛ أول مرة على امتداد الرحلة أراه بفعل ذلك . . صرخ وزعق غاضبا : « يعنى أنا بس اللى طرطور وأنا بس اللى طيشة ؟ طيب هه ؛ مش عايز ايريال خالص ومش عايز الراديو نفسه كمان ؛ مالوش لازمه بأه مادام مش حايشتغل " . . وخطف الايريال من النجار والقى به فى البحر من نافذة قمرته . . فالتقت القبطان للضابط الإدارى " سعد سلامة " الذى جاء على صوت الزعيق ، وقال له آمرا : " شيل ياسعد الراديو ده نزله تحت فى صالون الضباط" . . . . . .

وشال سعد راديو كبير الضباط لكنه لم ينزله تحت فى صالون الضباط ؛ بل أخذه عنده فى قمرته ليصبح عنده راديوهين ، وزيادة الخير خيرين !!

وبس . . إنتهت الحكاية !! . .

وقبل الموعد المحدد

لرحيل السفينة عن الميناء ؛ جاء ضباط الـ (كستم) أو ضباط الجمارك الألمان ليفتشوا السفينة قبل رحيلها ؛ بحثا ـ فى الدرجة الاولى من الأهمية ـ عن أى شخص ألمانى شرقى يفكر فى الهرب من المانيا الشرقية الى دول اوروبا الغربية ـ (وللسفن المصرية بالذات ؛ ولقبطاننا بالذات ؛ سابقة شهيرة فى هذا الموضوع) ـ . . وأيضا فتشوا السفينة وبحارتها وقمراتها وكبائنها بحثا عن المشتريات الممكن أن تكون زائدة عن المبالغ التى صرفت للبحارة بالشكل الرسمى . . .

وضباط الجمارك الالمان مش بيغلسوا أوى عادة ؛ لكنهم وجدوا فى قمرة واحد من البحارة حقيبة كبيرة جدا مليئة بالأحذية الالمانية الجديدة المشتراة من " ڤيسهار " وكان المبلغ (الرسمى) الذى صرف لهذا البحار هو ٢٠ مارك فقط ؛ يعنى يادوب يشترى فردة جزمة ومش جديدة أوى كمان ؛ أو يشترى ؛ بالكتير ؛ جزمة كاوتش فردتين !! . . لكنه استطاع أن يشترى كل ذلك عن طريق استثمار رصيده الشخصى من العملات الاجنبية فى عمليات الـ (بزنس) التى تكلمت عنها فى فصل سابق . .

ووجدوا فى قمرة ضابط اللاسلكى " محمد افندى عبد الباسط " مبلغ ٢٠٠٠ زروتا هولندى - نحو ٢٠ جنيها مصريا - كان (مدكنها) ليغزو بها نادى (الإ نتركلوب) فى روتردام وقلوب حسناوات نادى روتردام ؛ لكن رجال الجمارك صادروها فأجلوا الغزو الماركونى الى رحلة قادمة باذن الله والجايات أكثر من الرايحات و(دار الـ " إنتركلوب " فى روتردام على حالها والحسناوات باقيات والغازى نعيم) على وزن بيت الشعر الشهير (دار ابن لقمان على حالها والقيد باقٍ والطواشى صبيح) . . . .

وبمجرد نزول رجال الجمارك الألمانية من السفينة رفع السلم النازل منهاالى ارض الميناء ؛ يعنى انه لم يعد مسموحا لأى شخص بالصعود الى السفينة أو النزول منها بعد ذلك . .

وفى الساعة الثالثة إلا ربعا عصرا اطلقت صفاراتها تحيى وتودع المدينة الصغيرة الظريفة التى بقينا على أرضها ٣٨ يوما كاملة ؛ لنبدأ مشوار العودة ارض الوطن الذى سوف يستغرق نحو ١٥ يوما آخرين اذا لم تلعب خزانات مياة الشرب فى سفينتنا لعبتها الظريفة مرة اخرى فى مشوار العودة ايضا ؛ فنضطر الى أن ندخل ميناء جديدا كل عدة ايام لنتزود بمياه شرب جديدة بدلا من تلك التى تتسلل هاربة من خزاناتنا الى عرض البحر من وراء ظهر مهندسينا العظام . . . .

وحين بدأت السفينة تتحرك وقد أخذت وجهتها الى الاسكندرية فى رحلة العودة ؛ بدأ عدد كبير من أهل السفينة يجهزون حقائبهم لمغادرتها نهائيا بمجرد وصولها الى الاسكندرية ؛ بعد ان (تطوعوا) لعدم الخروج عليها مرة ثانية مع قبطانها الحالى ؛ طبعا لأنهم مبسوطين منه جدا وأحبوه فى هذه الرحلة جدا . . مجموعة الضباط جميعهم بلا استثناء : كبير الضباط " على ابو طالب " ؛ الضابط الثانى " الحسينى شعبان " الضابط الثالث " منير الشحات " وحتى الطالب البحرى " عابد شكرى " قرر أنه لن يستمر فى العمل مع هذا القبطان حتى لو أدى الأمر الى أن يترك البحر خالص . . السفرجية جميعهم بلا استثناء - خصوصا بعد أزمته الشهيرة معهم - قرروا ترك السفينة : عم سيد ناصف " كبير الطباخين ؛ برهام رئيس السفرجية ؛ ابو الغيط المبطوح فى نافوخه ، عطيطو الذى يتشاءم منه القبطان لانه ولد فى نفس اليوم الذى مات فيه شقيق للقبطان ؛ هذه - للحقيقة وللإنصاف - ليست غلطة " عطيطو " نفسه بمقدار ما هى غلطة ام عطيطو التى كان يجب ان تراعى هذه المسألة وتؤجل ولادته شهرا واحدا او حتى شهرين ؛ هى الدنيا كانت حاتطير يعنى ؟! . . وحتى صفى القبطان وحبيبة سفرجى باشا ؛ قال انه مش طالع البحر خالص بعد هذه الرحلة ؛ وتوبه والنبى توبة !!

وكان " عم سيد ناصف " الطباخ قد قال للضابط الإدارى " سعد سلامة " انه سيرفض الخروج الى البحر بعد ذلك على سفينة واحدة معه ـ أى مع الضابط الادارى ـ أو مع القبطان ؛ وانه سوف يترك سفينتنا بمجرد وصولها إلى الإسكندرية . . فاستدعاه القبطان وسأله ان كان قد قال ذلك حقيقة ؟! وكان الرجل الطباخ شجاعا حين أجاب بنعم وكرر كلامه مرة اخرى امام القبطان نفسه !! . . فالشجاعة لا علاقة ابدا بالمناصب ؛ ورب طباخ فقير غلبان لكنه غنى بشجاعته ؛ ورب شخص آخر مركزه كبير لكنه شديد الفقر فى الشجاعة . . عنده انيميا فى شجاعته . . .

ســـت ســـاعات فقـــط

هى التى تستغرقها السفينة فى رحلتها من ألمانيا الشرقية فى بحر البلطيق قبل أن نصل الى بداية قناة " كيل " التى سنعبرها الى بحر الشمال ؛ قبل أن نأخذ مسارنا لطريق عودتنا . . عشنا أياما من رمضان فى المانيا الشرقية ؛ وسوف نفطر اليوم فى عرض البحر ؛ بحر البلطيق الذى نبحر فيه الآن ؛ وفى طريق عودتنا سوف نفطر كل يوم امام دولة مختلفة وحسب التوقيت المحلى لها : سنفطر يوما فى المانيا الغربية ويوما فى هولندا ويوما فى انجلترا وفى فرنسا ؛ يوما فى اسبانيا ويوما فى البرتغال ويوما فى مراكش ويوما فى الجزائر ويوما فى تونس ويوما فى ليبيا ويوما امام مرسى مطروح فى الارض المصرية . . ثم فى الاسكندرية . . بلدنا . . .

« محمد أفندى نعيم » ضابط اللاسلكى زعلان لأن نكد عليه وأنبه ووبخه حين عثر ضابط الجمارك الألمان على ٢٠٠٠ زروتا فى قمرته . . ومن لحظتها و « نعيم » قالبها دراما وسايق العوج ومبطل الإذاعة الداخلية فى السفينة حتى لا يستمع أفراد الطقم إلى قرآن المغرب ومدفع الإفطار من إذاعة القاهرة . . ومع ذلك ينزل بكل تباته ليفطر مع الصائمين كأنه كان صائما !! . . الأولاد الأشقياء ضباط السفينة الشبان غيروا إسمه وأطلقوا عليه : « محمد أفندى جحيم » !!

المرشـــد الهولنـــدى مســـتمر

« بيير سكيبر *Pierre Schipper* » هو الذى يقود سفينتنا الآن منذ خروجها من ميناء « ڤيسمار » وسيظل يقودها نحو خمسة أو ستة أيام فى بحر البلطيق حتى تعبر قناة « كيل » : ثم فى بحر الشمال مرورا بألمانيا الغربية وهولندا وبلچيكا وفرنسا وإنجلترا ، حتى نعبر القنال الإنجليزى : ولا يتركنا إلا عند نهاية سواحل إنجلترا ومدخل خليج الـ (باسكاى) . .

فوجئت الليلة فى موعد الإفطار الرمضانى بمستر « سكيبر » يدخل الى صالون الضباط ليجلس معى أنا و « سلمى » على مائدتنا لكى (يفطر) معنا !! مستر « سكيبر » ليس صائما مثلنا : لكن موعد أفطارنا نحن فى رمضان هو نفس موعد عشاء مستر « سكيبر » !! . .

مستر « بيير سكيبر » هولندى عمره سبعين سنة الآن . . هولندى الأب فرنسى الأم يعيش فى « دنكرك » بفرنسا منذ سنوات بعيدة . . لديه ٤ أولاد وبنت واحدة . . إبنه الأكبر يعيش فى أسبانيا ويعمل سمسار للعقارات . . إبنه الثانى يعيش فى روتردام بهولندا ويعمل مديرا لفرع شركة إنجليزية كبيرة لصناعة العدد والآلات . . إبنه الثالث موضوع فخره واعتزازه لأنه حصل على الدكتواره فى الاقتصاد وعمره ٢٧ سنة فقط ويعمل الآن فى وظيفة كبيرة جداً فى شركة (I . B . M) للعقول الإكترونية . . إبنه الرابع هو أصغر أبنائه وعمره ١٨ سنة فقط : أتم دراسته الثانوية فى (دوڤر) على ساحل إنجلترا التى تواجه مدينة « دنكرك » على الساحل الفرنسى حيث تعيش الأسرة الآن : لكنه سوف يلتحق بالجامعة فى دنكرك أو فى باريس هذا العام . . أما الإبنة الوحيدة لمستر « سكيبر » فعمرها ٣٣ سنة : وهى قد تأخرت كثيرا فى دارستها الجامعية لأنها كانت سكرتيرة إتحاد الطالبات الجامعيات فى فرنسا ولها نشاط جامعى كبير : حتى تزوجت متأخرة جدا منذ سنوات قليلة : فتركت إتحاد الطالبات وتركت الجامعة بحالها دون أن تحصل على شهادتها ، وتفرغت لبيتها وأولادها ومناكفة زوجها الموظف الكبير فى ترسانة روتردام البحرية فى هولندا . .

ويحكى لى مستر « سكيبر » أن زوجته الحالية هى الزوجة رقم ٢ فى حياته وأم ابنه الأخير ، وأن فارق السن بينهما ١٤ عاما ـ طبعا بين مستر « سكيبر » وزوجته وليس بينه وبين إبنه ـ لأنه كان فى الثامنة والأربعين وكانت هى فى الرابعة والثلاثين حين تزوجا منذ ٢٢ سنة . . وقد تأخرت هى كثيرا فى الزواج لأنها كانت لا تحب الرجال وتخشاهم ، لكنه إستطاع أن يجعلها لا تخشى الرجال ، ويمضى زمن طويل الآن على زواجهما أصبح الرجال الآن هم الذين يخشونها بعد أن أصبحت فى السادسة والخمسين الآن . .

ويحكى لى مستر « سكيبر » أيضا أنه كان قبطانا لمدمرة حربية هولندية أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وحارب ضد الألمان لمدة ٦ سنوات بعيدا عن وطنه هولندا الذى كان الألمان يحتلونه طيلة سنوات الحرب : فلما تحررت هولندا وعاد إليها وجد روتردام قد تهدمت تماما وتحولت إلى إنقاض وخرائب ، ووجد بيته خاليا تماما وأولاده ـ الأطفال وقتها ـ قد ضاعوا منه فى زحام الحرب بعد أن جاعوا ولم يجدوا ما يأكلونه فهجوا من البيت ومن المنطقة كلها ، حتى التأم شمل الجميع مرة أخرى بعد إنتهاء الحرب . .

وبعد الحرب كانت السفن الهولندية ، ومثلها فى ذلك سفن أى دولة أخرى إشتركت فى الحرب ، أما أنها غرقت أو أصيب القليل جدا الذى بقى منها بأضرار بالغة أعطبتها أو عطلتها . . فكانت النتيجة عدة آلاف من رجال البحر الهولديين وعدد قليل جدا جدا من السفن . . فاضطر مستر « سكيبر » ، قبطان المدمرة الحربية أثناء الحرب ، إلى أن يقبل وظيفة « ووتش أو فيسار » وهى وظيفة صغيرة جدا جدا على السفن تقل كثيرا عن وظيفة (ضابط رابع) وتكاد تقارب عمل الطالب البحرى !! وهذه هى الحرب ونتائج الحرب . .

ولم يطق الكابتن « سكيبر » شكل الحياة هكذا ، فذهب إلى أمريكا ليعمل هناك . . ورغم أنهم رحبوا به جد هناك وأعطوه عملا لائقا ومرتبا كبيرا إلا أنه أيضا لم يطق شكل الحياة الأمريكية والتحرر الزائد الذى يعيش فيه الشعب الأمريكى . . فى تقديره وجدهم ناس غير مثقفين على الإطلاق ، والكويسين فيهم ثقافتهم محدودة جدا ، ووجد الشعب الأمريك عموما غير متعلم لكن معهم فلوس ومليونيرات . . لم يطق مستر « سكيبر » جهل الأمريكان وعدم احترامهم للتقاليد الأوروبية : فترك أمريكا بعد ٩ شهور فقط وعاد إلى فرنسا ليستقر فى دنكرك منذ ذلك الوقت وليبدأ السلم من أوله من جديد : حتى يصبح بعد فترة مرشدا بحريا فى ٣ بحار متصلة : بحر البلطيق وبحر الشمال والقنال الإنجليزى . . ولو رأيت مستر « سكيبر » الآن وهو يتكلم ويعبر وينفعل بكل ملامح وجهه الملىء بالحيوية والنشاط : لما قدرت له عمرا أكثر من ٤٥ سنه على الأكثر : ولما صدقت أبدا أن هذا الرجل عمره ٧٠ سنة الآن ومازال يعمل ، وعمله يدر عليه ٢٠٠٠ جنيه إسترلينى شهريا فى المتوسط . . وهو فى السنوات العشرين الأخيرة يكاد يكون متخصصا فى إرشاد السفن المصرية : لذا فهو يعرف كل القباطنة والضباط البحريين المصريين : ويناقش معك أمور الشركة المصرية للملاحة صاحبة ٤٥ سفينة تسير أغلبها فى هذا الخط الملاحى بالذات : خط شمال أوروبا ، كما لو كان موظفا فى هذه الشركة طول عمره !! . .

اســأل مســتر ســكيبر

: أليس العمل الذى يقوم به مرهقا بالنسبة لسنه الآن . . فيقول سوق انه يظل يقوم بارشاد السفن إلى آخر يوم فى حياته : لأنه ـ أولا يحبه ، وثانيا لأنه يحب البحر نفسه ولا يطيق البعد عنه ، رغم أن هذا العمل يأخذ منه كل وقته تماما ، وأحيانا يعود إلى بيته فى دنكرك لمجردأن يأخذ حماما ويغير ملابسه فقط ثم يعود إلى البحر من جديد . . وأنه يقوم بهذه الرحلة الطويلة بين ٣ إلى ٨ مرات فى الشهر الواحد ، ويتقاضى فى المرة الواحدة ٥٠٠ جنيه استرلينى ، يعنى أن دخله يتراوح بين ١٥٠٠ جنيه إلى ٤٠٠٠ جنيه إسترلينى فى الشهر الواحد . . لكن الشىء الوحيد الذى يضايقه فى كل ذلك هو اضطراره إلى السفر من دنكرك إلى « ڤيسمار » فى كل مرة يرشد فيها سفينة من « ڤيسمار » ، لأن ذلك يستغرق منه يوما كاملا يضيع فى التنقل من قطار إلى قطار حتى يصل من دنكرك إلى « ڤيسمار » . . . . .

مســتر ســكيبر يحكــى

لى كل الوقت ويجيب على أسئلتى كل الوقت ، بعد أن انتقلنا معا من مائدة الإفطار إلى غرفة القيادة فى السفينة . . لكنه فجأة يسألنى سؤالا غريبا : « ماذا عن حرية الصحافة فى مصر ؟ ! » وأحكى له النكته المصرية الشهيرة عن الموظف الذى يقول لأصدقائه أنه سعيد جدا بالحرية الممنوحة والمتاحة له فى وظيفته الجديدة : يذهب إلى مكتبه على حريته وفى أى وقت يعجبه قبل الساعة الثامنة صباحا : ويغادر مكتبه على حريته وفى أى وقت

يعجبه بعد الساعة الثانية ظهراً !! . . ويضحك مستر « سكيبر » حتى يكاد يقع على ظهره من الضحك . . ويقول لى أنه لم ير حرية الصحافة أو صحافة حرة قدر صحافة إنجلترا وهولندا . . صحافة إنجلترا - مثلا - التى كانت سعيدة جدا سنة ١٩٧٣ عندما تزوجت الأميرة الإنجليزية « آن » بنت ملكة إنجلترا من خطيبها الشاب الوسيم الضابط « مارك فليبس » ، هى نفسها التى تهاجم الآن بشدة تصر ،ت « مارك » : لدرجة إنها تنكت على إسمه « مارك » . . آل يعنى « مارك ألمانى واحد » (أو قطعة عملة صغيرة !! . .

فى نفس المساء

فى الساعة الحادية عشر ليلا ، وصلت السفينة إلى « هولتناو » عند مدخل قناة « كيل » فى ألمانيا الغربية ، حيث كان مفروضا أن نتوقف عندها لمدة يومين لنتزود بالوقود وببعض معدات تربيط الشحنة على السفينة . . وبين « هولتناو » ومدينة « كيل » ربع ساعة فقط بالترام . . مدينة « كيل *KIEL* » مدينة كبيرة وظريفة مثل « هامبورج » و « بريمن » و « مانهايم » . . لكن آخر الأخبار أو آخر التعلميات جاءت مخيبة لآمال أهل السفينة تماما . . صدرت الأوامر من مكتب الشركة فى هامبورج - « أنيس أنسى » - بأن نعبر قناة « كيل » الآن فورا دون أن نتوقف إلا نحو نصف ساعة فقط : فنظل نعبر طول الليل حتى نصل إلى نهايتها فى الثامنة صباحا حيث مدينة « برانسباتل » : وهى مدينة ألمانية صغيرة . .

وانكداه آخر فرصة

للهبش صاعت الليلة كذلك . . كان أكابر السفينة ينوون شراء كميات من (البوية) لدهان السفين أثناء رحلة العودة ، وطبعا كانت العمولة فيها ستكون كبيرة . . لكنهم فوجئوا عند وصول السفينة إلى « هولتناو » بأن الشركة فى الإسكندرية قد تركت لهم كميات من (البوية) وزنها طن كامل ، تكفى السفينة ٥ أو ٦ رحلات أخرى قادمة ، ودفعت الشركة ثمنها فعلا وهبر لجنة المشتريات العمولة لأنفسهم !! . . قطعا لا القبطان ولا كبير الضباط استطاعا النوم الليلة من النكد ، فقد ضاع منهما ٥٠٠ مارك ألمانى غربى على الأقل ، بعد أن عرفت لجان المشتريات فى الشركة اللعبة ، وأصبح التنافس الآن على من يخطف العضمة قبل الآخر !!!!!! . . . . . .

مع ذلك ، فبرضه

(جراب الحاوى مابيخلاش) . . وبرغم أن أحدا على السفينة لم يشتر من الكوكاكولا الأسبانى إياها أم ١٣ قرشا للزجاجة الواحدة ، إلا أنه من المال السايب إشتروا مرة أخرى صنف كولا آخر من « ڤيسبار » إسمه « كلوب كولا » ، وهو صنف ألمانى

شرقى ردىء للغاية ذقت شفطة واحدة منه ذات مرة حين كنا فى مدينة « روستوك » منذ شهر تقريبا ، ولازالت معدتى مقلوبة منه حت الآن .. وبرغم تكدس الصنفان - الأسبانى والألمانى الشرقى - فى مخازن السفينة ، إلا أنه برضه من مال الحكومة السايب ومال الشركة القطاع العام السايب ، ولوجه الـ ١٠٪ العمولة حتى لو اتخربت الدنيا ، إشترت السفينة مرة ثالثة كمية صناديق بيبسى كولا من « برانسباتل » فى ألمانيا الغربية فى زجاجات صغيرة جدا أصغر من المعتاد عندنا ، سعر الزجاجة الواحدة ٨,٥ قرش مصرية على السفينة !! .. وبرضه طبعا رفض طاقم السفينة أن يشتروها أو يشربوها ، فدخلت مخزن إلى جوار شقيقتيها الأسبانية والألمانية الشرقية !!

شىء محزن فعلا .. وياأيها السادة الكبار فى الشركة المصرية للملاحة البحرية بشارع النصر فى الإسكندرية ، هل عرفتم الآن من أين تأتى مئات صناديق علب الكوكاكولا والبيبسى كولا والـ « سفن آب » والبيرة المستوردة التى تملأ أرصفة شارع الشواربى فى القاهرة وشارعى صفية زغلول وسعد زغلول فى الاسكندرية ؟!.. يستوردها قباطنة الشركة المصرية للملاحة البحرية بشارع النصر بالإسكندرية ، من أموال الشركة بالعملة الصعبة لحساب تجار شواربى وسعد زغلول وصفية زغلول بالعملة السهلة ....

وقد إيه بلدنا مصر دى طيبة جدا : تمنح بالشمال ماتمنعه باليمين ..

وبالمناسبة : تشنيعة أو نكتة سمعتها من بحارة سفينتنا ولم أفهمها ، فإذا كان فيه حد طيب وابن حلال يفهمها لى أكون شاكر متناً .. النكتة تقول أن شارع سعد زغلول فى الاسكندرية سيتغير إسمه بعد عودة سفينتنا ليصبح إسمه الجديد : شارع سعد زغلول .. أبوزيد !!.. إنتهت النكتة !!.

القبطان « سعد زغلول

أبو زيد « قال مرة ونحن نتكلم عن التهريب ، حين سألته كيف يستطيع البحارة أن يخرجوا من ميناء الإسكندرية بكل هذه الأشياء التى اشتروها من موانى أوروبا وعادوا بها معهم على السفينة ؟!... قال لى : « أنا لو حبيت ، بكرة الصبح تلاقى مدخنة المركب دى عندى فى البيت فوق السطوح » !!.. تأكيدا أنه يستطيع اخراج أى شىء مهما بلغ حجمه من ميناء الاسكندرية !!..

ونحن نعبر قناة

« كيل » ليلا سألت « سلمى القبطان : « قدامنا قد أيه على مانوصل إسكندرية فأجاب القبطان متظارفا : بإذن الله بسرعة .. أوعدك بأننا سوف نهب البحر نهباً » فاتسعت عينا « سلمى » من الدهشة وهى تقول : « حتى كمان ؟!! » !!!!!!!!!..........

الفصل الثانى والعشرون

رسالة
من
« بريچيت » !

إذا كانت «برانسباتل» هذه قرية

صغيرة فعلا ، فعقبال يارب مانشوف هذا النظام وهذه النظافة وهذه الأناقة والشياكة فى عاصمتنا القاهرة . . .

هز المرشد الهولندى مستر « سكيبر » كتفيه ومط شفتيه حين عرف أننا سنتوقف اليوم فى « برانسباتل » *Brunsbuttel* وقال عنها أنها : « مجرد قرية صغيرة » . . . الذى يثير تفكيرى جدا وأنا فى أوروبا سؤال دائم لايتغير : « مالذى يملكه هؤلاء الناس أكثر منا ، حتى يستطيعوا أن يجعلوا مدنهم وقراهم بهذا النظام وهذه النظافة والأناقة ؟! . . وكيف يستطيعون أن يجعلوا حياتهم عموما بهذا الإنضباط ؟!. . ولكن حتى يفتح الله علىّ بإجابة لهذا السؤال ، أكرر مرة أخرى : إذا كانت « برانسباتل » هذه قرية ، فعقبال يارب مانشوف القاهرة عاصمة بلادنا وأكبر مدينة فى القارة الإفريقية كلها ، مثل هذه القرية !! . . .

ليست ميناء الضبط

. . لانستطيع أن نقول ذلك ، فليس فيها أرصفة مخصصة لرسو السفن ، بل حتى أتصور أنهم لو أرادوا أن ينشئوا هذه الأرصفة فلن يجدوا لها مكانا . . فكل هو موجود الآن فعلا مجرد (مكان) أو (مكانين) يشبهان محطات البنزين العادية لكنهما على شاطىء القناة مباشرة ، تتوقف عندهما سفينة واحدة أو سفينتان لساعات قليلة لمجرد أن فقط تتزود بالوقود ، ثم ـ بسرعة ـ تمضى فى سبيلها . . .

بين محطة البنزين

البحرية هذه وبين منطقة وسط المدينة شارع طويل قطعناه ، سيرا على الأقدام ، فى ربع ساعة . . ليست قرية على الإطلاق قطعا ، إنما هى ـ على الأقل ـ مدينة صغيرة لاتقل عن « فيسمار » لا فى الإتساع ولا فى الشوارع ولا فى الحدائق ولا فى حاجة أبدا ، إن لم تكن تزيد عنها فى أنها أكثر شياكة وأكثر « أوروبية » . . تشبه الى حد كبير جدا ضاحية

المعادى جدا فى أنظف وأشيك حالاتها : شارع تجارى رئيسى واحد إسمه « كوخ ستراس » *Koog StraBe* توجد فيه أغلب المحلات التجارية ، أما باقى « برانسباتل » فعبارة عن شوارع صغيرة أو كبيرة مليئة بالفيللات الأنيقة جدا الشيك للغاية ، وكل ڤيللا أمامها حديقتها الصغيرة المعتنى بها جدا والمزروعة بأشجار التفاح .. وغالبا ماتجد فى الحديقة حسناء ألمانية زى القمر ممشوقة القد والقوام ترتدى البنطلون الـ « چينز » وبلوزة صغيرة قصيرة تكشف عن بطنها الألمانى ، والجوانتى المطاط فى يديها ، تعمل بنفسها فى الحديقة . تسقى الزرع وتشذب الورد وتقلب الطين ، وشكلها غاية فى البهاء كأنها ممثلة سينما تمثل دورا فى فيلم بالألوان ....

المحلات فى شارع « كوخ ستراس » أشيك جدا وأفخر جدا وأظرف جدا من محلات « ڤيسمار » و « چيڤرين » و « روستوك » فى المانيا الشرقية ، أيضا أغلى جدا : ولعة نار .. الأسعار هنا مش معقولة تجعلك تتردد كثيرا فى شراء أى شئ .... أى شيء هنا أغلى كثيرا من أى مكان فى أوروبا الشرقية كلها ... وألمانيا الغربية عموما من أغلى دول أوروبا ... الرخيص هنا فقط هى المأكولات والمشروبات بشكل عام ، ويبدو أن كلتا الألمانياتين : الشرقية والغربية ، مهتمتان بتوفير الغذاء لمواطنيها بأرخص الأسعار الممكنة ...

ومـــع ذلـــك فـــإن « برانسباتل » الآن فيها أوكازيون ... وفى الأوكازيون تجد أشياء رخيصة جدا : بنطلون رجالى عادى جدا : بـ ٣٠ جنيه مصرى !! قميص أفرنجى بسيط جدا : بـ ١٨ جنيه مصرى !! أرخص حذاء فى محلات المدينة كلها ـ هو اللى أنل لابسه ده ـ بعشرة جنيهات مصرية كاملة !! أرخص شراب رجالى بجنيه ونصف ، وهل جرا .. ولازم الواحد هنا فى هذه الظروف يستعمل تعبير شيك وغالى زى « هلم جرا » كده .. على الأقل لكى ينفس عما به .. والحمد لله لم نصل إلى « برانسباتل » فى غير أيام الأوكازيون والأسعار عادية ، كان الواحد اتنقط !!...

« سلمى » اتهبلت على الأذواق والشياكة والجمال والذوق والرقة والظرف وحسن العرض فى محلات « برانسباتل » وطلبت ان تشترى المدينة كلها وتأخذها معها على السفينة لكنها ـ كأى بنت كبيرة وعاقلة وشاطرة وبتسمع الكلام ـ هدأت فورا حين قرأت الأسعار ، وقنعت بأن تشترى ، فقط نصف المدينة !!..

وبمناسبة الأوكازيون : بعض المحلات هنا تستخدم فى الاعلان عن الأوكازيون بها : الطائرات !!.. طائرة تحلق فى سماء المدينة وترسم بالدخان إسم محل شهير من محلات « برانسباتل » !!... وبعد كده يقول المرشد مستر « سكبير » أنها : « مجرد قطع صغيرة » ..

من اللحظة الأولى

تلاحظ مدى الإختلاف ومدى الفارق بين الفتاة الألمانية الشرقية والفتاة الألمانية الغربية . . البنت الألمانية الشرقية بتتلكك ، يكفى أن تنظر إليها فى الشارع وهى ماشية لكى تيجى على طول تكلمك وتلزق فيك ولاتمانع فى حاجة أبدا : تخرج معك وتسهر معك وتأخذك معها آخر السهرة إلى بيتها إذا أمكن ، فإذا لم يكن ممكنا فى بيتها ففى الحدائق متسع للجميع . . وإلى أقصى حد : مستعد تحمل منك وتنجب منك دستة .

أطفال دون أن تطالبك لا بخطوبة ولا بزواج ولا حتى بالاعتراف بـ "اطفالك" !! . . أما البنت الالمانية الغربية فهى ليست (رمية) : تراك تنظر إليها فى الشارع فتنظر هى إليك لمجرد الفضول ومن باب العلم بالشيء ولأنك تبدو غريبا . . فإذا عاكستها أو غازلتها لن تعبرك . . أما اذا تجاسرت وكلمتها فانها غالبا لن ترد عليك . . ويبدو أن الحالة الاقتصادية والوضع السياسى يلعبان دورا كبيرا فى تكوين شخصية كل من البنت الالمانية الشرقية والالمانية الغربية . . لذا فقد كان اتعسنا جدا هنا فى برانسباتل " هو " " محمد افندى عبد الباسط ماركونى " لأن سوقة مكانش ماشى هنا !! . .

محل كبير طويل

فاخر جدا يبيع الأحذية ؛ وقفنا نتفرج على الأحذية المعروضة فى ڤاترينة المحل من الخارج ؛ ومن خلال الڤاترينة الزجاجية نرى أيضا المحل كله من الداخل ونرى الشقراوتين الحسناوتين باهرتى الجمال تبيعان الجزم فى الداخل . . ليس فى المحل غيرهما فقط بائعين . . ونرى الزبون او الزبونة يدخلان المحل ؛ فتنحنى الحسناء البائعة وتركع على ركبتها امامه تخلع له حذاءه وتضع له بيدها الشقراء البضة الرشيقة الجميلة الحذاء الجديد فى قدميه لتقيسه له ؛ والزبون قطعا غاية فى السعادة وهذا البدر المنور يركع تحت قدميه . . تكفى ابتسامتها ووجهها الصبوح !! . . طفت بعينى فى الفاترينة بسرعة أبحث عن أرخص خذاء معروض فيها ، استقرت عيناى على سعره فقلت : " أدفع عشرة جنيهات من عمرى وتركع هذه الحسناء تحت قدمى لدقيقة واحدة وتلبسنى الحذاء بيدها !! . . ودخلت المحل مسرعا قبل ان اعيد التفكير فى مسالة العشر جنيهات وأرجع فى كلامى ، ودخل ورائى سلمى " و" الحسينى " . . إستقبلتنا ملكة جمال العالم ـ قطعنا هى كذلك ـ بابتسامه مشرقة مضيئة مرحبة . . أشرت لها على الحذاء فى الڤاترينة ثم أسرعت بالجلوس على الكرسى فى انتظارها . . ذهبت فأحضرت لى الحذاء المطلوب ؛ وفكت رباطه ؛ وركعت على ركبتيها ووضعت الحذاء أمام قدماى ؛ ثم . . هبت واقفة مرة أخرى وقالت لى من بعيد : " دعنانرى ما اذا كان هذا المقاس يناسبك "!!

إفريقى أنا . . مش قد المقام الأوروبى . . لو كان شعرى اصفر وعيناى زرقاء لقاسته لى بيديها . . لكنى فى نظرها ملون لا استحق منها ذلك . .

ودفعت العشرة جنيهات وخرجت زى الشاطر !! . .

ظريفة جدا هذه

المسألة : المانيا الغربية ـ أيضا ـ تضع على عملتها المعدنية فئة المارك الواحد صورة صقر قريش !!.. شوف ازاى كنا ظالمين الناس الالمان الغربيين واتاريهم من قريش زينا !!..

عائدون من المدينة

إلى السفينة عبر الشارع الطويل الموصل من المدينة إلى (محطة البنزين البحرية) التى ترسو إلى جوارها سفينتنا .. قبل بضع عشرات الأمتار من السفينة يتوقف إلى جوارنا تاكسى ويطل منه القبطان برأسه : " راجعين كعابى ليه يافقرا ياغلابة ؟ مامعاكوش فلوس تركبوا تاكسى ؟! اطلعوا حاوصلكم " .. وفتح لنا الباب التاكسى وركبنا هذه البضع عشرات من الأمتار .. حين توقف التاكسى أمام السفينة وضع القبطان يده فى جيبة وأخرج بضع قطع عملات صغيرة عدها قال لنا : " اللى معاه ماركات فكة يجيبها "!! .. أخذ منى ٢ مارك ومن الحسينى ٢ مارك ومن سلمى ٤ مارك واكمل عليها ودفع للسائق : ١٠ ماركات !! .. كأننا لم نركب على حسابنا فقط ؛ بل ساهمنا ايضا فى دفع الجزء الأكبر من حساب التأكسى الذى لف به القبطان المدينة كلها من الصبح .. ولو كنا نحن قد أخذنا تاكسى على حسابنا من وسط المدينة الى السفينة لدفعنا له مارك ونصف على الاكثر!!

وطلعت المسألة ليست جدعنة ولاشهامة ولاتوصيلة لوجة الله ولا حاجة ابدا .. طلعت حركة " قرننة " وبرمجة إسكندراني ليس إلا !!

كان من حظى

كصحفى ؛ أنا رزقى دائما فى رجلىّ ؛ أنهم كانوا اليوم يعيدون رصف جزء من الشارع الرئيسى هنا فى المدينة الالمانية الصغيرة .. فرأينا شكل الفارق المهول بيننا وبينهم فى شيء بسيط جدا : مجرد رصف جزء من شارع .. لكنه يعتبر مقياسا لكل الأشياء الأخرى عندنا وعندهم : عندنا نزحم الشارع بمعدات مهولة كأننا رايحين نحارب وكأنها معدات العبور ؛ وغالبا ماتكون هذه المعدات سوداء مهيبة من القار والزفت وفى غاية القذارة ؛ والقزان الكبير المليء بالزفت المغلى وتحته نار عظيمة ولا نار جهنم تملأ الشارع كله هبابا وزفتا ورائحة حريق ؛ والعمال أنفسهم كأنهم سعداء جدا بشكلهم المهيب وملابسهم الممزقة المهلهلة التى ليست ولم تكن ولا كانت لها لون محدد فى يوم من الايام .. ويثيرون ضجة هائلة ودوشة وزعيق ويعملون فى تبرم وضيق وقرف كأنهم محكوم عليهم بالأشغال الشقة ينفذون الحكم .. وحين ينتهون من لكلكة الشارع وتلصيقه أى كلام يذهبون ويتركون كل شيء وراءهم كأنهم نسيوه أو قد

فاجأهم الطوفان فهربوا وتركوا وراءهم أشياءهم ؛ لكى يتعثر فيها سكان الشارع والمارة فيه ويتكعبلون ويتوسخون ويتهببون ؛ ويجعلون السكان يندمون ندما شديدا على أنهم فرحوا يوما ما حين رأوا شارعهم على وشك أن يرصف أو يعاد رصفه . . .

أما هنا فانني

لم أنتبه الى ان هناك عملا يجرى فى الشارع ؛ من فرط الهدوء والسكون ؛ إلا حين وجدت الشارع مقسوما بالطول الى نصفين بحبال تتدلى منها شرائط قصيرة ملونة صفراء وحمراء مدهونة بالفسفور ؛ فظننت أن أحدا يقيم حفلة عيد ميلاد فى وسط الشارع !! . . لكن إتضح ان هذه الشرايط الملونة الفوسفورية لكى تنير بالليل حين تنعكس عليها أضواء كشافات السيارات فينتبه السائقون إلى أن هناك منطقة عمل . . المعدات التى يعملون بها وعليها فى غاية النظافة والأناقة كأنها لسه خارجة من المصنع الآن حالا ؛ وتعمل بدون اى صوت وبنظام ظريف جدا كأنهم يفرشون غرفة الصالون فى بيت أوروبى مودون . . والعمال أنفسهم لو لم يكونوا يمسكون آلاتهم فى أيديهم ويعملون بها لظننتهم مارة عاديين يتمشون فى الشارع : ملابسهم عادية جدا ونظيفة ووجوههم مشرقة مبتسمة لامعه . . ولا بأس من كلمة غزل لهذه ونظرة اعجاب لتلك ؛ على الماشى ايضا وهم يعملون وفى ايديهم الجوانتيات المطاط او جوانتيات الشغل . . فاذا انتهى العمل او فى فترة الراحة من الساعة ١٢ ظهرا الى الساعة الثانية ، تجمعت كل هذه الادوات والالات والمعدات فى ركن صغير جدا حوله ستاير من البلاستك غير الشفاف ؛ حتى لاتزحم الشارع وحتى تخفيها عن عيون المارة . . .

وحتى نظام المرور

فى الشارع أثناء العمل فى اعادة رصفه يتغير ـ مؤقتا ـ بشكل ظريف جدا ودقيق جدا . . فلأن الشارع يعاد رصف نصفة بالطول ؛ يعنى نصف بحر الشارع ملغى مؤقتا ؛ فإنه يصبح فى هذه الحالة (اتجاه واحد).. لكن هذا الـ (اتجاه واحد) يتغير مرة كل دقيقتين . . إزاى ؟ . . . ساشرح لكم :

إشارة مرور مؤقتة (نقالى) أو متحركة : عامود إشارة مرور عادى جدا بالوانها الثلاثة الاحمر والاصفر والاخضر ؛ لكنه موضوع على عجلات ويعمل بالبطارية بحيث يتبادل النورين الاحمر والاخضر الإضاءة كل دقيقتين . . واحدة من إشارة المرور النقالى هذه توضع فى بداية منطقة الرصف ؛ وواحدة أخرى عند نهايتها . . . وتعملان بالتبادل بحيث ينفتح الطريق امام السيارات القادمة من أحد الإتجاهين فى الوقت الذى يكون فيه مغلقا أمام السيارات القادمة من الإتجاه الاخر ؛ ثم ينعكس كل دقيقتين ؛ فى توقيت منتظم كأى إشارة مرور عادية . . .

وبعد أن ينتهى الإصلاح وتنتهى مهمة إشارة المرور المؤقته ؛ تأتى سيارة صغيرة لتحملها إلى المخزن أو إلى أى مكان آخر . . فإذا كان هذا المكان الآخر قريبا فانه من الممكن دفعها بسهولة جدا ـ لأنها بعجلات كما قدمت ـ الى هذا المكان الآخر القريب . .

وأيضا لاحظت هنا

شيئا ظريفا فى مواعيد خروج المدارس . . وهنا لم ار على الإطلاق عساكر مرور عند الإشارات أو عند التقاطعات ؛ بل لعلى أتذكر الآن أننى لم أر عساكر بوليس على الإطلاق فى " برانسباتل " . . ويبدو أنهم ليس لديهم ؛ ايضا ؛ لصوص !! . . لاحظت عند كل إشارة من الإشارات المرور فى المدينة الصغيرة أنه توجد فى مواعيد خروج المدارس سيدتان متطوعتان تلبسان فساتينهما العادية + كاسكتة حمراء مميزة ؛ وتحملان فى أيديهما شيئا كمضرب البنج بونج : أحد وجهيه لونه أحمر الآخر لونه أخضر . . وتتولى هاتان السيدتان تنظيم عبور الاطفال العائدين من مدارسهم لتقاطعات الشوارع . . والأطفال مسبقون ومقدمون على السيارات : السيارات تتوقف لكى يعبر الأطفال الذين تنفتح أمامهم كل الإشارات فورا . .

فى مكتب البريد

عثرت « سلمى » على نشرة توزع مجانا ، شديدة الأناقة مطبوعة بالألوان الجميلة على ورق كوشيه لميع فاخر : وفيها صور لخمسة تليفونات ملونة شيك . . ظنتها « سلمى » إعلانا عن محل يبيع أجهزة التليفونات ، وهى تعرف أننى أريد أن أشترى جهاز تليفون . . لكنى حين فحصت الإعلان إكتشفت شيئا ظريفا جدا سوف يصيب الناس عندنا فى مصر بـ (صدمة تليفونية) كبيرة : هذا الإعلان ليس عن بيع أجهزة تليفونات كما خطر على ذهن « سلمى » : لكنه إعلان « من » شركة التليفونات فى المدينة عن : تركيب تليفونات لمن يرغب !!!!! . . . . .

الإعلان يقول بك : (لا تعش بدون تليمون . . كيف تركب تليفونا فى البيت عندك خلال ساعة واحدة) !! . . وينشرون لك صورا لخمسة موديلات وألوان جذابة لكى تختار منها ما يوافق لون غرفة مكتبك أو غرفة نومك أو غرفة الصالون فى بيتك !! . . تركيب التليفونات عندهم محتاج إلى ترغيب وإغراءات وإعلانات ، وعندنا يحتاج ، فقط ، إلى إنتظار عدة سنوات : ولكن ـ وذلك قدرنا ـ هذه مسألة أخرى . . . .

فى الشارع هنا

لا تجد أورقا ولا زبالة ولا أى حاجة ملقاة على الأرض . . السلال التى تضعه فيها مهملاتك وترمى فيها ما تشاء منشرة بكثرة كل عدة أمتار : وليس لديك عذر أبدا لتلقى أى شيء على الأرض . . وبالمناسبة أيضا : لم أر هنا ـ مش عارف ليه ـ أحدا يدخن

فى الشوارع ولا فى الدكاكين والمحلات ولا فى الـ (سوبر ماركت) . . ويبدو أن المحافظ هنا إيده جامدة شوية عن المحافظ بتاعنا . . فى دور السينما فى القاهرة حين يظهر فى فترة الإستراحة ذلك الإعلان الظريف الذى يقول لك (ممنوع التدخين بأمر المحافظ) فإننا لا نستطيع أن نراه لأن دخان السجاير يكون يملأ صالة السينما بحيث لا نرى الشاشة ولا الإعلان ، طبعا، اللى عليها !! . .

المهم : ونحن سائران فى أحد شوارع « برانسباتل » الجانبية ، لفت نظرنا ورقة مطوية ومطبقة بعناية مرمية على الأرض ، شكلها يبدور وكأنها رسالة وقعت من شخص ما . . « سلمى » - الفضولية - التقطت الورقة المطبقة ووضعتها فى جيبها بسرعة حتى لا يراها أحد ، حتى عدنا إلى السفينة وفتحناها ، لنجد يها لعبة ألمانية ظريفة تكاد تكاد تكون تشبه ألعاب البخت والحظ عندنا : مع شىء من التطوير الذى يناسب العقلية الأوروربية والتفكير الأوروبى الحديث و « التطور » الأوروبى فى كل شىء . . . .

الرسالة من فتاة ألمانية إلى : صاحب الحظ والنصيب الذى يعثر عليها فى الطريق حيث رمتها صاحبتها ، تقول فيها أنها وحيدة فى الوقت الحالى ، وتطلب صديقا تختاره بهذه الطريقة حتى يكون الحظ وحده هو الذى ساقه إليها . . وتكتب إسمها : « بريچيت *Brigit* » ورقم تليفونها فى « برانسباتل » « *8563 / 04852* - ٨٥٦٣-٠٤٨٥٢ » !!!!!!! . . . .

تمنيت فى لحظة لو أننى كنت وحيدا أنا أيضا حتى أستطيع أن « أخفف » عن « بريچيت » المسكينة وحدتها . . ولما كان ذلك متعذرا وغير ممكن فى الوقت الحالى بالنسبة لى شخصيا ، نظرا لضيق الوقت وضيق « الظروف » ، فقد نزلت من السفينة مرة أخرى وتركت رسالة « بريچيت » فى الشارع حيث وجدنها ، حتى يعثر عليها صاحب الحظ والنصيب « المحلى » الذى يتولى عنى مهمة إزالة وحدة « بريچيت » الظريفة !!!!! . . . . . .

ظاهـــرة واضـــحة جـــدا

فى أوروبا كلها لاحظتها من قبل فى رحلاتى السابقة ، ولا حظتها بشدة هذه المرة : أغلب الأوروبيون لا يعرفون غير لغتهم المحلية فقط . . فى إنجلترا لا يعرفون غير الإنجليزية ، وفى فرنسا لا يتكلمون غير الفرنسية ، وفى ألمانيا مشكلة أن تعثر على أحد يتكلم غير الألمانية . . والذى تجده - أو تجدها - تعرف اللغة الإنجليزية أو الفرنسية قليلا تجدها تشعر بكثير من الزهو وهى تطرطش بها وأغلب كلامها خطأ . . أما الذى - أو التى - تجيد اللغة الإنجليزية فعلا فهى تبقى عظمة وتشعر بمنتهى الثقة والإعتزاز وتتصرف بكبرياء وتواضع - فى الوقت نفسه - الذين يملكون شيئا عظيما . . . .

لـــذا فاتنـــا حيـــن

كنا نقف أمام مكتب البريد فى « برنسباتل » ظهر اليوم : ووقفت إلى جوارنا حسناء ألمانية شابة وسيمة التقاطيع رقيقة القد ، فاختلفنا أنا و « سلمى » على تقدير عمرها : أنا قلت أنها فى نحو الثانية والعشرين : أما « سلمى » فقالت أنها قد تعدت

الثلاثين . . وحسمت « سلمى » الموقف بأن قالت : « طيب ما نسألها هى ؟! » . . سألت الألمانية الحسناء إن كانت تعرف اللغة الإنجليزية ؟ فأجابت على الفور والسعادة تشرق على وجهها : « نعم » فرويت لها أننى وزميلتى قد إختلفنا على تقدير عمرها ، فسألتنى بإنجليزية سليمة جدا ورقيقة جدا كتغريد بلبل صغير تحت التمرين ، عن السن الذى قدرته أنا لها والسن الذى قدرته « سلمى » . . قلت ـ منافقا ـ أننى قدرت سنها بأكثر من ١٨ سنة ، وأن زميلتى قدرته بأكثر من ٢٣ سنة ـ (لم أذكر لها حكاية الـ ٣٢ سنة حتى لا أتسبب فى إساءة العلاقات بين مصر وألمانيا الغربية !!) ـ . . فغردت البلبل الألمانى ضاحكة بأن صديقتى تكسب الرهان لأنها هى الأقرب إلى الصواب ، فإن « كاتى » الرقيقة عمرها ٢٥ سنة . .

ويتصل بيننا الحديث

فتسألنا « كاتى » عن جنسيتنا فنقول لها أننا مصريون ، فتسأل : وهل تقيمان هنا فى هذه المدينة ؟ » فنقول لها أننا نمر بها مرورا عابرا لمدة يومين فقط لأن سفينتنا توقفت هنا لتتزود بالوقود . . فتقول لنا أنها هى الأخرى ليست من « برانسباتل » لكنها من مدينة أخرى صغيرة مثلها بالقرب من فرانكفورت ، وهى هنا فى زيارة سريعة كسائحة ضمن جولات تقوم بها كلما اتسع وقتها لتتعرف على وطنها ألمانيا . . ثم تسألنا من أى مدينة فى مصر نحن ؟ . . وحين نقول لها أننا من القاهرة تتسع عيناها ـ العسليتان الجميلتان ـ إعجابا وإنبهارا وهى تقول أن القاهرة مدينة عظيمة سمعت عنها كثيرا وأن كانت الفرصة لم تتح لها بعد لتراها ، وإن كان ذلك فى برنامجها يوما ما بعد عدة سنوات » . . سألتها مندهشا : « ولماذا بعد عدة سنوات ؟ . . لماذا ليس قريبا ؟ » فقالت ضاحكة : « لأننى حتى العام الماضى فقط كنت طالبة وكنت أتقاضى مصروفى من أبى ، فكنت أدخر منه على قدر استطاعتى لأستطيع أن أزور البلاد التى أحبها ، لكننى لم أستطيع أن أزور غير اليونان فقط . . أما الآن وقد تخرجت وأصبحت مدرسة ، فإننى أوفر من مرتبى الشخصى » . . وآستطردت وهى لا تزال تضحك : « والذى أدخره من مرتبى أنا أقل كثيرا مما كنت أدخره من مصروفى من أبى . . لذا فإن الأمر قد يستغرق عدة سنوات قبل أن أستطيع زيارة القاهرة » . . . . .

وكأعزب جدا وكرجل

يحب الجمال أينما كان حتى وهو مغلول الآن بزميلة ذات كوع حاد ، وجهت إلى « كاتى » الجميلة الدعوة ـ باسم شباب مصر ـ لتزور بلادنا فى أقرب وقت ، ولتعتبر نفسها ضيفتى على الرحب والسعة ، على اعتبار أننا شعب ودود يحب كل الشعوب الصديقة و (يفتح لها ذارعيه) !! . .

فيا شباب مصر . . . إستعدوا . . . . .

الفصل الثالث والعشرون

شركة الملاكمون العرب . !

يومان مرا على

رحيلنا من « برانسباتل » .. أخذنا الكلام عن المدينة الصغيرة الظريفة فنسيت أن أذكر عدة أشياء حدثت ونحن هناك .. أشياء تستحق أن تروى ولو لمجرد إضافة ألوان وأضواء جديدة على صورة عالم البحر والحياة فى البحر من خلال رجال البحر المصريين الـ .. قطاع عام !! ..

حين أستقرت سفينتنا على رصيف محطة البنزين البحرية فى « برانسباتل » ذلك الصباح كنت لحظتها أقف فى قمرة كبير الضباط ، ومعنا الضابط الثانى « الحسينى » ومستر « سكيبر » المرشد الهولندى ، حين دخل وكيل الشركة فى « برانسباتل » ، ورحب به كبير الضباط بشدة وتهليل ، وجلس الرجل أمامه وفتح حقيبته السمسونيت ليخرج منها ظروف وأوراق يعطيها لـ « على » .. وهنا حدث شىء غريب ، أعقبه شىء أغرب ......

هب الضابط الثانى « الحسينى » من مكانه واقفا وجاء إلى ناحيتى ليأخذنى من كتفى ليجعلنى أطل من شباك القمرة إلى خارج السفينة وهو يفتح موضوعا للحديث لا مناسبة له ولامعنى على الإطلاق ، لمجرد أن يشغل انتباهى ويبعد نظرى عما يدور بين الوكيل وكبير الضباط !! ... ولما كانت حركة « الحسينى » مكشوفة جدا وشكلها واضح جدا وبلدى جدا ، فقد نهرته بضيق وقلت له : « ده وقته ياحسينى ؟ بعدين نتكلم فى المسألة دى » .. وعلى الفور يأتى التصرف الأغرب من كبير الضباط نفسه ؛ حين رفع رأسه نحونا ـ « الحسينى » وأنا ـ وقال : « عن إذنكم شوية ياجماعة .. لا مؤاخذة » !! ... وخرجنا .. وقام كبير الضباط وأغلق باب قمرته وراءنا !!!!! .....

مرة ثانية وثالثة ورابعة وعاشرة : لايخاف من رجال البوليس إلا اللصوص .. ماهى السرية الممكن أن تكون فى أوراق عادية متعلقة بالسفينة وعمل السفينة ومهمة السفينة ممكن أن يعطيها الوكيل لكبير الضباط ؟! .. لكننى على أى حال بعد الخبرة التى اكتسبها فى أكثر من شهرين الآن على هذه السفينة ـ أقدر « الظروف » وأعذر كبير الضباط .. و « الظروف » هنا بمعناها الذى يعرفه كل الناس وتعرفه الشركة فى الإسكندرية : « الظروف المغلقة » التى تحتوى على « اللى فيه القسمة » !! ..

وبطريقة (اللى على رأسه بطحة يحسس عليها) ، بمجرد أن دخلت باب قمرتى رن جرس التليفون : « الحسينى » يطلبنى ليحاول أن يزيل عن نفسى أثر ماحدث .. وبمجرد أن وضعت

السماعة يرن جرس التليفون مرة أخرى : كبير الضباط .. و الآخر يسترضيني على اعتبار إن « البحر كده » وإن « دا حال البحر » !!..

على أى حال أيها السادة أنا لست رجل بحر ، وهذه المسائل لاتهمنى إلا بقدر ما فيها من عمل صحفى ومن رأى منكم منكرا فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلمه أو بقلبه وهو أضعف الايمان .. وبما أن مرحلة أقوى الايمان : اليد واللسان ، ليست من اختصاصى ، ومرحلة أضعف الإيمان لسه بدرى عليها جدا معايا ، طالما أننى مازلت صحفيا ، فها أنذا أحاول أن أغيره بقلمى ، واللهم أنى قد أبلغت فاشهد ، ويبدو أنك وحدك الذى تشهد ، والشركة ـ القطاع العام ـ لاتشهد ، والوزارة لا تشهد ، والدولة كمان لاتشهد !!..

طيلة الفترة التى

قضيناها فى « برانسباتل » و الخوجة أو الضابط الإدارى يلف طول النهار فى شوارع المدينة الألمانية الصغيرة بحثا فى « أجانسات » السيارات عن سيارة مرسيدس آخر موديل ليشتريها !!!!..... وبصرف النظر عن كون عمنا « سعد سلامة » الذى تكاد وظيفته تماثل وظيفة أمين مخازن ليس إلا ، بصرف النظر عن احتمال كونه مليونيرا متنكرا فى ملابس أمين مخزن وأنا لا أعرف واللى مايعرفك يجهلك ، لكننى لم أكن أتصور أنه طلع هذه الرحلة وفى محفظته ثمانية آلاف أو عشرة آلاف جنيه استرلينى أو ٢٥ ـ ٣٠ ألف مارك ألمانى ليشترى بها المرسيدس التى يبحث عنها ... تيجى إزاى الحكاية دى ؟!!!.....

وبينما السفينة فى

لحظاتها الأخيرة فى « برانسباتل » تستعد لمغادرة « رصيف البترول » ، كان السفرجية ينقلون عشرات الأصناف التى استوردتها السفينة من المدينة الصغيرة .. كنت أقف فى جانب غرفة القيادة المطل على الرصيف أنا والقبطان و « منير الشحات » الضابط الثالث و « عادل أبو الخشب » « ضابط اللاسلكى » ولاعب الكرة السابق المشهور .. وأعجبنى شكل صناديق علب الزبادى الألمانية التى يحملها السفرجية صاعدين بها إلى السفينة ، ولست أدرى أى خاطر جعلنى أفكر فى عدها .. عددتها فوجدتها ٧ صناديق وكل صندوق فيه ١٨ علبة زبادى .. فقلت للقبطان مندهشا : « وهم الـ ١٢٦ علبة دول حايكفوا الطقم كله لغاية مانوصل مصر ، دول يادوب ٣ أيام بس » !!.... فرد القبطان على الفور : « دول ٣٠٠ علبة مش ١٢٦ ، وحايكفوا الطقم أسبوع مش ٣ أيام » ... أكذب أى شىء فى الدنيا الا نظرى ، طول عمره ٦ على ٦ : « لا ياقبطان ١٢٦ بس .. « لأ ٣٠٠ » .. « تراهن ؟! » .. وراهنت على أن الزبادى لن يكفى الطاقم غير ٣ أيام بس على اعتبار أن على السفينة الآن ٤٦ فردا فقط .. وقد كان ، ولم يقدم الزبادى للطاقم إلا ٣ أيام فقط ، وكسبت الرهان .....

هل فهمتم الآن معنى الـ « DRY BILL » أو « الفاتورة على الورق فقط » .. هى هذه الحالة بالضبط : الفاتورة التى يوقع عليها المسئولون على السفينة بأنهم قد تسلموا ٣٠٠ علبة زبادى ، فى حين أنهم لم يتسلموا غير ١٢٦ فقط ، أما الـ ١٧٤ علبة الباقية فيؤخذ « حقها ناشف » .. ويابخت من نفع واستنفع .. ونحسبها مع بعض : ١٧٤ علبة زبادى × ٠,٦٨ من المارك الألمانى ثمن العلبة الواحدة - (وذلك أصلا سعر مبالغ فيه جدا لعلبة زبادى فى أوروبا ، وهو بالشكل ده يساوى أكثر من ٢٠ قرشا للعلبة الواحدة .. على أى حال ، دعنا من ذلك الآن ولنكمل الحسبة) : ١٧٤ علبة × ٠,٦٨ من المارك = ١١٨,٣٢ مارك ألمانى × ٣٠ قرش مصرى سعر المارك الألمانى الغربى فى السوق السوداء = نحو ٣٥,٥ جنيها مصريا .. مجرد الفرق فى ثمن شوية علب زبادى هو ٣٥,٥ جنيها ... وماخفى كان أعظم ، وأظرف وأكثر !!!!!! ......

عرفتم ليه كبير الضباط وزعق من مكتبه ولم يكن يريدنى أن أكون موجودا أثناء وجود وكيل الشركة فى « برانسباتل » ؟!! ...

فى السادسة مساء

إنتهينا من المرور أمام سواحل إنجلترا وفرنسا .. مستر « سكيبر » المرشد الهولندى انتهت مهمته وجاء لنش من مدينة « بريكسهام » على الساحل الإنجليزى ليأخذه من سفينتنا فى عرض البحر ...

وفى منتصف الليل كنا ندخل مرة أخرى خليج الـ (باسكاى) الرهيب الذى يرعب كل سفن العالم .. الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود .. ولدت منه ١١ مرة من قبل وهذه هى المرة الـ ١٢ التى أعبره فيها ، فيارب سهل ونخرج منه على خير هذه المرة أيضا ، فـ ٣٠ ساعة فى الـ « باسكاى » ليست شيئا هينا ......

وظلت السفينة طول الليل « تدرفل » وتتمايل على جانبيها بشكل صعب جدا ، وكل شىء مغلق فى القمرة تحول إلى بندول ساعة حائط يتأرجح مع ميل السفينة بزاوية ٦٠ درجة يمينا ، ثم يعود فيتمايل معها ٦٠ درجة أخرى شمالا ... وتدربكت القمرة كلها بكل مافيها من زجاجات وأشياء موضوعة على الحوض ورف الحوض أورف الحائط ، واندلقت كل هذه الأشياء وكادت أن تنكسر لولا ستر ربنا .. وظللنا هكذا طول الليل .. ليلة عصيبة لم أذق فيها للنوم طعما ويا سادل الستر استر يارب واجعلنا تعبر الـ « باسكاى » على خير ، فلا زال أمامنا فيه يوم كامل ، ٢٤ ساعة أخرى .. خصوصا وأن قوارب النجاة المغلقة قد اختفت تماما ولم تعد موجودة فى مكانها على السفينة ، الظاهر باعوها ، كما أن تجربة الغرق برضه لم تتم حتى الآن .. وربنا يستر !! ...

أما « سلمى » فلم تشعر بشىء من ذلك كله ، لأنها أخذت المسألة من قصيرها وتناولت الأقراص المنومة ، وظلت طيلة الـ ٤٢ ساعة تستيقظ من النوم لتسأل : « البسكاى خلص والا لسه ؟ » ثم تتناول قرص المنوم وتعود إلى النوم مرة أخرى ... أروبة جدا الست دى : لم تصدق أن الـ (بسكاى) قد انتهى الا حين رأت بعينيها شواطىء أسبانيا على يسارنا فاطمأنت الى أننا قد عبرنا الـ « بسكاى » بالسلامة والحمد لله ....

والحمد لله أنها

لم تكن مستيقظة وعرفت بما حدث ، فلا أحد يدرى كيف كان ممكنا أن يكون رد الفعل عندها لو عرفت بأننا : تهنا فى وسط الـ « باسكاى » !!!!!! ....

ذلك حدث فعلا ، وهذا هو السبب فى أننى قلت فى بداية الفقرة الماضية أننا سنعبر الـ « باسكاى » فى ٣٠ ساعة ، ثم قلت فى نهايتها أننا عبرناه فعلا فى ٤٢ ساعة ....

فقد كان المفروض أن ننتهى من عبور الـ « باسكاى » قبل الرابعة صباحا . بعد يوم وربع من تركنا سواحل إنجلترا وراءنا ، وحينذاك تبدو لنا أضواء الشاطىء الأسبانى .. لكن الذى حدث أن الساعة الرابعة صباحا جاءت دون أن يظهر الشاطىء الأسبانى ، والسادسة صباحا جاءت دون أن يظهر الشاطىء الأسبانى ، ثم الثامنة صباحا والعاشرة صباحا .. وما لم يكن الشاطىء الأسبانى قد انتقل من مكانه وطلع أجازة مثلا ، فإننا نكون نحن اللى مش ماشيين فى طريقنا صح وأن اتجاه السفينة قد تغير دون أن نشعر .. وتغير إلى أين ؟! الله أعلم .. قد نكون نتوغل بشدة فى قلب خليج الـ (باسكاى) نفسه ويبقى اللى راح راح قلبى شكوتك لله .. أو نكون نتوغل فى الإتجاه الآخر ناحية المحيط الأطلنطى فى اتجاه أمريكا !! ..

ويتضح أن السفينة قد سوحت يمينا لمسافة ٢٠ ميلا فى وسط الأطلنطى فى اتجاه أمريكا فعلا قبل أن يكتشفوا ذلك .. ولو كانت المسألة قد طالت شوية زيادة لكان من المحتمل أن نكون الآن قربنا نوصل أمريكا ، ولكان من المحتمل أيضا أن نكتشف فى سكتنا قارة جديدة نسميها « أدريكا » على إسمى ، ويأكلنا الهنود الحمر بمجرد أن تطول أيديهم سفينتنا ..

ورغم أن « الحسينى » الضابط

الثانى ، الذى حدث ذلك فى ورديته ، قد أبلغ القبطان بما حدث بمجرد أن اكتشف أننا تايهين فى وسط البحر ، إلا أن القبطان لم يصعد إلى غرفة القيادة إلا بعد إبلاغه بثلاث ساعات ونصف !! .. راجل واثق من نفسه جدا ومن أنه قادر على أن يقود السفينة أو يصحح مسارها وهو فى غرفة نومه .. فهو لا يصعد إلى غرفة القيادة إلا إذا كنا داخلين ميناء أو خارجين من ميناء . , وللإنصاف ، فهو قد صعد فعلا مرة واحدة أخرى : يوم أراد تصوير الكلب (حسان) وهو يلعب معه بقطعة الثلج ، الشهادة لله !! ..

وبالمناسبة ، مادام جت السيرة ، فكل القباطنة المصريين حمير جدا ما عدا قبطاننا العظيم : هو وحده اللى بيفهم فى البحر ، وأى قبطان تيجى سيرته فى كلامنا يقول عنه على الفور : « أنا عارفه كويس .. دا حمار ولا يفهم حاجة أبدا » !! ..

السراجل الأهبل مشترى

مسدس صوت لعبة قد عقلة الصباع ، وداير يطرقع بيه طول الليل على السفينة فيوقظ النائمين ويزعجهم . . آل يعنى فارس بنى جحش أو فارس بنى هيفان . .

قفزت السى ذهنى

اليوم فكرة وأنا فى غرفة القيادة صباحا بعد تصحيح مسار السفينة لتعود إلى خط سيرها الأصلى ، واطمأن الجميع ، ورأيت القبطان يلاعب « الحسينى » ملاكمة فى غرفة القيادة ، و « الحسينى » ـ ضابط الواردية المسئول ـ يجرى منه فى كل اتجاه . . وتذكرت مباريات المصارعة الحرة التى نراها فى التليفزيون فى مصر . . ففكرت فى أنها قطعا سوف تكون فكرة ظريفة جدا لو أننا عملنا شركة استثمار أجنبى نسميها (شركة الملاكمون العربُ) ، ونولى رئاستها لقبطاننا الملاكم ، وتقام ملاكماتها دائما ـ كنوع من الإبتكار وكطابع مميز للشركة الجديدة ـ فى غرف القيادة فى السفن وبين ضباطها البحريين فقط . .

ما رأيكم فى فكرتى ؟! . .

وأنا أنظر من

نافذة قمرتى الى البحر هبط علىّ فجأة شيطان الشعر ومعه الوحى ، فشرعت أنظم قصيدة رائعة مطلعها :

ويا أيها البحر الغويط كأنما . . . .

ثم توقفت . . شيطان هايف صحيح ، فقد انصرف شيطان الشعر فجأة كما جاء فجأة قبل أن أكمل نظم حتى البيت الأول من القصيدة . . ويبدو أنه شيطان شعر إشتراكى ملتزم ، ملتزم ـ فقط ـ بمواعيد الإنصراف !!

هل تذكرون الفزورة

التى كانت تقال لنا زمان واحنا صغيرين : « أيهما أثقل : قنطار قطن أم قنطار حديد ؟ » ، وكنا ـ لسذاجتنا ولأننا لسه عيال ـ نقول على الفور : « قنطار الحديد طبعا » . . لكن حل الفزورة يكون هو أن قنطار القطن وقنطار الحديد يتساويان فى الوزن لأن كليهما : قنطار !! . .

بعد تعاملى مع البحر اكتشفت أننا كنا زمان ناصحين وفاهمين وبنقول حل الفزورة صح ، لأننى عرفت الآن أن ـ على سفن البضائع ـ قنطار الحديد أثقل من قنطار القطن . . إزاى ؟! . .

لنتصور أن عندك حقيبتين متساويتان فى « الحجم » بالضبط . . سعة « الفراغ » فى داخل كل منهما متساوية بالضبط . . ملأت واحدة منهما حتى آخرها بعلب أدوية فارغة ، علب الورق المقوى الصغيرة التى توضع فيها الأدوية . . وملأت الحقيبة الأخرى حتى آخرها أيضا ، لكن بكتل من الحديد . . أى من الحقيبتين ستكون أثقل من الأخرى ؟! . .

مفيش نسبة قطعا . . الحقيبة التى فيها علب الأدوية الفارغة ستكون خفيفة كالريشة بالمقارنة بالحقيبة الثانية التى فيها كتل الحديد ، رغم أن « حجم » الحقيبتين واحد بالضبط . .

ذلك تماما ما يحدث بالنسبة لسفن شحن البضائع : سفن محملة بعربات سكة حديد مثلا أو بآلات وماكينات وأجهزة حديدية ، فإنها ستكون ثقيلة الوزن . . نفس السفينة هى هى لو حمّلتها بشحنة قطن ، مثلا ، فإنها ستكون خفيفة كالريشة بالقياس إلى شحنة الحديد . .

وذلــــــك ما حــــدث بالضبــــط

مع سفينتنا : ونحن خارجون من الإسكندرية فى طريقنا إلى أوروبا كانت شحنة السفينة أرز وغزل نسيج ، فكانت الحمولة ثقيلة نوعا ما ، وذلك يعطى السفينة فى البحر شكل الثبات والإستقرار والإتزان . . أما فى رحلة العودة من أوروبا فكانت شحنتها عبارة عن كمية هائلة من : الزجاجات الفارغة !! . . زجاجات فارغة تستخدم فى تعبئة البيرة ، تشتريها مصر من ألمانيا ـ فاضية ـ لتعبأ وتملأ فى مصر ثم يعاد تصديرها مرة أخرى ، لكن المهم أن الشحنة كانت زجاجات فارغة . . لذا كانت الشحنة ، والسفينة ، خفيفة الوزن جدا ، مما يجعلها هشة وضعيفة جدا كلعبة صغيرة أمام هبات الريح والعواصف ، وأمام الأمواج العالية أو حتى نصف العالية !! . . لذا فإن رحلة العودة بالنسبة الينا متعبة أكثر من رحلة الذهاب ـ خصوصا ونحن فى بحر الشمال وفى خليج الـ (باسكاى)ـ فالسفينة تشق طريقها فى البحر بصعوبة لأنها خفيفة ، والأمواج العالية تجعلها تتمايل على الجانبين أكثر كثيرا . .

وحيـــــن ســــألت عـــــن

. . « البحر قد إيه » قالوا لى أنه بين ٣ و ٥ . . طبعا حكاية « البحر قد إيه ؟ » هذه وحكاية « بين ٣ و ٥ » غير مفهومة بالنسبة للقارىء العادى الذى ليس له علاقة بالبحر ، ولم تكن مفهومة بالنسبة لى زمان ، لولا ما اكتسبته من شوية الخبرة ومعرفة ومعلومات بحرية بعد ٦ رحلات طويلة فى البحر . .

حتى الأمواج أيضا لها درجات فى ارتفاعها وعلوها ، تتراوح بين درجة واحدة و ١٣ درجة . . ولتقريب المسألة الى الأذهان قليلا ، فلنفترض أنك تسكن فى عمارة مكونة من ١٣ دورا . . فإذا كانت الأسانسيرات شغالة وكويسة لم تكن هناك مشكلة ولا حاجة . . أما إذا تعطلت الأسانسيرات وأصبح من المحتم على السكان أن يصعدوا على السلم ـ كما يحدث كثيرا فى العمارة اللى أنا ساكن فيها فى ميدان رمسيس فى القاهرة ـ فإن ساكن الدور الأول سوف يصعد على السلم خفيفا نشيطا على اعتبار أن المشوار قريب وسهل والمسألة بسيطة ـ (البحر نمرة واحد) ـ . . سكان الدور الثانى سوف يسلمون أمرهم الى الله ويتنهدون ويصعدون على السلم بتثاقل شوية ، لكن برضه المسألة محتملة الى حد ما وتهون ـ (البحر نمرة ٢) ـ . . سكان الدورين الثالث والرابع سوف يسبون ويسخطون ويلعنون وهم صاعدين ٣ أو ٤ أدوار على السلم ، وسوف يتعبون جدا صعودا وهبوطا ـ (البحر نمرة ٣ و ٤) ـ . . أما سكان الأدوار من ٥ الى ٧ فان المسألة تصبح بالنسبة إليهم فى غاية التعب وحاينقطع قلبهم ومساكين حالهم حايبقى يصعب على الكافر ـ (البحر نمرة ٥ الى نمرة ٧) ـ . . أما سكان الأدوار من ٨ الى ١٢ فإن المسألة تصبح بالنسبة إليهم كارثة ومصيبة والصعود على السلم هنا نتيجته مسألة مشكوك فيها جدا ، من مستوى « ربنا كبير » و « ينكتب لهم عمر جديد » و « ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف » و « يالطيف اللطف يارب » ـ (البحر بين ٨ ١٢) ـ . . أما سكان الدور الـ ١٣ فهذه مسألة بالعكس ليست مخيفة على الاطلاق : تضع فى بطنك بطيخة صيفى وتطمئن تماما وتدخل قمرتك وتغلق بابها عليك من الداخل وتستلقى على سريرك وتنام ولا تفكر فى أى شىء على الإطلاق ، فإنك لن تكون محتاجا إلى التفكير بعد ذلك أبدا ، لأنك حاتنام مش حاتصحى تانى !!!

اليـــــوم ١١ مـــــن رمضـــــان

. . بسرعة فات أكثر من ثلث شهر رمضان وباقى أمامنا نحو ١٠ أيام أخرى قبل أن نصل إلى الإسكندرية . . ولعل شهر رمضان هذا العام هو أغرب رمضان مر على « سلمى » حتى الآن . . فقد بدأته فى ألمانيا الشرقية ، وقضت جزءا منه فى ألمانيا الغربية ، وجزءا كبيرا منه فى وسط البحر ، وغالبا ستقضى أجزاء أخرى منه فى الموانى الجديدة التى سوف نتوقف عندها قبل أن نصل إلى الإسكندرية ، وبعد ذلك سوف يتبقى منه عدة أيام تقضيها فى بيتها وفى وسط أسرتها فى مصر . .

وإذا كان ذلك قد حدث لـ « سلمى » مرة واحدة حتى الآن ، وقد يتصادف أن يحدث لها مرة أخرى أو مرتين بعد ذلك ـ إذا لم تتوب عن الصحافة بعد هذه الرحلة ـ فإن ذلك يحدث للبحارة وأهل البحر طول عمرهم وطالما هم يعملون فى البحر ، فعلى قدر علمى أن البحر لا يأخذ أجازة فى رمضان !! . .

وعلى ذكر شهر

رمضان . . فإن مواعيد الإفطار على السفينة تختلف وتتباين تباينا شديدا يوما بعد آخر ، تبعا للموقع الذى توجد فيه السفينة كل يوم ، لأننا ماشيين طوال الـ ٢٤ ساعة طبعا دون توقف ، وبالتالى فإن خطوط الطول والعرض التى تقطعها السفينة تتغير كل يوم ، بل كل ساعة . .

أول أمس أفطرنا ٨,١٥ مساء . . أمس أفطرنا ٧,٥٠ مساء ، بفارق ٢٥ دقيقة . . اليوم أفطرنا فى التاسعة إلا ثلثا مساء ، بفارق ٥٠ دقيقة عن أمس . . غدا نفطر فى العاشرة الا ثلث مساء . . يعنى بفارق ساعتين كاملتين عن أمس وبساعة كاملة عن اليوم . . المفروض إن كل ده يتحسب لنا (أوفر تايم) عند محاسبتنا لدخول الجنة !! . .

شعرى طال جدا

جدا حتى أصبح يضايقنى تماما . . ثلاثة شهور كاملة الآن لم أحلقه فيها . ليس تسريحه أو تمشيطه فقط هو الذى يضايقنى ويتعبنى جدا ، لكن مجرد وجوده هكذا فوق رأسى أصبح مثيرا لعصبيتى كأننى أحمل فوق رأسى هما ثقيلا . . والله يكون فى عون الذين يحملون فوق رؤوسهم فرش تنفيض وزحافات أسقف !!

أما ذقنى فأنا مستريح منها تماما . . عودت نفسى منذ بداية هذه الرحلة ألا أحلقها إلا إذا كنا داخلين ميناء . . بحجة أننى « أريحها » !! . .

السفينة المصرية « الشرقية »

التابعة لنفس الشركة صاحبة سفينتنا . . مرت إلى جوارنا اليوم فى عكس اتجاهنا ، فى طريقها إلى أوروبا . . تبادلت السفينتان ، باللاسلكى فى عرض البحر ، آخر الأخبار فى مصر وآخر الأخبار فى أوروبا . . أهم الأخبار عند أهل سفينتنا هو صدور حركة ترقيات لضباط السفن فى الشركة فى الإسكندرية خلال وجودنا نحن فى أوروبا . . الضابطين « منير الشحات » و « الحسينى شعبان » من ضباط سفينتنا تمت ترقيتهما وتثبيتهما فى رتبة (ضابط ثان) ، وأثار ذلك موجة من السرور والسعادة والإنبساط بين ضباط السفينة . . فى ظلام غرفة القيادة فى الثانية بعد منتصف الليل احتفل الضباط بترقية زميلهم « منير » . . إحتفالا على قد الحال وعلى قد الظروف : علب (سينالكو) مستوردة وتفاح . . السفرجى « عطيطو » شارك فى الاحتفال بطبق كبير من البرقوق قدمه هدية من عنده ، حبا فى « منير » وفرحا لترقيته !! . .

« عابد » الطالب البحرى

.. خرجت إلى ممشى السفينة أستنشق هواء نقيا فوجدت « عابد » يتمشى وحيدا رايح جاى رايح جاى وهو يردد فى انهماك واستغراق شديدين : « الله ينور ، الله ينور الله ينور الله ينور » !! .. سألته فى دهشة شديدة وقد ظننت أن الفتى قد أصيب بحالة دروشة نتيجة بقائه مدة طويلة فى البحر : « مالك ياعابد ، كفا الله الشر ؟! » .. فأجاب بسرعة : « ولا حاجة . بس باذاكر علشان أستعد لامتحان رتبة كبير ضباط » !! .. وعاد يردد بسرعة - كأننى عطلته بسؤالى - : الله ينور الله ينور الله ينور » !! ..

« الله ينور » هذه هى العبارة التى لا يكف « على أبو طالب » كبير ضباط سفينتنا عن ترديدها بمناسبة وبدون مناسبة من باب التشجيع للبحارة ورفعا لمعنوياتهم كلما قاموا بأى شىء مهما كان هذا الشىء هايفا وتافها ، حتى والسفرجى يقدم له الشاى أو كوباية ميه .. وهو يرددها بشكل آلى كأنها جاهزة على لسانه بتتلكك على أى فرصة للخروج .. لدرجة أننى أتصور أنه لو جاءه واحد من ضباطه يجرى ليخبره بأن السفينة بتغرق ، فسيرد « على » على الفور : « عال .. الله ينور » !!!! .....

« علـى أبـو طالـب »

- بالمناسبة - عمره من عمر « مراد العلايلى » قبطان السفينة (المندرة) ، و « العلايلى » قبطان منذ ٤ سنوات و « على » لازال كبيرا للضباط فقط حتى الآن .. كلما تكلم « على » افتعل مناسبة ليقول ويكرر أنه أقدم كبير ضباط فى الشركة وأن كل (كبار الضباط) فى الشركة الآن تلامذته وتدربوا على يديه !! .

والله يا « علوة » أنا لو مطرحك كنت أنكسف أقول الحكاية دى .. لأن ده معناه ان كل كبار الضباط على سفن الشركة كانوا ضباط صغيرين واتمرنوا على ايديك ثم صعدوا واترقوا عليك وعدوك وسابوك وفاتوك وانت لسه واقف مطرحك زى ما انت !! .. معلش يا « تشيف » .. بلاش انت تقول الحكاية دى تانى ، وأنا من ناحيتى مش حانشرها !! ..

وبمناسبة كبير الضباط

أيضا .. فإن « على أبو طالب » - بعد رحيل « خيرى شلبى » عائدا الى مصر قبلنا بنحو شهر تقريبا - ظل يصر على تذكرتى بين حين وآخر بأنه - أى « على » - دفع عن « خيرى » قيمة ما استهلكه من سجاير وبيرة طوال فترة وجوده على سفينتنا .. حتى فوجئت اليوم بالضبط الإدارى « سعد سلامة » يقول لى أنه هو - أيضا - قد دفع عن « خيرى » قيمة البيرة والسجاير اللذين استهلكهما خلال وجوده معنا !!!!! ..

أيا كان منهما الصادق وأيا منهما الكذاب ، فمنك لله يا « خيرى » .. فضحتنا !! ..

قاربنا أن ننتهي من المحيط

الأطلنطى ومن المرور أمام سواحل البرتغال وأسبانيا لندخل مضيق جبل طارق ، وبالتالى فقد اقتربنا جدا من سواحل مراكش . . أصبحنا الآن نرى إرسال تليفزيون المغرب بوضوح جدا على سفينتنا . . بعد الإفطار اليوم رأينا القرآن الكريم والتواشيح الدينية من المرحوم الشيخ « سيد النقشبندى » ، وبرنامج (أسماء الله الحسنى) . .

شهر رمضان بعيدا عن مصر لا طعم له ولا روح ولا مغنى . .

المياه انتهت تماما

على السفينة فيما يبدو . . ليس هناك نقطة مياه واحدة فى حنفيات حوض قمرتى ولا فى دورة المياه ولا فى دش الحمام ، وبالتالى فلم أتشطف ولا غسلت وجهى ولا أخذت دش ولا خرجت من باب قمرتى على الإطلاق إلا بعد أن أمر لى كبير الضباط بجردل مياه من حنفية المطبخ أحضره لى السفرجى « عطيطو » ف (تيممت) بقليل جدا منه ، واحتفظت بباقى المياه فى الجردل عندى فى القمرة ، ينفع وقت زنقه ، ما حدش عارف الظروف فيها ايه تانى . .

لكن المهم أننا بذلك يكون من الضرورى جدا أن ندخل الى أقرب ميناء بشكل عاجل جدا ، إن لم يكن اليوم فغدا . . أقرب الموانى إلينا الآن هما ميناء « طنجة » المدينة الدولية عند ملتقى جبل طارق بالمحيط الأطلنطى ، أو ميناء « سوتا » بعد عبورنا جبل طارق بقليل على الشاطىء المغربى . . وسوف نعبر مضيق جبل طارق إلى مدخل البحر الأبيض غدا قرب العاشرة مساء . .

آخر خبر وصل

الآن فقط : تقرر فعلا أن ندخب ميناء « سوتا » غدا بعد منتصف الليل . . . .

الفصل الرابع والعشرون

السوق البيضاء تكسب !

سوتا
SEUTA
.. هذه

النقطة الصغيرة جدا كرأس دبوس على الخريطة لا تكاد تبين ولا تكاد ترى ، هى من المدن القليلة جدا فى العالم الآن التى لها وضع مشابه : الأرض أرض أفريقية ، والحكم أو الإدارة أوروبية .. الأرض أرض المغرب والحكم حكم أسبانيا ، إمتدادا لاحتلال إسبانيا للصحراء الأسبانية التى جلت عنها مؤخرا منذ فترة لتترك ثلاثة دول عربية تتنازع عليها : المغرب والجزائر وموريتانيا .. ومع ذلك فقد كان جلاء أسبانيا عنها بالإسم فقط ، لكن الموظفين والعمال والمرشدين والبحارة فى الميناء جميعهم أسبان ، ورجال البوليس والشرطة أسبان ، والإدارة لا زالت أسبانية ، وأغلب محلاتها أسبانية وأوروبية ، وتتعامل بالعملتين معا فى وقت واحد : البيزتة الأسبانية والعملة المغربية !! ..

« سوتا »
ميناء
طوارىء

.. ميناء احتياطى .. لا تدخله السفن عادة إلا فى حالة الضرورة القصوى .. « طنجة » قريبة جدا منها وكبيرة جدا عنها و(ظريفة) جدا عنها .. لكن « سوتا » ميناء هادىء مريح ، الخدمات البحرية فيه سريعة لأنه لا يستقبل إلا عددا قليلا جدا من السفن .. لم تكن هناك غير سفينة واحدة حين دخلت سفينتنا « سونا » ، ولم تصل فى اليوم التالى طوله غير سفينة واحدة حتى تركنا نحن « سوتا » .. وحين رسونا نحن قرب منتصف الليل وقبل أن تصل سفينتنا إلى الرصيف كان هناك عدد من تاكسيات المدينة الصغيرة قد شعر بمجيئنا - ونحن لا زلنا فى عرض البحر - فجاؤا جرى ليكونوا فى انتظارنا ، ترقبا لتوصيلة إلى وسط المدينة : ٥ دقائق بالتاكسى و١٠ دقائق سيرا على الأقدام ، أو ترقبا لأى شيء ممكن أن يبيعه ويكسب منه سائقو التاكسيات النشيطة التى جاءت ..

مالطة ولاكرونا وهولتناو

و« كيل » و« برانسباتل » ، ومثلهم فى ذلك « سوتا » ، موانى مفتوحة : تنزل من السفينة فتجد نفسك فى المدينة مباشرة . . لا بوابات ولا أسوار ولا حواجز ولا حرس ولا بوليس ولا جمارك : خذ شنطتك فى ايدك واتمشى خطوتين تجد نفسك فى وسط المدينة دوغرى . . لن تجد مخبرا ببالطوكاكى يستوقفك ليفتشك ، ولن تجد شاويشا يضع نفسه فى طريقك ليقبض المعلوم . . أنت فى وسط المدينة مباشرة : معك شيء تريد أن تبيعه ؟ إتفضل بيع . . تريد أن تشترى أى شيء ؟ إتفضل اشترى اللى انت عايزه وخذ شنطتك فى إيدك وعد إلى سفينتك مرة أخرى ومع السلامة . . بدون رسوم وبدون جمارك ولا معونة شتاء ولا ضريبة دفاع . . . .

المدينة تكاد تقارب

بورسعيد حجما . . متوسطة الإتساع لكنها ظريفة جدا وجميلة جدا ، تجمع فى خلطة متجانسة جدا بين الجمال العربى فى المنطقة القديمة منها ، والجمال الأوروبى فى نظامها ومحلاتها ومبانيها وعمارتها وشوارعها . . اللغة السائدة فيها هى الأسبانية . . وتجمع فى شوارعها أيضا جنبا إلى جنب العباءة المغربية ذات القناع الذى يخفى وجه المرأة ، والعباءة الرجالى مقفولة الصدر والطربوش المغربى الأحمر ، إلى جانب الميكروچيب والبنطلونات الـ (چينز) والفساتين القصيرة جدا والمشلح والمقور والمدور وأحدث الصيحات الأوروبية فى الأزياء والملابس والسلع والمعروضات . . وتجمع إيضا بين المحلات على النظام الأوروبى الشيك جدا وطريقة العرض المودرن شديدة الجاذبية ، الى جانب المحلات المغربية التى تبيع السلع العربية التقليدية كالملابس المغربية الطراز والعقود والأساور والخلاخيل العربية التى تكاد تشبه بضائع خان الخليلى عندنا فى القاهرة . .

وأيضا الأسواق المغربية

الشهيرة التى تشبه سوق باب اللوق عندنا لكنها عبارة عن مبنى أو عمارة واحدة مبنية بنظام خاص لتكون كلها سوقا من عدة طوابق وله عدة أبواب ، لكن ليس هناك بائع واحد فارش بضاعته على أبوابه . . السوق فى

داخل العمارة فقط المقسمة إلى عدد كبير جدا من المحلات الموزعة حسب التقسيم النوعى : محلات الجزارة وبيع الدواجن والطيور المذبوحة ولحمة الرأس والكرشة والفشة والكوارع وما إليها - بالطريقة المصرية - كلها فى جناح واحد متعاقبة وراء بعضها ، وكلها تضع التسعيرة ، وكلها تلتزم بالتسعيرة . . محلات الفاكهة كلها وراء بعضها متجاورة أيضا ، وأيضا تضع التسعيرة وتلتزم بالتسعيرة . . وبالمناسبة : الفاكهة هنا فاخرة جدا وممتازة جدا ، ولكنها إيضا غالية عنها فى الكثير من البلاد الاوروبية ،وغالية جدا عن مصر ، وغالية جدا جدا عن بلاد أوروبا الشرقية . . مجرد ملحوظة . .

لكن فيما عدا الأكل ، فبشكل عام كل ما يخطر على بالك من الأصناف والمنتجات الأوروبية موجود هنا فى هذه المدينة الصغيرة التى لا يزيد حجمها على الخريطة على رأس دبوس . . وبأسعار أرخص كثيرا جدا عن كثير من الدول الأوروبية ، خصوصا عن مثيلاتها فى ألمانيا الغربية ، آخر دولة زرناها . . مع ذلك فأننى أنصحك إذا كنت فى « سوتا » - أو فى أسبانيا عموما - ألا تشترى من المحلات التى أصحابها هنود . . محلات شيك صحيح وفاخرة صحيح وتضوى من النظام والنظافة والأناقة وحسن الأستعداد والتجهيز مثلها مثل كل المحلات الأسبانية ، لكن الأسعار فيها أغلى من أى محلات أخرى - حتى الأسبانية - بنسبة ٢٥ ٪ على الأقل !! . .

والواضح تمـاما هنـا

أن الأسبان فى المدينة - وأسبانيا تواجه « سوتا » على الشاطىء الآخر من البحر الأبيض - أكثر كثيرا من المغاربة أصحاب البلد الأصليين . . لكن الوجود المغربى ، مع ذلك ، موجود وملحوظ . . أما بالنسبة لمستوى الجمال ، وهذه نقطة هامة يجب أن تنتبه إليها جامعة الدول العربية ، فإن الجمال الأوروبى هنا مكتسح الملعب . . البنات الأسبانيات يكسبن على طول الخط . . المباراة من جانب واحد فقط . .

شرطية المرور الحسناء الوسيمة بملابسها الرسمية الشيك وقبعتها الظريفة ، أشبه بمضيفة طائرة زى القمر ، مانيكان ، طائرتها متأخرة فى الأصلاح فجاءت بدلا من قعدة البيت تستعرض حسنها على الناس فى الشارع . .

الفيرى بوت أو المعدية

هنا هو أحد معالم « سوتا » الكبيرة ، ومحطته على الشاطىء تكاد تشبه مطارا . . الـ (فيرى بوت) هو سفينة الركاب التى تعمل فى خط قصير منتظم بين ميناء جبل طارق على الشاطىء الأوروبى وبين مدينة « سوتا » على الشاطىء الأفريقى . . تعبر عرض البحر الأبيض فى ثلثى ساعة : ٤٠ دقيقة . . تأخذ السياح من جبل طارق فى أوروبا إلى « سوتا » فى المغرب فى قارة أفريقيا بأجر زهيد جدا وبسرعة جدا ، وبلا جوازات سفر ولا رجال بوليس يفتشونك وأنت طالع وأنت نازل . . لذا فحركة السياحة نشيطة جدا فى المدينة المغربية الصغيرة هنا . . وتستطيع أن تأتى فى الصباح من أوروبا لتقضى يوم طول النهار أو حتى عدة ساعات - إن شاالله حتى نصف ساعة - فى أفريقيا ، ثم تعود مع نفس الـ « فيرى بوت » مرة أخرى الى أوروبا . . الأكثر من ذلك أن تستطيع أن تكون موظفا فى أوروبا - جبل طارق - وبيتك فى أفريقيا - « سوتا » أو « طنجة » - أو العكس . . وتنزل من بيتك كل صباح ذاهبا إلى مكتبك فى قارة أخرى - ثم تعود ظهرا أو بعد انتهاء العمل لتتناول غداءك فى بيتك فى أوروبا مع أولادك وأسرتك !! . . عظمة ، وتقارب جغرافى بين القارات ، عقبال ما يبقى تقارب سياسى واجتماعى وفى المستوى المعيشى وفى كل شىء . . يارب . .

أظرف شىء هنا

أنك لا تجد سوق سوداء ، إنما تجد سوقا بيضاء !! . . استبدال العملات يتم خارج البنك - فى السوق السوداء - أرخص من البنك !! . . المارك الألمانى الغربى خارج البنك بـ٢٤ بيزتة أسبانية ، وفى البنك بـ٢٦,٥ بيزتة !! . . يعنى السوق السوداء هنا سوق بيضاء اللى يتعامل فيها يبقى أهبل لأن البنك يعطيه أكثر !! . .

ونحن نتجول فى

شوارع « سوتا » شاهدت مبنى ضخم لشركة أسبانية كبيرة لفت نظرى إسمها . . تركيبة الإسم تكاد تشبه شيئا أعرفه . . ليس غريبا على نظرى وليس غريبا على أذنى . . قرأت الإسم على مهلى فوجدته . .

« أدرياسيدس » . . « أدرى / ياسيدس » . . « قدرى ياسيدس » !! . . فرحت وتفاءلت خيرا واستبشرت . . مين عارف ؟ ! . . . .

العسكرى الأسبانى الظريف

الذى استوقفنى قرب الميناء وأعطانى بيزتة أسبانية جديدة لامعة - قرش صاغ مصرى اقريبا - وطلب منى أن أعطيه أى قطعة عملة مصرية لأنه يجمع العملات المعدنية من كل بلاد العالم . . لم يكن فى جيبى وقتها ولا مليم واحد مصرى ، فطلبت منه أن يأتى معى الى السفينة - على بعد ١٠ دقائق فقط من مكاننا - وأنا أعطيه مجموعة من العملات المعدنية المصرية ، لكنه لم يستطع أن يترك موقعه فاعتذر لى ، لكنه رفض أن أعيد اليه البيزتة الأسبانية التى أعطاها لى . . كتر خيره . . راجل ذوق . .

وشطبت « سوتا » على

آخر عملة أجنبية كانت معى أو مع « سلمى » . . أفلسنا تماما كلانا ولم يبق معنا غير قطعة معدنية واحدة فئة خمسة بيزتات أسبانية ، يعنى شلن مصرى ، لا تكفى ولا لشراء رغيف فينو حاف . . ببساطة جدا وأمام محل بقالة ذاقت « سلمى » من كل أصناف الجبنة والطرشى والمخللات المعروضة أمام باب المحل ، وأفطرت هى بهذه الطريقة وشبعت وحمدت ربنا . . ثم نظرت الى محل فكهانى يبدو على البعد وقالت : « تعالى بأه نحلى » !! . .

تهريب السجاير هو هو

فى كل ميناء فى العالم مهما كانت ظروفه السياسية والإجتماعية . . هنا أيضا فى « سوتا » حدث ذلك : عشرات من صناديق السجاير الكبيرة الضخمة ـ ٥٠ خرطوشة فى الصندوق الواحد ٥٠٠ علبة فى الصندوق الواحد : ١٠,٠٠٠ سيجارة فى الصندوق الواحد !! ـ عشرات الصناديق نزلت من السفينة عيانا جهارا تحت أنظار رجال البوليس الأسبانى وأمام أعين القبطان وكبير الضباط وصغار الضباط ، دون أن يتدخل أى واحد من الطرفين فى الموضوع ، بالعكس ، رجل البوليس الأسبانى النشيط ساعد فى تحميل صناديق السجاير من السفينة إلى الحقائب الخلفية لسيارات التاكسى الواقفة فى الإنتظار . . وضباط سفينتنا من ناحيتهم أبدوا دهشتهم الشديدة لـ : دهشتى أنا !!!! . . . . « مندهش ليه ؟ ! ماهو كده كويس

جدا وعال العال . . خلّى الناس تسترزق وتاكل عيش . . وأحسن لنا ـ كضباط مسئولين على السفينة ـ علشان رجال الجمارك المصريين لما يطلعوا السفينة يفتشوها لما نوصل ما يلاقوش حاجة كده والاكده لا سمح الله . . ثم : مادام القبطان موجود على السفينة وشايف كل حاجة ، واحنا مالنا أحنا ؟ ! . . وجود القبطان يلغى وجودنا أحنا وسلطته تلغى سلطتنا أحنا ، ومادام هو موجود يبقى شايف وعارف ، وهو المسئول » !! . .

تذكرت أننى كنت

قد أندهشت جدا ونحن فى « برانسباتل » حين رأيت كمية السجاير الأجنبية المستوردة التى وصلت إلى السفينة من المتعهد : المفروض أن لكل ضابط حصة يومية محددة : ٥٠ سيجارة فى اليوم ، ولكل بحار ٣٠ سيجارة فى اليوم . . فهل سوف يستهلك الطاقم ـ ٤٢ ضابط وبحارا ـ كل هذه الكمية الهائلة التى وردت من السجاير ، فى خلال عشرة أيام فقط حتى نصل إلى الأسكندرية ؟ ! . .

لكننى أكتشفت الآن أننى كنت طيبا وساذجا وعلى نياتى زيادة عن اللزوم : فلم أكن أعرف أن الشركة المصرية للملاحة البحرية قد أصبحت فرعا دوليا متنقلا من شركة النصر للإستيراد والتصدير ، وأصبحت تستورد السجاير الأمريكية من ألمانيا الغربية لتعيد تصديرهاإلى أسبانيا ، وآهو كله مكسب وكله ماشى . . ويا شركة راجعى كشوف مشتريات السفينة فى « كيل » وفى « برانسباتل » . . هذا إذا كانت هذه الأشياء قد دخلت أصلا فى كشوف رسمية فعلا ولم تدخل ـ من برة برة ـ فى الكشوف « الشخصية » فقط !! . . .

كتير من الأبابيح

مادام إنت رايح . . الناس هنا على السفينة يتصرفون أمامنا ـ كصحفيين ـ ببساطة جدا كأنهم يعلمون أن هذه الرحلة سوف تكون آخر رحلة لهم فى البحر !! . . بيسرقوا ويهلبوا ويهربوا ويهبشوا كجائع مفجوع فى آخر وجبه له فى الدنيا ، وبيعملوا زى ماهم عايزين قدامنا واللى يحصل يحصل ، بطريقة (ضربوا الأعور على عينه) ولما نبقى نوصل إسكندرية يبقى يحلها ربنا !! . .

إما إنهم مطمئنين تماما إلى أن مفيش حد من الشركة ـ لسبب أو لآخر ـ سوف يستطيع أن يفعل لهم شيئا . . أو أنهم مطمئنين تماما إلى أن المسئولين فى الشركة حين يقرأون هذا الكلام منشورا سوف يهزون أكتافهم ويقولون : « يا شيخ . . دِه كلام جرايد » !! . . فعمليات التهريب تحدث أمامنا علنا وعينى عينك . . وحين نبهت إليها كبير الضباط قال لى فى البداية : « وأنا مالى . . دى حاجات المهندسين . . والمهندسين مش تبعى » ثم ينبرى مدافعا هو والضابط الثانى فى حماس شديد ، على إعتبار أن تهريب السجاير هنا فى أى ميناء قبل العودة إلى الإسكندرية يجنب

السفينة المتاعب الممكن أن تواجهها إذا تعرضت للتفتيش من رجال الجمارك المصريين فى الإسكندرية ، المفروض ألا يجدوا مع أى بحار أو ضابط أكثر من خرطوشتين سجاير أو ٣٠ علبة فقط ، والباقى يصادر ويدفع صاحبه غرامة ثلاثة جنيهات كاملة عن كل خرطوشة زيادة » !! . . وحين أقول لكبير الضباط : » هى مش الحاجات دى جاءت إلى السفينة أصلا بعلمك أنت وبكشف كتبته أنت شخصيا ووقعته أنت شخصيا ؟ ! » لى : « طيب وأنا مالى . . واحد عايز يشترى بفلوسه كلها سجاير : مش هو حر ؟! أقدر أمنعه ازاى ؟ ! . . « ولو كان عايز يشترى بيها أفيون و حشيش أو كوكايين ياعلى ؟ ! . . تمنعه والا لأ ؟ ! » . . « أمنعه طبعا » . « دى زى دى يا كبير . . ياللى وزعت بنفسك قائمة أسعار المشتريات من الترانزيت على البحارة والضباط والمهندسين . . وجمعت أنت طلباتهم كلها فى كشف واحد وأعطيته للمتعهد بإيدك علشان يجيب لهم هذه الطلبات . . كنت عارف أن ممنوع دخول كل هذه الكميات من السجاير ميناء الإسكندرية والا لأ ؟ « كنت عارف » . . « وكنت متصورا إن الطقم حايدخنوا كل هذه الكميات المهولة - بالإضافة إلى الكميات المخصصة لهم أصلا من تموين السفينة - فى خلال ١٠ أيام قبل ما يوصلوا إسكندرية ؟ ! » ويرد كبير الضباط موروطاً : « لأطبعا مش ممكن » . . « إذن عارف إن هذه الكميات المهولة من السجاير بتشتريها السفينة بالعملة بتاعة الدولة : بتاعة مصر ، علشان تتباع فى موانى تانية قبل ما السفينة نوصل إسكندرية ؟ ! . .

وصمت كبير الضباط الصمت البليغ ، ولا يجيب !! . .

وإذن : فحكاية لعبة

خزانات المياه هذه وتسرب مياه الشرب من خزانات السفينة وانتهائها كل عدة أيام ، لعبة وانكشفت . . لعبة لعبها القبطان والباشمهندس تحت ذقن مهندس الترسانة الشريف فعلا العفيف فعلا ، الذى رفض أن يشترك معهم فيها ، لكى يبررا دخول السفينة إلى ميناء جديدة كل عدة أيام !! . . .

وإذا كانت الشركة فى الاسكندرية وممثل الشركة فى هامبورج : « أنيس أنسى » ، قد أقتنعا واستجابا لوجهة نظر مهندس الترسانة « أحمد الأعرج » ورفضت إجراء الإصلاحات الوهمية التى طلبها باشمهندس السفينة ، والتى كان سينتج عنها عمولات الشيء الفلانى ، فإن فى ميدان الإستيراد والتصدير « الشخصى » متسع للجميع وأنف الشركة فى الأرض وأنف الدولة فى الأرض ، كأن هذه السفينة ملكهم شخصيا يشغلونها لحسابهم الخاص والشركة تخسر تتحرق مش مهم : وعلى رأى القبطان : هى بتاعتنا ؟ » . . .

الساعة ١٢ ظهرا بالضبط كتعلميات القبطان لنا قبل أن ننزل فى الصباح . . ولما رأينا أنه لا تبدو أية دلائل على قرب تحرك السفينة حالا فقد سألناه إذا كان الممكن أن ننزل إلى المدينة مرة أخرى لتلقط مجموعة صور ونعود خلال نصف ساعة ؟ ! . . فنظر إلى ساعته ماركة تيتوس وقال لنا بدقة شديدة : « السفينة حاتطلع بعد ٦ دقائق بالضبط » !! . . خلاص إذن : إنتهى الوقت . . وصعدنا إلى قمراتنا نتهيأ للرحيل . . نظرت - بالصدفة - من شباك قمرتى فوجدت سفرجى باشا نازلا من السفينة متجها إلى المدينة . . كدت أن أناديه وأقول له : « إرجع يامجنون . . إرجع يا طايش . . القبطان قال أن السفينة حا تطلع بعد ٦ دقائق » . . لكنى عدت فقلت لنفسى ساخرا : « بأه أنا برضه اللى حا أقول له إن القبطان قال ؟ ! » . . . . .

وسكتت ولم أقل شيئا . . ولم يعد السفرجى بآشا من المدينة إلا فى السابعة مساء . . وتحركت السفينة بعدها فورا فى نحو السابعة والربع مساء !!!!! . . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !!!!! . . . .

الفصل الخامس والعشرون

القبطان
إنسرق
يا رجالة . !

اليوم ظهرا، القبطان

يصرخ فى كبير الضباط بأعلى صوته .. يبدو أن المياه المجنونة قد عادت تمارس جنانها مرة أخرى قبل أن تمر ٢٤ ساعة على مغادرتنا « سوتا » .. كبير الضباط ترك المياه مفتوحة على طول منذ مغادرتنا « سوتا » ، وكان المفروض ـ فى تقدير القبطان ـ أن تظل تفتح ٣ مرات فقط فى اليوم كما حدث فى الأيام الأخيرة لنا منذ تركنا وراءنا سواحل انجلترا والـ (باسكاى) والأطلنطى وقبل أن ندخل « سوتا » : من ٧ الى ٩ صباحا ، ومن ١٢ الى ٢ ظهرا ، ومن ٧ الى ٩ مساء ..

• يبدو ـ والله أعلم ـ أن هناك كمية من البضائع التى « للتصدير الشخصى » لم يتم توزيعها بعد !! .. ويبدو ايضا ـ بناء على ذلك ـ أن مالطة سوف تكون آخر ميناء تتوقف عنده سفينتنا قبل أن نصل إلى الإسكندرية !! .

نسمع الآن اذاعة

الشرق الأوسط وإعلاناتها وبرامجها الرمضانية بوضوح جدا كأننا فى قلب القاهرة ، وكنا قد بدانا نسمعها خافتة منذ أن عبرنا مضيق جبل طارق ودخلنا البحر الأبيض المتوسط .. يا اهلا يا مصر .. وحشتينا ..

منك لله يا « خيرى »

.. فضحتنا بسذاجتك وقرويتك وانهبالك بأوروبا وانت معنا هناك ، وفضحتنا وكسفتنا مع كل الناس هنا حتى بعد أن تركتنا وعدت الى مصر .. كبير الضباط جاء اليوم بعد العاشرة مساء يدق باب قمرتى بإلحاح ، وأفتح لأجده ووراءه اثنين من ضباطه ، ويقول لى وابتسامة صفراء لزجة شامتة ـ وفيها معان أخرى أيضا غير ذلك ـ على شفتيه : « هو الأستاذ خيرى يكون زمانه وصل مصر دلوقتى ؟ » !!.. إندهشت .. هذه الكتيبة البحرية كلها وطاقم ضباط السفينة كلهم متجمعين وسايبين شغلهم وجايين لكى ، فقط ،

يسألوننى هذا السؤال الهايف الساذج ؟! .. ثم أنا إيش عرفنى أصلا إنه وصل فعلا والا لأ .. « ليه السؤال ده يا على ؟ خير ؟ .. فيه حاجة حصلت ؟ » .. ويرد كبير الضباط وابتسامته الصفراء اللزجة الشامتة ـ التى فيها معان أخرى أيضا ـ مازالت على شفتيه : « أبدا .. أصلنا سمعنا فى الراديو دلوقتى فى اذاعة البرنامج العام تمثيلية قالوا عنها إنها (ترجمة وإعداد خيرى شلبى) ، فقلنا إن الأستاذ خيرى قطعا وصل مصر من مدة ، ولحق اتعلم لغة أجنبية ، وأجادها ، وترجم عنها التمثيلية دى ، وأعدها للاذاعة ، واتمثلت ، واتسجلت ، واتذاعت .. فحبينا نتطمئن عليه منك » !!!...

منك لله يا « خيرى » ، فضحتنا وضحكت الناس علينا وأحرجتنا قدام اللى يسوا واللى .. يسوا برضه !!

□ □ □

وعادت المياه على السفينة تفتح ٤ مرات فى اليوم ، كل مرة ساعتين فقط ، حتى يمكن تلافى دخول ميناء جديد ..

□ □ □

وبدأ حر مصر فى ذلك الوقت من السنة ـ نهايات الصيف ـ يقترب من هنا ونحن مازلنا قبل مالطة بأربعة أيام ..

□ □ □

كما كنت قد توقعت تماما . قرب نهاية الرحلة عاد (سفرجى باشا) إلى خدمة قمرة القبطان ، والظفر ما يطلعش من اللحم برضه .. وتطلبى إيه يا مرجانة ؟ سلامتك عندى بالدنيا يا سيدى ، عاملة لك قطايف بايدى ، خد دوق كده ... وابتسامة على جانب الوجه فى استحياء وخجل .....

□ □ □

كلما اقتربنا من لحظة العودة إلى مصر كلما ازداد قلقى من ناحية القاهرة وأخبار القاهرة ، ويا ترى ما الذى حدث فى القاهرة خلال فترة غيابنا ؟ .. البيت والأسرة ومين مات ومين عاش ومين مرض ومين خف ؟ .. وأخبار المجلة وأخبار الشغل وأخبار الاذاعة و .... و .... و .... ، وربنا يستر ونلاقى كل حاجة كويسة وسليمة باذن الله ..

□ □ □

القبطان يشكو لى اليوم من أن المهندسين مزرجنين معاه لأن الإصلاح الذى طلبوه لم يتم !! .. هو يشكو الآن ، وهو أول من يعلم أن المسائل كانت مترتبة بينه وبينهم ، وأنه كان سيضع فى جيبه الشخصى ٥٠ ٪ من عمولة الإصلاحات التى لم تتم ، والباقى لكبير مهندسى للسفينة وهو يرش على رجالته بمعرفته !!..

وكــــون أن الاصــــلاحات التـــى كـــان

المهندس « عبده صالح عبده » يطلب إجرائها على السفينة ومصر عليها ، كون أن هذه الإصلاحات لم تتم وعدل عنها بعد الموقف الشجاع الثابت المخلص الذى وقفه مهندس الترسانة « احمد الأعرج » ومعارضته لها ، والمواجهة العنيفة – أو المصارحة العنيفة ـ التى حدثت يوم كان معنا هنا « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى غرب أوروبا ، وكون أن السفينة قد استطاعت فعلا أن تقوم برحلة العودة كاملة بسلام وأمان ولم يحدث أى شيء على الإطلاق ولم تتعطل ولا ثانية واحدة ، فذلك معناه أن هذه الإصلاحات فعلا لم تكن ضرورية ولم تكن مطلوبة .. وبالمفتوح أكثر : كانت إصلاحات وهمية لم تكن ستنفذ أصلا وانما « *Dry Bill* » حسب الاصطلاح البحرى الهبشى الهبرى الشفطى : اصلاحات على الورق فقط ، ورق الفواتير ، والشركة تدفع : فاتورة ـ فقط ليس إلا ـ بإصلاحات قيمتها ٢٠ ألف جنيه مثلا . . الورشة الأجنبية التى تعطى الفاتورة ، مجرد الفاتورة ، تتقاضى مقابلها ألف جنيه دون أن تقوم بأية إصلاحات ودون أن تغرم شيئا أو تتكلف شيئا . . وباقى المبلغ ـ الـ ١٩ ألف جنيه ـ يدخل جيوب السادة الأكابر الذين تجرى الإصلاحات بناء على طلبهم . . ويكون نصيب القبطان نصف هذا المبلغ ، وكبير الضباط ينوبه من الحب جانب ، والنصف الآخر من المبلغ لكبير المهندسين وهو يفرق بمعرفته على الحبايب !! . . وادفعى يا شركة ، واخسرى يا شركة ، ويتخرب بيتك – بالعملة الصعبة ـ يا شركة . . وإذا ضربنا هذه التصرفات وهذا المال السايب × ٤٥ سفينة تملكها الشركة المصرية القطاع العام فلا نتساءل بعد ذلك باندهاش : « يا اخويا شركة كبيرة زى دى بتخسر ليه ؟! ، مع ان فيه شركات قطاع خاص عندها سفينتين والا تلاتة وما شيين زى الساعة وبتكسب كل سنة الشيء الفلانى » !! . .

وبعد ذلك نتساءل نحن ـ بسذاجة شديدة ـ : « لماذا يتكالب رجال البحر ويتقاتلون من أجل الخروج على السفن رغم مرتباتهم الصغيرة نسبيا ؟! » . . واقد عرفنا الآن فقط السبب : قطعا فى سبيل المجد والشهرة ما هم يفعلون ، ومن أجل أن تذكر أسماؤهم فى صفحات كتب التاريخ البحرى لمصر العظيمة الخالدة !! . .

□□□

الساعة ٢,٣٠ بعد منتصف الليل ، نمر الآن أمام سواحل الجزائر .. وكلها يومين ونمر أمام مالطة ، وبعد يومين ونصف آخرين نصل إلى الإسكندرية . . هانت . .

الســـرقة والهبـــش . حتــــى

آخر لحظة ـ علنا وعينى عينك : السفينة اشترت من « برانسباتل » ٦٠ كيلوياميش و ٦٠ كيلو مسكرات ـ قراصية ومشمشية ـ . . وزعوا اليوم على أفراد الطاقم الـ ٤٤ ـ أنا و « سلمى » لأ طبعا ـ كل فرد كيلو ياميش واحد فقط لا غير ، وتبقى ١٦ كيلو

ياميش + ٦٠ كيلو (بحالهم) مسكرات ، قيل أنهم حايتعملوا حلويات ومشمشية تقدم مع الإفطار والسحور . . ولم يحدث ذلك ولا مرة واحدة حتى الآن رغم مرور ١٠ أيام على مغادرتنا « برانسباتل » و١٤ يوما من رمضان ، ولم يبق إلا ٣ أيام فقط على نهاية الرحلة .

غالبا الكمية الكبيرة الباقية هذه هى نصيب أهم شخص على السفينة : الكلب (حسان) !! . .

□□□

مررنا اليوم أمام سواحل الجزائر وسواحل تونس . . غدا فجرا نمر أمام سواحل ليبيا . . غدا عصرا أو مساء نمر أمام جزيرة مالطة . . مالطة هى (ميدان التحرير) بتاع البحر الأبيض المتوسط . . عندها نعرف أنه باقٍ أمامنا ٦٠ ساعة بالضبط على الإسكندرية . . يا مقرب البعيد. يارب .

فهرست

الموضوع	الصفحة
● الاهداء	٥
● مقدمة	٧
● الفصل الأول ●	
● إلى أوربا داخل تابوت	١١
● الفصل الثانى ●	
● أسد السفينة رمسيس	١٩
● الفصل الثالث ●	
● كتاكيت مالطة و برغوت باشا	٢٩
● الفصل الرابع ●	
● كلب الليل	٤١
● الفصل الخامس ●	
● هرقل و القراصنة	٥٣
● الفصل السادس ●	
● كلية خضر العطار البحرية	٦١
● الفصل السابع ●	
● سفرجى باشا	٧٥
● الفصل الثامن ●	
● سفينة من بولاق	٨٣
● الفصل التاسع ●	
● أنبوبة بوتاجاز شقراء	٩٧
● الفصل العاشر ●	
● إنفجار أو جبل الجليد العائم	١٠٩
● الفصل الحادى عشر ●	
● الفلاح الفصيح فى أوربا	١٢٣

الموضوع	الصفحة

● الفصل الثاني عشر ●

● سقط خيرى سهوا ١٣٥

● الفصل الثالث عشر ●

● الحب ينتظر على الرصيف ١٥٣

● الفصل الرابع عشر ●

● لا أحد يشترى قطة فى كيس مقفول ١٦٧

● الفصل الخامس عشر ●

● الكونتيسة وماما الحاجة وحسان يأكل البندق ١٧٩

● الفصل السادس عشر ●

● السفينة تباع فى المزاد العلنى ١٩٧

● الفصل السابع عشر ●

● مرفود أسبوع ويجيب ولى أمره ٢١١

● الفصل الثامن عشر ●

● من الذى يخاف من رجال البوليس ٢٣١

● الفصل التاسع عشر ●

● أسوأ الرحلات فى التاريخ ٢٤٣

● الفصل العشرون ●

● الرجل والصرصار ٢٥٧

● الفصل الحادى والعشرون ●

● انهم ينهبون البحر نهبا ٢٧١

● الفصل الثانى والعشرون ●

● رسالة من بريجيت ٢٨٣

● الفصل الثالث والعشرون ●

● شركة الملاكمون العرب ٢٩٣

● الفصل الرابع والعشرون ●

● السوق البيضاء تكسب ٣٠٥

● الفصل الخامس والعشرون ●

● القبطان إنسرق يارجاله ٣١٥

شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية

رائدة شركات توزيع وبيع الطاقة الكهربائية

□ جهود مكثفة لتوفير احتياجات مشروعات التنمية من الطاقة الكهربائية .

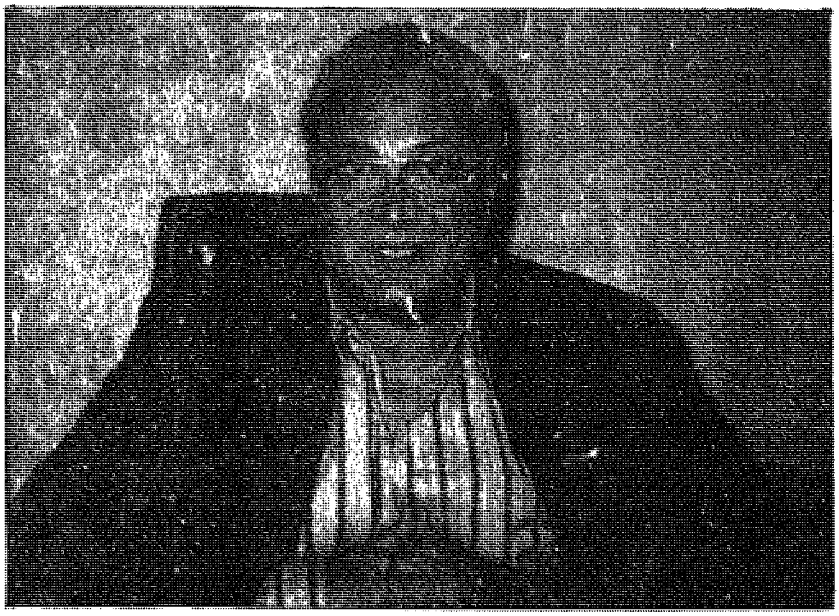
□ خطة طموحة للنهوض بعمليات الكشف والتحصيل .

□ تحسين مستويات الأداء لضمان استمرار التغذية للمشتركين .

□ مقومات النجاح : الاهتمام بالعنصر البشرى - تطوير عمليات الصيانة - مواكبة التطور العلمى .

□ أرقام قياسية لتقليل الفاقد ، وتحقيق الفائض ، وإصلاح الأعطال الكهربائية .

□ لقاءات شهرية منتظمة بين المسئولين فى الشركة والمحليات للتعرف على مشاكل المواطنين وحلها .



● المهندس مختار فاضل محمد رئيس مجلس إدارة الشركة
والعضو المنتدب ●

الطاقة بكافة صورها على مر التاريخ كانت ومازالت شريان الحياة ونقطة الانطلاق على طريق التنمية والتقدم .. وتاريخ الإنسانية بأكمله فى حقيقته ليس سوى تاريخ لتقدم سيطرة الإنسان وتحكمه فى إنتاج وتحويل واستخدام الطاقة ، وفى نفس الوقت فإن تحقيق أى خطة من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب توفير الطاقة الكهربائية كمصدر رئيسى لتشغيل المشروعات الزراعية والصناعية والسياحية وكذلك مشروعات التعمير والمرافق والخدمات .

واذا كان انتاج الكهرباء والطاقة من الأمور الهامة لمواجهة حاجات الانسان الضرورية ومتطلبات الانتاج فإن توزيع الطاقة الكهربائية للوفاء بهذه الاحتياجات هو السبيل الأمثل لتحقيق الغاية والهدف وهو توفير خدمة كهربائية متكاملة للمواطن المصرى .. والمتابع

لنشاط شركات توزيع القوى الكهربائية لابد وأن يشيد بالجهود المخلصة والخلاقة التى يقودها بكفاءة واقتدار المهندس محمد ماهر أباظة ، وتقوم بها شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية والتى أصبحت نموذجا يحتذى به فى مجال توزيع وبيع الطاقة الكهربائية وكذلك أعمال الصيانة والتشغيل والكشف والتحصيل ..

وفى لقاء مع المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لشركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية - لإلقاء الضوء على نشاط الشركة والإنجازات التى حققتها قال سيادته : النشاط الأساسى للشركة هو توزيع وبيع الطاقة الكهربائية لمحافظة البحيرة ، وجزء من محافظة المنوفية ممثلا فى مدينة السادات كما يمتد نشاط الشركة الى مساحات شاسعة ومناطق مترامية الأطراف يحدها من الجنوب آخر مدينة السادات ، ومن الشرق محافظتا كفر الشيخ والغربية ، ومن الشمال محافظة الاسكندرية ، ومن الغرب الحدود الليبية المصرية .. وقد نجحت الشركة بفضل الجهود المخلصة لأبنائها والبالغ عددهم ٤٠٠٠ عامل من مهندسين وفنيين وإداريين من تحقيق نتائج تتجاوز المستهدف فى زمن قياسى فى مجال تغذية وتوريد الطاقة الكهربائية لحوالى ٦٠٠٠٠٠ مشترك على الجهود المتوسطة والمنخفضة ، وفى مجال التنمية الاقتصادية تقوم الشركة بتوزيع الطاقة للأغراض الصناعية والزراعية وتغذية المشاريع الزراعية بالنوبارية بالطاقة اللازمة لتشغيل الآلات الخاصة برفع المياه ، وتغذية مصانع النسيج والحرير فى كفر الدوار ودمنهور بالكهرباء اللازمة لتشغيل هذه المصانع وفى نفس الوقت تقوم الشركة بدور كبير فى مجال صيانة الشبكات وتنفيذ المشروعات للغير .

مقومات النجاح

وانطلاقا من إيمان إدارة الشركة بأن معايير نجاح أى شركة فى مجال توزيع وبيع الطاقة يرتبط بالتطور الذى تحققه فى مجال تحسين مستوى معيشة العاملين ، وتقليل الفاقد ، وضمان استمرار التغذية الكهربائية والقضاء على مشاكل الانقطاعات ، وكذلك التطور المستمر فى مجال الكشف والتحصيل - قامت ادارة الشركة بقيادة المهندس مختار فاضل منذ توليه المسئولية بعمل هيكل وظيفى جديد تم بموجبه تسكين العاملين على وظائفهم الأمر الذى أدى الى دفع عجلة الانتاج فى مختلف مواقع العمل .

- وفى مجال التحصيل وضعت ادارة الشركة الخطط العملية المناسبة بما يؤدى الى تحصيل المتأخرات وذلك من خلال التعاون بين جميع العاملين بالشركة ومساهمة المسئولين بالنقابة ، واتباع طريقة حديثة لتحصيل متأخرات كبيرة جدا كانت لدى المشتركين .
- وبالنسبة للتغذية الكهربائية تم وضع خطتين لتحسين استمرارية الطاقة ، وتحسين مستوى الاداء فى الشركة ، ومن المستهدف الانتهاء من تنفيذ خطط تحسين الاداء بالشركة خلال العامين القادمين .

● وفى مجال النهوض بمستوى الخدمة وتحسين العلاقة بين الشركة وجمهور المشتركين تقوم الشركة بجهود مكثفة بتقديم خدمة جيدة ومتميزة فى مجال الكشف والتحصيل وقد أدى ذلك الى تشجيع المشتركين على التعاون معها وعدم المماطلة فى تسديد قيمة الفواتير .. وتنفيذا لتوجيهات السيد الوزير المهندس محمد ماهر أباظة - للمسئولين عن الكهرباء بضرورة العمل على تحسين العلاقة بين شركات التوزيع والجمهور قامت إدارة شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية بتطوير اللوائح والنظم التى تنظم العلاقة بين الشركة والجمهور وخاصة فى مجال التحصيل حيث تقوم بتقسيط تراكمات الاستهلاك لدى العملاء دون اضافة أى فوائد أو أرباح .

تعاون وثيق مع الشركات الشقيقة

وحول التعاون بين شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية وبين شركات التوزيع الأخرى قال المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الإدارة ، والعضو المنتدب إن هناك تعاونا وثيقا بيننا وبين الشركات المجاورة فى العديد من المجالات أولها التقسيم والتعامل مع الجمهور حسب قرب مصدر التيار الكهربائى للقرية أو المشترك بمعنى أن الشركة يمكنها أن تحصل على الكهرباء من شركة أخرى مجاورة لمنطقة من المناطق التابعة لها وتكون قريبة من مصدر تيار الشركة الشقيقة ثم تقوم بمحاسبتها ، ومن ناحية أخرى فان شركة توزيع كهرباء البحيرة تبذل قصارى جهدها فى سبيل التعاون الفنى بينها وبين الشركات الشقيقة عن طريق تبادل البحوث والآراء ، وتبادل الحلول الخاصة بالمشاكل المشتركة .. وأيضا إيفاد العاملين للتدريب فى مراكز التدريب الموجودة فيها .

قانون قطاع الأعمال حقق المصلحة العامة

وفى سؤال حول مدى تأثير قانون قطاع الأعمال على مسيرة العمل والانتاج بالشركة أجاب المهندس مختار فاضل بأن قانون قطاع الأعمال صدر لتحرير القطاع العام من الروتين واعتماد الوحدات الاقتصادية على نفسها وهذا هدف عظيم .. كما أن القانون فى حد ذاته قانون مرن يعطى للشركة حقوقا كثيرة تمكنها من تغيير المرتبات لصالح العمل والعاملين .. وتوفير الفرص المناسبة لكل شركة لزيادة الانتاج وزيادة الأرباح وهو ما يحقق الصالح العام .

مسايرة التقدم العلمى والتكنولوجى

وفى مجال التجديد والتحديث ، ومواكبة التقدم العلمى والتكنولوجى تقوم الشركة بإيفاد العاملين بها للحصول على دورات تدريبية داخل الجامعات المصرية ، وأنشأت العديد من مراكز التدريب التابعة لها والتى تضم مدربين أكفاء على أعلى مستوى من

الخبرة وفى نفس الوقت تحرص شركة توزيع كهرباء البحيرة على الوقوف على آخر ما انتهى اليه الآخرون من تقنية حديثة وتكنولوجيا متطورة فى مجال نشاطها لمواكبة التطور العلمى والتقدم العالمى .

تحسين مستويات الأداء

وعن الأهداف العاجلة للشركة أكد المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب أن الهدف الأول الذى تسعى الشركة لتحقيقه هو تحسين المتحصلات من الجمهور وتوفير السيولة اللازمة التى تمكنها من توفير الاستثمارات المطلوبة لتنفيذ مشروعاتها والقيام بدورها على أكمل وجه ، وأشار الى أن تحقيق ذلك يتطلب مجموعة كبيرة على أعلى مستوى علمى وفنى للمساعدة على حل هذه المشكلة بكافة الوسائل .. وأيضا لتنفيذ الخطط الطموحة للشركة لتحسين الأداء وتقليل انقطاعات التيار ، وتغيير الأعمدة ، وصيانة المحولات ، وإحلال وتجديد الشبكات بسعات أكبر وهو ما تضعه ادارة شركة توزيع كهرباء البحيرة أمامها فى خططها الاستراتيجية التى تعمل من خلالها .

حل مشاكل أراضى الخريجين

وبالنسبة لدور الشركة فى حل مشاكل أراضى الخريجين والتى تقع فى زمام نشاطها قال المهندس مختار فاضل : إن شركات الزراعة أصلحت الأراضى وسلمتها للخريجين بدون عقود ، كما قامت وزارة الرى بترك محطات رفع المياه دون أن تضع أساس توزيع قيمة الكهرباء التى تخص الطلمبات علما بأن الطلمبة الواحدة تخدم حوالى ٢٠٠ فرد ، ومن ثم فإن السؤال الذى يطرح نفسه وبإلحاح شديد هو كيف تتعامل شركة توزيع كهرباء البحيرة مع مائتى فرد يستفيدون من الطلمبة وبأى أسس أو اسلوب ؟ ورغم انه لايمكن تقسيم قيمة الكهرباء على هذه المجموعة الا ان الشركة توصلت الى العديد من الحلول عن طريق حساب الاستهلاك السنوى وقسمته على عدد الافدنة لكل محطة رفع على ان يقسم المبلغ الى نصفين الاول يدفع للشركة فى شهر يونيو اما النصف الثانى فيستحق سداده فى شهر نوفمبر .

وبالنسبة لمنازل الخريجين فقد تم حل هذه المشكلة عن طريق توصيل التيار لكل منزل بعداد خاص له .. وفيما يتعلق بالشركات الزراعية الكبيرة فنحن نقوم بالتعاون معا لحل المشاكل بناء على خطاب من الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة .. وبالفعل امكن حل الكثير من المشاكل بين شركة توزيع كهرباء البحيرة وشركات توزيع الاراضى على الخريجين عن طريق تحصيل جزء كبير من المتأخرات المالية الخاصة بالشركة بمساعدة السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة ونعمل حاليا على حل المشاكل المتبقية .

الاعتماد على الذات

وتحقيقا لسياسة الدولة الرامية الى الاعتماد على الذات وتوسيع قاعدة التصنيع المحلى تقوم الشركة بشراء الخامات لتصنيع أعمدة الانارة وملحقاتها داخل الشركة كما انها تلعب دورا كبيرا فى تشجيع الصناعة الوطنية بتعاونها مع شركة الماكو وشراء منتجاتها من المحولات والصناعات الكهربائية الاخرى .. وقد أدت سياسة الاعتماد على الذات وتوسيع قاعدة التصنيع التى تنتجها الشركة الى توفير مبالغ هائلة كانت تنفق فى شراء الكثير من المستلزمات فضلا عن ان ذلك كان له أبلغ الاثر فى تعظيم الانتاج ، وتحقيق الاستغلال الامثل للطاقات البشرية والفنية والمادية بالشركة .

تلاحم الاجهزة التنفيذية والشعبية

وحول العلاقة بين شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية والتنظيمات الشعبية فى المناطق التى تقع فى اطار نشاطها قال المهندس مختار فاضل : لاشك ان تلاحم الاجهزة الشعبية والتنفيذية له عظيم الاثر فى حل مشاكل الجماهير ومن هذا المنطلق حرصت على وضع نظام فريد من نوعه وهو الالتقاء بصفة شهرية منتظمة برؤساء المدن وأعضاء المجالس المحلية للتعرف على مشاكل المواطنين ووضع الحلول العملية والمناسبة لها ، ومن خلال هذه اللقاءات أحرص على شرح خطط الشركة فى المراكز والمدن والقرى فى مجالات الإنارة ، والإصلاح ، والإحلال ، والتجديد ، كما أتناقش معهم فى معدلات الاداء والبرامج المستقبلية لتطويرها .. واستطيع ان اؤكد ان تلاحم المحليات مع الشركة كان له ابلغ الاثر فى حل مشاكل جمهور المشتركين .

كأس الإنتاج

وقبل أن أغادر مكتبه سألت المسئول الاول عن توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية ـ المهندس مختار فاضل ـ عن طموحاته وتطلعاته كرئيس لمجلس ادارة شركة وطنية قدمت الكثير والكثير لتوفير خدمة كهربائية متكاملة للمواطن المصرى فأجاب بابتسامة كلها أمل وتفاؤل أتطلع الى حصول شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية على كأس الانتاج فى العام القادم بإذن الله ، ونحن من جانبنا نبذل اقصى ما لدينا من جهد وعرق لتحقيق هذه الامنية الغالية واضعين فى الاعتبار ان نبدأ من حيث انتهى الآخرون .. وان ننظر دائما للامام واضاف قائلا : ان جميع التقارير التى امامى بالنسبة لنصف السنة الماضية تبشر بالخير حيث حققنا أرباحا تتجاوز المستهدف بكثير خلال هذه الفترة أعنى ضعف المستهدف والحمد لله .

وبعد عزيزى القارىء

إن ملحمة العمل والإنجاز فى شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية تقدم قصة نجاح جديدة على خريطة الكهرباء المصرية .. أبطالها من ابناء مصر المخلصين لوطنهم يخططون للمستقبل بعقول متفتحة ويحفرون طريق الامل بسواعد قوية .

عنوان وتليفونات الشركة

دمنهور شارع الجمهورية	فاكسميل	:	٣٣٨٠٣٠
رئيس مجلس الإدارة	ت	:	٣٣٨٠٣٠
سويتش الشركة	ت	:	٣٣٧٠٨٣ ٣٢٦٩٦٥ ٣٢٦٣٧٥
سويتش مبنى الشئون التجارية بدمنهور	ت	:	٣٣٨٧٠٠
فرع كهرباء مطروح	ت	:	٣٩٤٤١٣٢

الآراء والأفكار الواردة فى هذا المطبوع مسئولية المؤلف

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

الطبعة الاولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

رقم الايداع ٤٠٦٠ / ١٩٩٣

رقم دولى ٩ - ٠٢١ - ٢٢٩ - ٩٧٧ I.S.B.N